المحرران
ست جالي & جيرمي إيرب

اختطاف كارثة

١١ سبتمبر، الخوف والترويج لإمبراطورية أمريكة

نقله إلى العربية
عبد اللطيف موسى أبو البصل

العبيكان
Obeikan

منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

اختطاف كارثة

11 سبتمبر، الخوف والترويج
لإمبراطورية أمريكة

اختطاف كارثة

11 سبتمبر، الخوف والترويج لإمبراطورية أمريكة

المحررون

ست جالي و جيرمي ايرب

تقديم

هاورد زن

نقله إلى العربية

عبداللطيف موسى أبوالبصل

العبيكان
Obeikan

Original Title:

HIJACKING CATASTROPHE

9/11, Fear and the Selling of American Empire

By: sut Jhally and Jeremy Earp

foreword by Howard Zinn

Copyright © Sut Jhally and Jeremy Earp, 2004

ISBN 1 - 56656 - 581 - 2

All rights reserved. Authorized translation from the English language edition
OLIVE BRANCH PRESS An imprint of Interlink Publishing Group.Inc

حقوق الطبعة العربية محفوظة للعبيكان بالتعاقد مع أوليف برانش بريس غروب - الولايات المتحدة

© العبيكان 1428هـ - 2007م

ISBN X - 169 - 54 - 9960

الطبعة العربية الأولى 1428هـ - 2007م

الناشر العبيكان للنشر

المملكة العربية السعودية - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة - عمارة الموسى للمكاتب

هاتف: ٢٩٣٧٥٧٤/ ٢٩٣٧٥٨١، فاكس: ٢٩٣٧٥٨٨ ص. ب: 67622 الرياض 11517

ⓒ مكتبة العبيكان، 1428هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

جالي، ست

اختطاف كارثة ١١ سبتمبر الخوف والترويج لإمبراطورية أمريكة. / ست جالي؛ جيرمي إيرب؛ عبداللطيف موسى أبو البصل. - الرياض 1428هـ

468 ص؛ 16.5× 24 سم

ردمك: X - 169 - 54 - 9960

١ - أحداث نيويورك واشنطن (١١/ ٩/ ٢٠٠١) 2 - الإرهاب - الولايات المتحدة أ. إيرب، جيرمي (مؤلف مشارك) ب. أبو البصل، عبداللطيف موسى (مترجم) ج. العنوان

ديوي: 973.93 1428 / 117

ردمك: X - 169 - 54 - 9960 رقم الإيداع: 117 / 1428

امتياز التوزيع شركة مكتبة العبيكان

المملكة العربية السعودية - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع شارع العروبة

هاتف: ٤١٦٠٠١٨/ ٤٦٥٤٤٢٤ - فاكس: ٤٦٥٠١٢٩ ص. ب: 62807 الرياض 11595

جميع الحقوق محفوظة للناشر. ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الموضوع	الصفحة
تقدير وعرفان	٩
تقديم هاورد زن	١١
توطئة	١٧
طارق علي(*)(*)	٢١
بنجامين باربر	٣٩
مديا بنجامين	٦١
نعوم تشومسكي	٧١
كفن دناهر	٨٩
مارك دانّر	١٠١
شاديا دروري	١٢١
مايكل إريك ديسون	١٣٩
دانييل إلزبيرغ	١٥٧
ستان غوف	١٧٩
ويليام هارتنغ	١٩٩
تشالمرز جونسون	٢١٧

(*) جاء ترتيب اسماء الأشخاص الذين أجريت معهم هذه المقابلات وفقاً للترتيب الهجائي لأسمائهم الأخيرة باللغة الإنجليزية وليس لأي اعتبار آخر. وقد ابقي على هذا الترتيب كما ورد في الأصل. وأود أن الفت نظر القارئ إلى الطبيعة الارتجالية لهذه المقابلات.

(*) جميع الهوامش الواردة في الكتاب هي من إضافة المترجم وليست من الأصل. وقد أخذت معظم ترجمة الشخصيات البارزة والأحداث التاريخية عن الموسوعة البريطانية ط. 2005 او موسوعة إنكارتا 2005، بحسب ما هو مشار إليه.

الموضوع	الصفحة
جاكسون كاتس	٢٣٧
مايكل كلير	٢٥٥
المقدم المتقاعد كيرين كوايتكوسكي	٢٦٩
نورمان ميلر	٢٩٥
زيا ميان	٣٠٧
مارك كرسبن ميلر	٣٢٥
سكوت رتر	٣٤٩
فاندانا شيفا	٣٧١
نورمان سولمون	٣٨٣
غريغ سبيتر	٤٠٣
عمانوئيل وولرستاين	٤١٧
جودي ويليامز	٤٣١
ماكس وولف	٤٤٩

تقدير وعرفان

لا يسعنا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر إلى طاقم الموظفين والمتدربين في ميديا إيديوكيشن فاونديشن (مؤسسة التعليم الإعلامي) على جهودهم في إخراج هذا الكتاب في زمن قياسي. ونخص بالذكر كلاً من آندريا وزني و شارا دُن اللتين عملتا بجد وتفان على مدى الأشهر الثمانية الماضية في طباعة وإخراج هذه المقابلات. كما ونعبر عن امتناننا لكل من لِين كوملا و فيفيكا غرين و رونِت ريدبيرغ و إيركا سيلفا و آندرو كيلوي على جهودهم في تحرير وتدقيق مخطوطة هذا الكتاب في وقت قياسي. كما ونخص بالشكر وجميل العرفان الأشخاص الذين أجريت معهم هذه المقابلات على ما حبونا به من أوقاتهم وخبراتهم.

* *

تقديم

بقلم هاوَرْد زِنْ(*)

هناك، حقاً، مخاوف تقوم على أسباب معقولة. ولكن هناك أيضاً أوضاع، هي في العادة من صنع الحكومات، تُستثار بها الشعوب إلى عنف يخرج عن نطاق السيطرة ويتخذ أشكالاً متنوعة-من السحل، إلى الحروب، إلى أعمال الإبادة الجماعية- كل هذا يحدث عن طريق استغلال الخوف غير المعقول، واستخدامه في التلاعب بمشاعر الناس وأفكارهم.

ويزخر التاريخ بأعمال الإبادة الجماعية التي ارتُكِبت في أجواء من الخوف الذي صُنِعَ لتحقيق غايات سياسية. من ذلك: شن الحروب الصليبية ضد "الكفار"؛ ومذابح الأتراك ضد الأرمن عام 1915؛ والهجوم على اليهود والشيوعيين في ألمانيا إثر إحراق مبنى البرلمان الألماني (رايشتاغ) عام 1933م.

كما كانت أعمال ملاحقة ومطاردة المعارضين للكنيسة في نيوإنغلاند(*) مبنية على فظائع غامضة وغير مرئية، شكلت عاملاً مهماً في تعزيز سلطة رجال الدين من طائفة البيورتانز(*). كما أدت المخاوف المتبادلة بين السكان البيض

(*) روعي في ترجمة الأسماء الإنجليزية تمثيل طريقة لفظها بالأحرف العربية والاستعاضة عن أحرف العلة ذات الصوت القصير بعلامات الشكل (الضمة والفتحة والكسرة) لكي تكون كتابة الاسم أقرب إلى طريقة لفظه في اللغة الإنجليزية مع إسقاط الحروف التي لا تلفظ.

(*) تطلق هذه التسمية على المنطقة الواقعة شمال شرق الولايات المتحدة الأمريكية وتضم ولايات مين، ونيوهامبشير، وفيرمونت، وماسيتشيوستس، و رود آيلاند، وكنكتيكت (و تلفظ: كنا كي تكْت).

(*) طائفة مسيحية متشددة انفصلت عن الكنيسة الانجليزية وهاجرت إلى امريكا فراراً من الاضطهاد الديني في بريطانيا واستقرت في منطقة نيو إنغلاند من العالم الجديد. وكان لرجال الدين في تلك الكنيسة سلطة على المجتمع المحلي.

والهنود الحمر، الحقيقية منها والمفتعلة، إلى ارتكاب مذابح شنيعة من كلا الطرفين.

وبُعَيد حرب الاستقلال الأمريكية ضد بريطانيا، استَخدمت الدولة الفتية في عهد الرئيس جون آدمز المخاوف المتنامية من الثوريين والأجانب من أجل تمرير قانون الأجانب والفتنة، والذي كان من نتائجه المباشرة تقييد حرية التعبير، والسماح بالترحيل التعسفي للمهاجرين الذين لا يحملون الجنسية الأمريكية.

وتلجأ الدول في كثير من الأحيان، إلى تحويل زعماء دول أخرى إلى رموز لتخويف المواطنين من أجل دعم حرب ما. ففي عام 1917، وفي الولايات المتحدة، استُخدم القيصر الألماني رمزاً من هذا القبيل، وتعزز ذلك بالمخاوف التي برزت نتيجة قيام الغواصات الألمانية بإغراق السفن الأمريكية، الأمر الذي سهل عملية تجنيد وتعبئة الشعب الأمريكي للحرب، وسجن كل من تسوّل له نفسه المجاهرة بمعارضتها.

وفي نهاية الحرب العالمية الأولى، استخدم الكشف عن وجود قنبلة في منزل المدعي العام الفدرالي(*) بالمر في تسويغ اعتقال وترحيل آلاف من الذين لا يحملون الجنسية الأمريكية.

وغالباً ما تستخدم الأحداث المأساوية في خلق جو من الخوف تصبح الحرب في ظله أمراً مقبولاً، وتعطل فيه الحقوق الدستورية. فمثلاً، أدى تفجير البارجة الأمريكية (مين) عام 1898 في خليج هافانا، والذي أودى بحياة مئات

(*) يطلق عليه في بعض الترجمات وزير العدل. وهذه التسمية الأخيرة أقرب إلى الوصف الوظيفي لعمله، مع العلم أن نظام الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية يستخدم أوصافاً وتسميات تختلف عما هو شائع في الدول الأخرى كاستخدام كلمة سكرتير بدلاً من وزير. وكلمة إدارة بدلاً من حكومة، ودائرة بدلاً من وزارة... إلخ. ولا عبرة باختلاف المسميات ما دامت مدلولاتها واحدة.

من البحارة الأمريكان، إلى احتلال كوبا مباشرة خلال الحرب الإسبانية - الأمريكية. وفي الحرب العالمية الثانية، كانت الهجمات المباغتة على ميناء بيرل هاربر فرصة سانحة لبث الذعر والخوف من أعمال تخريب يابانية محتملة بل وربما احتلال ياباني للولايات المتحدة، مما أدى إلى اعتقال قرابة مائة الف من المواطنين الأمريكان المنحدرين من أصل ياباني ووضعهم في معسكرات اعتقال جماعية.

وبعد بضع سنوات من انتهاء الحرب العالمية الثانية، ظهر أكبر حدث كارثي مخيف وهو الكشف عام 1949 عن نجاح الاتحاد السوفييتي في بناء وتجربة أول قنبلة نوويه خاصة به. وكان ذلك مؤذناً بزيادة التوتر في "الحرب الباردة" إلى أعلى مستوياته. وترتب عليه انتشار الخوف الهستيري من الاتحاد السوفييتي بشكل سريع في طول البلاد وعرضها بتشجيع من الحكومة ووسائل الإعلام.

وفي ذلك المناخ بالتحديد، جرى إخضاع الأطفال في جميع مدارس الولايات المتحدة إلى تمرينات حول كيفية الاختباء تحت مقاعدهم لحماية أنفسهم من تأثيرات الهجمات النووية السوفييتية المحتملة. وكانت تلك هي حقبة "المكارثية"(*) التي أنشأت فيها لجنة تقصي النشاطات المعادية لأمريكا ما يشبه محاكم التفتيش ضد الأكاديميين والشخصيات البارزة في عالم الفن.

وفي تلك الفترة، جرى إعدام إيثل وجوليوس روزينبيرغ(*) بواسطة الكرسي الكهربائي، وتم إدراج ملايين من المواطنين الأمريكان في قوائم المشتبه فيهم بالانتماء إلى الشيوعية، أو بدعم وتأييد القضايا المتطرفة، وكان ينظر إلى

(*) نسبة إلى عضو مجلس الشيوخ جوزيف مكارثي الذي اشتهر بأسلوبه القمعي والتعسفي وغير المهادن في تعقب كل من يشتبه بانتمائه أو تعاونه مع الشيوعية (1950-1954).

(*) مواطنان امريكيان اعدما عام 1953 بتهمة التجسس لصالح الاتحاد السوفييتي بتقديم معلومات سرية حول الأسلحة النووية الأمريكية.

أي ثورة في أي دولة من دول العالم الثالث على أنها جزء من مؤامرة شيوعية عالمية.

لقد مكّن خلق "الرعب الأحمر" الحكومة من تخصيص ميزانيات عسكرية ضخمة وتكديس الأسلحة النووية إلى حدود تتجاوز بكثير حدود "الردع". وكان يصدر بين الحين والآخر إنذارات منتظمة مؤسسة على ادعاءات كاذبة حول "الفجوة في قاذفات القنابل" والتي زُعم فيها أن الاتحاد السوفييتي كان يملك أعداداً من قاذفات القنابل أكبر بكثير مما هو موجود لدى المعسكر الغربي. ثم تبع تلك الدعاية زعم آخر هو "الفجوة الصاروخية".

في حين أن التقارير الداخلية الصادرة عن أجهزة الاستخبارات الأمريكية كانت تشير إلى أن الحشد العسكري السوفييتي كان يتخلف عن الحشد الأمريكي بأشواط بعيدة. إلا أن هذه التقارير تم تجاهلها لأن التخويف كان يخدم أهداف السياسية الخارجية العدوانية وتجمع صناعات الأسلحة التي كانت تسعى إلى تحقيق مزيد من المكاسب المادية.

واليوم، تلعب المخاوف من "الإرهاب" الدور نفسه الذي لعبه الخوف من "الشيوعية" خلال الحرب الباردة. ومع أن الجائحة التي حلت بنا في الحادي عشر من سبتمبر كانت حقيقية كتفجير البارجة "مين"، أو إحراق مبنى البرلمان الألماني رايشتاغ، أو وجود الاتحاد السوفييتي. إلا أنها استخدمت، كما في الأمثلة المذكورة، في خلق هستيريا لا تقوم على أسباب معقولة لتسويغ سياسات حكومية تمتد جذورها إلى ما هو أبعد من تاريخ الأمة: سياسات توسعية، وتدخّل عسكري، وقمع للمعارضة.

وتمثلت هذه السياسات في العصر الحاضر في تدمير واحتلال أفغانستان والعراق، وإنشاء المزيد من القواعد العسكرية في الشرق الأوسط. وزيادات

ضخمة في الميزانية العسكرية، ومحاولات لتقويض حرية التعبير وتعطيل الضمانات والحقوق الدستورية.

وسيجد القارئ في الصفحات التالية سلسلة من التأملات العميقة والمدهشة حول هذه القضية: وهي العلاقة بين الحادي عشر من سبتمبر وتوسيع الإمبراطورية الأمريكية.

* *

توطئة

بقلم: جيرمي إيرب وسُت جالي

في الوقت الذي تبين فيه عدم صحة الأسباب التي قدمتها الحكومة لشن الحرب على العراق- فقد تبين عدم وجود أسلحة دمار شامل في العراق، وانه لا يشكل خطراً داهماً على الولايات المتحدة، وعدم وجود علاقة للعراق بأحداث 11 سبتمبر- نجد أن مناقشات وسائل الإعلام السائدة اقتصرت على قضايا الاستخبارات وفشل أجهزة الاستخبارات. ولم تول هذه الأجهزة سوى قليل من الاهتمام إلى ما ذكره عدد كبير من الخبراء حول السبب الحقيقي وراء تلك الحرب واحتلال العراق: السيطرة على الموارد المتضائلة، واستعراض القوة العسكرية الأمريكية بطريقة استفزازية، والفلسفة المتطرفة للمحافظين الجدد التي تدعو علناً إلى تمجيد مزايا هذا التوجه المتسارع والجديد نحو ترسيخ الإمبراطورية الأمريكية.

تم إجراء المقابلات المتضمنة في هذا الكتاب لصالح فيلم وثائقي (بنفس العنوان:اختطاف كارثة: الخوف والترويج للإمبراطورية الأمريكية) يعالج جذور المحافظين الجدد والآثار السياسية لطريقة تعامل إدارة بوش مع هجمات 11 سبتمبر. وقد وضع المطلعون على خفايا هذه الإدارة وأكثر من عشرين محللاً سياسياً بارزاً ظهور ما يطلق عليه "مذهب بوش" والحرب على العراق في سياق سعي المحافظين الجدد الذي استمر على مدى عقدين من الزمان إلى زيادات مغالية في النفقات العسكرية وإعادة تشكيل العالم في حقبة ما بعد الحرب

الباردة باستخدام القوة العسكرية. وهدفنا من نشر محتوى ذاك الفيلم في كتاب هو الهدف ذاته الذي انتجنا من أجله الفيلم، وهو وضع تحليل للأفكار والدوافع التي تقف وراء السياسة الخارجية الأمريكية في هذا المنعطف الحرج من التاريخ الأمريكي.

وهذه المقابلات، إذا ما نظرنا إليها بشكل شمولي، فإنها توضح ثلاثة محاور أساسية: الأسباب الحقيقية لقيام إدارة بوش بشن حرب على العراق: الأسلوب الذي روجت فيه الحكومة الحرب أمام الشعب الأمريكي: العواقب المحلية والدولية للتحوّل المفاجئ للسياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر.

وركز عدد من المقابلات على الخطورة الإستراتيجية التي وضعها صقور السياسة الخارجية من المحافظين الجدد بعد الحرب الباردة للتخلص من التوافق في الرأي الذي كان سائداً حول الدور الأمريكي في العالم، وذلك عن طريق الدعوة إلى زيادة حادة في النفقات العسكرية بعد سقوط الاتحاد السوفييتي. وتمثل حلم المحافظين الجدد بإظهار وتوسيع الهيمنة العسكرية الأمريكية بدون منازع في القرن الحادي والعشرين. واحتوت الخطط الإستراتيجية للدفاع التي وضعت بداية أعوام التسعينيات على يد بول ولفوويتس وريتشارد بيرل ودك تشيني وغيرهم من المرتبطين بمعاهد الفكر التابعة للمحافظين الجدد كمنظمة "مشروع القرن الأمريكي الجديد"، احتوت على حقيقتين تاريخيتين تم تجاهلهما تماماً في هذا المناخ السياسي المشحون: الأولى: أن هجمات الحادي عشر من سبتمبر كانت متطابقة تماماً مع الذريعة التي ذكرت تلك الخطط أنها ضرورية من أجل تسويغ الحشد العسكري الجديد الذي دعت إليه: وثانياً: أن خطط شن الحرب على العراق وتعزيز القواعد الأمريكية في الشرق الأوسط كانت موضوعة قبل ظهور ذريعة الحادي عشر من سبتمبر. وجاءت الكارثة المنتظرة كما تنبأت بها الخطط التي وضعتها منظمة مشروع

القرن الأمريكي الجديد في سبتمبر من عام 2000، أي قبل سنة كاملة من سماع معظم الشعب الأمريكي بأسامة بن لادن. حيث ورد في تلك الورقة الإستراتيجية ما نصه: "..إن عملية التحول هذه(*)، حتى وإن جلبت تغيرات جذرية، فإن من المرجح أن تتطلب وقتاً طويلاً ما لم يقع حادث مأساوي فظيع - مثل بيرل هاربر جديدة".

وأثناء عملية معاينة الطريقة التي تسللت من خلالها هذه الأجندة المتطرفة إلى مراتب التوجهات السائدة للحكومة دون أي نقاش عام، فإن عدداً من هذه المقابلات انتقلت من وصف السياسة إلى وصف المناورات والحيل السياسية للكشف عن كيفية استخدام الحكومة لوسائل الإعلام الدارجة من أجل تسويغ الحرب على العراق في غمرة الصدمة العاطفية لأحداث 11 سبتمبر. ومن النقاط المحورية في هذه المعاينة قيام وسائل الإعلام بإحلال صدام حسين محل أسامة بن لادن في الخطابات والبيانات السياسية لحكومة بوش كرمز للحرب على الإرهاب: وإقناع المواطن الأمريكي العادي بالتزام الصمت في الوقت الذي تتلاشى فيه الحقوق والحريات المدنية داخل الولايات المتحدة، وتتنامى فيه الإمبراطورية الأمريكية حول العالم.

وإلى جانب هذه المعاينة القريبة لكيفية استغلال إدارة بوش التخويف والتوتر في أعقاب 11 سبتمبر من أجل حشد التأييد الشعبي لبرامج المحافظين الجدد المثيرة للجدل تحت قناع "الحرب على الإرهاب"، قمنا أيضاً بالتركيز على محاولات الحكومة الأمريكية تشتيت الانتباه بعيداً عن جوهر سياساتها عن طريق استغلال المخزون التخيلي لأنماط بدائية للرجولة في الأسطورة الأمريكية- وهو مخزون له جذور عميقة في الخيال الأمريكي وروابط متينة بالمفاهيم العامة للقومية والوطنية. ومن بين المسائل التي تكرر ظهورها في هذا

(*) أي التحول في السياسة الخارجية الذي تدعو إليه هذه الدراسة.

الكتاب مسألة تأثير المخاوف - التي يمكن تفهمها- والتي تكونت عقب 11 سبتمبر في تغذية القوة الثقافية لهذا النهج على نحو أدى إلى إغلاق الباب أمام التفكير المنطقي والعقلاني والحوار والنقاش، وتلفيق الإجماع العام حول سياسات مضرة بالمصالح العامة.

وانتقلت رؤية المحافظين الجدد لإمبراطورية أمريكية من حيّز معاهد فكر اليمين المتطرف إلى أروقة البيت الأبيض لتشكل "مذهب بوش" في الحرب الوقائية وإستراتيجيات الأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية. إلا أن الحوار والنقاش حول الحكمة والمصلحة المرجوّة من هذه الرؤية لم يجد له مكاناً في وسائل الإعلام السائدة. ويبقى مصطلح "الإمبراطورية" مفهوماً مبهماً وغامضاً ودون معنى لدى غالبية أفراد الشعب الأمريكي. ومن هنا جاءت هذه المقابلات المتضمنة في هذا الكتاب لتجلية وتوضيح طبيعة الإمبراطورية وتأثيراتها اليومية: اعتمادها على الحرب المتواصلة دون نهاية؛ وتقويض الديمقراطية والحقوق المدنية باسم الأمن والحماية؛ وارتفاع وتيرة السرّية في النشاط الحكومي، والتضليل الإعلامي، وتمجيد الحرب والتسليح؛ وهدم ما تبقى من دولة الرفاه نتيجة ارتفاع نفقات مجهود الحرب، بينما تتحمل الطبقة الأكثر فقراً في المجتمع الأمريكي وطأة هذه السياسات؛ وتفجّر العجز في الموازنة والمديونية نتيجة تمويل الزيادة الحادة في نفقات الدفاع والمغامرات العسكرية في الخارج؛ وتعاظم الخسائر في الأرواح البشرية نتيجة لموت الشباب والشابات الذين يخدمون في الجيش بعد استدعائهم للقتال في قضايا جوفاء لخدمة أجندة تفتقر إلى التمحيص والنقاش العام حولها. وتبرز أهمية هذا التمحيص مع بدء الاستعدادات لدخول الانتخابات الرئاسية لعام 2004. وهو حدث جسيم في هذا المنعطف المصيري من التاريخ الأمريكي.

طارق علي

يعمل السيد طارق علي محرراً في مجلة نيو لفت ريفيو (اليسار الجديد)، وله أكثر من اثني عشر كتاباً في موضوعات التاريخ والسياسة. وآخر كتاب له هو صراع الأصولية: الحروب الصليبية، الجهاد، والحداثة (مطبوعات فيرسو، 2002) وكتاب بوش في بابل: إعادة استعمار العراق (مطبوعات فيرسو، 2003).

ست جالي: هل يختلف اجتياح واحتلال العراق من حيث النوعية فيما يخص الإمبراطورية، أم أن الموضوع هو "عمل كالمعتاد"؟

يصعب على المرء أن يحدد ما هو "العمل المعتاد" فيما يخص الإمبراطورية الأمريكية، وذلك لأننا نتحدث عن إمبراطورية لها تاريخها المتنوع. فهي إمبراطورية بدأت في أمريكا الشمالية. ولقد جاء التوسع الداخلي للولايات المتحدة نتيجة للعنف: عنف ضد السكان الأصليين (الهنود الحمر)، وعنف في بعض المراحل الحرجة ضد فئات من السكان المهاجرين الذين قدموا إلى العالم الجديد. وهناك شيء يجهله كثير من الناس وهو أن أعداد المهاجرين الطليان الذين قتلوا في ولاية لويزيانا تفوق أعداد الذين قتلوا من السود في بعض مراحل التاريخ الأمريكي. واستُخدم هذا العنف من أجل توحيد البلاد. ولم تكن الحرب الأهلية الأمريكية، والتي يشاع عنها أنها كانت بهدف تحرير الرقيق، إلا لهدف أساسي هو توحيد البلاد بالقوة. هذا هو السجل التاريخي الداخلي لتكوين هذا البلد وتشكيل ثقافته.

ثم توسعت الولايات المتحدة خارجياً بفعل "مذهب مونرو"(*) إلى أمريكا اللاتينية. وهناك كتاب جيد من تأليف الجنرال سميدلي بتلر، وضعه بعد أن تقاعد من الخدمة العسكرية في قوات المشاة البحرية. وهو كتاب أنصح دائماً بقراءته، وكثيراً ما أشير إليه في كتاباتي. كان سميدلي بتلر من أبرز الجنرالات في تاريخ البحرية الأمريكية، وكان الجنرال دوغلاس ماكارثر يجله كثيراً، وهناك منشأة عسكرية في جزيرة أوكيناوا في اليابان تحمل اسمه. وعنوان الكتاب هو "الحرب كجريمة منظمة[1]" وكتب فيه يقول، لقد عملت طوال عمري في البحرية الأمريكية، والآن وبما أنني تقاعدت من الخدمة العسكرية، فقد أتيح لي وقت كاف للتفكير فيما كنت أقوم وأكلف بفعله. وذكر أن قوات مشاة البحرية والجيش الأمريكي كانت تستخدم بشكل أساسي أداة في يد الشركات الأمريكية لاحتلال مناطق شاسعة في أمريكا اللاتينية من أجل جعل تلك البلاد أماكن آمنة للشركات الأمريكية كي تتمكن من ممارسة نشاطاتها بحرية. ثم قام بتلر بسرد قائمة لكبريات الشركات في السنوات الأخيرة من القرن التاسعة عشر وبدايات القرن العشرين، والتي اجتاحت أمريكا اللاتينية وأمريكا الوسطى عشرات المرات. وهو كتاب مثير حقاً وبخاصة أن مؤلفه جنرال مهيب استيقظ ضميره فجأة ليدرك ما كان يفعله. وقارن بتلر نفسه ومشاة البحرية بـ آل كابون(*). وذكر

(*) مذهب مونرو: نسبة إلى الرئيس الأمريكي جيمس مونرو. ويتجسد هذا المذهب في الإعلان الذي وجهه الرئيس مونرو إلى الكونغرس في الثاني من ديسمبر عام 1823 مقرراً أن نصف الكرة الغربي الذي تقع فيه الأمريكيتان هو منطقة محرمة أمام الاستعمار الأوروبي وان اي محاولة من الدول الاستعمارية الأوروبية للتدخل في تلك المنطقة تعد عملاً عدوانياً ضد الولايات المتحدة، وذلك خشية ان تحاول الدول الاستعمارية وبخاصة إسبانيا استعادة مستعمراتها على الأراضي الأمريكية. ويعد هذا الإعلان حجر الزاوية للسياسة الخارجية الأمريكية في أمريكا اللاتينية، وجرى تأكيده وتوسيعه على يد الرؤساء التالين لمنرو (الموسوعة البريطانية بتصرف).

War as a Racket (1)

(*) الفونسو (واختصاراً آل) كابون: (1899-1947) زعيم عصابة امريكي مشهور. كان له سطوة كبيرة على مدينة شيكاغو حيث كان يتربع على شبكة واسعة لأعمال القمار والدعارة وتجارة المخدرات.

أن آل كابون كان يمارس نشاطه في بعض مقاطعات شيكاغو، إلا أننا كنا نمارس نشاطنا في قارة كاملة وحول العالم.

لقد ذكرت هذه القصة من أجل التأكيد على أن هناك استمراراً وتواصلاً في السياسات الأمريكية على مدى القرنين الماضيين. إن النقطة التي تحولت فيها الولايات المتحدة إلى إمبراطورية تحددت بأحداث وقعت في أوروبا وتحديداً الحرب العالمية الأولى. وقد قررت الولايات المتحدة الدخول في تلك الحرب بعد فبراير من عام 1917 عقب قيام أول ثورة في روسيا. وكانت هناك مخاوف من انتشار الثورات في كل مكان، وهو ما سيشكل تحدياً للراسمالية وحكم رأس المال. وكان ذلك أول تدخل للولايات المتحدة على المسرح الدولي، وأصبحت على إثرها قوة عالمية. ومنذ ذلك الوقت، تحركت الولايات المتحدة بخطى ثابتة لتتبوأ مكانها كلاعب رئيسي عالمي بفضل قوتها الاقتصادية. وبعد الحرب العالمية الثانية، تم قبول الولايات المتحدة كقائد للعالم الرأسمالي، ولم ينازعها أحد على هذه القيادة خلال الحرب الباردة.

إلا أن الولايات المتحدة كان لها نصيبها من التفوق والإخفاق؛ فقد تعاقب عليها رؤساء إصلاحيون، ورؤساء عدوانيون، ورؤساء يرفعون شعار "الآن هو الوقت المناسب لتعزيز انتصاراتنا وينبغي أن لا نفعل شيئاً مفتعلاً ومفاجئاً". ثم هناك آخرون شعروا أن الوقت قد حان للتقدم إلى الأمام مرة أخرى. وقررت إدارة بوش أن الوقت قد حان للتقدم إلى الأمام ثانية الآن. وهذه أطروحة تطورت في عهد حكم بوش الأول على يد مفكر أمريكي من أصل أفغاني هو زالماي

احكم سيطرته على عصابات المدينة عن طريق قتل منافسيه، وكان في خده الأيسر علامة جرح بالسكين لازمته منذ صغره إثر شجار وقع في إحدى بيوت الدعارة. ولذلك كان يلقب بذي الوجه الأندب. أشهر جرائمه المذبحة التي تسمى "مذبحة يوم عيد الحب" عام 1929 حيث قام رجاله بإطلاق النار على مجموعة من افراد عصابة منافسه وقتل عدد كبير منهم. (عن الموسوعة البريطانية بتصرف).

خليلزاد والذي كان يعمل في الحكومة الأمريكية آنذاك. وتتلخص هذه الأطروحة بما يلي: كيف نحافظ على الهيمنة الأمريكية في ظل اختفاء أعداء الحرب الباردة؟ كان الجميع يقف وراءنا عندما كنا نحارب الشيوعية، والآن ليس لدينا أحد نحاربه، فكيف نحافظ على الهيمنة الأمريكية؟ ويتلخص جوابه بوجوب استخدام القوة للمحافظة على الهيمنة الأمريكية.

وقد فعلت الولايات المتحدة ذلك من قبل، إلا أن الأيدلوجية خلال الحرب الباردة كانت مختلفة: إذ لم تكن الولايات المتحدة هي الطرف الذي يستخدم القوة. وكان الاعتقاد السائد هو أن القوة تستخدم ضد الولايات المتحدة وأنها أي الولايات المتحدة تدافع عن نفسها. وهذا لم يكن صحيحاً. إلا أن تلك كانت هي الحجة المطروحة. أما اليوم، وفي العالم الجديد الذي أصبحت فيه روسيا رأسمالية والصين رأسمالية، وحيث تنظر أمامك فلا ترى إلا الرأسمالية، فإن الخطر هو خطر اقتصادي: فالتهديد ينال مركز الولايات المتحدة كقوة مهيمنة في العالم. وهذا الموقع يعتمد بشكل كبير على السيطرة الاقتصادية. لذلك فإن علينا استخدام القوة للمحافظة على هذا المركز. وكانت هذه الأطروحة تستجمع قواها منذ ذلك الحين.

وأنا شخصياً أرى أن التدخل الذي قاده كلينتون وألبرايت في البلقان لم يكن له سوى ارتباط ضئيل بالتدخل الإنساني، وأن ارتباطه الأوثق كان بهدف فرض هيمنة الولايات المتحدة على المنطقة وعدم السماح لأوروبا بمعالجة الموقف. وعندما حدث ذلك، لم يتنبه لهذه النقطة سوى عدد قليل من الناس. وبعد أن تأكد العجز الأوروبي، كان كلينتون وألبرايت يتشوقان إلى تلك الحرب. وعلى الرغم من أن ميلوسوفيتش كان مستعداً للتنازل عن كل شيء من الناحية الفعلية قبل تلك الحرب، إلا أن الولايات المتحدة تدخلت لترفع من قيمة الرهان، قائلة: "حسناً، نريد أن يكون لنا حق دخول بلادكم وفعل كل ما يروق لنا في تلك

الدولة، ليس فقط كوسوفو، بل في صربيا كذلك." وطبعاً لم يقبل ميلوسوفيتش بذلك. وأتذكر المسوغات التي ساقها كلينتون للشعب الأمريكي لإقناع الرأي العام بتلك الحرب قائلاً بأننا ذاهبون إلى شبه جزيرة البلقان لحماية مصالحنا الاقتصادية. وتساءل الناس مستغربين "حماية مصالحنا الاقتصادية؟!" إلا أن كلينتون كان يفكر من منطلق استراتيجي: يتحتم علينا الذهاب إلى البلقان وبناء القواعد العسكرية. وفعلاً تم بناء أكبر قاعدة جوية للطائرات الطوافة في أوروبا، وهذه القاعدة موجودة في كوسوفو، وقاعدة أخرى هي من أكبر القواعد العسكرية الأمريكية وتوجد في توزلا في البوسنة.

إذن، فهذه عملية مستمرة، وإذا قرأت بعض الكتب التي ألفها مؤرخو العصر الحديث، فستجدهم يشيرون وبكل وضوح إلى أن حكومة كلينتون هي التي بدأت عملية التدخلات الحديثة. إلا أن حكومة بوش انتقلت بتلك العملية إلى مستويات أعلى. فذهبوا إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير لأن الحظ كان في صالحهم. وحظهم هو أن هجمات 11 سبتمبر حدثت في عهدهم، ويمكننا أن نتناقش إلى ما لا نهاية حول ما كان سيفعله الديمقراطيون لو كانت السلطة بيدهم. هل كانوا سيحتلون أفغانستان؟ وباعتقادي أن الجواب بالإيجاب. إذ لم تكن هناك أية معارضة من جانبهم في الكونغرس ضد العمليات العسكرية في أفغانستان التي أيدها الجميع. وعليه، لم تكن تلك الحرب عملاً انفرادياً، لأن مجلس الأمن برمته أيدها، وشارك فيها جنود ألمان، وكان كثير من الأوروبيين على وفاق في ذلك الشأن. ولم يظهر الخلاف بين الأوروبيين والأمريكان إلا حين تعلق الأمر بالعراق. إذن، حتى تلك اللحظة لم يختلف بوش عن أي رئيس آخر.

إلا أن الشيء المثير حقاً هو أن الشخصيات التي تحيط بالرئيس بوش وصانعي السياسية خلف الكواليس- هذه المجموعة المتشددة في اليمين الأمريكي المحافظ ممثلة بدك تشيني، ودونالد رمسفيلد، وبول ولفوويتس، وريتشارد بيرل،

وكونداليزا رايس- قد ناقشوا فعلاً في جلسات اجتماعات مجلس الأمن القومي الأمريكي والاجتماعات الأخرى ذات العلاقة، مسألة: كيف يمكننا استخدام أحداث 11 سبتمبر في إعادة تشكيل خارطة العالم وفرض طريقتنا حيثما شئنا؟ وهذه الواقعة موثقة رسمياً. إضافة إلى حقيقية أن نقاشاً واسعاً جرى في مجلس الأمن القومي الأمريكي بعد 11 سبتمبر حول الوجهة التي ينبغي التوجه إليها أولاً: أفغانستان أم إلى العراق؟ وهذا أمر مذهل، لأنه وعلى العكس من الأكاذيب التي رددتها الحكومة والإعلام على الشعب الأمريكي، لم يكن للعراق أي ارتباط بما حدث في 11 سبتمبر على الإطلاق. كما أن نظام الحكم في العراق هو على النقيض من القاعدة بحكم كونه نظاماً غير ديني ولا يولي اهتماماً للقضايا الدينية. فقامت الحكومة بتأخير احتلال العراق، وتوجهت إلى أفغانستان أولاً، ثم قرروا التوجه إلى العراق. والسؤال هو لماذا قرروا احتلال العراق؟ وهو سؤال مثير حقاً.

أعتقد أن السبب الرئيسي لم يكن سوى سبب اقتصادي. لم اعتقد في يوم من الأيام أن النفط كان هو المحفّز الأهم والأوحد، لأن هناك احتياطيات نفطية كافية في متناول الولايات المتحدة، ولو كانت الولايات المتحدة مستميتة على النفط، لكان بإمكانها إبرام صفقة مع نظام صدام حسين، وفي عام 2000 و2001 كانت الولايات المتحدة تشتري النفط من العراق عن طريق الوسطاء. إذن، لم تكن المسألة أن تدفق النفط كان سيتوقف. لا، واعتقد أنه يوجد سبب رئيسي وراء اجتياح العراق واحتلاله، ويصاحبه بعض الأسباب الثانوية. وهذا السبب هو استعراض القوة الإمبريالية الأمريكية. لقد كانوا يدركون أن الجيش العراقي هو جيش ضعيف، وكانوا يعلمون تماماً أنه لا يوجد في العراق أسلحة دمار شامل. ولو كان هناك أسلحة دمار شامل لفكروا مائة مرة قبل التوجه إلى هناك. لقد كانوا على يقين من عدم وجود مثل هذه الأسلحة هناك، وأن السيطرة على

العراق ستكون مهمة سهلة. وسبب إقدامهم على ذلك في هذا الوقت بالذات هو ليبرهنوا للعالم العربي، ولأوروبا والصين وكوريا من هو السيد. أعتقد أن هذا هو السبب الرئيس وراء احتلال العراق.

وطبعاً هناك دافع ثانوي مهم وهو إرضاء الإسرائيليين بسبب وجود فئة ليكودية في مركز حكومة بوش. وهؤلاء الأشخاص يمثلون أكثر عناصر المجتمع الإسرائيلي تطرفاً. وكان الإسرائيليون يسعون منذ زمن إلى الإطاحة بنظام صدام حسين لأنه كان يشكل في نظرهم تحدياً محتملاً لهم. فالعراقيون والسوريون هما النظامان الوحيدان اللذان لم يبرما تسوية سلمية مع الإسرائيليين وهم يعلمون أن صدام قدم الكثير من الأموال للفلسطينيين، ولم لا؟

وفي اليوم الذي أعقب سقوط بغداد، خاطب آرييل شارون، مجرم الحرب الذي يحكم إسرائيل، الفلسطينيين قائلاً: "آمل أن تعودوا إلى رشدكم، بعد أن سقط حامي حماكم الكبير". وتكشف تصريحاته هذه عن عدم فهم لديناميكية ذلك الصراع أو سبب وقوعه ابتداءً. وحصل على الجواب من الفلسطينيين أكثر من مرة منذ ذلك الوقت. إلا أن ذلك هو السبب الرئيس لاحتلال العراق.

والخطأ الفادح الذي وقعت فيه الولايات المتحدة هو أنها لم تكن تتوقع المقاومة. ولم تكن الحكومة الأمريكية مستعدة لها لأن الخونة من العراقيين والمتعاونين، والمحتالين، والدجالين الذين استمعت لهم أمريكا- كانوا إما على جدول رواتب الحكومة الأمريكية أو كانوا مستميتين لإدراج أنفسهم في ذلك الجدول. وكانوا يقولون بأن الجنود الأمريكان سيستقبلون بالحلوى والورود. وهذا ما ذكره الغبي كنعان مكية لبوش عندما ذهب لمقابلته في البيت الأبيض، "لا تقلق، سيكون ذلك تحريراً للشعب العراقي". وقد ظهر أن الشعب العراقي لم يعتبر التدخل الأمريكي تحريراً لهم. كما أن هذه الحفنة من المحافظين الجدد العراقيين المقيمين في الولايات المتحدة قدمت نصيحة خاطئة لحكومة بوش.

والآن يرسل الجنود الأمريكيون في العراق رسائل تقول:إننا مبغضون من قبل الشعب هنا، فهم لا يحبوننا؛ ويرمقوننا بنظرات الغضب والاحتقار. إنهم مستاءون من وجودنا هنا".

والقطاع الوحيد من الشعب الأمريكي الذي لديه أفضل المعلومات عن الوضع في العراق هم الجنود الأمريكيون الموجودون هناك، لأنهم يشاهدون الحقيقة وواقع الاحتلال كل يوم بأم أعينهم. وإذا تعارضت الأخبار والتحليلات التي تبثها محطة فوكس أو الإذاعة التابعة للجيش مع ما يشاهدونه، فإنهم سيصدقون تجربتهم المحسوسة، لا ما يقال لهم. وهذا هو الفارق الكبير بين غالبية الشعب الأمريكي وقطاع الجنود الذين يخدمون في العراق. وهذا هو سبب ما نشاهده ونسمعه من الرسائل الغاضبة والمقابلات الساخطة. والرسائل الإليكترونية الصادرة عن الجنود عندما يتاح لها الظهور خلال القنوات الإعلامية. ونلحظ حدّة في كلامهم بسبب تجربتهم الشخصية، وقد كنت أناقش دائماً أن التجربة هي أفضل معلّم للجماهير، لأنهم يتعلمون من خبرتهم الجماعية، وكل هذا مهم، إلا أن ما يعلم الناس هو خبرتهم الشخصية. واعتقد أن الولايات المتحدة سوف تجني ما زرعت في العراق عاجلاً أم آجلاً.

ست جالي: ما ذا تعني بقولك بأن الولايات المتحدة ستحصد ما زرعت في العراق(*)؟

أعني أنه حتى لو نجح الاحتلال في إعادة ما يشبه الوضع الطبيعي، فإن الوضع سينفجر في غضون خمس أو ست أو سبع سنوات. ولهذا السبب أوضحت في كتابي "بوش في بابل، تاريخ المقاومة في العراق ضد الإمبراطورية البريطانية التي أوجدت دولة العراق الحديثة ولقيت فيها مقاومة على مدار

(*) استخدم المتحدث مثلاً دارجاً في اللغة الإنجليزية للدلالة على هذا المعنى وهو أن "الدجاجات ستعود إلى القن في نهاية اليوم".

خمس سنوات. ونجح البريطانيون في احتلال العراق فترة من الزمن قد تبدو طويلة، إلا أن كل عقد من هذه العقود الثلاثة كان يشهد حركات مقاومة إلى أن انتهت بالثورة ضد الاحتلال. وأخرج البريطانيون من البلاد اخيراً. واعتقد أن الشيء نفسه سيتكرر ثانية إذا استمر الاحتلال لوقت طويل.

والمشكلة بالنسبة للولايات المتحدة هي الآتي: إما أن تبقى في العراق لثلاثة عقود، وهو الأمر الذي من شأنه أن يخلق بلبلة وفوضى في أمريكا نفسها لأن الإمبرياليين الأمريكان. وعلى العكس من اعتقاد بعض الناس، وعلى خلاف ما كانت عليه حال الإمبراطوريات الاستعمارية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين- لا يحبون أن يكونوا أنفسهم قوات احتلال. ولا يحبون صنع شبكاتهم الخاصة. بل يفضلون البحث عن مواطنين محليين كي يوكلوا إليهم مهمة القيام بالأعمال القذرة نيابة عنهم. وكانت تلك هي الطريقة التي حكموا من خلالها سواء كان هؤلاء العملاء أعضاء في زمرة حاكمة، أو دكتاتوريين عسكريين، أو سياسيين منتخبين، وهو ما كان نادراً في الأيام السابقة. هذه هي الفئات التي تفضل الولايات المتحدة أن توكل إليها القيام بأعمالها.

والمشكلة في هذا الاحتلال هي أنه وقع في حقبة شهدت إجماعاً في الراي في واشنطن، ويمكن وصفها أيضاً بعهد الاقتصاد الليبرالي الجديد. فالحرب إذن، هي الساق الأخرى للاقتصاد الليبرالي الجديد. وتقوم هذه الإمبراطورية على ساقين: الأولى هي التوافق في واشنطن بكل مؤسساتها بما في ذلك صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، ومنظمة التجارة العالمية. وهذه المؤسسات كلها تفرض وتروّج لنمط محدد من الاقتصاد على العالم بأسره، وإذا لم ينجح هذا الاقتصاد في مكان ما، فإنهم يلجأون إلى الحرب. وإذا كانوا يحاولون إيجاد مثل هذا الاقتصاد في العراق، فإنهم لا يسمحون - في هذا الوقت- للشركات العراقية أو التجار العراقيين المشاركة فيه. وما يفعلونه هو تشجيع الشركات

الأمريكية التي تقوم حتى بأبسط المهمات. والشركة العراقية الوحيدة التي تلقى تشجيعاً من الأمريكان هي ليست شركة عراقية على وجه الحقيقة، وإنما هي تجمع استثماري بالمشاركة مع شركة إسرائيلية. وقد نجحوا في عزل أنفسهم عن كل شرائح المجتمع العراقي في وقت قصير جداً، ولا أعتقد أن هذا المشروع سيلقى النجاح. وفي اللحظة التي ستنسحب فيها الجيوش، فإن الحكومات العميلة لهم سيطاح بها. والشيء نفسه سيحدث في أفغانستان. إن هذا الطراز الجديد من الاستعمار لن يكتب له النجاح.

ست جالي:إذن، فما الذي سيفعلونه إذا أبقوا على قواتهم هناك؟

سوف تتنامى مشاعر الغضب والتذمر. ومن الملفت للنظر أن أفراد الجيش الذين يرسلون إلى العراق هم من أفقر فئات المجتمع الأمريكي. ويتألف معظمهم من أبناء الجاليات اللاتينية (المكسيك وأمريكا الوسطى والجنوبية) والسود، ومعظم هؤلاء انضموا إلى الجيش بسبب الفقر والحاجة إلى الوظيفة لدعم أسرهم. والتحق بعضهم بالجيش لأن تلك هي الوسيلة الوحيدة التي يمكنهم عن طريقها الحصول على التعليم الجامعي المناسب والموعود. وهناك قسم من حاملي الكرت الأخضر التحقوا بالجيش أملاً في الحصول على الجنسية الأمريكية بعد المشاركة في الخدمة العسكرية. فمعظم الذين ينتسبون إلى الجيش يفعلون ذلك بدوافع اقتصادية. إلا أن هذا الوضع سيختلف إذا تصاعدت وتيرة الخسائر البشرية. عندها سيتحتم على الجيش اللجوء إلى التجنيد الإجباري على الأقل لتأمين الاحتياط. وإذا حدث ذلك، فإن الناس سيرغبون عن الانتساب إلى الجيش قائلين:"لماذا ننخرط في الجيش ونقتل في المعركة؟" وإذا انخفضت معدلات التجنيد الطوعي فإنهم سيلجأون إلى التجنيد الإجباري، وهذا الإجراء على فظاعته فإنه أكثر درامية. فكأنهم يقولون للشعب هذه هي حربكم، وليست فقط حربنا، لقد أيدتم المسئولين عن شن هذه الحرب، والآن موتوا من أجلهم.

ولهذا السبب ما زالت الحكومة ترفض اللجوء إلى التجنيد الإجباري ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، لأنهم يعلمون تمام العلم ما فعل التجنيد الإجباري أيام فيتنام. ويعلم بوش علماً جيداً شأن التجنيد الإجباري لأنه تهرب منه أيام شبابه.

لا يوجد شخص واحد من بين رجال بوش شارك في حرب فيتنام. وكلهم وجدوا أعذاراً مختلفة لتجنب الذهاب إلى تلك الحرب. وكل المسئولين الكبار تنصلوا من خدمة الجيش في فيتنام باستثناء كولن باول الذي كان يعمل في الجيش وقتها، وقام بالتستر على أسوأ المجازر التي وقعت في فيتنام وهي مجزرة مي لاي(*). إلا أن الآخرين نجحوا في تأجيل الخدمة. إذن، فهذه قيادة، إلى حد كبير، لا تعرف طبيعة الخدمة في الجيش، فهم معزولون ومنقطعون، شأنهم شأن حزب البعث الذي يحاولون الإطاحة به.

ست جالي: ما هي النصيحة التي تقدمها للشعب الأمريكي مع اقتراب موعد الانتخابات الرئاسية لعام 2004؟

أقول لهم بأنه ليس من مصلحتكم أن يحكمكم نظام عازم على شن حروب غير متناهية. لقد احتلوا العراق، وهناك خسائر بشرية كبيرة، والطبقة العاملة هي أكثر فئات المجتمع تأثراً بهذه الحرب لأنهم يشكلون معظم أفراد الجيش، كما أن الاقتصاد لا يشهد أي تحسن. وإذا حاولت الولايات المتحدة أن تشن حرباً ضد إيران وسوريا- وأنا أشدد على أداة الشرط "إذا" لأن المقاومة العراقية تجعل من ذلك أمراً صعباً- فإنه سيتحتم عليها اللجوء إلى التجنيد الإجباري لأن أهداف الحكومة لا يمكن تحقيقها بالأعداد الحالية للجيش.

(*) مجموعة قرى جنوب فيتنام تعرض سكانها للقتل العشوائي في الحرب الفيتنامية على يد القوات الأمريكية.

وأقول للمواطن الأمريكي: فكر جيداً قبل أن تدلي بصوتك. هل ستصوت لصالح مزيد من الحروب، وهو الأمر الحتمي الذي ستحصل عليه من هذه الحكومة. وإذا حصلت حكومة بوش على التأييد الشعبي في الانتخابات القادمة، فإنها ستحمل هذا الفوز على أنه تكليف شعبي لها بشن مزيد من الحروب. ومن جهة أخرى، فإني أقول للشعب الأمريكي: لا تثقوا بالديمقراطيين. بالتأكيد تخلصوا من هذا النظام، ولكن تأكدوا من الإبقاء على الديمقراطيين تحت المراقبة والضغط الشديد من اليوم الأول الذي يصلون فيه إلى سدة الحكم، لأن الديمقراطيين قادوا البلاد إلى حروب عدة مرات في السابق.

وينبغي على المرء أن يفكر بشكل أساسي بهذا العالم الذي يعيش فيه، وكيف يجب أن يعاد تشكيله. وإذا كنت تعتقد أن الحرب هي السبيل لإعادة تشكيل هذا العالم، فإنك بذلك تشجع مزيداً من الإرهاب، ومزيداً من الهجمات الإرهابية، ومزيداً من الضحايا الأمريكان. وقلما تتحدث وسائل الإعلام عن هذا الموضوع، ولكنك تجد في بلد مثل اليونان، مهد الحضارة الأوروبية، أن 90٪ من السكان هناك يعارضون بشدّة السياسات الأمريكية. وإذا ذهبت إلى جزيرة رودس فإنك ستجد جميع مطاعم ماكدونلدز قد تعرضت كلها للاعتداء. و أي شيء يمثل أمريكا ولو من بعيد يتعرض للهجوم. ولي صديقة مقربة تدرّس في نيويورك، ذهبت ذات مرة إلى جزيرة رودس للمشاركة في مؤتمر عقد هناك. وحدث أن توفي زوجها هناك على شاطئ البحر بسبب تعرضه لنوبة قلبية. وكانت هذه المرأة وزوجها من أشد المعارضين للحرب في العراق. توفي زوجها، ووجدت صعوبة في الحصول على المساعدة، وذكرت لي أن أناساً كثر جاءوا إليها وقالوا لها إن كل ما تحسنون فعله انتم أيها الأمريكان هو قتل الناس أو البكاء والصراخ عندما يموت منكم احد. أصيبت المرأة بالصدمة لما سمعته ولكنها تفهمت الموقف، وقالت لمن حولها: "إن أمريكا ليست دولة واحدة على راي واحد، هناك أعداد كبيرة يعارضون الحرب."

إلا أن الصــورة التي تنطبع في أذهان الناس هـي أسـاسـاً صـورة الموقف الرسمي الحكومي لأن الجوانب الأخرى من أمريكا ليست مسموعة. والصورة التي يشاهدها الناس هي صورة القوة الأمريكية وكيف تستخدم هذه القوة. والقوة الوحيدة في العالم التي لديها القدرة على الأقل في السيطرة على تلك القوة هي الشعب الأمريكي عندما يتوجه إلى صناديق الاقتراع في الانتخابات. لذلك، فإن نصيحتي هي أن تتخلصوا من بوش لأن ذلك يمثل هزيمة لسياسة الحرب التي اعتمدها بعد 11 سبتمبر، ومن شأنه ان يفتح باب النقاش حول ما تسعى الحكومة إلى فعلة. وسواء نجحوا في التخلص من بوش أم لا، فإن البديل الديمقراطي هو الآخر لا يبشر بالخير.

ولم يتقدم أحد من بين مرشحي الحزب الديمقراطي،من وجهة نظري، بسياسة لتحريك الشعب. ولم يقف منهم أحد في معارضة قانون الوطنية، وتحجيم الحريات والحقوق المدنية، واعتقال الناس واقتيادهم من الشوارع والبيوت، وغير ذلك من الأمور. لم يقدم منهم أحد على المعارضة لأنهم يخافون من الطعن في وطنيتهم، ولم يجرؤ منهم أحد على القول بأن التعامل مع الإرهاب - الإرهاب الحقيقي لا الإرهاب الخيالي- يكون بالتوصل إلى حل سياسي لأزمة الشرق الأوسط لأن القضية الجوهرية في تلك الأزمة هي الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني. وعندما ذكر ذلك أحد المرشحين الديمقراطيين، وهو هاورد دين، أجبر على التراجع. واقترح دين بأننا يجب أن لا نكتف بالامتناع عن دعم الطرف الذي يمارس الاضطهـاد، بل يجب علينا أن ننظر إلى وجـهـة نظر الطرف المضطهد. ولهذا السبب، تعرض هاورد دين إلى العقاب والتشهير، ثم تراجع عما قاله على الفور. وبعد ذلك أعرب عن تأييده لقيام إسرائيل بضرب سوريا. وبرأيي الشخصي فإن المرشحين الديمقراطيين من أمثال هاورد دين وحتى الأكثر ليبرالية منه لن يكونوا ناجحين. وكلما اقترينا من موعد الانتخابات، فإن عليهم

أن يواجهوا بوش في كل الجبهات، وهو الشيء الذي لم يفعلوه حتى الآن. وإذا خاضوا المعركة الانتخابية في الساحة التي يحددها الجمهوريون، فإنهم حتماً سيخسرون تلك الانتخابات.

ست جالي: لا يحب الشعب الأمريكي ان يرى نفسه على انه "إمبراطورية"، فماذا تقول لهم؟

أعتقد أن اول شيء ينبغي على الناس تفهمه هو انهم يعيشون فعلاً في إمبراطورية، وأن الولايات المتحدة الآن هي في وضع فريد على المستوى العالمي. وهي الإمبراطورية الوحيدة في العالم. وهذا أمر لم يسبق أن حدث في تاريخ البشرية من قبل. لم يسبق أن شاهدنا حالة، على الأقل منذ عدة آلاف من السنين، تسيطر فيها إمبراطورية واحدة على العالم بأسره. لقد شهد العالم وجود إمبراطوريات ذات بطش وسطوة، إمبراطوريات قوية، إلا أن هذه الإمبراطوريات لم تعدم المنافسة. وهذه هي المرة الوحيدة التي نشهد فيها وجود إمبراطورية وحيدة. وإذا لم يصدق الناس أن الولايات المتحدة هي إمبراطورية، فما عليهم سوى السفر حول العالم ليشاهدوا بأم أعينهم كيف تدير هذه الإمبراطورية بقيةَ العالم، ويعاينوا الآليات والوسائل المختلفة التي تستخدمها في السيطرة والهيمنة. وأعتقد أنه بالنظر إلى أن الولايات المتحدة هي دولة شاسعة بكل ما فيها من تعدد وتنوع لدرجة أن معظم الناس لا يتطلعون إلى الخروج منها، فبإمكانهم أن يجدوا كل ما يبحثون عنه فيها. إلا أن حقيقة أن عدداً قليلاً من مواطني الولايات المتحدة يحملون جوازات سفر هو إشارة واضحة الدلالة على هذه العزلة. وبما أن الغالبية العظمى من الشعب الأمريكي معزولة عن بقية العالم، فإن بإمكان حفنة من الساسة أن يقولوا لهم ما هي حالة العالم ويسوقونهم إلى الحرب. وأعتقد أن من المهم أن يتبنى الشعب الأمريكي وجهة نظر مختلفة عن العالم المحيط بهم. يجب أن يسافروا ويعاينوا ما يحدث في

فلسطين. ولا أشك أن غالبية الشعب الأمريكي العادي سيصابون بالدهشة والصدمة من شدة الاضطهاد الذي يحدث في تلك الدولة الصغيرة من العالم. يجب أن يزوروا أجزاء من إفريقيا، وعليهم أن يذهبوا ويشاهدوا ما يحدث في الشرق الأقصى ليكوّنوا تصوراً حقيقياً عن العالم.

وحالما تدرك أنك مواطن من رعايا الإمبراطورية فإن ذلك يرتب عليك مسؤوليات وتبعات. وإحدى هذه المسؤوليات أن تبقى متيقظاً ومتحفزاً في مراقبة الساسة كي لا يكذبوا عليك؛ وأن تتحرك ضد أكاذيبهم؛ وأن تقف لهم بالمرصاد في كل مناسبة وفرصة. ولتحقيق ذلك فإننا بحاجة إلى مواطنين واعين ومتيقظين. وإذا كان لديك شعب لا يعي ما يجري حوله، فكيف تدعي أنك تعيش في ديمقراطية حقيقية؟ بالتأكيد أن الديمقراطية تتطلب أوسع وسائل المعلومات وأكثرها تنوعاً. وإذا كنت تقدم للناس رأياً واحداً يوما بعد يوم، فما هو الفرق إذن بينك وبين دولة الحزب الواحد؟!

وفي كل مرة أزور فيها الولايات المتحدة وأشاهد برامج الأخبار على مختلف المحطات والتي هي في الحقيقية فظيعة، ثم أتحول إلى محطة فوكس، فإني أشاهد قناة تبث دعاية إعلامية للحكومة ونظامها بأسلوب مقزز، وتقوم بعرض الأخبار والتحليلات بطريقة فجّة موجهة رسالتها إلى القاسم المشترك الأدنى من طبقات المجتمع والبسطاء من الناس. وهذا وضع مخيف بالنسبة لي. إن مثل هذا الوضع هو الذي يوجد سكاناً لا يعرفون ما يجري حولهم في العالم.

إن الاعتقاد السائد لدى معظم الشعب الأمريكي من أن النظام العراقي المهزوم له علاقة بما حدث في 11 سبتمبر يثير سخرية بقية العالم. ولو ذكرت ذلك للأوروبيين، وحتى ذوي التوجهات اليمينية منهم، فسيقولون لك: "هل أنت جاد فيما تقول، هل يصدق الناس في أمريكا فعلاً أن صدام حسين له أي علاقة بهجمات 11 سبتمبر؟ لا بد أنك تقول ذلك على سبيل المزاح؟". فأقول لهم "لا،

إنها الحقيقة" . إلا أن الولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة في العالم التي يعتقد شعبها بذلك. وها نحن أمام أقوى إمبراطورية في العالم، والأكثر تقدماً تقنياً وفيها أقوى الجامعات في العالم. النخبة فيها مثقفة ومتعلمة تعرف الحقيقة، إلا أن الغالبية العظمى من الناس قد أُبقيت عن عمد في جهالة عن طريق إغراقهم بالمعلومات الخاطئة والمضللة والمشوهة على يد الساسة وشبكات الإعلام. وهذا يشكل تحدياً كبيراً للممارسة الديمقراطية. هذا هو المستوى الذي وصلنا إليه الآن، وهو وضع خطير كما سبق أن ذكرت، وبخاصة فيما يخص التعددية والديمقراطية الحقيقية، وعلى المرء أن يقاوم هذا الوضع. وإذا قال الأمريكان "إننا شعب لا نهتم بالسياسة،" فأقول لهم "إنكم ستدفعون ثمن عدم اهتمامكم بالسياسة" . وهذا هو مكمن الخطر. يجب أن يكون عندكم اهتمام لكي تمارسوا سلطة الرقابة على الساسة المنتخبين.

ست جالي: ما هو تقويمكم لمعارضة الحرب على العراق؟ هل هناك تأثير لهذه الملايين التي تظاهرت ضد الحرب في شوارع المدن الرئيسية من العالم؟

ربما كانت المظاهرات التي حدثت في 15 فبراير من عام 2003 أكبر تظاهرة ضد الحرب في تاريخ العالم. وقد حدثت في كل أرجاء المعمورة. ولا اعتقد أن أوروبا كانت تختلف كثيراً عن الولايات المتحدة. وقد شهدت بعض المدن الأوروبية - وتحديدا في إيطاليا واليونان- خروج جماهير غفيرة من الناس للاحتجاج على هذه الحرب. وأعني أن خروج ثلاثة ملايين متظاهر إلى شوارع روما هو أمر مدهش حقاً، كما أن 80٪ من الأسبان كانت تعارض الحرب بحسب استطلاعات الرأي. وهذا يعكس نبض الملايين من الناس الذين يرون أن هذه الحرب خاطئة وأنه ما كان ينبغي أن تقع. وكانت أعداد كبيرة من الناس الذين خرجوا في المظاهرات في أمريكا وأوروبا من الأشخاص الذين يشاركون لأول مرة في

مظاهرات ضد الحرب، وكانوا يعتقدون أن بإمكانهم وقف الحرب بأعدادهم وحسب. ولما تبين لهم عدم قدرتهم على ذلك أصيبوا بالإحباط وضعف العزيمة. إلا أن تلك المشاعر المناهضة للحرب ما تزال موجودة. والسؤال هو كيف يمكن استغلال هذه المواقف، وباعتقادي أن الكثير سيعتمد على المقاومة داخل العراق نفسها. لأنه متى ما بدأت الحرب، فإن علاقة جدلية تنشأ بين المقاومة في البلاد المحتلة وبين حركات المعارضة للحرب في الدول التي تقوم بالاحتلال. وسنشاهد ما يحدث. وأنا واثق بان الاحتلال إذا استمر لأكثر من ستة أشهر أو لسنة أو سنتين فان الحركات المعارضة للحرب ستشهد نمواً جديدا. وربما لن تكون بالحجم الذي شاهدناه في 15 فبراير، إلا أنها ستكون أكثر تماسكاً هذه المرة.

أعتقد أن هناك مهمة جسيمة تواجه الذين يعارضون الإمبراطورية ومغامراتها العسكرية. وهذه المهمة ليست سهلة. ومن الحماقة افتراض وجود حلول سهلة. إلا أنه يجب إقناع الرأي العام الأمريكي بان هذه الحرب هي حرب خاطئة أولاً، ولا يمكن إقناع الرأي العام بذلك إلا إذا ذاقوا طعم المعاناة، وهذا هو الواقع مع شديد الأسف. وهو السبب الذي كان وراء الحركة المعارضة للحرب في الستينيات - عندما تنامت الخسائر البشرية إلى حد لا يطاق. ومن يعلم ماذا سيحدث الآن. ويمكن القول بأن الحركة المعارضة للحرب ليس لها أي تمثيل في السياسات الرسمية الحالية.

وفي عهد الحرب الفيتنامية كان لديك بضعة أعضاء في مجلس الشيوخ - فلبرايت، ووين، ومورس، وقلة قليلة غيرهم- ممن ثبتوا على معارضة الحرب في فيتنام داخل مجلس الشيوخ. وقام السناتور فلبرايت بإجراء مداولات علنية من خلال لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ بث عبر محطات التلفاز حول العالم، وجرى فيها مواجهة المسئولين واستجوابهم. وقد توقف إجراء مثل هذه المداولات العلنية هذه الأيام. ومن الغريب أن انهيار الشيوعية وانتهاء الحرب الباردة قد جعلت من الديمقراطية شيئاً تافهاً. ويبدو أن التعددية التي كانت

موجودة في الدول الديمقراطية خلال الحرب الباردة قد أخذت هي الأخرى بالتلاشي سواء في الإعلام أو في السياسات الرسمية. ولهذا، فإنك إذا نظرت حتى في بريطانيا الآن فستجد أن الفوارق بين وسط اليسار ووسط اليمين لا تكاد تذكر، وقد كانت هذه هي حال الحزبين في الولايات المتحدة منذ وقت طويل. وقد دفع هذا الوضع إلى نفور الشباب الناشئ وعزوفهم عن المشاركة في العملية السياسية لأنهم باتوا مقتنعين بعدم قدرتهم على تغيير أي شيء. ولهذا فإن أعداد الذين يشاركون في الانتخابات في أوروبا تشهد تناقصاً مطرداً لأن أمركة الاقتصاد قد أثرت في سياسات هذه الدول.

وللوقوف في وجه هذا التيار، فإنه يتحتم علينا التشديد على المشاركة الديمقراطية بدءاً من القاعدة الشعبية، والعمل على تقديم شبكات بديلة للإعلام برغم ضعفنا وقلتنا. وهذه البدائل هي أكثر تطوراً في الولايات المتحدة منها في أوروبا، لأن الناشطين في هذا المجال في الولايات المتحدة يدركون مدى عمق المشكلة والدور الذي يلعبه الإعلام في التأثير. وهم أيضاً يعدون أنفسهم لتدشين هذه البدائل، ولهذا السبب يوجد لديهم محطات إذاعة وتلفاز محلية، ومحطات تلفاز تعود ملكيتها للمجتمعات المحلية، وشبكة متنامية من المراكز البديلة للمعلومات. أما في أوروبا فنحن بانتظار تحقيق شيء كهذا. وبالطبع شكلت الإنترنت دفعة كبيرة لهذه الجهود، إلا أن الذين يستخدمونها هم أقلية. فخدمة الإنترنت ليست متوفرة للجميع على مستوى العالم. ولذلك فإن مهمة الحركة المعارضة للحرب تختلف كثيراً بالمقارنة بمهمتها في الستينيات والسبعينيات. ونوعاً ما، فإن عليهم البحث أعمق وأعمق للوصول إلى الحقيقة وباعتقادي أنهم سيتوصلون إليها.

ساوث هادلي، ماسيتشيوستس

17 اكتوبر، 2003

بنجامين باربر

يعتبر بنجامين باربر من المنظرين السياسيين المعروفين على المستوى العالمي. وله سبعة عشر كتاباً، اهمها: الجهاد في مقابل عالم المكدونلدز (بالنتاين بوكس، 1995)، وكتاب حقيقة السلطة (نورتون، 2001)، وكتاب إمبراطورية الخوف: الحرب، الإرهاب، والديمقراطية (نورتون، 2003). وهو يعكف الأن على تأليف كتاب عنوانه انحسار الراسمالية والنزعة الطفولية.

ست جالي: هل لك أن تحدثنا عن إستراتيجية بوش في الحرب الوقائية كرد على هجمات 11 سبتمبر، هل تعتقد ان هذه الإستراتيجية ستجعل من الولايات المتحدة اكثر امناً كما هو مؤمل منها؟

على الرغم من أن الولايات المتحدة مارست التدخل الخارجي من وقت لآخر على مدى القرنين الماضيين دون أن تتعرض لهجوم عدواني عليها، إلا أنها بقيت تتصرف ضمن النظرية التي تقول بأن حق الدولة في إعلان الحرب محصور في الدفاع عن النفس أو في حالة وجود خطر محدق. كما لو كانت الجيوش الأجنبية تحتشد على الحدود أو أن طائرات حربية متجهة في طريقها لضرب المدن الرئيسة، فإن الدولة في هذه الحالات تملك حق إعلان الحرب. وفيما عدا ذلك، لا تملك أي دولة الحق بإعلان الحرب دون أن تكون قد تعرضت لهجوم مباشر. وهذا المبدأ نصت عليه المادة 51 من ميثاق هيئة الأمم المتحدة الذي صادقت عليه الولايات المتحدة. وهذه المادة تقول بما معناه بأن الحق الوحيد لأي دولة في إعلان الحرب على دولة أخرى هو في حالة الدفاع عن النفس فقط.

وما حدث في 11 سبتمبر هو أن الرئيس وإدارته قرروا انه وبالنظر إلى تغيّر طبيعة السلاح، وطبيعة الإرهاب، وبالنظر إلى أن الاعتداء لم تقم به دولة محددة بل افراد - وانا افضل تسميتهم بالمنظمات غير الحكومية الشريرة-(*) وبالنظر إلى خطورة هذه الحالة. فإنه لا يمكنهم الوقوف مكتوفي الأيدي بانتظار حصولهم على دليل يكون على شكل سحب نووية فوق المدن الأمريكية لإثبات أن أمريكا تتعرض لهجوم من أعدائها. واعتماداً على ذلك، تصرفوا وفق المذهب الذي أعلنت عنه كونداليزا رايس عقب 11 سبتمبر، وهو مذهب الحرب الوقائية الجديد. ويقضي هذا المذهب بأن الولايات المتحدة الآن تملك الحق في إعلان الحرب وفق مشيئتها على أي دولة او مجتمع تختاره وتحدده بناءً على تهديد متصور لديها، وبإمكانها أن تفعل ذلك تجنباً لوقوع هجوم محتمل عليها.

وقد يبدو هذا المبدأ معقولاً بالنظر إلى طبيعة الإرهاب وطبيعة الأسلحة الجديدة. إلا انه في حقيقة الأمر يضع الولايات المتحدة -ولأول مرة في تاريخها- خارج نطاق القانون الدولي، وفي مخالفة مباشرة للمادة (51) من ميثاق هيئة الأمم المتحدة. وكان هذا المذهب يقول بأن الولايات المتحدة تستطيع أن تعلن الحرب في أي وقت، وفي أي مكان بحسب اختيارها، وضد أعداء تحددهم هي وفقاً لقناعتها الخاصة عن هذه التهديدات. وهذا القول يشكل خطراً كبيراً على القانون الدولي، ويخلق سابقة لا يمكن للولايات المتحدة أن تتحمل نتائجها. ويمكنك أن تتصور لو أن الهند وباكستان قالتا: "سوف نقرر متى يكون الطرف الآخر عدواً لنا". وتصور لو أن الصين طبقت هذا المبدأ و قالت بأن تايوان تشكل خطراً عليها. وتصور أن تقول كوريا الجنوبية بأن كوريا الشمالية تشكل تهديداً عليها والعكس بالعكس. فلو تبنت الدول الأخرى إستراتيجية الحرب الوقائية فإننا سنكون أمام عالم يعيش حالة متواصلة من الحروب والفوضى و غياب القانون.

(*) في مقابل المنظمات غير الحكومية الخيرية NGO.

ست جالي: قد يقول قائل مجادلاً بأن 11 سبتمبر اثبت لنا ان هذا العالم هو حقاً عالم يعيش حالة متواصلة من الحروب وان الفوضى وغياب القانون ماثلة امامنا، واننا بحاجة إلى ان نتصرف بحزم من اجل تجنب تكرار تعرضنا لهجمات مماثلة لتلك التي وقعت في 11 سبتمبر. هل يمكن لهذه الإستراتيجية الوقائية ان تكون مجدية في مكافحة الإرهاب؟

ينتاب الناقدين قلق من أن الحرب الوقائية هي عمل غير مشروع، وأن من شأنها أن تخرج الولايات المتحدة خارج نطاق القانون الدولي، وأن الحرب الوقائية ليست فقط عملاً غير مشروع، بل هي عمل غير أخلاقي. إلا ان السؤال الذي يجب أن يطرح في عصر الإرهاب هو: هل ستنجح هذه الحرب الوقائية أم لا؟ ويمكنني القول بأن العيب الجوهري في الحرب الوقائية كأداة من أدوات الحرب على الإرهاب هو أنها غير مجدية، وليس لأنها غير قانونية- مع أن عدم الشرعية أمر فظيع- والمشكلة التي تعاني منها هذه الحكومة، ليس فقط في العراق، بل في افغانستان ايضاً، هو دليل حي على فشل إستراتيجية الحرب الوقائية كإستراتيجية مضادة للإرهاب.

لو كانت حكومة افغانستان تحضّر لاستخدام أسلحة دمار شامل ضد الولايات المتحدة، أو لو كانت حكومة صدام حسين تستعد لاستخدام أسلحة دمار شامل ضد الولايات المتحدة، لأمكن القول بأن قيام الولايات المتحدة بتوجيه ضربة وقائية قبل أن تتعرض للهجوم هو عمل يمكن تسويغه. إلا أن المشكلة تتمثل في أن هدف الإجراءات المضادة للإرهاب هي الإرهاب والمنظمات الإرهابية. وكما ذكر دونالد رمسفيلد بعد وقوع هجمات 11 سبتمبر مباشرة، أن المشكلة التي تواجهها أمريكا هي أن اعدامنا ليسوا دولاً: ليس لديهم قادة، ولا يوجد لديهم عنوان يمكن إرسال القوات المسلحة إليه. ليس لديهم أهداف تقليدية يمكن

ضربها. وبهذا المعنى فإن أعدائنا غير مرئيين، إنهم منظمات غير حكومية خبيثة، ولدى أفرادها استعداد للتضحية بأنفسهم في سبيل تحقيق أهدافهم. والقاعدة هي منظمة غير حكومية، والقضاء على افغانستان لا يؤدي إلى القضاء على القاعدة. بل على العكس. والتشبيه الذي يستخدم أحياناً للإرهابيين هو أنهم كالخلايا السرطانية في الجسم السياسي المصاب بفقدان المناعة. ومن الطرق المتطرفة للتعامل مع المريض المصاب بالسرطان هو أن تقتل المريض لكي تموت معه الخلايا السرطانية. إلا أن الإرهابيين هم أشبه بالكائنات الطفيلية منهم بالسرطان، وعندما تقتل الجسم المعيل الذي تتغذى عليه هذه الكائنات الطفيلية فإنك لا تقضي عليها لأنها ستنتقل إلى جسم آخر. لقد أجهزنا على طالبان، ولكن القاعدة ما زالت حية، وما يزال أسامة بن لادن يتحرك بحرية، وما زال الملا عمر حراً طليقاً. وحتى لو القينا القبض على عناصر القاعدة، فإن أعوانهم سينتشرون في مناطق جنوب شرق آسيا وأجزاء أخرى من العالم. وبإمكانك أن تقول بأن افغانستان باتت الآن خالية من الإرهابيين، إلا أن الجبال بين أفغانستان وباكستان مليئة بالإرهابيين. هناك إرهابيون الآن في إندونيسيا، وفي الفلبين، وفي كينيا، وطبعاً مرة أخرى، في نيو جيرسي، وفلوريدا. إن بإمكان الإرهابيين أن يتحركوا وينتقلوا أينما شاءوا تماماً كما تتحرك المنظمات غير الحكومية الخيرية.

لذلك فإن استهداف الدول والقضاء على أنظمة الحكم فيها، وحتى تلك الدول التي ترعى وتدعم الإرهاب، ونحن نعلم أن هناك أدلة ضعيفة تدل على أن نظام صدام حسين كان فعلاً يدعم الإرهاب- ولكن لنفترض أن هناك دليل على ذلك، فإن الإطاحة بصدام حسين لم يكن له أي أثر في القضاء على الإرهاب. وكل الأدلة المتوفرة لدينا تشير إلى أن الإرهاب قد تزايد بعد احتلال العراق. وأصبح هذا الاحتلال يشكل افضل أدوات تعبئة وتجنيد الإرهابيين. بل والأدهى

من ذلك أن العراق قد بات اليوم مقصداً للإرهابيين من حول العالم الذين يتوافدون إليه من أجل قتل الأمريكان. وعليه فإن المشكلة في إستراتيجية الحرب الوقائية هي انها لا تستهدف الإرهابيين انفسهم بل الدول التي ترتبط معهم بروابط يمكن وصفها في أقوى الحالات بروابط واهنة. وحتى لو كان هناك ارتباط وثيق بين تلك الدول والجماعات الإرهابية، فإن القضاء على تلك الدول لا يضمن القضاء على الإرهابيين.

إضافة إلى ذلك، فقد طبقنا هذه الإستراتيجية على نحو انفرادي، فقمنا بذلك بانفسنا وبطريقة أثرت على التعاون الدولي والسياسات متعددة الأطراف التي تجعل من التعاون في أعمال الشرطة والاستخبارات أمراً ممكناً. لقد كان مثل هذا التعاون بين الدول في مجالات الاستخبارات والبوليس والإنتربول والأجهزة القضائية هو الذي حققنا عن طريقه بعض النجاح في مجال إلقاء القبض على الإرهابيين وتعقبهم. إلا أن الاستراتيجيات الانفرادية في الحرب على أفغانستان والعراق بإمكانها أن تعوق التعاون الجماعي بين الدول في هذا المجال بدلاً من أن تزيد من احتمالات نجاحه. وقبل بدء العمليات العسكرية في العراق، كان هناك تعاون قائم في مجالات الاستخبارات مع سوريا وليبيا والسودان وإيران. ولكن وبعد بدء الحرب تقلص هذا التعاون إلى حد كبير. ونتيجة لهذه الحرب خسرنا ثمرة هذا التعاون الدولي الجماعي الذي يتمخض عنه في العادة معلومات استخبارية جيدة.

ست جالي: تحدثت وكتب الكثير عن الطرق والوسائل التي تشعر انها اجدى نفعاً في الوقاية من تعرضنا لهجمات مماثلة لما حدث في 11 سبتمبر. وتحدثت عن مبدا "الردع" القديم، وعن شيء آخر اسميته "الديمقراطية الوقائية". وقابلت خطاب الحكومة حول "محور الشر" بمطالبتك بأن نوجه اهتمامنا نحو "محور عدم المساواة". هل لك أن

تسلط مزيداً من الضوء على هذه المفاهيم، وتحديداً لماذا تعتقد أن ما تقترحه سيكون اجدى وأنجع من الناحية الواقعية والعملية من السياسات المتبعة الأن؟

إن مما يدهشني أن الرئيس بوش قال بعد 11 سبتمبر بأنه لا يمكننا أن نسمح للإرهابيين أن يوجهوا لنا الضربة الأولى؛ وأنه يتحتم علينا أن نبادر بهجوم استباقي وقائي على الدول التي ترعى وتدعم الإرهابيين لكي نمنع وقوع مزيد من الهجمات. في حين أن السياسة المعلنة للولايات المتحدة وعلى مدى أكثر من أربعين عاماً كانت تقبل باحتمال ان يبدأ الاتحاد السوفييتي بتوجيه ضربة نووية على المدن الأمريكية قبل أن ترد بهجوم من عندها على الاتحاد السوفييتي. بمعنى آخر أننا آثرنا التضحية بخمسين إلى ستين مليون نسمة من السكان في المدن الرئيسية الأمريكية على مخالفة المبدأ القانوني القاضي بقصر استخدام القوة في حالة الدفاع النفس. وكانت تلك سياسة الديمقراطيين والجمهوريين منذ بداية الحرب الباردة وحتى نهايتها. ومع ذلك، يقول الرئيس بوش بأنه يجب التخلي عن إستراتيجية الردع التي نجحت ضد الاتحاد السوفييتي بسبب حادث إرهابي واحد في اثنتين من المدن الأمريكية. وما من شك أن ما حدث يشكل فاجعة كبيرة وتعدياً فظيعاً بالنسبة للمدن التي وقع فيها وعلى الأفراد الذين أصيبوا بهذا الحادث الجلل. إلا أننا إذا نظرنا إليه من ناحية تاريخية، ومن منظور القوة الأمريكية وموقعها في المسرح الدولي، فإن ما حدث سيبدو كلسعة النحلة في جسم الدب الأشيب: لم تكن تلك الهجمات تشكل خطراً حقيقياً على البلاد.

الإرهاب له سلاح وحيد هو الخوف. والهدف من سلاح الخوف هو ترويع الناس. ولم تُحدث الهجمات سوى أضرار محدودة. إلا أن الخوف الذي أعقبها، والذي لعبت هذه الحكومة دوراً في ترويجه وتضخيمه في محاولتها الدفاع عن

البلاد ضد الإرهاب، كان له أثر أكبر من الهجمات نفسها. وإذا كنا نريد أن نواجه الإرهاب، فإن السبيل الأفضل لذلك لا يكون بالتأكيد على أننا الطرف الذي سيقوم بتوجيه الضربة الأولى في كل مكان يمكن أن يكون فيه تجمع للإرهابيين، بل بالقضاء على سلاحهم الوحيد وهو الخوف. والقضاء على سلاح الخوف يكون بأن لا نسمح للخوف والذعر بالاستحواذ على أنفسنا.

عندما استخدم الرئيس شعار "الصدمة والترويع" في وصف بداية القصف الجوي على العراق فإنه قد أوقع نفسه في لعبة الإرهابيين لمحاولته مواجهة الخوف بالخوف، والإرهاب بالإرهاب. ولسان حاله يقول إذا كانوا يعتقدون أنهم سيرعبوننا فانتظر حتى نريهم كيف سنرعبهم. وأتخيل أن الرئيس عندما استخدم عبارة الصدمة والترويع، كان أسامة بن لادن الذي يقبع في الجبال الواقعة بن حدود أفغانستان وباكستان، يقول "اللعنة، ليتني فكرت باستخدام ذلك الشعار: إنها العبارة الصائبة: الصدمة والترويع. وهو ما أريد أن أفعله بالولايات المتحدة". وهو الشيء ذاته الذي تحاول الولايات المتحدة أن ترد به.

التخويف والإرهاب هي وسائل الإرهابيين ومرتعهم. أما أمريكا فمرتعها الديمقراطية، والمجتمع المنفتح، والتعددية: والتصميم على عدم الرضوخ تحت تأثير الخوف، وعدم التنازل عن حرياتها تحت تأثير الخوف، وعدم التخلي عن تعدديتها الثقافية تحت تأثير الخوف. والخطر الأكبر الذي يهددنا منذ 11 سبتمبر لم يكن الهجمات نفسها، بل الضرر الذي ألحقناه بأنفسنا بالطريقة التي نحاول أن "نحمي" بها أنفسنا من الإرهاب. وهنا يوجد لدي إستراتيجية بديلة أطلق عليها الديمقراطية الوقائية، بدلاً عن الحرب الوقائية. إنها التزام بالديمقراطية داخل الولايات المتحدة، مما يعني ألا نسمح لأنفسنا بالتخلي عن حرياتنا، وعن سياسات الهجرة المفتوحة، وأن نمنع التصنيف النمطي للمواطنين. يجب أن لا نسمح للخوف أن يمنعنا من السفر، أو أن يدفعنا إلى التراجع

الاقتصادي. وبدلاً من ذلك علينا أن نركز على التفاعل المدني المتواصل والمستمر. وأن نبقى مجتمعاً ديمقراطياً مفتوحاً، متعدد الثقافات. وهذا يعني التصدي لما يناقض هذا التوجه كقانون الوطني، وقانون الوعي المعلوماتي الكامل، ومحاولات تقييد قوانين الهجرة التي وضعت حواجز تحول دون دخول أصدقاء أمريكا إلى البلاد. كما يتوجب علينا دعم الديمقراطية حول العالم. وإلى جانب محور الشر- وانا هنا اتفق مع الرئيس بوش ان بإمكاننا التحدث عن محور الشر- فإنك تجد محوراً أقل بروزاً هو محور عدم المساواة، محور البؤس، محور القنوط، إنه المحور الذي يعيش فيه الملايين من البشر على هامش الحضارة الغربية ورخائها الاقتصادي. وكن على يقين من أن الأب الذي يحتفل باستشهاد ابنه ذي الستة عشر ربيعاً والذي ربط قنبلة انتحارية حول خصره، ان هذه الأب هو أب ليس لديه أمل بالمستقبل: إنه أب لم يعد يؤمن بأي فرص لأبنائه. إن هذه الظاهرة تشير إلى مجتمع هو في أمس الحاجة إلى التغيير والإصلاح، ومثل هذه الأماكن هي التي ينبغي أن نوجه نحوها جهودنا.

لو أراد بوش أن يعبر عن تفهمه للديمقراطية، في اليوم الذي سقطت فيه بغداد، لما قام بنشر المدرعات حول وزارة الطاقة، والمصانع الثقيلة، وانابيب النفط، أو وزارة الدفاع. ولأمر بدلاً من ذلك بنشر الدبابات والمدرعات أمام كل مدرسة، وكل مكتبة، وكل متحف في بغداد لكي يقول " إن مستقبل الديمقراطية هو هاهنا، إن مستقبل هذا البلد يعتمد على التعليم". ولكنه لم يفعل ذلك. وعلى الرغم من أن الرئيس يتحدث عن الديمقراطية، إلا أن الديمقراطية الوقائية لا تعكس سياسة الحكومة. وعليه فإذا كنا نتطلع إلى بديل عن الحرب الوقائية، فيجب علينا معاينة الديمقراطية الوقائية بعناية، واستيعاب معانيها ليس فقط في العراق وأفغانستان، بل حول العالم، وحول العالم الإسلامي، وأيضا هنا في الولايات المتحدة، التي يحتل التعليم فيها موقعاً ثانوياً بينما تحظى السجون

بالاهتمام الأكبر. وفي العام الماضي اضطرت المدارس الحكومية في ولاية أوريغون إلى إغلاق أبوابها قبل ثلاثة أسابيع من انتهاء العام الدراسي لعدم وجود مخصصات كافية للتعليم الحكومي. وما زلنا في الولايات المتحدة نضيق الخناق على دعم التعليم، الأمر الذي يترك أثراً مدمراً على مستقبل الولايات المتحدة كالأثر الذي يتركه الافتقار إلى المدارس على الديمقراطية في بقية دول العالم

ست جالي: هل لك أن تلقي المزيد من الضوء على عامل الخوف، وعلى ما ذكرته من أن هذه الحكومة تواجه الخوف بالخوف؟

إن سياسات الخوف التي تطبقها هذه الحكومة في محاولتها للتصدي للإرهاب هي بحد ذاتها أخطر من الإرهاب نفسه. وهذه الحكومة مسئولة مسؤولية شخصية، وإن كانت غير قاصدة، عن التحريض على الإرهاب والذي كان يسعى الإرهابيون إلى التحريض عليه في أمريكا. أنظر إلى نظام الإنذار ذي الألوان المتدرجة- أصفر، برتقالي، احمر، أعلى وأسفل. لقد قامت الحكومة بإصدار تحذيرات مجهولة - وربما لحماية نفسها من تهمة عدم إعطاء تحذيرات مناسبة وكافية- تقول: في مكان ما، في الأسبوع القادم أو الذي يليه، سيقع هجوم في إحدى مراكز التسوق، أو ربما سيقع الهجوم على جسر، أو ربما مدرسة: ولكن كونوا على حذر. إن مثل هذه التحذيرات تخدم أهداف الإرهابيين في بث الذعر والخوف. لقد ذكر رمسفيلد، ذات مرة، أنه لو خير بين الإقناع من جهة وبين المسدس من جهة أخرى، لفضل الإقناع المصحوب بالمسدس على الإقناع وحده، كما كان يفعل آل كابون. وهذا النمط من التفكير يشكل خطراً على أمريكا.

والجانب المقابل لسياسة الخوف هو سياسة التفاعل. ودعني أقول للأمريكان الذين يقولون "إن الحكومة تقوم بواجبها على الوجه الأكمل في تحذيرنا وإبقائنا متيقظين تحسباً لأي هجوم إرهابي". إن خطر الإرهاب هو

خطر حقيقي ولا يمكنك التظاهر بأنه ليس كذلك. والعلاج الناجع للخوف هو التفاعل، والمواطنة، والنشاط. أنظر ما يحدث عندما تمر بحادث سير؛ فلو وقفت متفرجاً فسوف تشعر بالإعياء من مشهد الجرحى وأنين المصابين. وسيزداد شعورك بالخوف من الحوادث. أما لو شمرت عن ذراعك وحاولت إنقاذ المصابين وإسعافهم بإخراجهم من بين الحطام أو بإجراء عملية تنفس اصطناعي أو بأخذهم إلى المستشفى، فإنك ستشعر بشيء مختلف تماماً.

واعتقد أن أقل الناس شعوراً بالخوف يوم 12 سبتمبر هم الذين كانوا يعملون في مكان الحادث. ومع أنهم كانوا أكثر الناس عرضة للخطر، إلا أنهم كانوا منهمكين في عمليات الإنقاذ- رجال الإطفاء، وفرق الإسعاف الطبي. وأفراد الشرطة الذين كانوا يعملون ليل نهار في البحث عن الضحايا وبقايا الأشلاء وإزالة الركام. كانوا يقومون بمهمة مدنية، وكانوا منهمكين وغير خائفين من أي شيء. وجاء أفراد الشعب الأمريكي إلى الرئيس وقالوا له "ما المطلوب منا أن نفعل لكي نتحمل بعضاً من هذه المسؤولية؟" ومع الأسف كان رد الرئيس بوش:"اذهبوا للتسوق. عودوا إلى مراكز التسوق. عودوا إلى حياتكم الطبيعية. وسوف نتولى هذا الأمر عنكم". إن البقاء في وضع المتفرج هو دعوة إلى الخوف. أما المواطنة الحقيقية فهي التحرك لمواجهة سياسات الخوف. إن سياسات المواطنة، وسياسات التفاعل، وتحمل المسؤولية هي أسلوب أفضل في التعامل مع الإرهاب من القعود والوقوف بين صفوف المتفرجين والسماح للحكومة بسلب حرياتنا وتعدديتنا الثقافية باسم توفير الحماية لنا.

ست جالي: انت تتحدث عن مفهوم لأمريكا يختلف عن المفهوم الذي تعنيه إدارة بوش. وقد ذكرت في كتابك الأخير حول التعارض بين خطاب بوش الإنجيلي المانوي من جانب، والخطاب البراغماتي المتجذر

في العقلية الأمريكية كما نجده لدى ويليام جيمس(*) وملفيل(*) وغيرهم من ذوي الإحساس البراغماتي متعدد الاحتمالات والتفسيرات، مقابل التفكير بمنطق الأبيض والأسود، والخير والشر. هل لك أن توضح لنا هذين التيارين المتعارضين في أمريكا؟

يلجأ الأمريكيون إلى الاحتكام إلى أمريكا في دفاعهم عن أيديولوجيتهم أو مواقفهم، ولهذا ليس من المستغرب أن يتحدث بوش وأعوانه عن نوع محدد من أمريكا للدفاع عن سياساتهم. وأعتقد أنهم مخطئون في فهم أمريكا. ولست على استعداد للإذعان لرغبتهم في امتلاك أمريكا، أو الرضوخ للفكرة القائلة بأن عدم الاتفاق مع وجهة نظرهم يعني أنني معاد لأمريكا. إنهم يتحدثون عن أمريكا التي ترى أنها أفضل في أخلاقها ومثلها من بقية دول العالم. إنهم يتحدثون عن أمريكا التي يمتطي قادتها الخيول البيضاء وعلى جانبهم مسدساتهم لملاحقة الأشرار والخارجين على القانون والقضاء عليهم. إنهم يتحدثون عن أمريكا المحددة تحديداً ضيقاً وليس أمريكا ذات المفهوم الواسع. أمريكا المحددة بالسيادة والاستقلال، وليس أمريكا التي تشكل جزءاً من المجتمع الدولي وتتفاعل معه. ولكن هناك أمريكا أخرى. أمريكا التي نجدها في توماس جفرسون(*)، وفي ابراهام لنكن(*). وفي والت

(*) ويليام جيمس (11 يناير، 1842 - 26 أغسطس، 1910) فيلسوف وعالم نفس أمريكي وأستاذ في جامعة هارفارد. اشهر أعماله مبادئ السيكولوجية (1890) وكتاب أنواع التجارب الدينية (1902)، وكتاب البراغماتية (1907). عمل على تطوير المذهب البراغماتي.

(*) لعل المقصود هنا هيرسكوفيتس ميلفل عالم الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) الأمريكي الذي يعتبر أول من فتح الباب أمام دراسة العالم الجديد للزنوج. وكان يغلب على نقده الثقافي سمة الأدب الإنساني والنسبية.

(*) توماس جفرسون -86 الرئيس الثالث للولايات المتحدة وأحد الآباء المؤسسين للولايات المتحدة، وواضع إعلان الاستقلال الأمريكي عن بريطانيا.

(*) ابراهام لنكن (Abraham Lincoln) 1809 1865 الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة. وقعت في عهده الحرب الأهلية التي انتصرت فيها قواته على تحالف الولايات الجنوبية في معركة =

ويتمان(*)، وفي إمرسون(*). وفي لانغستن هيوز(*). وتوني موريسون(*). إنها أمريكا متعددة الثقافات. إنها أمريكا المحددة باستيعابها التعددية والتنوع الموجود في العالم وليس بعزلتها عن العالم. إنها أمريكا التي تشكل جزءاً من العالم. إنها أمريكا التي تزدهر بازدهار العالم. وأمريكا هذه التي أتحدث عنها هي باعتقادي أمريكا قوية، بل هي أقوى من أمريكا التي يتصورها بوش ويريد منا أن نعتقد أنها هذه هي أمريكا التي ننتمي إليها.

ست جالي: كتبت ايضاً حول الانقسام في مؤسسة السياسية الخارجية، وفي داخل الحكومة نفسها، بين الصقور والحمائم، وحاولت أن تضع هذه المصطلحات في إطار مختلف. كيف فعلت ذلك، ولماذا؟

لقد اعتدنا أن نطلق وصف الصقور على الساسة الواقعيين المؤيدين للحرب، أما الساسة المثاليون المؤيدون للسلام فنطلق عليهم وصف الحمائم. وعندي شك في أن هذه هي الطريقة المثلى للتحدث عن الانقسام في واشنطن وفي هذا البلد عموماً. وأرى أن الانقسام هو بين "النسور" والأبوام(*). واسمح لي أن أوضح هذه العبارات. فكلا الطرفين يدرك الحاجة إلى الحرب. وكلاهما من الطيور الجارحة لا المسالمة الأليفة: إلا أن النسور يعتقدون بأننا نملك الحق في توجيه

= غيتيسبيرغ عام 1863 وكان من نتائجها حظر الرق في الولايات المتحدة، وإخضاع الولايات الجنوبية التي كانت تهدد بالانفصال. (ومن الأخطاء الشائعة لفظ الاسم الأخير لنكولن بدلاً من لنكن لأن اللام الثانية في اسمه الأخير لا تلفظ.

(*) شاعر واديب وصحافي امريكي (1819-1892) له ديوان شعر بعنوان (أوراق العشب) ويعد من ابرز الأعمال الأدبية الأمريكية.

(*) رالف والدو إمرسون (1803-82) شاعر واديب امريكي. وله رواية بعنوان الاعتماد على الذات.

(*) كاتب واديب امريكي من اصل إفريقي ويشتهر بكتاباته حول تجربة الأفارقة في امريكا.

(*) كاتبة امريكية (1931-)تركزت اعمالها على المجتمع الإفريقي في أمريكا وعلاقة الفرد بالمجتمع. حصلت عام 1993 على جائزة نوبل في الآداب. كما حصلت أعمالها الأبية على جوائز اخرى.

(*) أبوام جمع للبومة أو البوم، طائر معروف. وهو رمز للشؤم في الثقافة العربية. بينما يرمز للحكمة في الثقافة الغربية لبعد نظره واتساع عينيه.

الضربة الآن، وقائياً، واستباقياً، وانفرادياً، وفورياً. فهم عدوانيون في سياستهم الانفرادية. وفي دخيلة انفسهم يظنون انهم مثاليون لأنهم ما زالوا يعتقدون بأن الولايات المتحدة تعيش في القرن التاسع عشر، وأن باستطاعتها أن ترسل جيوشها بإرادتها المنفردة كقوة ذات سيادة لتدمير أعدائها في أي مكان في العالم. وفي المقابل، لدينا الأبوام، والبوم طائر جارح ولكنه أكثر حنكة. فهو يظهر في الليل بعد زوال النهار، ولديه نظرة بعيدة للأشياء، واعتقد انهم يدركون أن النسور مثاليون في حلمهم بالعودة إلى العالم القديم الذي يتصارع فيها الرجال الأشداء في معركة مفتوحة. رجل مقابل رجل، كما يحدث في فيلم "هاي نون" حيث يقوم بطل الكاوبوي "غاري كوبر" بالقضاء على الأشرار واحداً تلو الآخر في الشارع الرئيسي للبلدة، وهو الدور الذي يتقمصه جورج بوش، في حين يتقمص دور الأشرار كل من الملا عمر، وأسامة بن لادن، وصدام حسين.

إلا أن الواقع هو أن القوة العسكرية التي تحركها الأمم التي تملك جيوشاً جرارة وقوات جوية هائلة هي قوة غير متماثلة أمام الإرهاب. فالحروب الحديثة هي حروب غير متكافئة، وقد شاهدنا هذا في العراق. لم يكن هناك قوات عراقية قادرة على مواجهة قوة الهجوم العسكري الكاسح للولايات المتحدة: سلاح الجو، الجيش، قوات البحرية. واستطاعت الولايات المتحدة أن تجتاح البلاد في بضعة أيام والقضاء على الجيش العراقي. إلا أنهم الآن وجدوا أنفسهم في مواجهة حرب العصابات والإرهابيين الذين يخرجون في الليل، والقناصة الذين يطلقون النار تحت جنح الظلام، والأشخاص الذين يزرعون الألغام على جانبي الطريق. ولا تملك الولايات المتحدة رداً عسكرياً متماثلاً ومتكافئاً مع مثل هذه الهجمات.

والمشكلة الأخرى للرد العسكري البحت على الإرهاب، وحتى حين يكون هذا الرد متماثلاً- مع أنني أعتقد أن الرد لا يمكن أن يكون متماثلاً لأن قوى المعادلة

في مثل هذا الصراع هي أصلاً غير متماثلة - هو أن جزءاً من الحرب التي نخوضها ليست حرباً عسكرية، ولا حتى حرباً اقتصادية، بل حرباً ثقافية. واعتقد أننا لا ندرك أن كثيراً من الناس الذين يؤيدون الإرهاب، أو الذين يتغاضون عنه أو الذين يبتهجون عندما تتعرض أمريكا للأذى، كثير من هؤلاء الناس لا يخشون الاحتلال الأمريكي، ولا يخشون الهيمنة الاقتصادية الأمريكية بقدر خشيتهم وقلقهم من الآثار الثقافية "للأمركة"، الآثار الثقافية لنشر هذه الثقافة العدوانية العلمانية المادية. والمشكلة التي تواجهها الولايات المتحدة هي بوجود هذا العنصر الثقافي القوي في خوف الناس منها.

وتشعر الشعوب في العالم الإسلامي بالاستياء والغضب مما يعتبرونه ثقافة عدوانية علمانية مادية تهدد بهدم قيمهم الدينية وإفساد تقاليدهم وتراثهم الثقافي الغالي على نفوسهم. أنظر إلى الأم في دمشق، الأم في طهران، أو سري لانكا، أو في باكستان. إنها تخشى على أولادها من شيئين. الأول هو أن أبناءها لن تتوفر أمامهم الفرصة للاستمتاع بالازدهار الاقتصادي ومزايا وفرص العولمة والتجارة العالمية والسوق العالمي كما هو متوفر لأبناء الغرب. وثاني هذه المخاوف هو أن أبناءها سينجذبون نحو هذه الأسواق ويتأثرون بها، وهو ما سيفسدهم ويفقدهم دينهم وقيمهم. إننا نمثل في نظرهم عالم الماكدونلدز، وإم تي في، وشيكاغو بولز، والتلفاز، وديزني لاند، ونايكي، وكل هذه المزايا الرائعة لمراكز التسوّق الفعلية والافتراضية التي تحدد الطريقة الأمريكية في التسوق والاستهلاك واحتمالات الرخاء. وهذا يشكل بالنسبة لكثير من الناس حول العالم تهديداً للثقافات المحلية، وتهديداً للتعددية والتنوع في مجتمعاتهم، والأهم من ذلك كله، تهديداً للمعتقدات الدينية. يجب علينا أن نفهم ذلك. وحتى هنا في الولايات المتحدة، هناك أعداد كبيرة من الأصوليين البروتستانت الذين يمتنعون عن إرسال أبنائهم إلى المدارس الحكومية لأنهم يخشون من تعرض أبنائهم

للثقافة العامة. وهي ثقافة هولي وود(*)، وثقافة ماديسون آفينيو(*). وهذا ينطبق على كثير منا كذلك. قليلون منا من يسمح لأبنائه بمشاهدة كل ما تعرضه شاشة التلفاز على مدى 24 ساعة. قلة منا من يسمح لأبنائه باستعراض كل ما هو موجود على الإنترنت. هذا هو الحد من الغلو المتزايد الذي وصلت إليه ثقافتنا من المادية العدوانية والربحية والإباحية. وهذا يشكل تهديداً أكبر لشعوب العالم الثالث من تهديد جيوشنا ومن تهديد دولارنا أو تجارتنا العالمية.

وقد أطلقت على هذه الظاهرة ماك ورلد (عالم الماكدونلدز): إنها الجهاد مقابل عالم الماك. التهديد من انتشار عالم الماك هو الذي يضعضع قوتهم الثقافية، ويقوض وحدة دينهم ويفسد قيمهم. وقد يكون هذا أكبر مشكلة تواجهنا على المدى البعيد في محاولتنا نشر الديمقراطية في العالم، لأنه لو اعتقد الناس أن الديمقراطية تعني ماكدونلدز، وديزني لاند، وليس حق الشعوب في حكم نفسها بطريقتهم الخاصة وبما يتناسب مع قيمهم، فإنهم سينظرون إلى الديمقراطية باعتبارها جزءاً من المشكلة لا جزءاً من الحل. والأمر يعود إلينا في أن نفصل الديمقراطية عن عالم الماك، وأن نعزل الديمقراطية عن مراكز التسوق الكبيرة وعن الخصخصة، وأن نساعد الناس في فهم أن الديمقراطية هي حق الشعوب في اعتناق قيمهم وثقافتهم وأنها لا تعني تقليد القيم والثقافة الأمريكية.

ست جالي: على الرغم من هذا الانتشار التجاري العالمي، أو ربما من خلاله، ذكرت في كتابك أنك تجد مصدراً للأمل في هذا كله- تيار معاكس يتمثل في هذا الترابط الذي مهد لحدوث ما شاهدناه مؤخراً

(*) مركز صناعة السينما الأمريكية، وهو اسم المقاطعة الشمالية الغربية من مدينة لوس انجلوس في ولاية كاليفورنيا.

(*) كناية عن مركز صناعة الدعاية الأمريكية، والتسمية مأخوذة عن اسم الشارع الموجود في مدينة نيويورك والذي كان يضم كبرى شركات الدعاية والإعلان الأمريكية.

من مظاهرات عالمية وتنظيم على نحو لم يسبق له مثيل. هل لك أن تحدثنا عن ذلك؟

إن من أكثر خصائص العصر الحاضر التي تبعث على الأسى، وفي الوقت نفسه، تبعث على التفاؤل هو حقيقة أن العولمة حتى هذه اللحظة كانت عولمة لرذائلنا. لقد عولمنا الجريمة، وعولمنا الدعارة، وعولمنا تجارة المخدرات، وتجارة السلاح. الإرهاب نفسه هو نوع من أنواع الفوضى المفروضة على الأمم. لقد عولمنا الرأسمالية، والوظائف، والاستثمارات المالية، بطريقة أعادت خلق الظروف الرأسمالية الاستغلالية الضارية التي كانت سائدة في أمريكا في القرن التاسع عشر. ولكن بقي أمامنا عولمة الديمقراطية، والمواطنة، والثقافة المدنية، وكل الأشياء التي لطفت وشذبت وهذبت ونظمت الرأسمالية، وجعلتها عنصرا من عناصر الديمقراطية في الولايات المتحدة وأوروبا الغربية. ومن الأشياء الإيجابية هو أننا نعيش في مرحلة بدأنا نشاهد فيها العولمة ليس فقط من منظور معسكرين هما الإرهاب من جهة والرأسمالية في الجهة المقابلة، بل بدأنا نشاهد بوادر العولمة في المواطنة، عولمة المجتمع المدني، وعولمة المؤسسات المدنية. وهناك مؤسسة تسمي نفسها (سيفكس) تشكل مظلة تضم مجموعة من المنظمات غير الحكومية كمنظمة أطباء بلا حدود، والسلام الأخضر، وهيومان رايتس ووتش (منظمة مراقبة حقوق الإنسان)، و ترانسبيرنسي إنترناشونال (الشفافية الدولية). ويسعى هؤلاء جميعاً إلى التعاون المستمر ليس بين الحكومات، بل بين المواطنين في الدول المختلفة، وليس ضمن المؤسسات الحكومية، بل ضمن المؤسسات المدنية.

ويحمل هذا التوجه في طياته أملاً كبيراً من وجهة نظري، ولهذا السبب أقول بأن الديمقراطية الوقائية، وليس الحرب الوقائية، هي التي ستنقذ أمريكا على المدى البعيد، من الإرهاب وتجعل من العالم مكاناً أكثر أماناً لسكانه

ولأمريكا. لا يمكن للطفل الأمريكي أن ينام بأمان ما لم يرقد أطفال دمشق، وبكين، وماليزيا، وإفريقية بأمان. والحرية اليوم هي شيء واحد بالنسبة للعالم كله. ولا يمكن للأمريكان أن يكونوا أحراراً طالما أن بقية شعوب العالم مستعبدة. لذلك فإن العالمية والرأي العام العالمي، والاعتماد المتبادل ليست أحلاماً طوبائية، بل هي متطلبات الواقعية. والواقعيون اليوم هم الذين يؤمنون بالتعاون الدولي، أما الطوبائيون فهم الأشخاص القابعون في البيت الأبيض اليوم والذين يفكرون أن بإمكان أمة واحدة أن توجد سلاماً أمريكياً شاملاً، وتحكم العالم بإرادتها السيادية. لقد ولى عصر الاستقلال وعصر السيادة: إننا نعيش في عصر الاعتماد المتبادل بين الدول، وعندما نقبل بهذا التعاون ونضعه في قالب ديمقراطي، فسوف نعيش في عالم آمن وحر لأمريكا ولبقية العالم.

ست جالي: ما هو ردّك على الأشخاص الذي قد لا يتفقون مع سياسات الرئيس ولكنهم مع ذلك يعتقدون ان الانتخابات، وسياسة الانتخابات بشكل عام، ليست ذات علاقة، وانه لا يهم الطرف الذي ينجح لأن الكل سواء. ما مدى الأهمية المعلقة على انتخابات نوفمبر 2004؟

في كل موسم انتخابي نواجه عدة تساؤلات حول ما إذا كانت هذه الانتخابات تهم فعلاً أم لا، وهل من الضروري أن نتوجه إلى صناديق الاقتراع والتصويت، وهل هناك أي فرق بين الخيارات المعروضة أمامنا. والجواب: نعم هناك فروق أساسية، وإذا لم يكن هناك فرق في السياسة، فعلى الأقل سيكون هناك فرق في التعيينات القضائية؛ وإن لم تكن في هذه ففي سياسات البيئة: وإن لم تكن في السياسات البيئية ففي المواقف السياسية الخارجية. وطبعاً هذه الانتخابات مهمة وذات علاقة، ومهمة بطرق قد لا تكون ظاهرة لنا اليوم، ولكنها ستظهر غداً. لقد رأينا من كان يعتقد في الانتخابات الفائتة أنه لا يهم من ينجح في تلك الانتخابات لأنه لا يكاد أن يوجد فرق جوهري بين الخيارين. إلا أن

التعيينات التي يقوم بها الرئيس، ولا يقتصر الأمر على التعيينات في المحكمة العليا، بل في المحاكم الفدرالية، والتي قد تصل إلى عدة آلاف على مدى الأربع أو الثماني سنوات التي يقضيها في الحكم. هذه كلها على قدر كبير من الأهمية والتأثير. كما أن الجهود المبذولة في مجال حماية البيئة ومنع تعرضها لمزيد من الأخطار. وهي مخاطر ستدفع ثمنها الأجيال القادمة لأن القرارات التي تتخذ اليوم لا يمكن عكسها بعد عشر أو عشرين سنة من حصول الضرر. لذلك أقول لهم إن هذه الانتخابات مهمة ومؤثرة إلى حد كبير. ولا يهم من هو الشخص الذي تصوت له، ولكنك إذا قلت بأن المشاركة الانتخابية ليست مهمة، ولم تشارك بالتصويت فإنك تكون قد تنازلت عن حريتك.

ولدي رسالة أخرى حول هذا الموضوع أود طرحها هنا. إننا قلقون حول قادتنا وحول من سيقطن البيت الأبيض، أو من سيعيّن في المحكمة العليا، أو من سيذهب إلى الكونغرس. كل هذه الأمور على درجة عالية من الأهمية، إلا أن المواطنة لا تنحصر فقط بالتصويت. ويوجد لدينا نزعة في هذا البلد نحو التفكير بأن التصويت يتعلق بالقيادة، وفي كل بضع سنوات، سواء تعلق الأمر بالبيت الأبيض أم بالكونغرس، نسائل أنفسنا: "ترى، أين هذا الفارس الذي سيأتي على حصانه الأبيض كي يخلصنا من آخر معتوه انتخبناه". وهذا له صلة بمتلازمة الحصان الأبيض، الفكرة القائلة بأن الديمقراطية ليست سوى التصويت للقيادة ثم ترك الأمر لهؤلاء القادة في توجيه وحكم البلاد. الديمقراطية هي الحكم الذاتي، وهي المواطنة المتفاعلة. ولا تقاس الديمقراطية في نهاية الأمر بنوع القادة الذين تفرزهم، بل بنوع المواطنين الذين يمارسونها. وهناك أعداد كبيرة من الأمريكان الذين لا يبرحون أماكنهم ويكتفون بالتكهن حول من سيفوز في الانتخابات ويذهب إلى واشنطن، دون أن يفكروا بمسؤولياتهم ومشاركتهم على المستوى المحلي والوطني والعالمي. ثم يأتون إليك ليقولوا: "ماذا بوسعنا أن نفعل؟".

إن شخصاً واحداً مثل جودي ويليامز التي كانت وراء وضع معاهدة حظر الألغام الأرضية، يُظهر لنا ما يمكن لفرد واحد أن ينجزه. وكل شخص ناشط في المنظمات غير الحكومية (NGO) يظهر لنا قيمة مساهمة الفرد الواحد. وقد أظهر الأشخاص العاملون في مجال الحقوق المدنية أن بإمكان المواطنين فعل الكثير. إن دور المواطن الواحد يستمر مدى حياته، وليس لمدة سنتين أو أربع. فلديك العمر كله لممارسة حقك والقيام بمهمتك.

من الممكن لأمريكا أن تكون مكاناً افضل لو وجّهنا معظم تركيزنا على مسؤولياتنا، وعلى حاجتنا إلى المساهمة في كافة مجالات العمليات المدنية والسياسية، بدلاً من التركيز على من سيكون الحاكم أو الرئيس المقبل. إن تحملنا مسؤولياتنا سيضع ضغطاً اقل على حكامنا. لذلك اقول نعم، يجب أن نشارك بالتصويت، وعلينا أن نختار، ولكن ذلك ليس هو الخطوة الأخيرة والوحيدة. إنها الخطوة الأولى نحو المواطنة. والمواطنة تعني أن نحكم أنفسنا على أسس عادية وأن لا تقتصر مشاركتنا على العمل السياسي وحسب، بل والعمل المدني في كل الأوقات. وهناك أمور كثيرة تتعلق بالسياسة برغم أننا قد لا نراها سياسية.

ست جالي: أود ان اختم بالسؤال عن ردة فعلك الشخصية على هجمات 11 سبتمبر كما كانت تحدث. ماذا يعني هذا الحدث بالنسبة لك؟ وعن رايك بالشعار الذي يردده بوش منذ ذلك التاريخ بأنه لن ينسى 11 سبتمبر؟

لم تختلف ردة فعلي على أحداث 11 سبتمبر عن ردة فعل جورج بوش ومعظم الأمريكان، وربما معظم الناس حول العالم، وهي أن 11 سبتمبر كان حدثاً قوياً يصعب على المرء نسيانه. ولا اعتقد ان اي شخص راى ما حدث سواء عبر التلفاز أو كان من سكان مدينة نيويورك سينسى ما شاهده في ذلك اليوم، لأن ذلك الحدث كان من أكثر الأحداث الحاسمة في وقتنا الحاضر. كنت في

واشنطن في ذلك اليوم. وكانت أسرتي في مانهاتن. وكنت على بعد نصف ميل من مبنى البنتاغون وكانت أسرتي على بعد ميل واحد من مركز البرج. لذلك فقد عايشنا الحدث، وتحدثنا برهة عبر الهاتف إلى أن انقطعت خطوط الاتصالات. واستطعت العودة إلى نيويورك مساء ذلك اليوم عن طريق القطار . كانت محطة (بن) مغلقة، ولكن كان هناك قطار واحد يجلب الشرطة وأفراد الاحتياط إلى نيويورك واستطعت أن أسافر فيه وأشاهد عن قرب محطة (بن) وهي مغلقة ومقفلة. مشيت إلى منزلي لرؤية زوجتي وابنتي في حوالي الساعة الحادية عشر ليلاً، وفي الطريق من نيوجيرسي في الجهة المقابلة استطعت مشاهدة الدخان والوهج الذي ما زال يتصاعد من المكان الذي كان يضم مركز التجارة العالمي.

أنا من مواليد نيويورك، لذلك فإن ما حدث كان له تأثير شخصي قوي في نفسي. نعم، سأتذكر، كما تذكر الرئيس. وأعتقد أن السؤال الذي يهمنا جميعاً هو ماذا نتذكر وماذا نفعل بهذه الذكرى؟ ما هي العبرة؟ ما الذي يكشفه لنا هذا الحادث الجلل؟ ماذا نتعلم منه؟ بالنسبة للرئيس، علمته هذه الأحداث درس محور الشر . علمته أن لأمريكا أعداءً خطرين يعملون في السر، ويجب القضاء عليهم، وأنه لا يمكننا أن نكون ضعافاً أبداً؛ وأنه يجب أن نستعرض عضلاتنا وقوتنا في كل مناسبة. إنه درس السلام الأمريكي الشامل: فإذا كانت السيادة لا يمكنها أن تحمينا، فإن علينا أن نوسع هذه السيادة حول العالم من أجل تحقيق السلام الأمريكي. هذا نوع واحد من الدروس. وهو درس يقوم على سياسات الخوف. سياسات الانفراد والعزلة. إنها سياسات تغلق الحدود الأمريكية وترفع الأسوار حول أمريكا. وأخشى ما أخشاه أن هذا هو الدرس الذي تلقنه معظم الشعب الأمريكي، واستقاه الرئيس بوش بكل تأكيد: جهزوا العربات، ارفعوا الأسوار، واستعدوا لملاقاة الأشرار أينما وجدوا. أرسلوا الجنود إلى أي مكان يوجد فيه الأعداء ودمروهم.

ولكن هناك درس آخر. وبالطبع كان أول ردة فعل لي على 11 سبتمبر هو الخوف، والغضب، والغيظ والثار. وطبعاً أردت أن نتعقب المسئولين عن هذه الفعلة والاقتصاص منهم وأعتقد أننا جميعاً كان لدينا هذا الشعور. إلا أن ردة فعلي الثانية والتي استقرت في نفسي هي أنني تساءلت في نفسي: يا إلهي، إن هذا العالم عالم صغير. إن ما يحدث في كراتشي وفي دمشق والكونغو ونيجيريا ينعكس على ما يحدث هنا. فالغابات التي تحترق في البرازيل، والغابات الاستوائية التي تدمر في إندونيسيا لإقامة مراكز تسوق مكانها، تؤثر على نوعية الهواء الذي نتنفسه هنا. والأمراض التي تنتشر في هونغ كونغ وإفريقية، الإيدز وسارز، تأتي إلى أمريكا. إنني أذهب إلى منزلي الصيفي في ولاية ماسيتشيوستس ولا ينتابني القلق من فيروس ماسيتشيوستس بل من فيروس غرب النيل. إننا نعيش في عالم متشابك ومترابط بعضه ببعض.

ودرس 11 سبتمبر الذي تعلمته هو التعاون الإلزامي. يجب علينا أن نبحث عن وسائل وطرق للتعامل مع الإرهاب وإلا فسوف يبتلعنا جميعاً. علينا أن نبحث عن طرق تمكننا من العيش معاً وإلا فسوف نموت معاً. علينا أن نبحث عن طرق تجعلنا جميعاً أحراراً وإلا فلن يكون احد منا حراً. هذا هو الدرس والعبرة الدائمة من 11 سبتمبر. وإذا تعلمنا هذا الدرس واستبقيناه معنا فقد يكون، رغم كل الفظائع والآلام التي صاحبت تلك الكارثة، درساً مفيداً، درساً يدفع بأمريكا إلى احتضان العالم في علاقة تعاونية تبادلية لتكون شريكاً لهذا العالم وجزءاً منه، بدلاً من أن تقول للعالم: "كونوا معنا وإلا." وهو ما قاله الرئيس بوش. لقد آن الأوان لنقول فيه "الآن هي اللحظة التي ينبغي على أمريكا أن تنضم فيها إلى العالم."

نيويورك ستي

6 نوفمبر، 2003

مديا بنجامين

شاركت مديا بنجامين في تأسيس وإدارة مؤسسة غلوبال إكستشينج (التبادل العالمي)، ودعمت قضايا حقوق الإنسان حول العالم على امتداد أكثر من عشرين عاماً. ألفت ثمانية كتب، من أبرزها ردم الفجوة العالمية، فيلق السلام وأكثر (سفن لاكس برس، 1989)، وكتاب: لا تكن خائفاً أيها الأمريكي الأبيض: امرأة من هندوراس تتحدث من القلب (برينيال 1989) وحصل هذا الكتاب على جائزة تقديرية. وترشحت عام 2000 لعضوية مجلس الشيوخ عن حزب الخضر، وشاركت عام 2003 في تأسيس منظمة كود بنك (شيفرة اللون الزهري): نساء من أجل السلام.

ست جالي:من منظور أمني، هل تعتقدين أن الإجراءات التي اتبعتها حكومة بوش، منذ 11 سبتمبر جعلت من المواطنين الأمريكان أكثر أماناً؟

في الحقيقة أنني أنظر إلى هذه المسألة بوصفي أماً وربة أسرة. فلدي ولدان. وأتمنى أن يعيش أولادي في عالم آمن. لا أريد المزيد مما حدث صبيحة 11 سبتمبر. وعندما أدقق النظر في كل ما فعلته هذه الحكومة عقب 11 سبتمبر أقول: "لم يكن بإمكانكم فعل أكثر مما فعلتموه لجعل البلاد أقل أمناً." إنني أشعر بالخوف على ابنتي، التي تسكن الآن في نيويورك، وأشعر أن سياسات رعاة البقر العدوانية التي تنتهجها حكومة بوش قد جعلتنا أقل أمناً. وأتت على مشاعر التعاطف التي تولدت لدى الأسرة الدولية تجاه الولايات المتحدة أثناء الكارثة المفجعة يوم 11 سبتمبر. وأعتقد أنك إذا كنت تحرص على سلامة أسرتك،

وسلامة المحيط الذي تعيش فيه، وسلامة بلدك، فلا بد أن تشعر بالاشمئزاز من هذه الحكومة. ويظهر كل استطلاع للرأي، سواء أجرته الحكومة، أم منظمات كمنظمة بيو أو غالوب بولز، أن حب وتعاطف الناس في العالم اليوم هو أقل بكثير مما كان عليه وقت وقوع كارثة 11 سبتمبر. لذلك فإنك تتوقع أن يراجع الأمريكان أنفسهم قائلين:"هل ارتكبنا خطأ ما؟" إن احتلال أفغانستان ومن بعدها العراق، معطوفاً على هذا النوع من الفطرسة وعدم الاكتراث بحياة الآخرين حول العالم- هذا كله لم يجعلنا أكثر أماناً.

كما أن هذه الفكرة التي تقول بأن حياة الآخرين لا تهمنا... وحقيقة أن آلاف الأفغان الأبرياء قتلوا عندما احتلت عساكرنا بلادهم تهم كثيراً من الناس حول العالم لأنهم يشاهدون تفاصيل ذلك في برامج الأخبار على شاشات التلفاز. إنهم يشاهدون قرى آمنة تتعرض للهجوم بالقنابل، قرى بأكملها تتحول إلى ركام. ويصدق الشيء نفسه على احتلالنا للعراق- لقد شاهد الناس عبر شاشات التلفاز سواء في العالم العربي أم في أوروبا أم في كندا، شاهدوا السكان الأبرياء وهم يقتلون. لم تعرض تلك المشاهد محطات التلفاز في الولايات المتحدة. لذلك فالناس هنا يعيشون في حالة من التعتيم الإعلامي. لقد أخفيت عن الناس حقيقة أن الولايات المتحدة قتلت من البشر الأبرياء بعد 11 سبتمبر أكثر بكثير ممن قتلوا يوم 11 سبتمبر. أناس أبرياء، نساء وأطفال. وبما أن هذه الحقيقة لا تظهر على شاشة التلفاز فإن هذا يعني أن الشعب الأمريكي لا يعرف عنها شيئاً، ولذلك فهم لا يدركون أننا الآن أقل أمناً مما كنا عليه يوم 11 سبتمبر.

ست جالي: لماذا تشكل الحرب الدائمة والضربات الوقائية خطراً على الشعب الأمريكي في بلادهم؟

إن فكرة الحرب المستمرة، والحرب الدائمة، وفكرة أن الولايات المتحدة تملك الحق والمسؤولية في تغيير أي نظام لا يروق لها، يعني أن شعوب الدول التي

صنفناها ضمن قائمة "الأعداء" أو "محور الشر" يعيشون حالة مستمرة من الخوف. بإمكانك أن تتحدث إلى الناس في إيران. والناس الذين يعيشون في العراق. إنهم في خوف دائم. إن هذا النوع من العدوان يجعل العالم كله أقل أمناً وأماناً. إن فكرة الضربات الوقائية وبحسب ما يقوله الأمين العام للأمم المتحدة ستدفع العالم إلى فوضى كاملة لأنها ستكون ذريعة لأي دولة سواء أكانت الهند أم باكستان أم روسيا- لمهاجمة جارتها لأنها تعتقد أن تلك الدولة قد تهاجمها. إن من الخبل أن تقول: "آه، ربما سأتعرض لهجوم، لذلك فسوف أهاجم تلك الدولة". إن فكرة الضربات الوقائية بحد ذاتها تشكل خطراً على بقية العالم. لقد جعلت العالم يعيش في حالة من الخوف المتزايد. وهذا الخوف يصاحبه غضب، لأنه لا أحد يحب الشخص الذي يتجبّر على من هو أضعف منه. اذهب إلى أي ملعب في أي مدرسة وستجد الطلاب يقولون "ذاك هو الشخص المتغطرس، لا أحد يجرؤ أن يتحداه لأن الطلاب يخافون منه". الناس لا يحبون الشخص المتفرعن، قد يخشونه ولكنهم لا يحبونه. وأظن أنه بالنسبة لملايين البشر حول العالم، وحتى الناس الذين يحبون أمريكا بشكل أو بآخر - لأن الناس - حقاً- يحبون ثقافتنا، وأفلامنا، ورياضتنا، والموسيقى الأمريكية- إنهم يحبون أشياء كثيرة عن الولايات المتحدة- ولكن عندما ينظرون إلى سياسة الحكومة الأمريكية فإنها تجعلهم يخافون من الولايات المتحدة، وغاضبون من تصرفاتها. إن السياسة التي تجعلك محبوباً أفضل من تلك التي تجعلك مرهوباً و مبغضاً، وبكل تأكيد أن السياسات التي تتبعها هذه الحكومة لا تجلب لنا محبة الناس حول العالم بل نقمتهم.

ست جالي: إذن، فما الذي يجب علينا فعله؟

بإمكاننا أن نتوقف عن فرض إرادتنا حول العالم، وهناك أشياء كثيرة يمكننا فعلها لكي نكون محبوبين حول العالم. فنحن ما نزال أكثر الدول شحاً في العالم

حين يتعلق الأمر بالمساعدات الخارجية. والناس يعتقدون أننا نقدم مساعدات كثيرة للدول، ولكنك إذا نظرت إلى الأرقام الحقيقية فإن الولايات المتحدة هي أقل الدول إنفاقاً من بين الدول الصناعية في مجالات الرعاية الصحية والتعليم والأمور الأخرى التي من شأنها أن تحسن من حياة الناس. هل تريد أن تكون محبوباً حول العالم؟ عليك أن تقدم المساعدة للناس. خذ على سبيل المثال مخصصات العراق البالغة 87 مليار دولار، والتي يصل نصيب الجيش منها إلى 60 مليار دولار. هل تعلم كم يمكننا أن نفعل بهذه المليارات الستين لجعل العراقيين يحبوننا؟ بإمكاننا أن نشيد المدارس وأنظمة الرعاية الصحية. بل بإمكاننا أن نستخدم نصفها هنا في الولايات المتحدة ويتبقى منها الكثير لإنفاقه. لذلك فإن ما ينبغي فعله هو أن نعيد النظر في كيفية إنفاق أموالنا، وعلى من ننفقها. وإذا أردنا أن نكون دولة محبوبة فلنبدأ بتخفيض الميزانية العسكرية. لا يمكنك أن تنفق 400 مليار دولار في العام على الجيش وتتوقع أن يكون أمامك متسع لبرامج تفيد الناس هنا في الولايات المتحدة وأن تكون سخياً على دول العالم الفقيرة. لا يمكنك أن تجمع بين الأمرين. لا يمكنك أن تملك البندقية والزبدة. وقد قامت هذه الحكومة بزيادة مستوى النفقات العسكرية بما يتجاوز بكثير ما كانت تحلم به أي حكومة محافظة سابقة، ووضعت مخصصات هائلة لتطوير أسلحة نووية جديدة، وتسليح الفضاء. كل هذه البرامج يجب تخفيضها. وهذا من شأنه أن يجعلنا أكثر أماناً هنا.

ست جالي: لقد قمت بزيارة العراق ضمن وفد من أسر الجنود. هل لك أن تحدثينا عن ذلك؟

إن الشيء المدهش حول زيارتي العراق هو أنني كنت برفقة وفد من أسر لها أبناء يخدمون في الجيش في العراق أو قتل أبناء لهم في العراق. وأكثر شيء مؤثر في هذه الزيارة هو أن هذه الأسر أتيحت لها فرصة مشاهدة الخطر الذي

يتعرض له أبناؤها كل يوم. وكان كل فرد من أفراد الجيش الذين التقينا بهم يتطلع بشوق إلى اليوم الذي يعود فيه إلى الوطن. وكان كل ما يتحدثون عنه هو العودة إلى الوطن. أحد أبناء الوفد الذي كنا برفقته قال لأبيه " أبي، إنهم يكرهوننا هنا. كنا في نظرهم محررين في البداية، والآن نحن في نظرهم محتلين، وهم يكرهوننا. يريدون منا العودة من حيث أتينا، ونحن نريد العودة". وشاهدت إحدى الأمهات ابنتها لأول مرة منذ ثلاث سنوات، فقد كانت تخدم في ألمانيا ثم طلب منها التوجه إلى العراق. وشاهدت هذه الأم ابنتها في إحدى القواعد العسكرية وكانت ابنتها تحمل بندقية رشاشة من نوع أي كي 47 فأغمي على الأم لما شاهدت ابنتها وقالت،"لو كنت أملك المال الكافي لتدريس ابنتي في الجامعة لكانت الآن تحمل كتاباً بدلاً من البندقية. لا ينبغي لها أن تحمل بندقية". ولا أحد من هؤلاء الفتيان والفتيات ينبغي أن يحمل بندقية، والأولى بهم أن يعودوا إلى الولايات المتحدة، ويكونوا على مقاعد الدراسة في الجامعة.

إن ما يحدث في العراق هو كارثة بالنسبة للعراقيين. عندما تلتقي الناس الذين يكرهون صدام حسين، والذين عانوا أشد المعاناة تحت وطأة حكمه، ينظرون إليك قائلين:" لقد كانت حالنا أفضل أيام صدام حسين". وهم الآن يكرهون الأمريكان، إننا نرتكب أخطاءً فادحة. إن الأمر لا يقتصر على افتقارهم إلى الكهرباء، وشبكة الاتصالات، وتصدع شبكة الصرف الصحي، وأن كل ما دمّره القصف الأمريكي بقي على حاله دون أن يعاد بناؤه. أو أننا نأتي بالمهندسين من شركتي هاليبرتون وباتشل وندفع لهم ألف دولار في اليوم، بينما يقف العراقيون من ذوي المهارات العالية على جانبي الطريق بدون عمل. إن الأمر لا يقتصر على هذه الأمور وحسب. إنها الطريقة التي تعمل بها الولايات المتحدة هناك، اقتحامهم المنازل وسط الليل، وبث الذعر بين النساء والأطفال وسحب الرجال من بين أسرهم ووضعهم في السجون ذاتها التي كان يستخدمها صدام حسين

وعدم السماح لهم برؤية محام وعدم توجيه تهمة ضدهم. ويتساءل العراقيون باستغراب، "هل هذه هي الديمقراطية؟ هل هذه هي الديمقراطية التي جاءت الولايات المتحدة لتفرضها علينا؟

ست جالي: قمت مؤخراً بمناظرة احد المحافظين الجدد، ريتشارد بيرل، على محطة بي بي اس. ماذا استفدت من تلك التجربة؟

إن ما يثير الدهشة حول هؤلاء المحافظين الجدد هو أنهم يعيشون داخل فقاعة من الهواء. فقاعة بالمعنى المطلق. ليس لديهم أدنى فكرة حول ما يجري في العالم و حول نتائج سياساتهم. وهم يحاولون إقناع أنفسهم، على سبيل المثال، بأن سياساتهم في العراق ناجحة. وأتيحت لي فرصة مناظرة ريتشارد بيرل على شاشة التلفاز، والفكرة التي كنت أركز عليها كثيراً هي "ريتشارد، اخرج من مكتبك واذهب معي إلى العراق. هذا هو كل ما تحتاج إلى فعله. وسوف نذهب إلى أي مكان تشاء، وإلى أي مدينة تشاء، وأي شارع تختاره، اذهب وتحدث إلى المواطن العراقي العادي وسوف تشاهد الحقيقة المختلفة تماماً." لقد تحدثت إلى الناس عندما كنت في العراق. إن الإدارة الأمريكية في العراق تقطن في القصر الرئاسي السابق لصدام حسين، وهم يعيشون في الفقاعة ذاتها التي كان يعيش فيها صدام حسين عندما كان لا يسمح لأي أحد بالاقتراب منه وإيصال حقيقة ما يفكر به الناس إليه. إن الحكومة الأمريكية تقوم بالشيء ذاته الآن. إنهم لا يخرجون إلى الشارع إلا بصحبة الحرس الشخصيين، ولا يتحدثون إلى أفراد الشعب العاديين. إن أمثال ريتشارد بيرل من صناع السياسية في الولايات المتحدة ليس لديهم أدنى فكرة عن نتائج سياساتهم في أرض الواقع.

ست جالي: إذن، كيف استطاع المحافظون الجدد أن يفلتوا من المساءلة حتى هذا الوقت؟

إن الشيء الأساسي الذي يعمل لصالح حكومة بوش هو عامل الخوف. وهذا هو كل ما يلزم. لقد مكّنهم عامل الخوف من مهاجمة أفغانستان، وسمح لهم باحتلال العراق، وسمح لهم بالتفكير باحتلال دول أخرى، وسمح لهم بتخصيص مزيد من المليارات والمليارات من الدولارات للجيش وسحب المخصصات من البرامج الحكومية الأخرى لتمويل العمليات العسكرية. لقد سمح لهم عامل الخوف تجريد المواطن الأمريكي من الحقوق والضمانات الدستورية الأساسية التي كفلها الدستور، كحق المواطن في خصوصيته والحصانة من تدخل الحكومة في معظم المسائل الخاصة به، وفي المسائل المالية، والعلاقة بين المحامي والعميل- كل هذه الأمور يتم التعدي عليها أمام أعيننا. فالحكومة الآن تملك الحق أن تدخل بيتك وتفتشه من دون مذكرة قضائية، ولها الحق أن تسحبك من الطائرة دون أن تخبرك عن سبب ذلك، هذه الأمور كلها يجب أن تكون من بين أكبر القضايا التي تشغل بال المواطن الأمريكي، وعلى الرغم من ذلك، فإنها تتم تحت ستار من الخوف. "إننا نفعل ذلك لأن الإرهابيين يختبئون وراء كل باب".

ست جالي: لقد كنت في العراق عندما صرّح جورج بوش بالعبارة الشهيرة "فليرونا هجماتهم". ماذا كان موقف الجنود من هذه العبارة؟

أولاً وقبل كل شيء، صدرت هذه العبارة عن شخص لم يسبق له أن قاتل في ساحة المعركة. وليتك رأيت ردة فعل الجنود عندما سمعوا هذا التحدي. كانوا يقولون: "ما المقصود بذلك؟" هاتوا هجماتكم؟ إننا نحن المستهدفين بهذه الهجمات. كيف يمكنه أن يتفوه بتلك التصريحات؟ وبدءوا يتساءلون عن بوش ورمسفيلد قائلين: "إن القول بجلب المزيد من الهجمات علينا لا يستقيم مع عقل." إن هذا الكلام لا يمكن أن يصدر إلا عن أشخاص لم يقاتلوا في حياتهم. وعلينا أن نتذكر أن الأشخاص المسئولين في البيت الأبيض هم من نطلق عليهم لقب صقور الدجاج، الذين يتحمسون للحرب ولكن لم يسبق لهم أن خاضوا أي حرب.

إن بإمكان بوش أن يرتدي ما شاء من الزي العسكري، وبإمكانه أن يستعرض الجنود على ظهر حاملة الطائرات، وأن يقدم للجنود وليمة الديك الرومي المشوي في عيد الشكر... إلا أن هذا الشخص لم يخض تجربة الحرب في ساحة المعركة، وهو يقدم نفسه على أنه شخص يدعم الجنود، وحامي حمى الحرية، مع أنه يضع هؤلاء الجنود في مواجهة المخاطر ويسلبنا حريتنا.

وخلال التحضيرات للانتخابات الرئاسية القادمة]لعام [2004، سوف نشاهد الكثير من صور جورج بوش التي يظهر فيها بمظهر راعي البقر (الكاوبوي). جورج بوش بوصفه البطل الذي سيوفر لنا الحماية من الإرهابيين الذين يختبئون وراء كل شجرة. ومن واجبنا أن نكشف للناس الخدعة وراء هذه الصور ونفضح الخرافة التي يتم ترويجها ونقول لهم بأن هذه ليست لعبة. ليست لعبة "الشرطة واللصوص". ليست هذه الطريقة التي نضمن فيها أمننا. وأود أن أتوجه إلى النساء خاصة بالقول بأننا لا نريد من راعي البقر أن يحكم هذا البلد. بل نريد شخصاً يفهم أن الطريقة الوحيدة التي تضمن أمننا هي أن نكون جزءاً من المجتمع العالمي، وأن نكون محبوبين من المجتمع العالمي، وأن ننفق أموالنا فيما ينفع أبناءنا، ويجعل من العالم مكاناً أفضل لسكانه. ولا نريد راعي البقر الذي يجوب العالم ويطلق النار على الدول الأخرى، والشعوب الأخرى، ويقتل أبناءها. فهذا العمل لا يجلب لنا الأمان.

ست جالي: هل أنت متفائلة بالانتخابات الرئاسية القادمة؟

إن ما يجب على الناس أن يفهموه هو مدى خطورة هذه الحكومة، وفداحة الأخطار التي ساقتها إلى البلاد هنا في الداخل بسبب معاداتها للملايين من الناس حول العالم، ومدى الخطر الذي جلبوه على الناس في الخارج. إن هذه الحكومة تشكل تهديداً للمجتمع الدولي، وهذا هو الوقت الذي ينبغي علينا فيه أن ننظم أنفسنا ونقول: "لن نسمح لهذه الحكومة بأربع سنوات أخرى". إنني

أرتعش خوفاً مما يمكن ان يحدث لنا لو حصلت هذه الحكومة على ولاية ثانية. وهذا هو الوقت الذي يجب أن ينشط فيه الناس في الحديث عن خطر حكومة بوش علينا. ويمكننا أن نتحدث عنها وعلى عدة مستويات. يمكننا أن نتحدث عما فعلته إدارة بوش بالبيئة، وما فعلته من تقليص البرامج المختلفة وتأثير ذلك على النظام التعليمي، وما فعلوه بالحريات العامة. وفي الوقت الذي يلفون أنفسهم بالعلم الأمريكي، فإنهم يمزقون الدستور وقانون الحريات. يمكننا أن نتحدث عما فعلته هذه الحكومة في تقويض مكانتنا في المجتمع الدولي برفضها اتفاقات كويوتو، ورفضها للمحكمة الجنائية الدولية، ورفضها للمؤسسات الدولية التي وضعت لتأمين حماية المجتمع الدولي. إن مثالب هذه الحكومة تمتد على كافة الصعد والمستويات. ولكن علينا أن نتوحد على شيء واحد: يجب أن نتخلص من هذه الحكومة. يجب أن ننظم أنفسنا. أنا شخصياً لست من الحزب الديمقراطي، بل من حزب الخضر، وأعتقد أن هذه الفروق لا تهم في المرحلة الحالية. إن هذا الوقت هو وقت يجب أن تتوحد فيه التيارات السياسية المختلفة من التحرريين والخضر والمحافظين التقليديين الذين لم يؤمنوا في يوم من الأيام أن من واجب الولايات المتحدة أن تقوم "ببناء الأمم" حول العالم. علينا ان نتحد جميعاً لكي نوقف المحافظين الجدد، ونوقف حكومة بوش.

امامنا فرصة حقيقية. وأعتقد أن إدارة بوش قد وضعت نفسها في مأزق خطير. ولا أظن أن المقاومة العراقية ستتوقف. بينما تحاول حكومة بوش أن تخفي حقيقة أن الجنود الأمريكان يقتلون يومياً في العراق. وهي تحاول أن تبقي صور النعوش الملفوفة بالعلم الأمريكي بعيداً عن شاشات التلفاز. ولا أعتقد أن الشعب الأمريكي سيستمر في تحمل هذا. على الحكومة أن تعيد النظر في خططها لاحتلال دول أخرى مثل سوريا، وأن تبدأ بالتحدث إلى دول "محور الشر الأخرى" مثل كوريا الشمالية وإيران. هذه هي فرصتنا لأن نقول بأننا لا نحتمل

موت مزيد من الجنود كل يوم. وأننا لا نحتمل أن تنفق المليارات من الدولارات على قتل الناس في العراق وأفغانستان. وأننا لن نحتمل أن نضع معظم مواردنا في آلة الحرب. والطريقة التي نعبر فيها عن رفضنا لهذا هو أن نتأكد من أن بوش لن يكون في البيت الأبيض في نوفمبر القادم.

سان فرانسيسكو

3 يناير، 2004

* *

نعوم تشومسكي

نعوم تشومسكي أستاذ في معهد ماسيتشيوستس للتقنية (MIT) ألّف أكثر من 90 كتاباً في حقول علم اللغات، والفلسفة، وتاريخ الفكر الإنساني، إضافة إلى القضايا الدولية والسياسية الخارجية الأمريكية. أحدث كتبه تتضمن: 9/11 (سفن ستوريز برس، 2003)، القراصنة والأباطرة، قديماً وحديثاً (ساوث إند برس، 2003)، وكتاب القوة والإرهاب (سفن ستوريز برس، 2003).

جيرمي إيرب: وصلت إلينا معلومات من داخل حكومة بوش نفسها، وتحديداً من وزير المالية السابق بول أونيل ومن رئيس قسم مكافحة الإرهاب ريتشارد كلارك، تفيد بوجود أجندة مسبقة تدفع باتجاه احتلال العراق- هذه الأجندة كانت موجودة قبل أحداث 11 سبتمبر. هل تشاهد في السياسة الخارجية الأمريكية تطبيقا لهذه الأجندة؟

لقد عبروا عن ذلك بملء أفواههم، بكل صراحة ووضوح، وأراحونا من عناء التكهن. فقد أعلنت وثيقة إستراتيجية الأمن القومي الصادرة في سبتمبر من عام 2002 وبمنتهى الصفاقة، برنامج الهيمنة على العالم. والحقيقة أن المبادئ التي تضمنتها تلك الإستراتيجية ليست جديدة. وبإمكانك أن تجد سوابق لها في إدارتي كلينتون وكينيدي، وإلى عهد الحرب العالمية الثانية. إلا أن المبدأ واحد، ويتمحور بشكل أساسي حول فكرة هيمنة الولايات المتحدة على العالم وامتلاكها الحق باستخدام القوة بمشيئتها دون الحاجة إلى مرجعية من المنظمات أو المواثيق الدولية، وبدون سبب مقنع لتحقيق تلك الهيمنة. وهذا مبدأ قديم في حد

ذاته، إلا أنه تم التعبير عنه بطريقة فظة غير عادية في إستراتيجية الأمن القومي لعام 2002.

وجاء ذلك الإعلان صريحاً أمام الملأ ليقول للقاصي والداني بأن هذه هي الطريقة التي سنحكم بها العالم. وليعلم الجميع ذلك. ولإضفاء "المصداقية" على هذا المذهب، على اصطلاح الدبلوماسيين، فإنه يتحتم أحياناً أن تقوم "بإجراء تأديبي" لتظهر أنك تعني ما تقول ويكون ذلك عبرة للغير. وجاء الإعلان عن احتلال العراق متزامناً مع إصدار إستراتيجية الأمن القومي تلك. وفُهم ذلك الإعلان حول العالم، وفي دوائر السياسة الخارجية هنا في الولايات المتحدة، على أنه دليل على حقيقة أن حكومة الولايات المتحدة ستستخدم القوة بإرادتها المنفردة لتحقيق أهدافها- وفي هذه الحالة، تأمين موقع قدم مهم لها في إحدى المناطق الرئيسة لإنتاج النفط في العالم. وأنها، أي الولايات المتحدة، ستقوم بذلك دون الحاجة إلى مسوّغ قانوني دولي، ولا إلى مستند شرعي دولي. وعوملت الأمم المتحدة بازدراء مكشوف، وقيل لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة أمامكم خياران: إذا أردتم أن يكون لكم اعتبار فعليكم مباركة ما ننوي فعله، أو أن تكونوا مجرد "ناد للمناظرات" على حد وصف كولن باول. وليس لرأي الدول الأخرى في هذه الإستراتيجية أي أهمية أو اعتبار. ولا للرأي العام العالمي، بل ولا حتى للرأي العام الأمريكي. فقد كانت الإدارة عازمة ومصرّة على فعل ما تريد.

جيرمي إيرب: هل كان هناك مؤشرات أخرى تدل على إصرار الحكومة على هذا العمل الانفرادي بهذه العدوانية والمجاهرة للتدخل في العالم مع الحلفاء أو بدونهم وعلى المكشوف؟

لقد كان ذلك واحداً فقط من بين مجموعة من الإجراءات التي اتخذت دفعة واحدة خريف عام 2002. وكان هناك سلسلة من الإجراءات التي استهدفت الأمم

المتحدة، وإعاقة عدد من المفاوضات والاتفاقات الدولية. وفي واقع الأمر جرى توقيف المفاوضات المتعلقة بنزع السلاح، والمعاهدات التي تحرم الحرب الجرثومية. وقامت الولايات المتحدة بالإعلان عن عزمها التوسع في برامجها لتسليح الفضاء، لكي تنتقل، وعلى حد تعبير قائد سلاح الجو، من السيطرة على الفضاء إلى امتلاكه. وهذا ينسجم مع التوجه الجديد للأمن القومي والذي يقضي بأن الولايات المتحدة سوف لا تكتفي باستخدام القوة بحسب مشيئتها وحسب، بل ستستخدم القوة إذا لزم الأمر، ضد أي طرف يمكن أن يشكل تحدياً للهيمنة الأمريكية. وفيما يتعلق بمسألة الفضاء، فإنه يعني الانتقال من السيطرة إلى الملكية.

والسبب وراء هذه العدوانية المتشددة والخوف الذي انتشر سريعاً حول العالم هو أن احتلال العراق فُهم منه أنه جاء ليبرهن للعالم أن برنامج الهيمنة العالمية يجب أن يحمل محمل الجد. وقد تجلى هذا الأمر بوضوح، ومن جوانب عدة، عن طريق ردة الفعل التي أعقبت الفشل في العثور على أسلحة دمار شامل في العراق. والجانب الأهم في ذلك ليس أن الحكومة كشفت عن عجز الاستخبارات، أو الكذب او غير ذلك. مع أن ذلك كله حدث فعلاً، إلا أن أهميته تبدو هامشية مقارنة بالقضية الحقيقية وهي تغيير المذهب. فالمذهب الذي كان يجسد التوجه الرسمي في سبتمبر 2002 هو أن الولايات المتحدة ستستخدم القوة لمنع أي حكومة تسعى إلى امتلاك أسلحة دمار شامل يمكنها، بحسب زعمهم، أن تهددنا، وسنستخدم القوة العسكرية الوقائية للحيلولة دون وقوع ذلك. وبعد أن عجزت الحكومة عن اكتشاف أي أثر لبرامج أسلحة الدمار الشامل، تغير "المذهب" إلى الإعلان بأن الولايات المتحدة لها حق استخدام القوة ضد أي شخص لديه النية والقدرة على إنتاج أسلحة دمار شامل. والواقع أن أي شخص يملك تلك القدرة. فالمدرسة الثانوية المحلية في كامبريدج(*) لديها المقدرة على

(*) اسم بلدة في ولاية ماسيتشيوستس.

تحضير أسلحة دمار شامل. والنوايا هي بحسب الشخص الناظر. لذلك، فليعتبر كل شخص في العالم.

إذن، فهذا تحذير لكل شخص في العالم مفاده أنه إذا لم يرق لنا ما تفعله وإذا كنت تقف في طريقنا فنحن نملك الحق في استخدام قوتنا العسكرية الكاسحة للتأكد من انصياعك لأرادتنا. هذا هو المذهب. ولم يكن بالإمكان الإفصاح عنه بأوضح من ذلك.

جيرمي إيرب: هل هناك وسائل أخرى كشفت عن هذا البرنامج- الذي يعرف الأن "بمذهب بوش" وكان في السابق يعرف بمذهب ولفوويتس- وهل هناك وسائل أخرى افصحت عن وجوده وتطوره؟

لقد عملت التطورات اللاحقة على صقل هذا المذهب. فعلى سبيل المثال، وفي مرحلة الحشد للحرب، كان هناك انقسام في المواقف حول العالم. فقد كان هناك شبه إجماع شعبي عالمي لم يكن له نظير في التاريخ على معارضة الحرب. واظهرت استطلاعات الراي التي أجرتها مؤسسة غالوب، والتي تجاهلتها كلياً وسائل الإعلام في الولايات المتحدة، أنه لا يوجد مكان في العالم يمكنك أن تجد فيه نسبة تصل حتى إلى 10٪ من السكان يؤيدون برنامج التدخل العسكري الذي يسعى بوش وبلير إلى تنفيذه. إلا أن مواقف الحكومات كانت مختلفة: فبعض الحكومات وقفت مع المعارضة الشعبية في بلادها ضد الحرب، ورفضت المشاركة في الهجمة. بينما خالفت حكومات أخرى موقف شعوبها وقبلت بتلقي الأوامر من كروفورد(*) في ولاية تكساس بدلاً من الإصغاء لثمانين في المائة من شعوبها. وكان من المثير للدهشة مشاهدة ردة الفعل هنا في الولايات المتحدة، ليس فقط داخل الحكومة ولكن في أجهزة الإعلام وتعليقات المحللين وغيرهم، إذ كنا نسمع

(*) اسم البلدة التي توجد فيها مزرعة بوش.

عن التمييز بين "الدول السيئة" في "أوروبا العجوز" والتي وقفت مع ثلاثة أرباع سكانها، وهؤلاء يمثلون الطرف الشرير، وفي المقابل هناك "الطرف الخيّر" مثل بيرليسكوني(*) الذي خالف نسبة أكبر من المعارضين للحرب في بلاده ورضي بأن ينصاع لأوامر واشنطن. وهذا يعكس موقفاً صارخاً تجاه الديمقراطية من قبل الحكومة والإعلام والمحللين وغيرهم. وهي رسالة في غاية الوضوح ويصعب أن تفوت أحداً. وإني لأستغرب كيف فاتهم معنى هذه الرسالة. ولجعل الأمر أكثر درامية، فإن الشخص البارز الذي يعتبر المنظر الأكبر وحامل لواء نشر الديمقراطية في الشرق الأوسط وهو بول ولفوويتس، قد عبر عن موقفه تجاه الديمقراطية بخصوص الموقف التركي. فقد تعرضت تركيا لهجوم شرس في الولايات المتحدة وعلى مستويات عريضة حتى في الإعلام الليبرالي، على الموقف الذي اتخذته حكومتها والذي ينسجم مع راي 95٪ من السكان بدلاً من الانصياع لأوامر واشنطن. وذهب ولفوويتس إلى أبعد من ذلك بكثير. حيث نعى على الجيش التركي عدم تدخله لمنع الحكومة من تبني موقف 95٪ من السكان، ووجه لهم الأمر بالاعتذار للولايات المتحدة والتعهد بمساعدة الولايات المتحدة في مغامراتها المستقبلية. هذه هي الديمقراطية كما يفهمها المنظر الأكبر الذي يريد نشر الديمقراطية في العالم وفي الشرق الأوسط.

ولعل الإعلام الأمريكي والمثقفين الأمريكان يفضلون عدم مشاهدة هذه المفارقة، إلا أن بقية العالم تراها كما ترى الشمس في وضح النهار. وهذا ما يفسر النتائج المذهلة والمثيرة لاستطلاعات الراي في أوروبا والتي تظهر فيها الولايات المتحدة إلى جانب كوريا الشمالية وإيران في قائمة الدول التي تهدد السلام العالمي. وأن الدولة الوحيدة التي تمثل الخطر الأكبر على السلام في أوروبا هي إسرائيل. ولو فكرت ملياً في ذلك، فإن إسرائيل لا تشكل خطراً على

(*) رئيس الوزراء الإيطالي في ذلك الوقت.

السلام، فهي دولة صغيرة، بل الخطر على السلام هو الدعم الأمريكي لإسرائيل، وبدون ذلك فهي لا تشكل خطراً(*). ولو ذهبت إلى جيراننا في أمريكا اللاتينية وهم الأكثر خبرة في التعامل مع السطوة الأمريكية من أي طرف آخر في العالم، لوجدت أن الأرقام مذهلة أيضاً. وإذا أسعفتني الذاكرة، فإن نسبة المعارضة

(*) من الواضح أن الأستاذ تشومسكي (ومعه معظم مفكري اليسار اليهودي الأمريكي) وعلى الرغم من انتقادهم للسياسات والممارسات الإسرائيلية وحزب الليكود، إلا أنهم يؤيدون الراي القائل بأن إسرائيل ما هي إلا أداة استعمارية انتقلت من يد المستعمر الأول بريطانيا إلى يد المستعمر الجديد أمريكا، وأنها مجرد (وكيل بالأجرة) يعمل لصالح الطرف الذي يدفع أتعاباً أكثر، وأن الشر والتخريب الذي تقترفه إسرائيل يجب أن ينسب إلى الطرف الذي ترتكب لصالحه هذه الأعمال، وليس إلى هذه الدولة الصغيرة المسكينة. وأن امريكا هي التي تسخّر إسرائيل لخدمة مصالحها (الراسمالية) وليس العكس. ويشيع هذا الراي - مع الأسف- لدى كثير من المثقفين العرب. ومع ان المقام لا يتسع هنا لدحض وجهة النظر هذه، ولكنني أكتفي بإحالة القارئ إلى ما كتب حول دور اللوبي الإسرائيلي وتأثيره في السياسة الخارجية الأمريكية وتوجيه هذه السياسة بما يتناقض مع جوهر المصالح الأمريكية في العالم العربي وخصوصاً البحث القيّم الذي نشره مؤخراً كل من الأستاذين جون ميرشمير من جامعة شيكاغو وستيفن والت من جامعة هارفارد بعنوان اللوبي الإسرائيلي والسياسة الخارجية الأمريكية. ولو كانت العلاقة الأمريكية مع إسرائيل من صلب المصالح الأمريكية لما دعت الحاجة إلى وجود مثل هذه اللوبي الذي ينضوي تحت لوائه أكثر من مائة منظمة ناشطة في الولايات المتحدة تعمل ليل نهار للإبقاء والمحافظة على زخم الدعم الأمريكي للدولة العبرية. وهذا على العكس من الدول التي يخدم التحالف معها فعلاً المصالح الحيوية الأمريكية. ولذلك فنحن لم نسمع قط بوجود لوبي كندي أو لوبي بريطاني-على سبيل المثال- في واشنطن لدعم العلاقات الأمريكية - البريطانية أو العلاقات الأمريكية - الكندية، لأن المسئولين هناك يدركون أهمية المصالح المشتركة مع هاتين الدولتين. وما الحرب في العراق والتي هي موضوع هذا الكتاب إلا دليلاً آخر على نقض مقولة أن أمريكا تسخر إسرائيل لمصالحها. لأن المستفيد الأكبر من تلك الحرب هي إسرائيل و تخدم بوضوح الأهداف الإستراتيجية الإسرائيلية على حساب المصالح الأمريكية والمال الأمريكي والجنود الأمريكان. وقد ورد في سياق هذه المقابلات الإشارة إلى دور المحافظين الجدد وهم في غالبيتهم من المفكرين اليهود والمتصلين بروابط عضوية ووجدانية بالكيان الإسرائيلي في هذه الحرب. وقد وردت الإشارة في هذا الكتاب وفي أكثر من موضع إلى أن أصل فكرة الحرب على العراق وتغيير النظام فيه يعود إلى دراسة عنوانها انطلاقة نظيفة (Clean Break)أعدها معهد الدراسات الإستراتيجية والسياسية المتقدمة في القدس ونشر عام 1996 لصالح بنجامين نتنياهو. وشارك في إعدادها كل من دوغلاس فايث وريتشارد بيرل وديفيد وورمزر وهم من رموز المحافظين الجدد ويعملون الآن في حكومة بوش. ومن الطبيعي أن يحرص المنظرون الصهاينة على محاولة طمس هذه الحقيقة باستخدام مجموعة من الأقنعة كقناع النفط او الحرب على الإرهاب أو الديمقراطية الخ لصرف الأنظار عن هذه الأجندة.

الشعبية للسياسات الأمريكية بلغت 87٪ في القارة اللاتينية. وكلما اقتربت أكثر إلى حدود الولايات المتحدة ازدادت المعارضة. فقد بلغت في المكسيك 95٪ أو قريباً من ذلك، وكذلك في البرازيل. وهذه الأرقام صارخة جداً، وظهرت بهذه الصورة في السنوات الأخيرة فقط. وهي تعكس ردة فعل على البرامج التي أعلنت عنها الولايات المتحدة وبدت عازمة على تنفيذها. والشيء المثير حول هذا الموضوع هو أن الحكومة الأمريكية مجبرة الآن على التراجع. إذ لا يمكن السيطرة على العالم بتلك السهولة. وكما تبين لهم في العراق فإنه ليس من السهل حتى إدارة ذلك البلد الصغير نسبياً، وذلك على الرغم من أن احتلاله ظهر وكأنه أسهل احتلال عسكري في التاريخ. إلا أنه ليس كذلك. ويوماً بعد يوم تتراجع الحكومة عن مواقفها المتشددة مضيفة عليها بعض التحسينات التجميلية من أجل الاستمرار فيها.

واليوم كان الخبر الذي تصدر الصفحات الأولى من الصحف الأمريكية موافقة السلطة الأمريكية الحاكمة في العراق على مطالب العراقيين بمشاركة أوسع في العملية الديمقراطية. وكانت الولايات المتحدة تعارض بشدة أي نوع من العملية الديمقراطية في العراق لأنها تريد التأكد من سيطرتها على العراق. والعراقيون يعارضون ذلك، والمعارضة قوية، وتحاول الولايات المتحدة أن تتراجع وعلى حد تعبير الصحافة لكي تجعل الوضع يبدو أكثر ديمقراطية. ولكن سيتحتم عليهم فعل شيء ما بسبب شدّة المعارضة للنظام المفروض. ولذلك فهم الآن يحاولون إسناد دور شكلي للأمم المتحدة كي تبدو الأمور ديمقراطية.

جيرمي إيرب هل لك أن تحدثنا عن دور ولفوويتس في هذا الشأن؟

من الواضح أن الحكومة سوف تتراجع عن الموقف الانتقامي المتشدد الذي اتخذه بول ولفوويتس. وهو واحد من أشد المتطرفين ضيقي الأفق في الإدارة الأمريكية. وكان يصر على إصدار إعلان يقول بأن الدول التي دعمت الولايات

المتحدة في حملتها العسكرية ضد العراق هي فقط التي يحق لها المشاركة في عقود إعادة أعمار العراق. وهذا الموقف هو في غاية الشناعة، وقد وجدت الحكومة نفسها الآن مجبرة على التراجع عنه لأن بقية العالم لن تنبطح على الأرض وتقول: "هيا، تعالوا دوسوا على وجوهنا إذا كان ذلك يحلو لكم". وهذا التراجع تجده يتكرر في مسألة بعد أخرى.

نعم الولايات المتحدة لديها هيمنة عسكرية كاسحة حول العالم، وليس لقوتها العسكرية أي منافس ولو من بعيد. ولكن إذا نظرت إلى المسألة من أبعاد أخرى فالأمر يختلف. فمن حيث القوة الاقتصادية، نجد أن للولايات المتحدة أقران متساوون معها تقريباً. فآسيا واوروبا هما قوتان اقتصاديتان على قدم المساواة مع الولايات المتحدة. ويصدق هذا التشبيه من جوانب أخرى. وحتى المناطق الأصغر من العالم لا يمكن إخضاعها بهذه السهولة بالقوة فقط. فمثلاً، منطقة الأندين المجاورة للولايات المتحدة من الجنوب، وهي منطقة يتوقع المرء أن تكون الهيمنة عليها سهلة باستخدام التخويف والانقلابات العسكرية وغيرها. إلا أنها منطقة خارج نطاق السيطرة الآن، من بوليفيا إلى فنزويلا. وهي تسقط بيد القوى الشعبية التي يصعب على الولايات المتحدة أن تسيطر عليها.

كان احتلال العراق انتصاراً سهلاً بالطبع: ولم تكن حكومة بوش لتقدم على مهاجمة العراق لو لم تكن تعلم ان البلد أعزل بالكامل. ومن المذهل حقاً أن الحرب استغرقت أكثر من ثلاثة أيام. ومع ذلك، كان الأمر سهلاً. وكانت المشكلة تكمن في السيطرة على البلاد بعد الاحتلال، كما أن المشكلات التي برزت في محاولات السيطرة، وهي مشاكل مزمنة، قد أحدثت تراجعاً في الاندفاع العدواني لإدارة بوش. ولولا ذلك، وبحسب تقديري، لكان هناك تدخل آخر، وقد يحدث ذلك في النهاية، ولكن الفرص ما زالت مهيأة. إن طبيعة هذه السياسات ليست غامضة، فهي معلنة بشكل واضح جداً.

جيرمي إيرب: من القضايا التي نحاول تجليتها هي الدافع الذي يحرك السياسة الخارجية لهذه الحكومة. وثمة تساؤلات تتعلق بالأيديولوجية التي تتبناها هذه الحكومة، هل هذه الأيديولوجية سياسية، وما مدى واقعيتها، بالطبع هناك مصالح مختلفة تتنافس فيما بينها داخل هذه الحكومة. وعندما نقول هناك تراجع الأن، فهل تعني أن هذا يمثل إسكات العناصر الأكثر تطرفاً في هذه الحكومة؟ كيف تقرأ ذلك، وما هو برايك الدافع الأساسي الذي يحرك السياسة الخارجية الأن؟

أعتقد أن التراجع في بعض المواقف يعود إلى الفشل الذي لحق بالسياسات المتطرفة والعدوانية والمتغطرسة. وهي السياسات التي كانت تعتقد بنجاحها العناصر الأكثر تطرفاً في الحكومة مثل رمسفيلد وولفوويتس وتشيني وغيرهم. ورأينا أن تلك السياسات أخفقت بسهولة، لذلك اضطروا إلى التراجع قليلاً وتعديل بعض التكتيكات. فعليك أن تعيش في هذا العالم بغض النظر عن مدى تطرفك. وبالنسبة للأيديولوجية التي تقف وراء الحكومة فإني أعتقد أن هناك تفاوتاً. هذا على صعيد السياسة الدولية. أما على الصعيد المحلي فالأمر أكثر أهمية، فهم عاقدون العزم على تفكيك الإنجازات التقدمية التي تحققت في القرن الماضي. فخلال القرن الماضي، شهدت البلاد كفاحاً شعبياً على مستوى عريض بهدف حماية أفراد الشعب من قوى السوق المهلكة ومن القوة المتنامية للشركات العملاقة والتي كان لها آثار مدمرّة. وتم وضع سياسات ضريبية تقدمية، ومظلة أمن اجتماعي، وإجراءات الصفقة الجديدة، وبعض سياسات الرعاية الصحية والمدارس الجديدة وغير ذلك، وهذه الحكومة عاقدة العزم على نقض هذه الإنجازات جميعها.

جيرمي إيرب: ما هو نوع النهج المحافظ الذي يتبعه هؤلاء؟

هذه المجموعة لا تؤيد الدور المحدود والمقلص للحكومة. وهؤلاء ليسوا محافظين. وفي الواقع أن نفقات الحكومة الفدرالية تضاعفت على وتيرة أسرع في عهد حكومة بوش من أي حكومة أخرى منذ عهد ريغان. وهم الأشخاص أنفسهم الذين كانوا في حكومة ريغان. ويعتقدون اعتقاداً راسخاً بالحكومة القوية والمتسلطة، الحكومة التي تعمل لصالح الأغنياء والأقوياء. أما ما يحدث لعموم الشعب فهو أمر ثانوي. وتتألف هذه الحكومة من أكثر العناصر تشدداً في حكومتي ريغان وبوش الأول، وهي أشد التزاماً بذلك الهدف. إنهم يسعون إلى تقويض البرامج الاجتماعية التي تحمي الطبقة الضعيفة في المجتمع: كالنظام المحدود للرعاية الصحية، ومنظومة الأمن الاجتماعي، والمدارس إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. ونحن الآن من الناحية العملية نخضع لنظام ضريبي ثابت وموحد. وإذا سنحت لهم الفرصة فإنهم لن يترددوا في نقل العبء الضريبي إلى الطبقة الأقل حظاً من المجتمع والتي تشكل 80٪ من السكان. ومعظم السياسات الرامية إلى ذلك هي في موضع التنفيذ، وقد أجلت لعدة سنوات، ولكنها ستعود خلال ثلاثة أو أربعة أعوام بعد تأمين فوزهم في الانتخابات القادمة ليستأنفوا تنفيذ هذه السياسات بشكل أكثر حدّة. ولكني أعتقد ان هذه البرامج واضحة جداً ويسهل على الشخص العادي تمييزها.

إن أفضل التحليلات لهذه السياسات تجدها في صحيفة نيويورك تايمز، وتحديداً في عمود بول كروغمان. ولا تحتاج إلى الذهاب إلى دوائر المعارضة اليسارية لتجد تحليلاً لتلك البرامج لأنها واضحة. إنهم ببساطة يريدون إلغاء القوانين التقدمية التي جاءت نتيجة نضال شعبي على مدى عقود من الزمن، لأن هذه التشريعات لم تكن في يوم من الأيام عطية من السلطة العليا. إنهم يسعون إلى إلغائها وتحويل البلاد إلى بلد طوبائي للسادة. ولا يمكنهم أن يكونوا أكثر صراحة ومجاهرة بذلك.

جيرمي إيرب: لماذا لا توجد معارضة مسموعة ضد سعي الحكومة إلى تقويض هذه البرامج؟ فهذه برامج تحظى بتأييد واسع. هل المسألة من وجهة نظرك تتعلق بتشتيت انتباه الناس نحو قضايا أخرى كي لا يعيروا هذه القضايا الانتباه الذي تستحقه؟ هل لهذا علاقة بكارل روف وغيره من العملاء السياسيين الذين يعرفون مغزى الخوف؟

من الوسائل التقليدية للتحكم بالشعوب هي ترويعهم. وهذه الوسيلة لم تخترع في الولايات المتحدة، وهي تستخدم على نطاق واسع. خذ مثلاً ألمانيا في الثلاثينيات. علينا أن نتذكر أن ألمانيا كانت تتربع على قمة الحضارة الغربية في ذلك الوقت. كانت في القمة في حقول الفن والعلوم والآداب. إن معظم إنجازات الحضارة الغربية حدثت في ألمانيا. فلو كنت ترغب بدراسة الفيزياء وكنت تسكن الولايات المتحدة، لكان عليك أن تتوجه إلى ألمانيا. كانت ألمانيا تشكل مجتمعاً ثقافياً مدنياً متقدماً. ولكن، وعن طريق الخوف، تحول الألمان إلى سفاحين متعطشين للدماء، وارتكبوا أبشع المجازر في تاريخ البشرية. كانوا فزعين ومرعوبين من أن الحضارة الألمانية سوف تدمَّر بفعل هجوم موجه إليها على يد اليهود والبلشفيين. وهذا ليس المثال الوحيد في التاريخ.

واليوم تستخدم الأساليب ذاتها هنا في الولايات المتحدة، والناس لا يحبون هذا التشبيه. ولكن إذا كانوا لا يحبون ذلك، فإن عليهم أن يغيروا الأشياء، لا أن يعترضوا على الحقائق. لقد استطاعت حكومة ريغان، على سبيل المثال، تنفيذ برامج أقل تطرفاً من برامج الحكومة الحالية، ولكنها مشابهة. لذلك، وفي عهد حكومة ريغان، تناقصت معدلات الأجور بالنسبة لغالبية السكان، ربما 70٪ أو 80٪ منهم، وتراجع دخل معظم الأسر، وبالتأكيد لم تتصاعد. وفي الوقت نفسه شهدت فئة صغيرة من المجتمع ثراءً فاحشاً. ولهذا السبب وصف محرر صحيفة وول ستريت جورنال سنوات حكم ريغان بالسنوات "السبع السمان". وقد كانت

حقاً كذلك بالنسبة له ولأصدقائه ولكن ليس بالنسبة لثمانين بالمائة من السكان. كيف استطاعوا البقاء في الحكم على الرغم من أن استطلاعات الرأي كانت تشير إلى معارضة شعبية لسياساتهم؟ كيف نجحوا في الانتخابات؟

فقط أنظر إلى ما حدث. كانوا يضغطون "زر الذعر" كل عام. أولاً، تم بث دعاية مفادها أن هناك مجموعة من الليبيين دخلوا سراً إلى الولايات المتحدة ويحومون حول واشنطن بهدف اغتيال قائدنا الشجاع الكاوبوي (راعي البقر). وجرى إحاطة البيت الأبيض بالدبابات لحمايته من القناصة الليبيين، وعمل اللازم لمنع ذلك. بعد ذلك جاءت غرينادا، والتي يصعب عليك أن تعينها في خارطة العالم. وتوالت الأنباء أن العاصمة العالمية لإنتاج جوزة الطيب تعمل على بناء قاعدة عسكرية لكي تستخدمها في توجيه ضربة ضد الولايات المتحدة، لذلك ارتعشنا خوفاً من غرينادا، وكان علينا أن نحتل تلك الجزيرة قبل أن تقضي علينا. وخرج الرئيس ريغان من البيت الأبيض ليعلن للشعب الأمريكي بعد الاجتياح: "إننا نقف اليوم شامخي الهامة لأننا نجحنا في التغلب على غرينادا". وحصل نحو 6 آلاف عنصر من أفراد القوات الخاصة على 8 آلاف وسام تقديراً على إنجازاتهم في تلك العملية.

وفي أكتوبر من عام 2002، وعندما أقر الكونغرس تشريعاً يمنح الرئيس حق استخدام القوة ضد العراق بسبب الخطر الذي يمثله ذلك البلد على الأمن القومي للولايات المتحدة، كان ذلك الإجراء مثار السخرية والضحك حول العالم. ولكن لم يشر أحد إلى أن الإعلان الصادر عن الكونغرس لم يكن سوى ترديداً لإعلان الطوارئ الوطني الذي أصدره الرئيس ريغان عام 1985. فقد أعلنت حالة الطوارئ العامة بسبب التهديد الذي تفرضه حكومة نيكاراغوا على الأمن القومي للولايات المتحدة، والتي تبعد مسافة يومين بالسيارة من آرلينغتون تكساس. وعلى حد تعبير وزير الخارجية شولتز، كان هؤلاء المردة في نيكاراغوا

يلوحون بنسخ كتاب "كفاحي"(*) مهددين بالتغلب علينا. وكان هذا الإعلان عن حالة الطوارئ يجدد سنوياً. وفي السنة التالية، عادت ليبيا مرة أخرى تهدد من جديد بإيقاع المصائب، وكان على الولايات المتحدة أن تشن هجوماً على ليبيا. وقد استاء الأوروبيون من الممارسات الأمريكية لأنهم يعتبرون أن ما يحدث في حوض البحر الأبيض المتوسط هو من شأنهم، وكانوا يحاولون إيقاف هؤلاء المجانين في البيت الأبيض.

وخلال انعقاد قمة طوكيو عام 1986 أو 1987(*) وزعت حكومة ريغان تقريراً يقول للأوروبيين ما معناه إما أن تتبعونا وإلا فإن الأمريكان المجانين سيمضون قدماً وحدهم ويسيطروا على كل شيء، ويسيروا الأمور بطريقتهم الخاصة. وهكذا أخضعوا أوروبا عن طريق التخويف إلى الانصياع لرغبتهم. وفي الوقت نفسه، استمرت هذه السياسة عاماً بعد عام أو من تهديد إلى آخر.

وتذكّر كيف نجح جورج بوش الأول في الانتخابات: حدث ذلك عندما استخدم كرت العرق. إما أن تصوّت لي وإما أن يغتصب المجرمون السود أختك. كانت تلك هي السمة البارزة في الانتخابات، وهي التي أدت إلى رفع نسبة الأصوات التي حصل عليها. وفي عام 1989 أعلنوا عن مرحلة ثانية من الحرب على المخدرات. وكانت الدعاية هذه المرة بأن مهربي وتجار المخدرات من الهسبانك(*) سيدمروننا ما لم نفعل شيئاً لحماية أنفسنا من هذا الهجوم الكاسح. وخلال أسبوعين، تصاعد الخوف من المخدرات من لا شيء إلى رأس قائمة الأمور التي تشغل بال الناس.

(*) السيرة الذاتية للزعيم الألماني أدولف هتلر والتي شرح فيها مبادئه الفلسفية وطموحاته السياسية لألمانيا.

(*) التاريخ الأول الذي ذكره المتحدث 1986 هو الصواب.

(*) يقصد بهذه التسمية الأشخاص الذين يعيشون في الولايات المتحدة وينحدرون من دول أمريكا اللاتينية التي تتحدث الإسبانية، وغالبيتهم من المكسيك و بورتوريكو و كوبا ودول أمريكا الوسطى.

الجـريمـة، المخـدرات، الليـبـيـون، النيكاراغويون، الفـريناديون، الإرهابيـون العـربـ- كل هؤلاء يهـاجـموننا من جـمـيع الجـهـات. لذلك، علينا أن ننكمش من الخوف تحت مظلة السلطة. وسوف يأتي الكاوبوي لينقذنا من هذا كله.

وعندمـا يقـوم كارل روف باسـتـخـدام هذه الحيل نفـسـهـا، فإنه يقـوم بتكرار مـعـزوفـة مـعـهودة. وعلـى كل مـعلق أن يشـيـر إلى أن كل واحدة من هذه الحيل هي إعـادة لمعـادلـة مـعـروفـة سـبق أن اسـتـخـدمت من قـبل. وبإمكانـك أن تسـأل عن الأسباب، إلا أن حقيقة الأمر هي أن أمريكا دولة خائفة. وهذا يعود إلى ما قبل عهد إدارة ريغان. ومهما كان السبب، فإنه يوجد قدر كبير من الخوف في هذا البلد. خـوف من الأجانب، خـوف من الجـريمـة، خوف من الأمـهـات اللاتـي يتلقين الإعـانة من الحكومـة، خوف من السود، خـوف من الفـرباء، خـوف من كل نوع من الأشـيـاء. ومن السهل استثارة هذا النوع من الخـوف، كمـا حـدث في دول أخـرى. وتعد ألمانيا مثالاً ملفتاً لأنها كانت تتربع على قمة الحضارة الغربيـة. ولم يستغرق هتلر كـثـيـراً من الوقت لتـحـويل الشـعب الألماني إلى مـجـانين سـاخطين. والشيء نفسه ينطبق على تاريخنا نحن هنا أيضاً.

كـانت الولايات المتـحـدة خـلال الحـرب العـالمية الأولـى دولة مسـالمة، وكـانت غـالبيـة الشـعب الأمريكي غيـر راغبـة وغيـر مهتمـة بالتورط فـي الحرب الداخليـة الأوروبية، وهو موقف له مسوغاته العقلية. إلا أن إدارة ويلسون أوجدت أول وكالة متخصصـة بالتوجيه والتضليل الإعلامي، وأول لجنة مشكلة من مجموعة شركات تختص بـالمعلومـات العـامـة. ولـو كـان جـورج أورويل(*) حيـاً لأعـجبتـه هذه الفكرة.

(*) كاتب و روائي وناقد بريطاني (1903-1950) اسمه الأصلي إريك آرثر بلير. ولد في الهند وتلقى تعليمه في بريطانيا. آثر الخدمة في صفوف الشرطة الإمبراطورية الهندية في بورما على الدراسة الجامعية (1922- 1927) وكانت تجربة غيرت حياته وحولته إلى مناضل سياسي. عاد إلى أوروبا وعاش فقيراً وأصبح اشتراكياً. ثم توجه إلى إسبانيا لتغطية الحرب الأسبانية الأهلية وبقي هناك بعد أن التحق بالميلشيات الجمهورية. وبعد تلك التجربة تولد لديه فزع شديد من الشيوعية لدرجة =

ونجحت وكالة التوجيه الإعلامي في تحويل الشعب الأمريكي إلى شعب متعصب مسعور معاد لألمانيا إلى الحد الذي جعل فرقة بوسطن الموسيقية لا تجرؤ على عزف مقطوعة (واغنر)؛ لقد أرادوا تدمير كل شيء ألماني. وهي وسيلة ناجحة. واليوم يصرّح كارل روف وجماعته بكل وضوح بأن هذا الأسلوب سيكون البرنامج الرئيسي للحكومة، ولم يجعلوا ذلك سراً، بل أعلنوه أمام الملأ.

وحسبك أن تلقي نظرة عندما يعقد الحزب الجمهوري مؤتمره العام. وبمحض الصدفة سيعقد هذا المؤتمر في مدينة نيويورك وقبيل ذكرى 11 سبتمبر. وطبعاً هذا ليس له أي علاقة بالمصادفة المحضة. لقد أفصحوا بشكل واضح من خلال أقوالهم وأفعالهم أنهم يريدون السيطرة على جمهور الشعب عن طريق الخوف.

ونجد أن هذه السياسة قد تفشت حول العالم. إلا أن الولايات المتحدة مارست هذه السياسة إلى حد الغلو. وهو أمر خطير بالنظر إلى حجم القوة الأمريكية. واستغل كل نظام يعتمد على القوة أحداث 11 سبتمبر كأداة من أدوات القمع. فقد استخدمته روسيا ذريعة لتكثيف جرائمها الجسيمة في الشيشان، فهي الآن تدافع عن نفسها ضد الإرهاب. وفعلت الصين الشيء نفسه في مقاطعاتها الغربية مضاعفة اضطهادها للأقليات المسلمة بحجة خطر الإرهاب، وفعلت إسرائيل الشيء نفسه في المناطق المحتلة لمحاربة الإرهاب، وليس لمصادرة أراضي الآخرين والاستيلاء على مواردهم المائية. وفعلت إندونيسيا الشيء نفسه. وبشكل عام، شرعت معظم الدول الأكثر ديمقراطية قوانين تحت هذه الذريعة

= انه قدم إلى اجهزة الاستخبارات البريطانية قائمة باسماء زملائه الشيوعيين من البريطانيين. أشهر رواياته الساخرة: مزرعة الحيوانات (1945). ورواية 1984 والتي كتبها عام 1948 ونشرت عام 1949 وهي رواية خيالية ساخرة حول الحكم الدكتاتوري للحزب الواحد. وقد حازت هذه الرواية على إعجاب الكثيرين خصوصاً بعد انتهاء الحرب الباردة.(عن الموسوعة البريطانية بتصرف).

تهدف إلى ضبط شعوبها. ولا تفوت الأنظمة التي تعتمد على القوة الفرص التي تسنح لها. وعليهم تحقيق تلك النتيجة. إنهم لا يتورعون عن استغلال زلزال لتحقيق ذلك الهدف، فكيف بأحداث 11 سبتمبر؟ سيكون الأمر أكثر سهولة بالنسبة لهم. نعم، لقد أثر هذا الحدث على الولايات المتحدة تأثيراً دراميأ. وأثر بشكل آخر في أماكن أخرى حول العالم.

جيرمي إيرب: لنختم بموضوع الانتخابات. كيف ترد على الذين يقولون بأن هناك كثيراً من القوى الهيكلية المؤثرة هنا، وأن الرؤساء ما هم إلا شخصيات توضع في الواجهة، وأن الانتخابات الرئاسية أصبحت شيئاً بالياً. هل هناك شيء مما ذكرته حول هذه الإدارة يجعلها تختلف عن غيرها في هذا النمط من التقليد، ما مدى أهمية هذه الانتخابات؟

هذه المسائل تخضع لحكم الأفراد وقناعاتهم والعوامل المؤسسية هي في غاية الأهمية، كما أن طيف الخيارات السياسية ضيق جداً. ولهذا السبب نجد سوابق في إستراتيجية الأمن القومي في حكومات كلينتون وكندي وغيرها من الحكومات الليبرالية. ونصت إدارة كلينتون في سياساتها الدفاعية العادية وبكل وضوح أن على الولايات المتحدة أن تلجأ إلى استخدام القوة وعلى نحو إنفرادي لحماية الأسواق والموارد. والحقيقة لو تأملت فيما قالوه فإن الأمر يتعدى إستراتيجية الأمن القومي، فهم لم يتحدثوا عن أي خطر. بينما تتحدث إدارة بوش عن خطر مفترض، أما إدارة كلينتون فكانت صريحة وواضحة، إنها السيطرة على الأسواق والموارد.

لذلك، أقول نعم، بإمكانك أن تعود إلى الوراء وتجد سوابق. إلا أن الزمرة الموجودة في البيت الأبيض الآن لها قبضة ضيقة على السلطة السياسية. إنهم يمسكون بالسلطة السياسية بخيط رفيع. وهم عصبة متعجرفة إلى أبعد الحدود.

إنهم مجموعة خطرة من الساسة الرجعيين. وهم ليسوا محافظين، بل رجعيون يؤمنون بالدولة التدخلية. وهم يسعون إلى إلغاء أي شكل من أشكال الدولة التقدمية. والهدف من وجود الحكومة في نظرهم هو لخدمة الأغنياء والأقوياء وليس لخدمة الشعب، وهم متطرفون في عزمهم على استخدام القوة والتهديد بالقوة بكل جرأة وعلانية لتحقيق أهدافهم الدولية. وأعتقد أن هذا في غاية الخطورة. ووضع مثل هذه المجموعة في الحكم لمدة أربع سنوات أخرى لن يكون في منتهى الخطورة وحسب، بل سيجعل من المستحيل إعادة الأمور إلى ما كانت عليه، ولذلك فإن هذه الأمر غير عادي في هذا الجانب من وجهة نظري.

كامبريدج، ماسيتشيوستس

16 يناير، 2003

* *

كفن دناهر

شارك كفن دناهر في تأسيس منظمة التبادل العالمي (غلوبال إكستشينج)، وله عدة مؤلفات، منها: الشركات ستقضي على أملك: العولمة وتقليص الحلم الأمريكي (كومن كريج، 1997)، وكتاب عولم هذا! الصراع ضد منظمة التجارة العالمية (كومن كريج، 2000)، وكتاب دمقرطة الاقتصاد العالمي: الصراع ضد البنك الدولي وصندوق النقد الدولي (كومن كريج، 2001)

ست جالي: من وجهة نظرك، ما هو الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه المحافظون الجدد في هذه الإدارة؟

إذا عدت إلى تاريخ الإمبراطوريات، فستجد أن الأشخاص الذين وصلوا إلى السلطة في ذروة الإمبراطوريات واحدة بعد أخرى، هم في العادة من أصحاب وجهات النظر اليئوسة والمتهورة حول طبيعة الأشياء- أيديولوجية مفرطة في القنوط واليأس. وهذا لأنهم على وشك الأفول، أو لأنهم في حالة أفول. أنظر إلى أرقام الاقتصاد الأمريكي في ميزان المدفوعات: هناك ارتفاع في العجز وصل إلى 5 ترليون دولار في العام: ووصلت المديونية الفدرالية إلى ثلاثة أضعاف الدين الحكومي، أي أن حجم المديونية الأمريكية تساوي ثلاثة أضعاف حجم مديونية حكومات العالم مجتمعة: كما أننا خسرنا ثلاثة ملايين وظيفة في القطاع الصناعي في الأعوام الثلاثة الأولى من حكم بوش. القوة الأمريكية تتهاوى من جوانب متعددة. ويحاول المحافظون الجدد أن يعوضوا هذه الخسارة الاقتصادية بالسطوة العسكرية واستعراض العضلات. والولايات المتحدة اليوم تشتري من الصين معدات إليكترونية وحواسيب أكثر مما تشتريه الصين من

الولايات المتحدة، وهذه فقط بعض المؤشرات، وبإمكانك أن تضع قائمة تتضمن مجلدات بالتفاصيل، وقد قام أناس بوضع هذه القوائم فعلاً. إن ما يحاول المحافظون الجدد فعله هو إطالة أمد الإمبراطورية الأمريكية- التأثير الأمريكي في العالم- عن طريق الهمجية العسكرية، لأنهم عجزوا عن فعل ذلك بوسائل اقتصادية. وسوف يفشلون، كما شاهدنا في العراق. فقد كانوا يتوقعون أن يستقبلوا بالورود والقلوب المفتوحة، وبدلاً من ذلك استقبلوا بالسيارات المفخخة والصواريخ والجنود القتلى.

ست جالي: هل يهم من ينجح في الانتخابات القادمة؟

بالتأكيد سيكون هناك فارق بحسب من سيفوز في الانتخابات القادمة. فمن جانب، هناك هيكل يقف عليه النظام الحالي: شركات تهيمن على صنع القرار السياسي، سواء أكان الجمهوريون في الحكم أم الديمقراطيون. أما الجانب الآخر، فينبع من المستوى التجريدي والفوارق الدقيقة بين الحزبين. ففي القضايا المتعلقة بالبيئة، فإنه لا شك أن وجود آل غور في الحكم هو أفضل من وجود جورج بوش. لقد تحرك بوش لنقض عشرات بل مئات الأنظمة التي تنظم البيئة، وأنا كفيل بأن الشعب الأمريكي لو علم بها، فإن الغالبية العظمى منه ستكون ضدها. وإذا استطلعت آراء الناس حول نقض الأنظمة المتعلقة بالبيئة، فإن 75 إلى 90 ٪ منهم ستكون ضد حكومة بوش. لذلك كان على الحكومة أن تفعل ذلك سراً، وهذا هو سبب عدم انبهاري بمقولة أن بوش قائد قوي، وأن حكومة بوش تتمتع بقوة كبيرة. لديهم القوة لقتل الناس، ولديهم القوة لإلقاء القنابل الفسفورية على العراق والقنابل على أفغانستان. وبالنسبة لي، هذه ليست الطريقة التي ينبغي تسيير الإمبراطورية من خلالها.

إن الإمبراطوريات في واقع الأمر تدمر العملية الديمقراطية لأن مصلحة الإمبراطورية تتفق مع مصالح الأقلية. فالشركات العملاقة متعدية الجنسية

تساهم في الاقتصاد بنسبة 5 إلى 10٪. وجميع صادرات الولايات المتحدة تساهم بنسبة 23٪ فقط من الاقتصاد، لذلك فهم يضحون بـ 77٪ من الاقتصاد الأمريكي - والذي يتشكل من المحال التجارية الصغيرة، والحرفيين والمهنيين المحليين، المطاعم المحلية والخدمات- لمصلحة الشركات العملاقة التي تساهم بـ23٪ فقط في الاقتصاد. ومشكلة الشركات العملاقة متعدية القارات هي أنه ليس لها جذور في أي مكان محدد. وهم مستعدون للذهاب إلى أي مكان في العالم بحثاً عن الربح وهذا هو مكمن قوتهم الاقتصادية: ولا يتوانون لحظة عن إغلاق مصنع هنا ونقله إلى الصين مثلاً. وهذا أيضاً هو مكمن ضعفهم السياسي، لأن بإمكاننا أن نذهب إلى السوق المحلي هنا ونقول للناس: "أنظروا، وول مارت لا يلقون بالاً بمجتمعكم المحلي. وسيؤدي فتح فرع لهم هنا إلى إغلاق المحلات الصغيرة التي تدعم الأسر المحلية." ولو تجولت في شوارع مدينة كالورادو مثلاً، فستجد أن معظم المتاجر الصغيرة مغلقة، وإذا سألت الناس هناك "ما الذي حدث؟" فسيقولون لك لقد افتتح وول مارت فرعا له في المنطقة. لذلك فإننا نشهد الآن حركة شعبية مضادة، ولدينا أمثلة من مئات المدن والبلدات التي قام فيها السكان المحليون بالوقوف في وجه هذه المحلات ومنعها من فتح فروع لها.

يوجد أعداد كبيرة من الناس ممن لديهم الاستعداد لسماع رسالة مضادة لرسالة المحافظين الجدد. وبمجرد علم الناس بأن هذه الزمرة ليس لهم هدف بأقل من نسف الدستور الأمريكي، فإنك ستجد أعداد غفيرة من أعضاء جمعية مقتني البنادق - الذين يحتفظون ببنادقهم معلقة في مكان مخصص لها في غرفة الجلوس في بيوتهم- على استعداد لدعم هذه الحركة لتغيير طبيعة صنع القرار السياسي في واشنطن. إن عملية صنع القرار السياسي في الوقت الحاضر مصممة بحيث تناسب الشركات العملاقة العابرة للقارات وليس مصلحة

المجتمع المحلي، وإذا لم نتمكن من إقناع السكان المحليين وتوضيح المسألة لهم، فإننا لا نكون قد أدينا رسالتنا بالشكل المطلوب.

ست جالي: كيف يسعى المحافظون الجدد إلى نسف المبادئ الأساسية للدستور؟

لقد قاموا بتقليص الدستور فعلاً. خذ مثلاً التعديل الرابع للدستور والمتعلق بالتفتيش غير القانوني والأدلة التي يتم الحصول عليها بطرق مخالفة للأصول. بإمكانهم الآن التوجه إلى بيتك دون الحصول على أي قرار من المحكمة أو مذكرة تفتيش أو شيء من هذا القبيل. وبهدف إبقائنا تحت تأثير تحذير الإرهاب البرتقالي، أو المستوى المحدد لتلك اللحظة. فهم الآن يملكون الحق بدخول منزلك أو منزلي ويضعوا أجهزة تتصت على هاتفك وفي غرف منزلك، ويأخذوا منه ما يجدونه من وثائق، ويصوّرها، دون إخبارك بما فعلوه، ودون أن يتعرضوا لأية مساءلة. هل هذا هو ما قاتل من أجله آباؤنا في الثورة ضد الملك جورج؟ أومن أجل هذا بذل أسلافنا أرواحهم في حركة الحقوق المدنية، وضحوا بأنفسهم من أجل الحق بالتصويت؟ هل أصبح هذا الحق أمراً غير مهم؟ وهل يقبل أن يتم اختيار الرئيس بفارق صوت واحد في المحكمة العليا؟

ولكن معذرة، فأنا لا أعتقد أن المحكمة العليا هي المكلفة باختيار الرئيس: إن الشعب الأمريكي هو صاحب الحق باختيار الرئيس. اذهب إلى السوق واسأل المواطن العادي عن الهيئة الانتخابية، وانظر إذا كنت ستحصل على أي معلومات حول الآليات الإقليمية لانتخاب الرئيس. ودعني أخمّن إذا كان أعضاء هيئة الانتخاب هم الناخبون أم لا، وأنهم من ذوي الدخل المرتفع أو المتدني. كل شخص يعرف الجواب! إنه نظام مشّوه: إنه نظام مزيّف، وستنشأ حركة تطالب بالعودة إلى المبدأ الأساسي الذي قامت عليه البلاد، وهو مبدأ السيادة، والسيادة هي السلطة السياسية العليا، القوة السياسية العظمى، والسيادة في نظامنا ليست

للكونغرس، وليست للبيت الأبيض، وليست للمحكمة العليا، إنها للشعب. إن السلطة الرابعة في الدولة يجب أن يكون لها السيادة على السلطات الثلاث الأخرى]التنفيذية، والتشريعية، والقضائية .[جورج بوش ما هو إلا موظف عام ويقيم في مسكن عام، ومع أنه منزل فاره، إلا أن ملكيته تعود للشعب.

ويقترح جم هايتاورز أن يخصص لأعضاء الكونغرس زي موحد وهو عبارة عن (افرهول) توضع عليه شعار الشركات بحجم يتناسب مع مقدار الأموال التي قدمتها تلك الشركات لكل عضو. ولم لا، فموظفو الخدمات المدنية الأخرى يلبسون زياً موحداً كأفراد الأمن العام ورجال الدفاع المدني، ويجب على أعضاء الكونغرس بوصفهم موظفي خدمة مدنية أن يلبسوا زياً موحداً مثلهم. صحيح انهم يتقاضون رواتب مرتفعة، ولكنك إذا قدمت لي مائة وخمسين الف دولار سنوياً فإنني على استعداد للبس زي بهلوان إذا رغبت. وسألبس اي زي يطلب مني الناس أن ألبسه. ويجب أن يكون هناك شفافية في العمل. السيادة للشعب وهؤلاء الساسة مستخدمون لدى الشعب: يعملون لصالحنا. إنهم موظفو خدمة عامة ويجب أن نملك الحق بخلعهم عن وظائفهم بسرعة كبيرة إذا كان ذلك ضرورياً. هذه المبادئ الأساسية لن تزول، ولن يتمكن أحد من إلغائها. إن هذه الحركة تمتد في طبقات جديدة وتتغلغل في جيل الشباب الناشئ المتحمس. إنهم بمنتصف عمري ولديهم أضعاف ما لدي من الطاقة للعمل، ويبتكرون كل يوم وسائل جديدة لبناء هذه الحركة. وبالنتيجة، فإنني أرى هذه النزعة المحافظة الجديدة كعامل معوّق ومعرقل للفكر المحافظ: فقد بات المحافظون يمسكون الأمور بأظافرهم، وتوشك أن تنفلت من أيديهم، والورقة الرئيسة المتبقية بأيديهم هي العنف. العنف والخوف والجهل والعدوانية والعنصرية. وهذه الأمور لا يمكنك أن تبني عليها المستقبل. إنها أساس واهن لبناء أي شيء، إنها أساس خشبي متعفن.

ست جالي: ما هي تبعات هذه النظرة الضيقة للمحافظين الجدد؟

يجب التعامل مع النفط الموجود لدينا بحرص شديد، وأن يستخدم حصراً في الصناعات البلاستيكية الخاصة ومكونات الأشياء التي لا يمكن صنعها إلا بمكونات النفط. هناك تقنيات كثيرة ومن الحكمة استخدامها بدلاً من النفط - خلايا الطاقة الهيدروجينية، على سبيل المثال - كما أن تقنية الوسائل البديلة للطاقة تتطور في البلاد التي تنوي فعلاً تطويرها. فمثلاً، تقول شركة تويوتا اليابانية بأنه مع حلول عام 2012 ستكون المحركات التي تصنعها مصممة لاستخدام وسائل الطاقة البديلة. وبإمكان شركات فورد وجنرال موتورز والشركات الأمريكية الأخرى أن تفعل الشيء نفسه، ولكنها لم تفعل لأنها تتمتع بقوة احتكارية كبيرة. وتمارس هذه الشركات تأثيراً كبيراً على الحكومة الأمريكية، وتسيطر على الجهاز التشريعي. إذن فنحن أمام انغلاق هيكلي. وهذه القوة السياسية والتأثير الكبير الذي تتمتع به هذه الشركات يمكنها من تجنب التغيرات الضرورية التي كان عليها أن تبدأ بها من قبل لو كان القائمون عليها أذكياء حقاً ولديهم تفكير مستقبلي لخمسين أو مائة عام. ولكن تفكيرهم لا يتعدى تقرير بيان الأرباح للربع السنوي القادم. لذلك فإن هذه الشركات ستخسر في هذا الصراع، وسينهار الاقتصاد الأمريكي- وهذا قادم لا محال. إن عجز ميزان المدفوعات الأمريكي يبلغ الآن 5 ترليون دولار في العام. ووصل عام 2002 إلى 4.9 ترليون - أي نصف مجموع الناتج القومي الإجمالي. ويبلغ الناتج القومي الإجمالي حوالي 11 ترليون. ومجموع المديونية العامة للحكومة الاتحادية 7 ترليون دولار. ثلاثة أضعاف جميع ديون حكومات العالم مجتمعة. وهذا الرقم لا يشمل مخصصات البرامج الاجتماعية الإلزامية كالتأمين الطبي، وصندوق التقاعد، وتقاعد الجيش، والضمان الاجتماعي. فإذا أضفت ذلك، فإن الرقم سيصل إلى 25 ترليون. إذن، هذه المديونية التي أوجدها هؤلاء في ولايتي ريغان

وولاية بوش الأب. ما هي المديونية؟ إنها اختلاس من أموال الأجيال القادمة، أخذ مدخراتهم وصرفها في الوقت الحاضر.

إن السبيل الوحيد التي تستطيع من خلالها الحكومة الأمريكية والاحتياط الفدرالي مواجهة هذا الوضع هو برفع أسعار الفائدة لجذب الأموال ثانية، وهذا هو ما كان يفعله صندوق النقد الدولي والبنك الدولي في الأرجنتين والبرازيل ودول العالم الثالث. وماذا كانت النتيجة؟ إن هذه السياسات تحابي جلب الرأسمال الأجنبي وغلق الأعمال الصغيرة المحلية. لأن المحل التجاري الذي يرغب بالتوسع في البلدة ليس بمقدوره تحمل معدلات الفائدة المرتفعة. وإذا كنت ترغب بشراء منزل فإنك لا تستطيع تحمل أقساط القرض العقاري، وإذا أردت شراء سيارة جديدة فستجد نفسك غير قادر على دفع الفوائد المرتفعة. إنها سياسات تحابي المصالح المالية على حساب المصالح الشعبية. وعندما يحدث ذلك، فإنك ستكون أمام ثورة شعبية عارمة ضد هؤلاء الجهلة.

ست جالي: برأيكم، هل ينطلق المحافظون الجدد من معتقدات دينية إضافة إلى القناعات السياسية؟

باعتقادي أنهم يلعبون لعبة دينية أكبر بكثير حدود معتقداتهم الحقيقية. فلو كنت تعتقد بالإله القوي الخالق الخفي الظاهر الباطن كما كنا ندرس في المدارس الكاثوليكية في صغرنا، فإنك لا تقدم على قتل الناس، ولا تلقي بالقنابل الفسفورية فوق بغداد، ولا تقتحم بيوت الناس في العراق وتضع الرجال على الأرض وفوق رؤوسهم الأكياس وأيدهم مكبلة خلف ظهورهم، بينما تنظر إليهم النساء والأطفال. إذا قام أشخاص بفعل ذلك في بيتي فماذا تتوقع أن يكون سلوكي تجاههم بعد أن يقولوا لي معذرة، لقد اقتحمنا منزلك بطريق الخطأ. ما من شك في أنني سأحمل في نفسي مشاعر السخط والاستياء. ولو قام شخص واحتل الولايات المتحدة فإن الأشخاص الذين يدعمون بوش سيكونون في مقدمة

الذين يقاومون المحتل الأجنبي. إذن، فلماذا لا يقاتل الشعب العراقي الوجود الأمريكي في العراق؟

يسعى بوش وأعوانه إلى إشعال حرب عالمية ثالثة. وما يريده هؤلاء الأشرار هو أن يكون العالم على شاكلة إسرائيل وفلسطين: قتل، واغتيالات، وتفجيرات، وجدران عازلة. فهل هذا هو الطريق الذي نريد أن نسير فيه؟ إنه الطريق الذي يقودوننا عبره. وعندما وقعت هجمات 11 سبتمبر استخدموا ذلك الحدث ذريعة لتنفيذ لأجندهم. لم يكن ما فعلوه ردا على ما حدث، وحتى هذا اليوم ما زلنا لا نعرف ما الذي حدث على وجه الحقيقة. إننا نعلم أن البنتاغون، وهو الجهة المسئولة عن حماية فضائنا، يقوم بحجب الوثائق والمعلومات عن لجنة الكونغرس المكلفة بالتحقيق بما حدث. إنهم يرفضون الكشف عن تلك المعلومات، على الرغم من أنهم موظفو خدمة عامة وهذه المعلومات تعود ملكيتها إلى الشعب. ولكن دعك من ذلك كله وانظر إلى الرد على ما حدث: لقد جعلوا من 11 سبتمبر فرصة للقيام بمغامرات عسكرية حول العالم بدلا من تركيز جهودهم وتوجيهها نحو القبض على من ارتكب ذلك الفعل، وتقديمهم للمحاكمة ووضعهم في السجن، والطلب من حكومات العالم أن تتعاون معنا ضمن إطار من العدالة الجنائية- وليس ضمن إطار الحرب- لأن هؤلاء الأشخاص مجرمون.

ست جالي: ما هو الخطر على المواطن الأمريكي العادي من معاملة أسامة بن لادن على انه مقاتل إسلامي يسعى للإطاحة بالولايات المتحدة بدلاً من معاملته كمجرم؟

إن ابن لادن ومجموعته ليسوا فرساناً محاربين. ولكن بوش يصفهم بالمحاربين، وهم ليسوا كذلك في نظري. إن من يقتل المدنيين العزل ليس محارباً. لأن المحارب هو شخص يقاتل فرساناً آخرين في ساحة المعركة وليس المدنيين العزل. ويطلق على أمثال ابن لادن في شوارع نيو جيرسي التي نشأت فيها وصف

"قاطع الطريق" أو "الأزعر". وبدلاً من وضع هؤلاء الأشخاص في المكان اللائق بهم مكان المجرمين الخارجين على القانون، فإن بوش رفعهم إلى مرتبة المحاربين المقاتلين على مستوى القوة العظمى الوحيدة في العالم. وذلك هو منتهى الغباء لأن فيه دعم وتعزيز لهم.

وقد يعلم بوش وجماعته ذلك: لأن هذا النقد ليس مقصوراً على المراقبين في اليسار. إنهم يعلمون ذلك ويقرونه لأنهم بحاجة إلى إيجاد تهديد ضخم هائل. وإذا كان هدفهم هو إغلاق أمريكا والقيام بفتوحات عسكرية حول العالم، فإنهم لن يسمحوا للمواطنين بالتشكيك في تلك السياسة. لذلك كان يتحتم عليهم تخويف المواطن الأمريكي إلى حد الغباء وهذا هو مشروعهم: أن يجعلونا أغبياء خائفين.

ومشكلتي هي أنني كنت في واشنطن العاصمة، ووقفت أمام صرح جفرسون التذكاري وسط الليل، وقرأت العبارات المأثورة عن جفرسون والمنقوشة على الجدران الرخامية للصرح. ولو نظرت داخل القبة المستديرة أعلى البناية لأمكنك قراءة القول المفضل لدي - وعليك أن تلتفت إلى الخلف لكي تقراه- ونصه: "على مذبح الرب، أقسم على إعلان عداوتي الدائمة لأي قيود تفرضها الحكومة على العقول الحرة لأفراد الشعب".

إن العقول الحرة للشعب هي حجر الأساس الذي تقوم عليه الديمقراطية. ويسعى هؤلاء الأشخاص الذين يمسكون بزمام السلطة الآن إلى تدمير عقول الناس وتشويه تفكيرهم، ونسف الدستور، وكل شيء آخر له قيمة في نظامنا السياسي. وهذا النظام الديمقراطي، وعلى الرغم من كل عيوبه، إلا أنه يبقى إنجازاً تاريخياً. لقد كنا أول "دولة أمة" تضع مبدأ أن السيادة ومنتهى السلطة السياسية هي بيد الشعب. وهو مفهوم راديكالي أساساً. أما هؤلاء الأشخاص، فإنهم لا يحبون مضامين هذا المبدأ لأنه لا ينسجم مع حكم الأقلية وثروة الأقلية.

لذلك فهم مصممون على تدميره. إلا أنهم لن يفلحوا في سعيهم هذا. وأنا واثق من أنهم لن يفلحوا.

ست جالي: ما هو تقويمكم للانتخابات الرئاسية القادمة؟

مهما كانت نتائج الانتخابات المقبلة، وسواء أعيد انتخاب بوش أم وصل الديمقراطيون إلى البيت الأبيض، فإن النظام سوف يتحول باتجاه راديكالي وسريع. سوف يبتعد النظام عن دكتاتورية القلّة وعن السياسات الاقتصادية التي ستدمر الطبيعة ويعود إلى الديمقراطية الحقيقية التي توجد فيها مشاركة حقيقية وسيطرة من المجتمع، واقتصاد متناغم مع البيئة. وهذا سوف يحدث: ولا أقول ذلك من باب التكهن. سوف يحدث لأن الطبيعة هي كالفريق الذي يلعب على أرضه وينشط في النهاية. إن ارتفاع درجة حرارة الكرة الأرضية، واستنزاف التربة وتسميم وتلويث باطن الأرض ومصادر المياه، والظواهر الجوية الغريبة، وذوبان الجبال القطبية والغطاء الثلجي القطبي، كل هذا قادم. وسوف ينضب النفط خلال الثلاثين أو الأربعين عاماً القادمة، وسيكون هناك احتشاد وحالات وفاة بالملايين، الأمر الذي سيحدث صدمة في الناس ويخرجهم من حالة اللامبالاة وعدم الاكتراث التي نشهدها.

يقول دانتيه(*) إن أحمى أجزاء جهنم مخصصة لأولئك الذين يلزمون الحياد في أوقات الأزمات الأخلاقية. ليس مطلوباً منك أن تحكم عليهم إذا كانوا أشخاصاً سيئين أم لا. فقط الزم الحياد. إن الأرضية التي تقف عليها في حيادك تزداد رقة يوماً بعد يوم بفعل تزايد الظلم والإجحاف، والأزمات الاجتماعية والأزمات البيئية. وتوجد براهين وأدلة واضحة وكبيرة أمام أعيننا، فكم ينبغي أن يكون حجم الغشاوة لكي لا نرى ما يحدث أمامنا؟ إن هذه الغشاوة

(*) شاعر وفيلسوف إيطالي (1265-1321) صاحب الكوميديا الإلهية.

لا يمكن أن تبقى إلى الأبد. وعندما يشاهد الناس كل هذه الدلائل على عدم المساواة الاجتماعية وفظائع التدمير البيئي، فإنهم سيختارون التدخل والانخراط في عملية التغيير. وبإمكانك أن ترى ذلك الآن من خلال الإحصاءات. هناك تزايد في الطلب على الزراعة الطبيعية الخالية من المواد والأسمدة الكيماوية، وتوليد الطاقة بفعل الرياح، والطاقة الشمسية وإعادة تصنيع الأشياء. كل هذه المظاهر المختلفة لا تشكل ثورة بحد ذاتها، إلا أنها تشكل تحولات ثورية وجذرية لو نظرنا إليها مجتمعة. إننا نقف الآن على مشارف عملية تحول تاريخي نحو نوع جديد من المواطنة العالمية وتحمل المسؤولية تجاه كوكبنا الأرضي. إن هذا الوعي موجود وتتعمق جذوره بين شعوب الأرض في حركة عولمة شعبية. وسوف تكون الغلبة لهذه الحركة، والسؤال الوحيد هو كم سيستغرق ذلك من الوقت، هذا كل ما في الأمر: كم سيستغرق من الوقت؟ وسوف يتحقق ذلك.

سان فرانسيسكو

23 يناير، 2004

❀ ❀

مارك دانر

مارك دانر استاذ الصحافة في جامعة كاليفورنيا بيركلي، وكاتب في مجلة نيويوركر، وله عدة مؤلفات، ابرزها: منبحة إلْ موزوت: التشابه مع الحرب الباردة (فينتيج، 1994) وكتاب ما وراء الجبال: تراث دوفالير (بنثيون، 1993). واحدث كتبه الطريق إلى عدم الشرعية: ما الذي حدث فعلاً في إعادة إحصاء الأصوات في فلوريدا عام 2000 (ميلفيل هاوس، 2004). وله كثير من المقالات حول الحرب في العراق نشرت في نيويورك ريفيو اوف بوكس.

جيرمي إيرب: في مقابلة أجرتها معكم محطة بي بي اس قبل بدء الحرب بشهر ذكرت انك غير متأكد من هو الطرف الذي فاز في صراع الأفكار والتوجهات في البيت الأبيض. كانت المسألة غير محسومة بعد: هل ستكون الغلبة للواقعيين من جماعة بوش الأب مثل كولن باول، ام انها ستكون لرمسفيلد وولفوويتس والمتشددين؟ وأنا اتساءل إذا كنت لاحظت حدوث تغيير او تطور بعد تسعة اشهر من بداية الحرب؟

لقد تعودنا عند الحديث عن الحكومة أن نتحدث عنها بوصفها كتلة واحدة: فنقول بأن حكومة بوش تفعل كذا، أو قامت بكذا. وبالطبع فإن الحكومة تضم عدداً كبيراً من الأشخاص الذين يتنافسون فيما بينهم وبخاصة حول المواقف المثيرة للجدل. والتي من بينها الحرب على العراق. لذلك فإن الصراع حول أي السياسات الواجب اتباعها لن يتوقف.

والحرب بذاتها كانت نصراً لطليعة المحافظين الجدد في الحكومة والذين تتركز قياداتهم في الرتب المدنية والقيادة العليا في البنتاغون. إلا أن الصراع ما

زال مستمراً. ويختلف تحديد الحرب باختلاف الأشخاص ومصالح الجماعات التي تدفع باتجاهها من طرق مختلفة. فزمرة المحافظين الجدد يرون أن الحرب ضرورية لبناء الديمقراطية في الشرق الأوسط، وانها رد فعل ضروري على تهديد 11 سبتمبر والإرهاب وذلك بإعادة تطوير المنطقة. وعلى ذلك فهدفهم أيديولوجي. ولكن هناك ايضاً اشخاص كثر ممن ركب موجة الحرب لأسباب واقعية تقليدية. وربما كان رمسفيلد وتشيني من هؤلاء.

يصعب على المرء ان يحدد هؤلاء الأشخاص تحديداً دقيقاً، إلا ان الأسباب الواقعية التقليدية كانت تقضي بأن الخليج العربي ضروري للاقتصاد الأمريكي والسياسة الخارجية الأمريكية. وهو مهم بالنسبة للمصالح القومية الأمريكية، وهذه المنطقة لا يمكن تأمينها إلا إذا أزيل صدام حسين من فم الخليج العربي. وربما اشترك هؤلاء ولدرجة ما مع الفئة الأخرى بهدف الديمقراطية إلا أنه ليس من الأهداف المهمة بالنسبة لهم. ويمكن القول بأن الحرب والنتائج الأولية للمعارك التي وقعت في مارس وأبريل قد زعزعت موقف المؤيدين المتحمسين للحرب لأهداف أيديولوجية، وأعطت مزيداً من القوة للطرف الذي كان يشكك بالأهداف الأيديولوجية العريضة ولفكرة أن بالإمكان تحويل الشرق الأوسط، وتحويل العراق وبتكلفة زهيدة، وأن العملية لا تتطلب جيشاً كثير العدد، أو احتلالاً طويل الأمد، وأن الجنود الأمريكيين سيستقبلون بالورود والحلوى. وقد تبين أن هذه الإدعاءات كلها غير صحيحة، مما يثبت ما كان يقوله الواقعيون منذ البداية: أن الحرب ستكون أمراً صعباً ومعقداً، وانه يجب ان تكون أهدافنا متواضعة.

ويمكنني القول بعد عام من بدء الحرب أن طليعة المحافظين الجدد الذين دقوا طبول هذه الحرب هم في حالة من التراجع الآن. وهذا لا يعني بحال من الأحوال أن المعركة قد انتهت، لأن محصلة ذلك كله ستتحدد بأوجه الميول

السياسية أيضاً: الأمور التي ينجذب نحوها الشعب الأمريكي. فنحن على وشك الدخول في معركة انتخابية سوف تتطلب إعادة إحياء وبعث خطاب المحافظين الجدد حول الحرية، والديمقراطية، وتحويل الشرق الأوسط، وهي شعارات مفيدة من الناحية السياسية لأنها واضحة، ومستقاة من مبادئ عريضة، ومسبوكة بطريقة درامية، وتتوافق مع أيديولوجية شعبية أمريكية حول الدور الذي يجب أن تلعبه الولايات المتحدة في العالم: يجب أن تعمل على نشر الديمقراطية وتحطيم الدكتاتوريات. وهذا هو الشعار الذي رفعه ترومان عندما أعلن عن مذهبه. وهو مبدأ معروف في تاريخ السياسية الخارجية الأمريكية. لذلك، فإني لا أعتقد أن اللعبة قد انتهت بعد. وأعتقد أن المحافظين الجدد أصيبوا ببعض الخسائر الجسيمة إلا أنهم جميعاً ما زالوا في مواقعهم، وما زالوا على رأس مناصبهم التي كانوا يشغلونها مع بداية الحرب. وكانت بعض الأخطاء التي ارتكبوها في غاية الجسامة، ومع ذلك لم تسفر عن طرد أي منهم من وظيفته أو منصبه.

جيرمي إيرب: أنت تتحدث عن المحافظين الجدد. من هم هؤلاء الأشخاص؟ وما هي اوجه الاختلاف بينهم وبين المحافظين التقليديين، وما هي خلفيتهم؟

عندما تبدأ بالحديث عن المحافظين الجدد، أو عن المصطلح الجديد الذي بدأ يستخدم مؤخراً مع شديد الأسف "محبي النهج المحافظ"، فإنك تصل إلى تاريخ الفكر السياسي إلى ما قبل 30 إلى 40 عاماً، وفي العادة يقال عن المحافظين الجدد بأنهم ليبراليون خدعتهم الحقيقة والواقع. وكان الجيل الأول منهم مفكرين يساريين خلال الخمسينيات والستينيات، وتحول عدد منهم إلى الاتجاه المحافظ في أواخر الستينيات وبداية السبعينيات كردة فعل على ما رأوا أنه غلو اليسار. فبعد أن شاهدوا اليسار الجديد أواخر السبعينيات، وهزيمة

الولايات المتحدة في فيتنام تحوّلوا إلى النهج المحافظ. ومن بينهم عدد كبير من الكتاب اليهود الذين تربطهم بإسرائيل روابط قوية. وهذا الوصف لا ينطبق على الجميع بأي حال، إلا أن بعض البارزين ومنهم إيرفنغ كريستول، وهو والد ويليام كريستول، ناشر مجلة ويكلي ستاندرد في هذه الحركة، ونورمان بودهورتز، وهو صهر إلّيت إبرامز الذي يعمل في مجلس الأمن القومي.

هذه هي نواة الجيل الأول من المحافظين الجدد. كانوا من اليساريين اليهود، التحق بعضهم بكلية ستي كينغ، وجامعة ستيت في نيويورك، وكانوا من أتباع ليون تروتسكي(*)، ومن البارزين اليساريين خلال فترة شبابهم يناضلون من أجل أمريكا أفضل. وفي أواخر الستينيات قرروا بأن التيار اليساري فقد عقله وأصبح مسعوراً؛ وأصبح معادياً لأمريكا. لذلك انتقلوا إلى المعسكر المحافظ- ويقال لهم "جدد" لأنهم لم ينشأوا محافظين، بل تحولوا إلى هذا المعسكر السياسي المقابل. وقام عدد منهم بتكوين جماعات مثل: اللجنة الخاصة بالخطر الداهم، على سبيل المثال، في أواخر السبعينيات، وكانت تروج للفكرة القائلة بأن الولايات المتحدة كانت مخطئة في تقدير الخطر السوفييتي وأنها قللت كثيراً من شأنه. وقاموا بتشكيل لجان مماثلة بهدف توجيه الانتقاد لحكومة كارتر ناعين عليها ميولها اليسارية وتساهلها مع السوفييت.

(*) ليون تروتسكي. (1879-1940): اسمه الأصلي ليف ديفيدوفيتش برونستاين ولد في بلدة يانوفكا في أوكرانيا. كان أبوه مزارعاً يهودياً ناجحاً. وتلقى تعليمه الأساسي في مدرسة يهودية. ثم التحق بعدها بالمدارس الحكومية. ومن هناك أصبح من أنصار الماركسية والتحق بالحزب الديمقراطي الاشتراكي. تعرض للسجن والنفي عام 1898 بسبب نشاطاته الثورية. ولكنه عاد ليصبح أحد قادة الثورة البلشفية 1917 وتقلد عدة مناصب حكومة الاتحاد السوفييتي (1917-1924). وبعد موت فلاديمير إليتش لينين برز جوزيف ستالين كزعيم للبلاد متغلباً على خصمه اللدود تروتسكي. وتعرض تروتسكي على خلفية الصراع الأيديولوجي مع ستالين إلى الطرد من الحزب الشيوعي الحاكم والنفي خارج الاتحاد السوفييتي فقدم إلى نيويورك ثم استقر به المنفى في مدينة المكسيك عاصمة دولة المكسيك. وفيها لقي حتفه عام 1940 على يد أحد عملاء ستالين.(عن موسوعة إنكارتا بتصرف).

وعندما نعاين أشخاصاً مثل بول ولفوويتس نائب وزير الدفاع، وريتشارد بيرل من مجلس سياسة الدفاع. وكلاهما كانا على ارتباط بحكومة ريغان - على الأقل بالنسبة لولفوويتس- وحكومة بوش الأول. فنحن أمام الجيل الثاني من المحافظين الجدد. وكلاهما (ولفوويتس وبيرل) على علاقة بالسيناتور هنري جاكسون من واشنطن، وهو أيضاً من الرموز المهمة في حركة المحافظين الجدد. وكان جاكسون من الحزب الديمقراطي إلا مواقفه في قضايا الدفاع كانت يمينية.

جاءت هذه المجموعة من المفكرين والساسة من الحزب الديمقراطي. وتحول عدد كبير منهم إلى الحزب الجمهوري. والأمر المهم بشأنهم هو أنهم جلبوا معهم إلى اليمين هذا الصنف من السياسات الثورية التي بدأت في اليسار. وبإمكانك مشاهدة هذه النزعة الثورية عندما تنظر إلى فكرة جلب الديمقراطية للشرق الأوسط. هذه هي السبيل لحل المشكلة. والحل الأمثل لمشكلة الإرهاب، في نظرهم، لا يكون باحتواء المشكلة، بل بالغوص إلى أعماق جذور المشكلة وإحداث ثورة ديمقراطية في الشرق الأوسط، بدءاً من العراق. ونلاحظ أن هذا التفكير والحلول المبنية عليه ليست من النهج المحافظ التقليدي بشيء. إذ من الواضح أن المحافظين يسعون إلى المحافظة: وليس إلى الثورات، ومع ذلك فإننا أمام مشروع للمحافظين الجدد هو في حد ذاته مشروع ثوري في الشرق الأوسط.

وكثيراً ما نشاهد هذه الصلة اللصيقة بإسرائيل. ولعل أحد أسباب التغيير الذي طرأ في السبعينيات وأوائل الثمانينيات وتمثل بانتقال عدد كبير من مؤيدي إسرائيل إلى اليمين هو شعورهم بأن السياسية الخارجية الضعيفة للحزب الديمقراطي والتي تقوم على مهادنة الاتحاد السوفييتي هي سياسة مضرة في النهاية بإسرائيل، لأن هذه السياسة لا تحمي إسرائيل من الدول التي كانت متحالفة في ذلك الوقت مع الاتحاد السوفييتي، بما فيها سوريا والعراق.

وكما قلت من قبل، فنحن الآن بصدد طبقات متشعبة ومعقدة من تاريخ الفكر السياسي الأمريكي، تاريخ ما بعد الحرب (العالمية الثانية). ونجد في خلفية بول ولفوويتس صلة بشخص يدعى ألبيرت هوليستر وهو أحد منظري سياسات الدفاع الأمريكية ومن أصحاب النفوذ والتأثير في الدوائر الحكومية الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية. واشتهرت عنه نظريات مثل نظرية "دحر العدو إلى الوراء" وهي درجة أخرى في هذا النقاش. أما الاتفاق العام في الرأي بشأن السياسة الخارجية في حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية فكان من صنع شخص يدعى جورج كينان، وهو مفكر سياسي كان يعمل في وزارة الخارجية، وشغل بعدها منصب سفير الولايات المتحدة في الاتحاد السوفييتي، وفي يوغوسلافيا. وقد عمل كينان على تطوير ما يسمى "سياسة الاحتواء". وفكرة الاحتواء، بشكل مبسط، هي أن الاتحاد السوفييتي موجود، ويشكل نداً قوياً للولايات المتحدة، إلا أنه قائم على عدد من التناقضات. ولا يمكن لنظامه السياسي أن يستمر إلى ما لا نهاية. ولكي تتمكن الولايات المتحدة من هزيمته في حرب باردة دون الدخول في مواجهة حامية - لأن وجود الأسلحة النووية لدى الطرفين جعل من الحرب الساخنة خياراً مستبعداً- فإنه لا بد من تطويقه، واحتوائه، ومنعه من الحصول على مزيد من الحلفاء، ومنعه من التوسع، واحتوائه أخيراً عن طريق "قوة مضادة سرية" وهو التعبير الذي استخدم حينها، ومنع الاتحاد السوفييتي من التوسع. وهذا كفيل بانهيار تلك الدولة على أركانها. هذه هي فكرة الاحتواء. وكانت تشكل سياسة الولايات المتحدة على مدى أكثر من خمسين عاماً.

شعر المؤيدون لسياسة "الدحر إلى الخلف" بأن سياسة "الاحتواء" سياسة غير أخلاقية. بمعنى أن الولايات المتحدة التي تأسست على أفكار الحرية وأن الناس خلقوا ومعهم حقوق لصيقة بهم لا يمكن فصلها عنهم، لا يعقل أن تتبنى

سياسة تقبل بوجود الاتحاد السوفييتي، هذا الكيان الشرير وغير الأخلاقي، كجزء من العالم. وأنه يتوجب على الولايات المتحدة أن تتبنى سياسة يكون جوهرها نشر الحرية والعمل على إقامتها في الدول الأخرى والشعوب الأخرى(*).

وأساس هذا الموقف هو الفكرة القائلة بوجوب دحر تقدم الاتحاد السوفييتي وتحرير الشعوب الرازحة تحت قبضة حكمه وبطشه، كدول أوروبا الشرقية. وهكذا نشاهد الصراع حول خطط السياسة الخارجية الأمريكية مع بداية الخمسينيات. والسبب وراء استعراضي لهذه التفاصيل هو لملاحظة أن هذه النوع من الفلسفة كان موجوداً ولكن تحت السطح قبل أربعين عاماً. واليوم، وفي عهد حكومة بوش الثاني انتقلت هذه الفلسفة إلى المقدمة وأصبحت تشكل السياسة الرسمية للحكومة: الحكومة الأمريكية ملتزمة بنشر الحرية حول العالم: وأن الوضع القائم ليس وضعاً أخلاقياً. وقدمت أحداث 11 سبتمبر الفرصة لنشر الحرية في الشرق الأوسط. وعلينا أن نواجه مثل هذا التهديد ومثل هذه الفرصة من أجل نشر المثل والمبادئ الأمريكية، ونشر الديمقراطية بين هذه الشعوب المسكينة، التي لا تحلم بها.

وتأتي أهمية النظر إلى هذه القضية من منظور تاريخي حين نعاين الحقبة التي شهدت أوج القوة الأمريكية والتي استمرت على مدى نصف قرن من الزمان. لأن هذه الفكرة تعتبر فكرة متطرفة جداً على صعيد السياسية الخارجية. وهي تتعارض مع السياسات التي انتهجها الديمقراطيون

(*) يمكن عزو هذا العداء الانتقامي الأيديولوجي الذي يكنّه المحافظون الجدد للاتحاد السوفييتي السابق إلى أن المحافظين الجدد وبحكم كونهم من الأتباع (السابقين)-كما يصفون أنفسهم- لليون تروتسكي وهو الخصم اللدود لستالين الذي نفاه خارج الاتحاد السوفييتي ولاحقه وأمر باغتياله، قد ورثوا هذا العداء من معلمهم. أما قناع "الحرية" و "الديمقراطية" الذي تغلف به هذه الأجندة لكي يسهل على الناس قبولها فهو تدليس لا يخفى على المراقب السياسي.

والجـمـهوريون منذ نصف قـرن من الزمـان. وعندمـا طفت إلى السطح نهـاية الأربعينيات وأوائل الخمسينيات على يد أنصار فكرة "دحر العدو إلى الوراء" لم تلق أي تجاوب من الحكومات الأمريكية المتعاقبة. على عكس ما شاهدناه في سنوات حكم جورج بوش الثاني. لذلك أجد أن من الضروري الإشارة إلى ذلك، فعلى الرغم من وجود تلك السابقة، إلا أنها سياسة تنتمي إلى أقصى اليمين المتطرف.

جيرمي إيرب: عمد عدد من مؤيدي هذه الحرب إلى تحويل حجج ومسوغات احتلال العراق بعد أن بات واضحاً خلوه من أسلحة الدمار الشامل، إلى مقولة أن الحرب هي من اجل إزالة دكتاتور متسلط ونشر الديمقراطية، والشيء المثير حول هذا التحوّل هو انه يمكن المحافظين الجدد من الرد على النقد الذي يوجهه وسط اليسار لهذه الحرب؛ وهي اتهام الولايات المتحدة بالنفاق؛ لأنها كانت متحالفة مع صدام في السابق. ويبدو أن رد المحافظين الجدد يتفق مع هذه النظرة، ويرد الحجة على اليسار بالقول:"نعم، انتم على حق في هذه القضية، وهذا هو أساس المشكلة أصلاً. ونحن بحاجة إلى تطهير الأخطاء السابقة. ونحتاج إلى إدخال الأخلاق في السياسة الخارجية الأمريكية"، والآن وفي ضوء ما ذكرته قد تكون المسألة مشوشة. الا يدل ذلك على ارتباط المحافظين الجدد بأهداف اليسار، بالنظر إلى وجود هذه النزعة الأخلاقية في خطاب كلا الطرفين؟

إحدى حجج المحافظين الجدد التي سيقت لتسويغ الحرب على العراق هي حجة تكتيكية تقول:"اسمعوا! بإمكانكم أن تتحدثوا عن الدعم الذي قدمته الولايات المتحدة لصدام حسين على مدى السنين، وبإمكانكم أن تتحدثوا عن استخدامه أسلحة الدمار الشامل، واستخدامه الغاز السام ضد الأكراد. وأننا كنا

نؤيده. وهذا كله صحيح، ويضفي علينا صفة النفاق. ولكن، أليس من الأفضل أن نعكس تلك السياسة ونستبدلها بسياسة أخلاقية، بدلاً من الإشارة إلى السياسيات غير الأخلاقية السالفة؟" هذه هي حجتهم.

والآن، عندما أقول بأنها حجة "تكتيكية" بمعنى أنها تدفع حجة قوية موجهة ضدهم، وهي كيف يمكن للولايات المتحدة أن تشن حرباً على صدام حسين متذرعة بحجة أنه اعتدى على جيرانه، في حين أن الولايات المتحدة قدمت له الدعم في واحد من أكبر الأعمال العدوانية التي قام بها وهي حربه ضد إيران؟ وهذه حجة يصعب الرد عليها، وأعتقد أن المحافظين الجدد لديهم ميول نحو القول: "نعم، لقد قدمت الولايات المتحدة الدعم لصدام وكان ذلك خطأ، ولكن السبيل الوحيد للتكفير عن تلك الأخطاء هو أن نبدأ بداية نظيفة ونعمل الشيء الصحيح".

(...) إلا أنني لا أعتقد أن في الدوائر العليا من هذه الحكومة من يؤمن فعلاً أن صدام حسين كان وراء الهجمات على الولايات المتحدة. بل كان هناك شعور عام بأن على الولايات المتحدة أن ترد بقوة وعنف وحزم على الهجمة التي تعرضت لها، ولأن الحاجة تدعو إلى إظهار القوة في تلك المنطقة، وفي العالم العربي عموماً. كما أشار إلى ذلك أحد الصحافيين في تحليل نشرته صحيفة نيويورك تايمز مستشهداً بما قاله أحد الضباط الأمريكيين في سامراء "كما تعلم، فإن العقل العربي لا يحترم إلا القوة"، وأعتقد أن الفكرة القائلة بأنك لن تستطيع أن تردع هجمات مستقبلية باستعراض قوتك ما لم تظهر أن لديك إرادة قوية على استخدامها. وهذه هي نقطة التقاء المحافظين الجدد بالواقعيين والعناصر الأخرى في الإدارة- أن ترد بقوة وحزم؛ وأن الهيبة والسلطة تقومان على الرد العنيف.

ولو نظرت إلى المراحل الأخيرة من حرب فيتنام، وتحديداً في عهد إدارة نيكسون، فستجد أن هنري كيسنجر كان يكثر من استخدام عبارة "المصداقية"

مراراً وتكراراً. بمعنى أنه لا يمكننا الفرار من فيتنام لأن من شأن ذلك أن يقوض مصداقية أمريكا. واعتقد أنه كان يعني أشياء أخرى، بعضها له علاقة بالردع النووي، وبعضها الآخر له علاقة بحلفاء أمريكا في أوروبا وآسيا، وأن هذه التحالفات ستكون مهددة، إذا رأت هذه الدول أن الولايات المتحدة يمكن أن تتخلى عن التزاماتها في وجه الخطر. وقد كانت فكرة المصداقية فكرة مرفوضة بازدراء لدى تيارات اليسار والوسط. ولكن بالنسبة للمحافظين الجدد، والمحافظين في إدارة بوش، فإنهم يرون في حقبة أواخر السبعينيات دليلاً قاطعاً على أنهم كانوا على حق في هذه المسألة. وفي يدهم قائمة طويلة من الكوارث التي حلت بالسياسة الخارجية الأمريكية: سقوط الشاه، وسقوط سوموزا، وتراجع عام للولايات المتحدة من حول العالم، حروب في أنغولا، وموزمبيق، ومشاكل في جنوب القارة الإفريقية، كل هذه الأمور حدثت- من وجهة نظرهم- بسبب فرار الولايات المتحدة من جنوب شرق آسيا. وربما أضافوا إلى تلك القائمة عدداً آخر من الأحداث، ولكن ليس علناً، لأنها حدثت في عهد ريغان، منها، الانسحاب من بيروت عام 1983 إثر الهجوم على مقر قوات المارينز، ثم الفرار من الصومال عام 1993 بعد مقتل 18 جندياً أمريكياً في مقديشو. وبالنسبة لهم، كل هذه الأمور تظهر لأعداء أمريكا بأن الولايات المتحدة ليس لديها الاستعداد لتنفيذ الحرب والبقاء في الأماكن الحيوية لمصالحها.

هذه الممارسات، وهذه الأفعال الصادرة عن قادة أمريكيين خائفين وجبناء، هي التي فتحت المجال أمام التحديات التي ظهرت في التسعينيات، بما فيها احتلال صدام حسين للكويت، على سبيل المثال، والتي كرر فيها قوله بأن الولايات المتحدة ليس لديها استعداد للتضحية بعشرة آلاف جندي في أي حرب- أنظروا إلى فيتنام. وقد صرح بذلك علناً وأمام إبريل غالاسي، سفيرة الولايات المتحدة في بغداد أثناء أحد الاجتماعات. إذن، المحافظون الجدد، وغيرهم من

المحافظين يردون على هذه الأحداث بالقول، "لقد تعرضنا للهجوم، والمنطق الوحيد الذي تفهمه هذه المنطقة هو منطق القوة، ولا تفهم سوى قوة الإرادة الأمريكية على الأرض". ويبدو أنهم مقتنعون بهذه الفكرة قناعة تامة.

ولهذا السبب أعتقد أن كثيراً من الحجج القائلة "لماذا تهاجمون العراق وقد ثبت أن صدام حسين لم يكن وراء هجمات 11 سبتمبر؟" هي حجج جانبية وتخطئ الهدف، لأن الهجوم السافر الذي وقع في 11 سبتمبر على الولايات المتحدة، ومن وجهة نظر هذه الإدارة، يتطلب من الولايات المتحدة بوصفها قوة إمبريالية أن تتوجه إلى قلب العالم العربي، على حد تعبير فؤاد عجمي(*). وهناك أعداد كبيرة داخل هذه الإدارة ومن بينهم، على سبيل المثال، دونالد رمسفيلد، وبغض النظر عن وجهة نظرهم تجاه احتمالات نشر الديمقراطية بشكل دائم، يعتقدون حقاً أن علينا أن نتوجه إلى قلب العالم العربي لإظهار هذا النوع من الرد الحاسم والحازم على التحدي الذي شكله 11 سبتمبر.

جيرمي إيرب: ماذا تقول للأمريكان حول عيوب هذا الموقف؟ هل فلسفة هذه الإدارة - من وجهة نظرك- معيبة أساساً، ام اننا نعيش في المرحلة الأولية لشيء يمكن في النهاية ان ينجح في تحقيق امننا؟

أعتقد أن هناك انفصاماً بين الأهداف المعلنة لإدارة بوش في منطقة الشرق الأوسط، وبين التزام الإدارة بتخصيص الموارد. والموارد هنا لا تقتصر فقط على القوة العسكرية والجيش المتمركز على الأرض هناك، والأموال وغيرها، بل تشمل أيضاً رأس المال السياسي، لتحقيق تلك الأهداف. ونحن نشاهد ذلك هذه الأيام في العراق. فهناك طموح يتسم بالغرور لتغيير الشرق الأوسط، وتحويل العراق إلى ديمقراطية. ولكن نجد في الوقت نفسه تردداً وتلكؤاً من الحكومة تجاه

(*) محلل سياسي لدى محطة إن بي سي، وباحث في جامعة جون هوبكنز.

الالتزام بتكاليف هذه السياسة وتخصيص الموارد اللازمة لتحقيق الهدف المعلن. ويتجلى هذا الانفصام بالمقارنة بين الهدف الذي وضعه الرئيس بوش وآخرون للعراق قبل الحرب بالالتزام الذي تبعه فيما يخص الجنود والأموال. وبترددهم في مصارحة الشعب الأمريكي بأن هذا الاحتلال يمكن أن يكون احتلالاً طويل الأمد، ورفضهم تقديم أي تقديرات لتكلفة هذا المشروع، ونفيهم انه سيتطلب مكوث القوات الأمريكية لمدة طويلة في العراق. مع العلم أنه عندما صرح الجنرال تشيسكي -رئيس هيئة الأركان السابق- بأن هذه الحملة ستتطلب بضعة مئات ألوف من الجنود، أقيل من منصبه، وجرى إسكاته.

ويمكن القول بأن الإدارة نفسها أساءت تقدير متطلبات ذلك الهدف، وأن كثيراً من رموزها، وبعد أن حملوا على عاتقهم هذا الهدف النبيل في جلب الديمقراطية إلى الشرق الأوسط- ما زالوا يرفضون الاعتراف بالخطأ بعد أن تبين لهم قيمة فاتورة هذه الحملة. لقد أدركوا أن هذا الهدف الجميل الذي طوّروه، سيبدو أقل جمالاً لو اخلصوا في الكشف عن متطلبات تحقيقه. لذلك لم يكونوا مخلصين في توضيح كلفة هدفهم من حيث المال والأرواح والمعدات العسكرية وحجم الجيش المطلوب له. لقد أنكروا ذلك كله كي يسهل قبول الناس به.

وقد يتساءل المرء، وما الضير في ذلك؟ الا تعمد الحكومات في كل مكان إلى التقليل من تكاليف كثير من المشاريع لتأمين موافقة الشعب عليها؟ وأعتقد أن هذا صحيح، فالحكومات تتعمد ذلك. إلا أن المشكلة في هذه السياسة هي أنهم يعانون من عجز في الدعم الشعبي لمشروع تم عرضه وتسويقه على الشعب الأمريكي باعتباره مشروعاً سهلاً، ثم اصبح صعباً. والآن، وبعد أن أدرك الشعب الأمريكي انه امر صعب، تراجع الدعم السياسي له بسرعة. وقد بلغ هذا الدعم أوجه عشية القبض على صدام حسين، وسوف يتلاشى مع استمرار سقوط القتلى.

إن هشاشة هذا الدعم يعود إلى أن الرئيس ومعه القيادة السياسية في هذا البلد. لم يكونوا على مستوى من الصراحة والأمانة مع الشعب الأمريكي في هذه القضية. وربما لم يكونوا أمناء مع انفسهم. ليس فقط في تحديد ما يرغبون في تحقيقه في العراق، بل وفي الكلفة المتطلبة لذلك. وهذا هو اعتراضي الجوهري عليهم. والآن، لماذا يعد ذلك أمراً خطيراً؟ والجواب، إنه أمر خطير ليس لأنه يضعف الدعم السياسي الأمريكي في المحصلة النهائية وحسب، بل ايضاً لأنك حين تنظر إلى الذين يقاتلون الأمريكان في العراق، الأشخاص الذين يخرجون كل يوم لوضع القنابل على جانبي الطريق وينتظرون مرور قافلة أمريكية ليضغطوا زر التفجير لقتل الأمريكان، الأشخاص الذين يتربصون لقنص الأمريكان، الأشخاص الذين يستخدمون الصواريخ التي تطلق عن الكتف لإسقاط المروحيات الأمريكية، الأشخاص الذين يصنعون القنابل ويضعونها في السيارات المفخخة ليفجروا بها مباني الأمم المتحدة وأهدافاً أخرى غيرها في العراق. فما الذي يهاجمونه بالضبط؟ وما هو هدفهم من وراء ذلك كله؟

يمكن القول، وكما صرح عقيد أمريكي في بغداد، بأن هدفهم هو "الإرادة" و"العزيمة" الأمريكية. هذا هو الهدف. وهذا هو ما يحاولون القضاء عليه. وكما قال كلوزويتس إذا أردت أن تنتصر في الحرب فعليك أن تحدد مركز الجذب لدى خصمك وتدمره. وعندما سألت هذا العقيد عن مركز الجذب لدى الأمريكان من وجهة نظر المقاومة، فرد قائلاً " الإرادة الأمريكية".

وبسبب التردد في الصراحة حول كلفة ما نحاول تحقيقه في الشرق الأوسط، فإنه يصعب الدفاع عن "الإرادة" الأمريكية بوصفها هدفاً رئيساً للمقاومة. والطريقة المثلى للدفاع عن الإرادة هي أن تؤسسها على دعم شعبي سياسي. فعلى الرئيس أن يوضح للناس لماذا يعد هذا الأمر ضرورياً، ولماذا يجب أن نضحي لتحقيق هذا الهدف. وفي حدود علمي، فإن جورج بوش لم يفعل شيئاً

من ذلك. لذلك فإن اعتراضي الأساسي هو على هذا التغاير بين ما يريدون تحقيقه، والتزامهم بمتطلبات وبتبعات تحقيق ذلك الهدف. ولا أعتبر ذلك من قبيل عدم النزاهة السياسية المعهودة. بل ارى فيه قدراً كبيراً من المخاطرة لأننا أمام حرب عصابات.

جيرمي إيرب: لو قرات كتابات ريتشارد بيرل، على سبيل المثال، او ويليام كريستول، فستجد انهم في غاية الوضوح حول ضرورة قيام الولايات المتحدة بزيادة قوتها واستعراضها حول العالم، فكرة ان الولايات المتحدة يجب ان تملك القدرة والإرادة لاستخدام قوتها العسكرية متى قررت ذلك. وهذا التفكير يختلف عن نشر الديمقراطية. هل لك انت تحدثنا حول هذا الشغف والولع بالقوة؟ فهم في منتهى الوضوح حول هذه المسالة.

باعتقادي أن ما يمكننا تسميته بالشغف بالقوة، أو الحاجة إلى استعراض القوة، هو جزء لا يتجزأ من فلسفة هذه الحكومة. ومن الواضح أن حكومة بوش الثاني قد وضعت بعض الافتراضات حول الحاجة إلى أن تري العالم كيف ترد بصرامة وعنف على أي هجوم على أراضيها. وشاهدنا هذه النزعة في الأيام الأولى التي أعقبت هجمات 11 سبتمبر. ولو اطلعنا على كتاب بوب وودورد وغيره من الوثائق التي دونت ما حدث في تلك الأيام، لوجدنا أن مسألة الهجوم على العراق أثيرت في اجتماعات القيادة العليا في حكومة بوش منذ اليوم الأول، وذلك على الرغم من عدم وجود أي دليل يشير إلى تورط العراق في تلك الهجمات في ذلك الوقت. وبالطبع حتى هذه اللحظة لا يوجد أي دليل مهما كان يربط بين العراق و11 سبتمبر. وأعتقد أن من الخطأ المحاجة بالقول بأنه لم يكن هناك صلة بين العراقيين وهجمات 11 سبتمبر، فلماذا نهاجمهم؟ وكأن الحكومة كانت تعتقد بوجود تلك الصلة. لقد استخدموا تلك الحجة علناً دون التصريح

بهـا، إلا أنهم كـانوا يعطون الانطبـاع بوجـود تلك الصلة من أجل حـشـد الدعم الشعبي للحرب على العراق، ونفذوا تلك الخدعة ببراعة.

جيرمي إيرب: بالنظر إلى الانتخابات الرئاسية المقبلة واحتمالات تأثير أحداث 11 سبتمبر عليها، ذكرت أن الإرهابيين أوهنوا قوة العزم والإرادة لدى الأمريكان. هل لديك الجرأة على القول بأن قيام جورج بوش باستخدام 11 سبتمبر، واستغلاله الخوف الناتج عن ذلك الحدث، يشكل أيضاً هجوماً على الإرادة الأمريكية؟

هذا سؤال مثير. وأعتقد أن حكومة بوش كانت ناجحة على نحو فريد في الاستغلال السياسي للحرب على الإرهاب. وكانوا مؤثرين إلى درجة كبيرة في توطيد دعائمهم السياسية وتخويف الديمقراطيين، الذين يعتبرون من الناحية التقليدية غير أقوياء في قضايا الأمن القومي، على الأقل في العقود الثلاثة السالفة أو منذ حرب فيتنام، أو على الوجه الأصح منذ خسارة الصين عام 1949. وعلى المرء أن يتذكر أن جورج بوش في 10 سبتمبر كان يترقب خريفاً صعباً جداً. كان أمامه تعقيدات ومشاكل في الميزانية. فقد أحدثت التخفيضات الضريبية التي سنها مجموعة كبيرة من المشكلات في ضوء التردي الاقتصادي الذي كانت تعاني منه البلاد وإلى غير ذلك من قضايا، فجاء 11 سبتمبر ليكون نقطة تحول وانتعاش بالنسبة له. وما من شك في ذلك. هذه هي الحقيقة رغم أن قولها يبدو فظيعاً. لقد كانوا فعالين في استخدام الحرب لرفع مستوى شعبيته، وجعله في المقدمة كقائد حرب بإمكانه حماية الشعب الأمريكي. لذلك، فإن 11 سبتمبر كان نعمة بالنسبة له.

والقول بأنه استغل ذلك الحدث إلى حد إضعاف الأمريكان، هو قول فيه شطط من وجهة نظري. اعتقد أنه قام بمخاطرة كبيرة في حربه على العراق فتحت باباً من التهديدات الجديدة على الولايات المتحدة لم تكن بحاجة إلى

فتحه. لقد كانت أحداث 11 سبتمبر بداية صراع، أو على الأقل ابرزت أهمية الصراع الذي كان دائراً مع القاعدة منذ منتصف التسعينيات، وتأكد بشكل أكبر في نهاية التسعينيات. لقد دفعت تلك الأحداث بهذا الصراع إلى مقدمة ومركز السياسة الخارجية الأمريكية. وكان من نتيجتها مقتل ثلاثة آلاف أمريكي على الأرض الأمريكية. والآن، تم اتخاذ قرار داخل الحكومة الأمريكية بأخذ هذا الحدث وهذا الصراع ضد القاعدة وتحويله إلى حرب شاملة ضد الإرهاب كما تسمى، وجعله كالصراع الذي خضناه ضد الشيوعية. وتشابهت الملامح الأيديولوجية للسياسة الخارجية الأمريكية بعد 11 سبتمبر بملامح السياسة الخارجية بعد عام 1947 ومذهب ترومان. وهناك سابقة قوية في تاريخ السياسة الخارجية الأمريكية تشبه ما نشاهده اليوم: أن تأخذ حدثاً معزولاً نوعاً ما، وفي عام 1947 تمثل هذا الحدث بأعمال التمرد في تركيا واليونان، ثم تجعل منه رمزاً لصراع عالمي بين الخير والشر. لماذا تفعل ذلك؟ لأن السياسة الخارجية الأمريكية ينبغي أن تستند إلى الإرادة العامة، وهذه طريقة سهلة لفهم هذه القضايا. إنها الولايات المتحدة، الأمة الخيرة، تناضل ضد الشر.

والشيء المهم الذي ينبغي تذكره هو أنه لم يكن يتحتم علينا أن نضع هذا الصراع ضمن هذا الإطار العالمي. لم يكن من اللازم أن نقول: "إذا لم تقفوا معنا، وفي صفنا، فأنتم في صف الإرهابيين." لم يكن مثل هذا الرد ضرورياً. لقد جاء ذلك الرد عن قصد واختيار. وخصيصة هذا الرد هو أنه يضع القضية في إطار يسهل على الناس فهمه. أما سلبياته فهي، من وجهة نظري، أنه يشوّه حقيقة ما يجري، وهذا جانب مهم. وما أعنيه هو أن هذا الرد يجعل من هذا الصراع صراعاً عالمياً ضد الشر، وهو ليس كذلك. إنه صراع ضد منظمة تضم خمسة آلاف أو عشرة آلاف شخص ظهرت خلال الحرب في أفغانستان. وكان مولد ونشأة هذه المنظمة في مكان محدد، وفي زمن محدد. إنها مجموعة مرعبة.

حسنة التدريب. كرست نفسها لتحقيق أهدافها. إلا أنها لا تمثل عالم الشر كله، وهي ليست قوة عالمية تحارب الولايات المتحدة. وسوف تتمكن الولايات المتحدة من هزيمتهم في النهاية. لا شك عندي في ذلك. وبرأيي أن خطأ حكومة بوش هو تعظيم وتهويل هذا الأمر إلى شيء أكبر مما هو عليه، واتخاذ إجراءات غير حكيمة بناءً على هذا التهويل. والحرب على العراق، في النهاية، هي حرب غير حكيمة، لأنها لم تكن ضرورية. لم تكن هناك حاجة لخوض تلك الحرب. لقد كانت حرباً لإزالة خطر لم يكن داهماً بأي مقياس. كان العراق قوة متلاشية. ولم يشكل خطراً حقيقياً على أحد. وقد شتت هذه الحرب الأنظار عن الحرب الحقيقية، وهي افغانستان وجنوب آسيا.

لقد تعودنا هنا في الولايات المتحدة، وبالتحديد في ظل حكومة بوش أن نتحدث عن الولايات المتحدة كأقوى دولة في تاريخ العالم. فهي تملك أكبر جيش في العالم. وأقوى قوة عسكرية وجدت على وجه الأرض. والفرق بين قوة الولايات المتحدة وقوى العالم مجتمعة هو أكبر فارق في ميزان القوى منذ عهد روما القديمة. ونحن نسمع هذه العبارات مراراً وتكراراً، وأعتقد أنها محض هراء لا قيمة لها. ولا أعتقد أنها صحيحة. باعتقادي أن معيار القوة لا يقتصر على ما تمتلكه من معدات قادرة على قتل الناس، بل بما تملك من الإرادة لاستخدام هذه الأسلحة، وما إذا كان لديك الدعم الديمقراطي لاستعراض تلك القوة. وبحسب المعادلة الكلوزويتزية(*) لحساب القوة فإنك تضرب القوة الحقيقية-التقنية،عدد أفراد الجيش- بالإرادة. وهكذا تحصل على قوة الدولة. والولايات المتحدة بحسب هذه المعادلة ليست أقوى دولة في تاريخ العالم.

(*) نسبة إلى كارل فون كلوزويتز(1780 - 1831) قائد عسكري بروسي ومخطط إستراتيجي. وضع العلاقة بين الحرب والسياسة ووضع العمليات العسكرية في إطار علمي تجريدي.

إن توزيع الجيوش الأمريكية حول العالم يتجاوز طاقتها هذه الأيام. وكشفت دراسة أعدها مكتب المحاسبة العامة أنه مع حلول شهر مارس القادم فإن الولايات المتحدة ليس لديها من الجنود ما يكفي لاستبدال الجنود الموجودين في العراق. فالجيش يعمل بأكثر من طاقته. والبلاد تعاني من عجز دائم في الميزان التجاري بلغ معدلات قياسية في تاريخ العالم. واقتصادنا قائم على أسس واهية، حين يتعلق الأمر بالتجارة الخارجية ومستوى الإنتاج مقابل ما نشتريه من الخارج. لذلك فإن الفكرة القائلة بأن القوة الأمريكية هي من الوفرة بمكان بحيث يمكنها فعل ما تشاء في العالم هي فكرة غير صحيحة. ومن هذا المنطلق فإن احتلال العراق يعكس سياسية أخطأت في التقدير وحولت التركيز عن الأمور الأهم بالنسبة للولايات المتحدة في أجزاء أخرى من العالم، وبخاصة في جنوب آسيا. كما أنها مجازفة باستبدال ديمقراطية وإن كانت سيئة إلا أنها كانت على الأقل مستقرة، بنظام فاشل يمكن للقاعدة وغيرها أن تترعرع فيه، وتجند المجندين، وتستخدمه منطلقاً لهجماتها ضد الجنود الأمريكيين. لذلك فإني أعتقد أن الحرب كانت خطأً في التقدير على المستويات كافة.

جيرمي ايرب: هناك اعداد كثيرة من الناس يعتقدون بأن الانتخابات ليست هي موطن التغيير، وأن سياسات الانتخاب هي بحد ذاتها فاسدة أصلاً، وان حكومة بوش ومن يقف وراءها، ما هم إلا نموذج مسرَّع من الفساد المعتاد، ولا جديد فيما نراه منهم. وأن التغيير يجب أن يتم بأسلوب آخر ينطلق من الشارع العام، هل تعتقد بوجود اهمية معلقة على الانتخابات؟

أعتقد أن هذه الانتخابات هي أهم انتخابات ستجرى منذ نصف قرن من الزمان. وقد يقول قائل بأن هذا الادعاء مبالغ فيه، وربما كان كذلك، إلا أنه بالنسبة لي، وفيما يتعلق بالسياسية الخارجية، فإن حكومة بوش تمثل نوعاً من

التطرف لم تشهده السياسية الخارجية الأمريكية من قبل. وحتماً ليس في عهد ما بعد الحرب العالمية الثانية. وأعتقد أنه تطرف يعرفه أعضاء حكومة بوش الأول، وقد سبق لهم أن خففوا من حدته. وأنا أقصد هنا مستشار الأمن القومي السابق برنت سكوكروفت، ووزير الخارجية السابق جيمس بيكر، وغيرهم. إن السياسة الخارجية لهذه الحكومة تختلف اختلافاً كلياً عن أي سياسية أمريكية منذ الحرب العالمية الثانية. ولهذا السبب، فإنني أعتقد أن هذه الانتخابات هي في غاية الأهمية. ومهما كان المرشح عن الحزب الديمقراطي، فإنه سيقوم حتماً بالعودة إلى سياسة خارجية أقل تطرفاً، وأكثر توافقاً في أساسها، وأكثر اعتماداً على العمل والتعاون المشترك مع حلفائنا.

إن من السخف أن نقول بأن هذه الانتخابات لن تحدث تغييراً. وبإمكان المرء أن يتحدث بإسهاب حول القضايا المحلية ذات الأهمية البالغة والتي سيتحدد مصيرها بنتائج هذه الانتخابات، إلا أن تأثيرها على صعيد السياسية الخارجية بالنسبة لي هو مسألة حياة أو موت. ودعني أقولها لك بهذه العبارة: لو فاز أي مرشح عن الحزب الديمقراطي في انتخابات عام 2004 فإنه حتماً سيواجه مهمة جسيمة في إصلاح ما أفسدته حكومة بوش. وبالتحديد سيكون عليهم مهمة إصلاح العلاقات مع حلفائنا القدامى كالفرنسيين والألمان، وإعادة إصلاح العلاقة مع حلفائنا الجدد في روسيا، وإلى حد ما مع الصين، وهي علاقات تضررت على مدى السنوات الثلاث الماضية.

أما الذين يقولون بأن هذه الانتخابات ليست بذات أهمية فما عليهم سوى الرجوع بالذاكرة إلى انتخابات عام 2000، عندما تحددت الانتخابات بفارق 547 صوتاً في فلوريدا لصالح جورج بوش ليقدم لنا سياسة خارجية تختلف حتماً عن أي سياسة خارجية للديمقراطيين بعد 11 سبتمبر. إنني أعتقد أن حكومة غور ما كانت لتفسد علاقاتنا مع أقدم وأفضل حلفائنا. وأعتقد أن حكومة غور لو

كانت في السلطة لعملت على بناء تحالف دائم كحلف الناتو وتحالف اتفاقي كتحالف كويوتو وغيرها من المعاهدات الدولية، لتوسيع شبكة العلاقات التي استفادت منها الولايات المتحدة في الخمسين سنة الماضية. وعليه، فلو أدلى 547 ناخبـاً في الاتجاه الآخر في فلوريدا، أو لو قام عدد مماثل في دائرة أخرى بالتصويت لكانت الولايات المتحدة في وضع يختلف اختلافاً كلياً على الصعيد الدولي عما نحن عليه اليوم. ولا أظن أن هناك أي شك في ذلك.

إنني أعتقد أن أحداث 11 سبتمبر كان بإمكانها أن تكون فاتحة لتغيير جذري في سياسة الطاقة في هذا البلد كان يصعب تحقيقه من قبل. ولكنني أعتقد أن قناعات وتوجهات نائب الرئيس السابق آل غور وسجله السياسي يشير إلى أنه كان سيأخذ هذه الأمور بالحسبان في أي رد على 11 سبتمبر. لذلك فإن انتخابات 2004 من وجهة نظري سيكون لها تأثير كبير. وأعتقد أن الأهمية المعلقة عليها هي أهمية كبيرة.

مدينة نيويورك

26 ديسمبر، 2003

* *

شاديا دروري

تعتبر شاديا دروري من ابرز الأساتذة المتخصصين في تاريخ وفلسفة وسياسات المحافظين الجدد. وهي مؤلفة الكتاب الذي حاز على استحسان واسع وعنوانه ليو ستروس واليمين الأمريكي (سينت مارتنز، 1997). واحدث كتبها هو الإرهاب والحضارة: المسيحية، السياسة، النفسية الغربية (بالغريف ماكميلان، 2004). وتراس البروفسور شاديا كرسي كندا لأبحاث العدالة الاجتماعية في جامعة ريغينا في ولاية ساسكاتشوان، في كندا.

جيرمي إيرب: سبق أن تحدثت أنت وآخرون، على سبيل المثال سيمور هيرش من مجلة نيويوركر، عن تأثير الفيلسوف السياسي ليو ستروس على عناصر رئيسة من المحافظين الجدد داخل حكومة بوش. هل لك أن تسلطي بعض الضوء على هذا التأثير؟

أبراهام شولسكي في وزارة الدفاع، وكان الشخص المسئول عن الاستخبارات ووضع مسوّغات الحرب على العراق، تعلم مباشرة على يد ليو ستروس. وقد قال ذات مرة بأن ما تعلمه من ستروس هو أن الخديعة هي الأمر الطبيعي في السياسة. أما الشخص الآخر فهو بول ولفوويتس، وهو أحد تلاميذ ألن بلوم في جامعة كورنيل، ويعتبر من أشهر أتباع ستروس بدون منازع. وهو الذي يقف خلف مركز مشروع القرن الأمريكي الجديد (بروجكت فور ذي نيو أميركان سنتشري) وأحد القادة البارزين في حركة المحافظين الجدد، وأبرز مهندسي الحرب ضد العراق.

جيرمي إيرب: من هو ليو ستروس، وما هي اهم المبادئ الأساسية لفلسفته السياسية؟

بإيجاز شديد، كان ستروس شخصاً شديد التأثر بالمذبحة النازية (الهولوكوست). وكان مفكراً يهودياً اضطر إلى الهرب من ألمانيا خلال الحرب العالمية. وأشعر بتعاطف شديد مع ستروس لأنه اضطر إلى مغادرة ألمانيا ليبدأ بتأسيس كلية تدرس موضوعات صعبة ومعقدة وبلغة جديدة. وكان عليه أن يبدأ تعلم اللغة الإنجليزية عن طريق مشاهدة المسلسلات التلفزيونية. وأنا أعتبره ضحية من ضحايا المحرقة النازية.

ولكنه أيضاً ضحية من طريق ثانية. فقد كان نظام وايمار(*) والكيفية التي وصل بها هتلر إلى الحكم تسيطر على تفكيره وتستحوذ على عقله وآرائه. كان مهووساً بالفكرة القائلة بأن الديمقراطية الليبرالية هي التي أوصلت هتلر إلى السلطة. كان ذلك هو نموذج الديمقراطية الليبرالية في ذهنه- وكان يعتقد أن الديمقراطية الليبرالية هي أخطر أنواع الحكم، وكان يضعها على قدم المساواة مع اضطهاد اليهود واضطهاد أثينا لسقراط. وكان يفزع مما يمكن للغالبية من عموم الناس، الرعاع والأسفل درجة، أن تفعله عندما تملك السلطة، بالفئة القليلة الأعلى مرتبة. إنه شخص يخشى الديمقراطية الليبرالية، شخص يعتقد بوجوب أن توجد في المجتمع نخبة تملك القدرة على السيطرة على جمهور الناس وتوجيه عواطفهم ومشاعرهم. هذه هي أبسط طريقة يمكننا من خلالها وصف فلسفته السياسية.

جيرمي إيرب: هل لك أن تقولي المزيد حول وجهة نظر ستروس في الديمقراطية؟

(*) تطلق هذه التسمية لوصف نظام الحكم الألماني في الفترة الواقعة من عام 1919 إلى عام 1933. وقد سمي بهذا الاسم لأن البرلمان الذي أقر الدستور الذي قام عليه ذلك النظام انعقد في مدينة وايمار التي تقع في وسط ألمانيا. وفي ظل هذا النظام استطاع هتلر أن يرتقي إلى سدة الحكم على خلفية المصاعب السياسية والاقتصادية التي كانت تعاني منها البلاد. ثم قام هتلر بعد فوزه بتوقيف العمل بدستور وايمار. (عن الموسوعة البريطانية بتصرف).

إن ما تعلمه ستروس من تجربته الشخصية هو الآتي: بما أن هتلر وصل إلى السلطة في بلد ديمقراطي، فإن الديمقراطية، وتحديداً الديمقراطية الليبرالية تشكل خطراً كبيراً: بل هي أخطر أنواع أنظمة الحكم على الإطلاق. وقد عقد عزمه على توضيح السبل التي يمكن من خلالها منع تكرار ما حدث في ألمانيا وأوروبا من فظائع. وأراد أن يخلص أمريكا من شغفها بالديمقراطية الليبرالية. وكان يرى أن بإمكانه تحقيق ذلك عن طريق تنشئة نخبة محافظة تتمكن في النهاية من الإطاحة بالعناصر الليبرالية في الديمقراطية الأمريكية.

جيرمي إيرب: يقال بأن ستروس هو احد اباء حركة المحافظين الجدد. هل لك أن توضحي لنا ماهية الفكر المحافظ الجديد؟

تُعتبر النزعة المحافظة الجديدة نفسها حركة محافظة في القضايا الاجتماعية، وليبرالية في القضايا الاقتصادية. هذه هي النظرة العامة للمحافظين الجدد. إلا انني شخصياً لا اتفق مع هذا الوصف. ومن الواضح أنه وصف سطحي بعيد عن الدقة. فإذا نظرنا إلى هذه الحركة نظرة فاحصة دقيقة فسوف نجد أنه وعلى الرغم من ادعائهم بأنهم مناصرون للراسمالية ومناوئون للاشتراكية والشيوعية، إلا أنهم في حقيقة الأمر أبناء لراسمالية الشركات، وراسمالية الشركات عمادها الطبقية والهرمية، والانضباط، والسلطة: وهي مغالية في النهج المحافظ. ولا تتوافق بأي حال من الأحوال مع الديمقراطية الليبرالية، والفردية الليبرالية. إلا أن انطباع الليبرالية وصورة الرجل الذي يصنع نفسه بنفسه هي صورة ذات جذور عميقة في النفسية الأمريكية والوعي الأمريكي. إن صورة الرجل العصامي الذي يحقق النجاح بمفرده ومن دون أي شيء، ويخرج من رحم أمه متكاملاً بكل المهارات المصقولة وكأنه لا يدين للمجتمع الذي نشأ فيه بشيء- هذه الصورة عميقة جداً في العقلية الأمريكية.

وهي صورة شائعة وتستخدم كثيراً. والحقيقة أنك لو دققت النظر حول ماهية رأسمالية الشركات، فستجد أنها تحوّل الأفراد إلى قطعان كقطعان الماشية. إنها تجبر الأفراد على أن يُساقوا كالقطعان إلى البنايات الكبيرة للمكاتب. إنها تسوقهم كالقطعان إلى المصانع. الرأسمالية هي ضد الفردية، على اعتبار أن الليبرالية تساوي الفردية. ولذلك، إذا نظرنا إلى الليبرالية على أنها رأسمالية، فحسناً، بإمكانهم أن يسموا أنفسهم ليبراليين: إلا أن هذه الليبرالية ستكون أضيق مفاهيم الليبرالية من وجهة نظري.

جيرمي إيرب: هل تظهر أمامك عناصر من فلسفة ستروس في النظرة الأيديولوجية لمركز المشروع القرن الأمريكي الجديد، مركز فكر المحافظين الجدد الذي عمل فيه عدد من الأعضاء البارزين في حكومة بوش قبل أن يصبح بوش رئيساً للبلاد؟

وضع مشروع القرن الأمريكي الجديد الخطوط العريضة للسياسة الخارجية للمحافظين الجدد والتي تنادي بالهيمنة الأمريكية على العالم. وهذه النظرة، كما هي مفصلة في التقارير والأبحاث الصادرة عنهم، تحتوي على عناصر مثالية وأخرى واقعية، فهم كأفراد ليسوا متجانسين فكرياً فمنهم المثالي ومنهم الواقعي. بعضهم متدينون وبعضهم علمانيون. إلا أنهم جميعاً متحدون في عداوتهم للمجتمع الليبرالي العلماني، وكلهم متحدون أيضاً في تأييد سياسة خارجية عدوانية لعدة أسباب.

وعندما تقرأ بعض الأبحاث التي صدرت عن مركز مشروع القرن الأمريكي الجديد وتحديداً التقرير الذي عنوانه إعادة بناء الدفاعات الأمريكية فإنك تجد فيه مصطلحات مثل: الجاهزية العسكرية، وحرب النجوم، وهي خطة جديدة لتسليح الفضاء. وهذه الوثيقة بكاملها مصبوغة بالقوة الأمريكية، وأن أمريكا يجب أن تكون لديها القدرة على خوض عدة حروب في وقت واحد، أو مسارح

حرب كما يسمونها، وفي أماكن متعددة من العالم وفي وقت واحد. إن هذه الخطوط العريضة للسياسة الخارجية كما يتصورها المحافظون الجدد لا تنادي بأقل من الهيمنة على العالم بأسره. وبخروج الاتحاد السوفييتي من الصراع، فإنهم يرون فرصة ذهبية للولايات المتحدة لاستخدام قوتها العسكرية التي لا تضاهيها قوة أخرى في العالم من أجل بسط سيطرتها على العالم ونشر المبادئ والمثل الأمريكية

جيرمي إيرب: عندما ذكرت أن نظرتهم إلى السياسة الخارجية تحتوي على عناصر واقعية وأخرى مثالية ما الذي تعنينه بذلك؟

واقعيتها من الناحية السياسية تأتي من منظور أن القوة هي كل شيء. وبما أننا نملك القوة فإنه يجب أن نكون قادرين على الهيمنة. ويجب أن تحكم مبادئنا ومثلنا العالم. ولكن في الوقت الذي تقول فيه هذه النظرة بأن القوة هي كل شيء أولاً وأخيراً، فإنها لا ترى للعدالة أي مكان في الشؤون والعلاقات الدولية، لأن الشؤون الدولية ما هي إلا غابة تخضع لشريعة الغاب. وهناك أناس في أوروبا قلقون حول العدالة والانفرادية الأمريكية. إلا أن هذه الوثيقة تطرح جانباً أي اعتبار للعدالة أو العمل الجماعي.

وأفضل قياس على رؤية المحافظين الجدد للسياسة الخارجية نجده في قصة غوليفر والأقزام. وفي رواية أسفار غوليفر، يتعرض قصر الأقزام لحريق هائل فيأتي غوليفر (العملاق) لإنقاذ هذا القصر ولا يجد من حيلة لإخماد الحريق سوى أن يتبوّل عليه. وبالطبع اشمأزت الأقزام من هذا الفعل الشنيع الذي ينم عن عدم الاحترام، وغضبوا جداً من غوليفر إلا انهم في الوقت نفسه كانوا مدركين أن غوليفر لم ينقذ القصر وحسب، بل انقذ حياتهم بفعله الشنيع. إذن، فالفكرة هي أن هناك معايير مختلفة تنطبق على الأقوياء وأخرى تنطبق على الضعفاء. ونجد أن آلن بلومز وهو من أتباع ستروس ومن كبار المؤثرين على

فكر المحافظين الجدد، عنْوَن أحد كتبه العمالقة والأقزام. ونتلمس في هذا الكتاب شغف المؤلف بقصة غوليفر.

والفكرة هنا هي أن الأقوياء لا يمكنهم القيام بأفعال تعود بالفائدة على الجميع إلا إذا استطاعوا نشر قيمهم ومبادئهم الخاصة. وثمة مثالية مؤكدة في هذا الفكر، لأن هناك اعتقاداً بأن المبادئ الأمريكية هي مبادئ خيِّرة وسامية وأعلى من مبادئ الآخرين. إذا كنا نستخدم القوة، وبغض النظر عن مدى الإجحاف الذي قد يصيب الآخرين من جراء استخدام هذه القوة، فإن الافتراض أن العالم في النهاية سيشكرنا كما شكر الأقزام غوليفر بعد أن أخمد الحريق. هذه هي الفكرة الأساسية. وبعبارة أخرى، هناك جمع بين القوة السياسية الحقيقية وقيام الأقوياء بفعل ما يروق لهم. ولا يجب عليهم أن يتصرفوا بشكل جماعي بتنسيق مع الآخرين. ولا يفترض فيهم أن يأخذوا باعتبارهم مبادئ العدالة. ولكن في المقابل هناك هذه المثالية التي تفترض بأن المبادئ الأمريكية هي مبادئ عليا وأن العالم سيشكرنا في النهاية.

جيرمي إيرب: اذكر انك ذكرت في مكان ما بأن ستروس يعتقد بأن كارثة ستنتج إذا ما طبق مشروعه بشكل كامل، لأنه كان يعتقد ان نشر القيم الأمريكية تحمل معها احتمالات تليين الناس وإضعافهم بالنتيجة. هل لك ان تحدثنا بالمزيد عن هذا التناقض الغريب؟

يعتقد ستروس بأن نجاح المجتمع يعتمد على الاعتقاد المطلق وغير المهزوز بأن أمريكا هي أفضل من أي مكان آخر على وجه الأرض. وفي الوقت نفسه، لم يكن ستروس يتوقع بأن الأمريكان سيستجيبون لرسالته بهذا التحمس لفكرة خاصية الأفضلية أو الاستثنائية الأمريكية، هذه الفكرة القائلة بأن الأمة الأمريكية ليس لها مثيل، فأمريكا هي النجم الذي سيضيء العالم كله. لقد دفعت فكرة الاستثنائية الأمريكية الأمريكان إلى الاستجابة لأفكار ستروس استجابة لم

يكن يحلم بها ستروس في حياته، ولكنك متى ما صنعت الوحش فإنك قد لا تستطيع السيطرة عليه بعد ذلك.

كان ستروس سيمقت أن تقوم أمريكا بنشر الديمقراطية والمجتمع الاستهلاكي حول العالم، لأن هذا بالنسبة له هو بالضبط ما وصفه نيتشه بأنه الرجل الأخير، ووصفه كارل شميت بأنه تحقير الحياة. إذن، لم يكن هذا الأمر نتيجة مرجوة ومحمودة من وجهة نظرة، ولكن بالطبع ليس من المحتمل أن ينجح هذا المشروع، وأن أمريكا ستنجح في إخضاع العالم بأسره وإعطائه نموذجها الخاص من الديمقراطية الليبرالية كما يفهما المحافظون الجدد. ومشروع المحافظين الجدد يقوم على إصلاح أمريكا ثم تصدير نموذجها إلى العالم، والعمل على تحويل المجتمع الليبرالي الذي هو في نظرهم مجتمع فاسد ويؤدي إلى انتشار الأولاد غير الشرعيين، وإلى هدم الأسرة، والإدمان على المخدرات، وبالطبع لا ننسى ذكر انتشار العدمية والإباحية والخروج على سلطة الدولة والأسرة والدين، وموت الرب. إن ما يجري نقله إلى العالم هو الاقتصاد الرأسمالي الممزوج بمجتمع شديد المحافظة من الناحية الاجتماعية. إنه ليس مجتمعاً يضع الفرد فوق الجماعة أو المجتمع. ولكنه مجتمع يقدم الجماعة على الفرد، ومجتمع يقدم الفضيلة على الحرية.

وهذا بدوره ينقلنا إلى ظاهرة مثيرة جداً حول المحافظين الجدد. فهم وعلى الرغم من بغضهم الشديد للعالم العربي، إلا أنهم يحسدون هذا العالم على ما فيه من تدين، ويحسدون نساءه غير المتحررات، ويحسدون ارتفاع نسبة المواليد فيه، ويحسدون استعداد أبنائه للموت والتضحية بأرواحهم في سبيل وطنهم. وفي الوقت نفسه، يعتقد المحافظون الجدد أن الليبرالية تليّن الناس، وتسلبهم الإرادة والقدرة على القتال لتحقيق النصر في الحروب. لذلك، فإن العدو الحقيقي بالنسبة لهم هو كل ما تمثله حقبة الستينيات في الولايات المتحدة:

حركات الحقوق المدنية، الحركات النسائية، والرئيس كيندي. كانت الستينيات تشكل الفترة التي شهدت انفتاح المجتمع الأمريكي. وعلينا أن نتذكر أن المحافظين الجدد كانوا من أنصار حرب فيتنام والعهد المكارثي، وما زالوا يدافعون عن مكارثي حتى اليوم.

جيرمي إيرب: هل لك ان تحدثنا عن فكرة "النخبوية" الموروثة في هذا الفكر، وما إذا كان يمكن التوفيق بين ذلك وبين حب ستروس لأمريكا؟

كان ستروس يزدري عامة الناس لأنهم في نظره تنابل ولا همّ لهم سوى إشباع رغباتهم وشهواتهم. وأن السبيل الوحيد الذي يمكن من خلاله حفزهم إلى التضحية بأنفسهم في سبيل أمتهم وربهم هو بإيجاد شعور بالأزمة، بالكارثة التي تلوح في الأفق والخطر الداهم. بهذه الطريقة فقط، أي بعد أن يشعروا بأنهم معرضون للخطر، يمكنهم أن يتصرفوا على قدر المسؤولية.

ومن المنظور السياسي يضم الفكر المحافظ الجديد أبعاداً اجتماعية، وأبعاداً في السياسية الخارجية، وأبعاداً اقتصادية. والمحافظون الجدد يؤيدون الديمقراطية الشعبية وليس الديمقراطية الليبرالية بالمعنى الحرفي للكلمة. وعليك أن تتذكر أن ديمقراطيتنا الليبرالية هي نوع من الديمقراطية التي تمتد جذورها إلى ثقافتين: إحداهما هي التقليد الليبرالي، والأخرى هي التقليد الديمقراطي. وينصب اهتمام التقليد الليبرالي على الحرية: حرية الفرد في فعل ما يشاء ما دام أنه لا يتعرض لأحد بأذى. ولا يعبأ الليبراليون بالكيفية التي يتم فيها تحقيق ذلك، سواء أكانت عبر ملكية دستورية أم عن طريق جمهورية ديمقراطية وجوهرها حكم الأغلبية. ومن وجهة نظري أن المحافظين الجدد يؤمنون بالديمقراطية السياسية ولكنهم يناهضون الليبرالية. وقد عملوا على دق إسفين بين الليبرالية من جهة والديمقراطية من جهة أخرى لأنهم يعتبرون

الليبرالية خطراً على المجتمع. ولكن في واقع الأمر، ماذا تعني الديمقراطية من غير الليبرالية؟ سنكون أمام ديمقراطية ليست سوى دكتاتورية الأغلبية.

وعلينا أن نتذكر أن الديمقراطية ليست نظام حكم منزه عن التشكيك والنقائص. وما من شك ان افضل نظام للحكم يجب يكون محدداً بالتقاليد الليبرالية التي تؤكد على حقوق الأفراد، وعلى حقوق الأقليات، وعلى تقييد السلطة التنفيذية. هذه هي القيود الإيجابية التي أضفتها الليبرالية على الديمقراطية. ومن المفارقة أن يستفيض المحافظون الجدد في توجيه انتقاداتهم اللاذعة حول أزمة الديمقراطية الليبرالية في الوقت الذي يعملون فيه على إيجاد الأزمة ذاتها التي يجعجعون حولها، وتحديداً ما يقومون به من هدم للجوانب الليبرالية في الحقوق المدنية.

وقانون الوطني هو مؤشر واضح على قيامهم بالقضاء على الحقوق المدنية والحريات الفردية، وعلى أفضلية الفرد، وعلى حقوق الأقليات. والمحافظون الجدد يسيئون ويستغلون الثغرات الضعيفة في الديمقراطية. فالديمقراطية غير محصنّة ضد دكتاتورية الأغلبية: وغير محصنة ضد حاكم داهية يحسن التلاعب بعواطف وعقول الناس عن طريق الأكاذيب والتضليل الإعلامي. وهو ما يفعله المحافظون الجدد فعلاً: فهم يستخدمون الشعب أداة لتدمير الليبرالية. وهدفهم واضح تمام الوضوح، وهو إقناع الناس بأن الليبرالية والحرية التي يتمتعون بها هي التي أودت بهم إلى الهاوية. ويبدو لي أن الخوف هو أقوى حليف للدكتاتورية. وإذا تمكنوا من إقناع الناس أن التحررية ستؤدي إلى الإباحية، وارتفاع نسبة المواليد غير الشرعيين، وانفصام عرى الزواج والأسرة، وانعدام الأمن، والإرهاب، فإن الناس سيتنازلون عن حرياتهم دون نقاش.

جيرمي إيرب: هل فلسفة ليو ستروس السياسية فلسفة نسبية؟ هل اساس فكر المحافظين الجدد اعتراف بأنه لا يوجد اساس اصلاً، وان القوة هي كل ما هنالك وحسب، وان القوة هي بحد ذاتها شيء أخلاقي؟

من الأمور التي ينبغي توضيحها هو أن معظم المحافظين الجدد لا يفهمون ستروس حق الفهم. وفيهم عدد كبير لم يقرأوا مؤلفاته. وكل ما أخذوه عن ستروس هو نزعة محددة هي فكرة الشعور بالأزمة. الشعور بالكارثة التي تلوح في الأفق، والخطر المحدق الذي جناه المجتمع الليبرالي على نفسه، وأن الإباحية و"موت الرب" هي أمور خطرة. وتمتد جذور الفلسفة المناهضة للحداثة إلى نيتشه. ونيتشه كان يقول لا يوجد حقيقة، وكل شيء في هذا الوجود هو تفسيرات: وأن الحقيقة في واقع الأمر ما هي إلا إظهار مقنّع لقوة الإرادة. وإذا كانت ادعاءات الحقيقة كلها هي مجرد قناع، فإننا نكون أمام خيارين: إما أن نعمل على نزع ذلك القناع والكشف عما تحته لإظهار أنه بدون أساس يقوم عليه. أو أن نفعل العكس ونقول إنه وضع خطير جداً. وما من خرافة في هذا العالم إلا وتم استغلالها. فما الذي يجب علينا فعله؟ ربما أننا يجب أن لا نجعل من الأمور أقل أمناً. وربما أننا يجب أن نحوّر الخرافة والوهم ونستخدم مهاراتنا الفلسفية في قراءة التقاليد بدلاً من إيجاد قدر مؤكد من الاستقرار.

أعتقد شخصياً أن ليو ستروس وآلن بلوم كانا مناهضين للحداثة. وكانا يعتقدان أن نيتشه كان على حق، إلا أننا نعيش في وضع خطير. لذلك ظن ستروس في نفسه أنه رجل على طرف النقيض من زمانه. كان رجل عصره بمعنى أنه كان شخصاً يخشى مذهب الشك ولكنه خال من الإيمان.

جيرمي إيرب: لك كثير من الكتابات حول إيمان ستروس "بالكذبة الشريفة"، وحول قيام هذه الفلسفة السياسية على الخديعة. وقمت بالربط بين الكذبة الشريفة وما نشاهده من ممارسات إدارة بوش. وسؤالي هو أليست السياسة والخطاب السياسي- سواء أكان صادراً عن المحافظين الجدد أم عن غيرهم- تعتمد دائماً على نوع معين من الخديعة؟ ما الفرق الذي يهمك هنا؟

كان ليو ستروس يفسر فكرة "الكذبة الشريفة" لأفلاطون تفسيراً مناهضاً للحداثة. وبإمكانك ان تحاجج بأن السياسة أياً كانت لا يمكنها أن تتخلى عن الكذب. عليك أن تكذب على العدو، وبالتأكيد عليك أن تخفي عنه معلومات محددة طول الوقت لأسباب أمنية. إلا أن الحديث عن إخفاء المعلومات الإستخبارية والكذب على العدو شيء، والحديث عن ممارسة التلاعب بعواطف وأفكار الشعب باستمرار هو شيء آخر. والقول بأن الكذب هو الأمر الطبيعي في السياسة يعني هدم الأساس الذي تقوم عليه الديمقراطية نفسها. ولو كان للديمقراطية أي ادعاء بأنها أفضل نظام للحكم، فما ذلك إلا لأن الراسين أفضل في التفكير من الراس الواحد، ولأن الناس يمكنهم استخدام عقولهم وإحساسهم الفطري والنقاش العلني حول القضايا التي تهمهم واتخاذ الحلول المناسبة لها. وعندما تكذب على الناس فأنت تسلبهم فرصة التصرف والحكم على الأمور بشكلها الصحيح لأنهم يفتقرون إلى الحقائق. وهذا هو ما تفعله الحكومات عندما تكذب على شعوبها. إنهم يحولون شعوبهم إلى مجرد دمى مسخرة لأهدافهم، ويحرمون تلك الشعوب من فرصة النقاش والمداولة.

لذلك فإن الكذب المنظم هو نوع من التلاعب الذي يظهر أن الديمقراطية قابلة للفساد. وإنه لإفساد كبير وعميق للديمقراطية أن تنظر إلى الناس على اعتبار أنهم كتلة من البشر يقوم بتحريكها والتلاعب بها نخبة متعلمة مقتنعة بأنها تعرف الحقيقة، وأنها وحدها التي تملك الحقيقة. ومثل هذه النخبة لا يمكنها أن تتعلم شيئاً من مناقشات الآخرين ومناظراتهم وذلك لقناعتهم التامة بأنهم وحدهم الذين يعلمون الطريق الصحيح للآخرين.

جيرمي إيرب: كتب ايضاً حول تحديد ستروس لثلاثة اصناف من الرجال، هل لك ان توضحي لنا ذلك؟

يقسم ستروس الرجال إلى ثلاثة أصناف: الحكماء وهم قلة قليلة، والنبلاء، ثم السواد الأعظم من العوام. ويرى ستروس أن من شبه المستحيل أن يتولى الحكماء السلطة والحكم بشكل مباشر، إلا أن ممارستهم الحكم عن طريق غير مباشر ممكنة وسهلة طالما ضمنت تعاون صنف خاص من الناس أطلق عليهم ستروس وصف النبلاء. وهؤلاء النبلاء في نظره هم طبقة من الرجال الذين يؤمنون بالرب، ويبتغون الشرف، ويؤمنون بالأخلاق، ولكنهم ليسوا على درجة من الفطنة والذكاء. وهم يحبون الحرب بكل تأكيد لأن الحرب هي مصدر الشرف. وبذلك فهم من صنف "الماتشو" ولكنهم ليسوا من الفُطّن الأذكياء. والأفضل أن لا يكونوا فطنين لأنهم لو كانوا كذلك لما سهل على الحكماء تسخيرهم وتوجيههم. وواجب الحكماء هو تثقيف النبلاء. وعليهم أن يرشدوهم ويوجهوهم، وسيكون توجيههم أسهل إذا كفّوا عن طرح الأسئلة الكثيرة. والنبلاء لديهم استعداد للتوجه إلى المعركة والقتال في سبيل الوطن. وهم وطنيون إلى أبعد الحدود، ولا يشككون بوطنهم. ويمكنك القول بأن ستروس كان يسعى ومن أكثر من طريق إلى توفير أفضل الفرص لتولي الحكماء السلطة من خلف الكواليس والتحكم بالنبلاء. إلا أن ذلك غير ممكن إلا إذا أولى النبلاء أذناً صاغية للحكماء. وأثناء حكم ريغان وحكومتي بوش الأول والثاني، تدافعت زمرة الستروسيين من المحافظين الجدد إلى الحكومة لقناعتهم بأن هؤلاء الرؤساء هم من نوع الرجال الأقوياء الذي سيصغون إليهم.

جيرمي إيرب: ما الذي كنت تعنيه عندما قلت في مقابلة اجريت مؤخراً بأن هناك "شغف رجولي" في نظرة المحافظين الجدد العالمية؟

من أبرز الجوانب المهمة في هذا الفكر المحافظ الاجتماعي هو -بالطبع- فكرة "القيم الأسرية"، وهذه العبارة هي تعبير مهذب عن فكرة إبقاء المرأة في البيت وحصرها في وظيفتها البيولوجية. وهذه الفكرة تقوم على سببين: الأول،

فتح المجال أمام الرجال لقيادة العالم، لأن الرجال الحقيقيين هم أعلم وأدرى بإدارة العالم بعيداً عن تدخل النساء. الثاني، ولأن العالم يعج بالأخطار الداهمة، والتهديد المستمر، والأعداد غير المتناهية من الأعداء، فإنه يتحتم علينا خوض حروب كثيرة، وسنحتاج إلى المرأة لتكون مصنعاً لإنجاب الأطفال لأن هذه الحروب ستتطلب أعداداً كبيرة من الجنود. هذه هو الأثر الواقعي في الفكر المحافظ الجديد. وثمة نوع من الشغف الرجولي في هذا كله؛ إنه نوع من نظرة "الماتشو" للعالم. ويمكن أن تشاهد هذه النظرة بكل وضوح في كتابات روبرت كيغان، على سبيل المثال، والتي ينعى فيها على أوروبا تخنثها ولينها ودلالها، بينما نحن الأمريكان نعيش في العالم الحقيقي: عالم سياسات القوة. أما الأوروبيون فهم منشغلون بالعدالة والعمل الجماعي. والعدالة هي للضعيف. إلا أن هذا الشغف الرجولي مبني على تصوّر شاذ ودنيء للرجولة، والعنف، والسيطرة. وهذا النوع من الرجولة لا يمكنه الاستمرار طويلاً لأنه لا بد أن تظهر في النهاية دول، حتى من الحلفاء السابقين، ترغب بالتخلص من هذا النظام الأمريكي المتسلط.

جيرمي إيرب: ما هي نظرة ليو ستروس للدين، وما علاقتها بالنزعة الدينية التي نلحظها في جورج بوش؟

علّم ستروس أتباعه من المحافظين الجدد بأن الدين هو عماد ولحمة المجتمع، وأن المجتمع بدون دين سينهار. وكان ستروس يعتقد أنه لا أساس للأخلاق غير الخوف من نار جهنم والحياة الآخرة، وأنه لا سبيل سواهما لحفز البشر على الالتزام بالأخلاق. وتعكس هذه النظرة نوعاً من التشاؤم حول طبيعة الإنسان تتطبق مع النظرة الدينية. ويوجد من بين المحافظين الجدد متدينون مخلصون، أما البقية فينظرون إلى الدين باعتباره أداة سياسية نافعة، وهي نظرة ستروس. وعندما ينظرون إلى مؤسسي الدولة الأمريكية، نجد، على سبيل المثال، أن إيرفنغ كريستول يعتبر أنه كان من الخطأ عزل الدين عن السياسة وحصره

في الإطار الفردي الخاص، لأنهم يعتقدون أن الدين يشكل أداة سياسة قوية. وبإمكانك أن تلحظ هذه النظرة في خطابات جورج دبليو بوش. فهو يذكر دائماً أن الرب يحب أمريكا، وأن الرب يقف في صف أمريكا، وأن أعداء أمريكا يقفون في صف الشيطان. ومن الملفت للنظر أن هذه اللغة الإنجيلية وهذه الثنائية بين الخير والشر نجدها أيضاً في خطابات أسامة بن لادن الذي يرى أمريكا بأنها الشيطان الأكبر. لذلك فهي ليست خصيصة قاصرة على بوش وحده.

وقد صرح بوش مؤخراً بأن المسلمين والنصارى يعبدون إلهاً واحداً. وهو محق في ذلك اكثر مما يدرك. فالرب ينبغي أن يبقى بعيداً عن السياسة: لأن السياسة أساسها التعددية والتنوع، وإمكانية تعايش الأفراد الذين يختلفون في معتقداتهم حول الأمور الغيبية. وما نحن بصدده هنا هو أن الرب في صفّنا وأن أعدائنا هم في صف الشيطان. وهذه النظرة المزدوجة للحياة تؤدي إلى التطرف السياسي.

إن إقحام الدين في السياسة يعني المزاوجة بين الرب والأمة. وليو ستروس نفسه ما كان ليبقى لولا كارل شميت وتصوره في أن السياسية تستند أساساً على التمييز بين الصديق والعدو. وهذا هو المميز الأكبر في السياسة بحسب رأي كارل شميت. وكان شيمت عالماً ينتمي إلى اليمين الألماني المتطرف، واتفق ستروس معه بالكامل في أن التمييز بين الصديق والعدو هو أمر ضروري في السياسة، إلا انه لم يكن مقتنعاً بموقف شميت في عزل السياسة عن الأبعاد الأخرى للحياة الاجتماعية كالجمال والأخلاق. وكان يرى انه يجب أن ندمر العدو لأنه عدو وليس لأنه شرير أو بشع أو لأنه يضرنا اقتصادياً. ورأى ستروس ان هذا الموقف غير واقعي. وقال بأن تصوير العدو بأنه شرير سيخدم السياسة بشكل أفضل. وإذا ألحقنا الدين بالسياسة لكي نجعل العدو يبدو ضد الرب، وضد الحقيقة، وضد العدل، فإن ذلك سيقوي السياسة، وبالطبع سيقوي من

عزم الأمة على تدمير العدو. إلا أن هذه النظرة تنأى بالسياسة عن الاعتدال والتوسط، وتقودها إلى التعصب والتطرف. وبهذه الطريقة، فإن النهج المحافظ الجديد هو في غاية التطرف. إن إقحام الدين في السياسة يجعل من هذه الأخيرة أقل اعتدالاً إلى حد أبعد مما وصل إليه النهج المحافظ التقليدي.

جيرمي إيرب: ما هي أهم الفوارق التي تميز النهج المحافظ التقليدي عن النهج المحافظ الجديد؟

بصفتي من التيار الليبرالي فإني أشعر بالتعاطف مع المحافظين التقليديين، لأنني أعتقد أن كل مجتمع مهما كان بحاجة إلى شيء من النزعة المحافظة فيه. والشخص المحافظ التقليدي هو شخص يفضل المجرَّب على غير المجرب، هو شخص يحترم القيم السائدة، معتدل، ذو ضمير، ولا يحب التغيير. وليس من بين هذه الصفات صفة واحدة يمكن أن تجدها في المحافظين الجدد. بل على العكس، إنهم يرفضون النهج المحافظ التقليدي رفضاً ظاهراً، ويقولون بأنه نهج ممل ولا يمكن الاعتماد عليه للفوز في الانتخابات. وربما أنهم محقون في ذلك، ولعلهم يعتقدون أن أمامهم الكثير لتسويته مع الواقع، لأن المحافظين التقليديين يحاولون المحافظة على ما هو حسن في الواقع. في حين أن المحافظين الجدد لا يجدون شيئاً حسناً في الواقع الأمريكي. ويقول إيرفنغ كريستول هناك الكثير مما يمكن مقته حول الواقع الأمريكي. لذلك فليس من الممكن أن يقبلوا بالأفكار والسياسات المحافظة التقليدية وما شاكلها. وعبر نوت غينفرتش(*) عن رأي مشابه عندما قال بأننا ينبغي أن نبدأ من صفحة جديدة.

ونشاهد الشيء نفسه ينعكس على مشروع القرن الأمريكي الجديد: فكرة أن السياسة هي كالحرفة، وبإمكانك أن تعيد تشكيل العالم. بإمكانك أن تعيد

(*) نوت غينفريتش: (1943-) اسمه الأصلي نيوتن ليوري ماكفيرسن. شغل منصب رئيس مجلس النواب في الكونغرس الأمريكي من عام 1995 وحتى عام 1999. وهو من الحزب الجمهوري ومن حلفاء المحافظين الجدد.

اختراع العالم على هيئتك. إلا أن السياسة ليست من ذلك بشيء، إنها ليست كتشييد صرح، أو صنع حذاء، أو بناء منزل. في السياسة عليك أن تبدأ من شيء موجود أصلاً: شعب، قيم، عادات ومُثُل، على سبيل المثال. لذلك يقال بأن السياسة هي فن الممكن. هذا هو ما يدعو إليه النهج المحافظ، وهو درس رفضه المحافظون الجدد.

جيرمي إيرب: مع كل هذا الحب الذي يكنه ستروس لأمريكا، هل هناك شيء متأصل في فلسفته، أو في النهج المحافظ الجديد، مضاد لأمريكا وكل ما هو أمريكي؟

هذا يعتمد على فهمك لما هو أمريكي. فتحديد ما هو أمريكي هو مسألة معقدة. وإذا فهمت أمريكا، كما يفهمها معظمنا، بأنها دولة ليبرالية في أساسها، فهم ضد أمريكا. بمعنى، إذا كانت أمريكا ليبرالية وفردية، فإنه لا يوجد في النهج المحافظ الجديد ما هو أمريكي باستثناء التزامهم نحو الاقتصاد الرأسمالي.

إنهم راديكاليون بمعنى أنهم يريدون إحداث تغيير جذري. إنهم متطرفون في نظرتهم للسياسة بوصفها أداة لصنع شيء من لا شيء. إنهم، وبتعبير أدق، رجعيون. ولست أستخدم هذه العبارة على سبيل المجاز. فهم رجعيون بالمعنى الحرفي للكلمة لأنهم يرغبون في إرجاع عقارب الساعة على كل شيء يتعلق بما يرونه من ثمار الثورة الليبرالية في الستينيات. كان بوب دول، على سبيل المثال في الانتخابات الرئاسية لعام 1965، يقول بأنه يريد بناء جسر إلى الماضي. وطبعاً نحن نعلم أن كلينتون منافسه في الانتخابات كان يقول بأنه يريد بناء جسر إلى المستقبل. ونحن نعلم ما حدث وقتها. لذلك فهم رجعيون من منظور أنهم يريدون إعادة عقارب الساعة على الثورة الليبرالية وأنهم يسعون إلى العودة بأمريكا إلى ما يشبه رومانسية العصر الذهبي الذي يربطونه بحقبة

الخمسينيات من القرن الماضي- عصر الهيبة، عصر الخوف، عصر مكارثي، وعصر الوطنية.

جيرمي إيرب: تحدثت قبل قليل عن النزعة المحافظة الجديدة وعلاقتها بالخوف، وعن هذا الشعور الواعي بالخطر وبالكارثة التي تلوح في الأفق. هل لك ان توضحي لنا المزيد عن ذلك فيما يتعلق باحداث 11 سبتمبر؟

كان 11 سبتمبر حدثاً مهماً في البحث عن قائد سياسي مستعد لتنفيذ أجندة المحافظين الجدد. لأن المحافظين الجدد ما فتئوا يشعرون بخطر داهم، بأزمة، بكارثة تلوح في الأفق. إلا أنهم لم يجدوا من يشاطرهم هذه المخاوف. وبعد 11 سبتمبر أصبح من الممكن إقناع الناس بشعورهم نحو الأزمة وبحساسياتهم السياسية. ومن سوء الطالع أن 11 سبتمبر مكنهم من البدء في تنفيذ مشروعهم. إلا أن هذا المشروع لا علاقة له بأمن الولايات المتحدة. وفي واقع الأمر أن الحرب في العراق عملت على تحول الاهتمام عن ابن لادن وعن الإرهاب، أي عن الخطر الحقيقي. وقد أدت بالفعل إلى جعل الولايات المتحدة اقل امناً بدلاً من تكون اكثر امناً، لأن الإرهابيين الآن يتوجهون إلى العراق، ويشكل انعدام الأمن والسلطة هناك عنصر جذب لهم. وعندما كان صدام حسين في السلطة، كان من ألد أعداء ابن لادن والأصوليين. وأي شخص لديه أدنى معرفة بسياسات الشرق الأوسط يعرف أن هذين الشخصين كانا عدوين لدودين، إلا أنهما قد لا يكونان كذلك اليوم. وربما أنهما اتحدا ضد العدو المستعمر.

رجينا، ساسكاتشوان، كندا

26 نوفمبر، 2003

مايكل إريك ديسون

مـايكل إريك ديسـون أسـقف مـرسّم في الكنيـسـة المعـمـدانيـة وأسـتـاذ علوم الإنسـانيات في مؤسسة أفلون، وأستاذ الدراسات الدينية والدراسات الإفريقية في جـامـعـة بنسلفـينيـا. وله عـشـرة كـتب، منهـا: صناعـة مـالكوم: أسطورة ومـدلول مـالكوم إكس (اكسـفـورد يونيـفـرسـيـتي برس، 1996)، وكـتـاب قـد لا أصل مـعكم إلى هناك: مـارتن لوثـر كـينـغ الأصـغـر الحـقـيـقي، (فـري برس، 2001)، و كتاب ارحمني ارحمني:الفن والحب والشياطين في أعمال مارفين غي (بيسك سيفيتاس بوكس، 2004).

جـيـرمي إيرب: مـا رأيك بـالطريقـة التي تـعـامـلت فـيـهـا إدارة بوش مع أحداث 11 سبتمبر؟

أعتقد أن إدارة بوش قد استغلت حالة الخوف التي تولدت بفعل أحداث 11 سبتمبر لتحقيق أهداف سياسية لمصلحتها. وفي الوقت الذي أكدت فيه الإدارة التزامها بعدم تسييس الحادثة، إلا أنها فعلت العكس وسيّست الأحداث بشدة وعلى مختلف المستويات. خذ على سبيل المثال قانون الوطني. إذ يفترض في هذا القانون أن يعمل على تعزيز الديمقراطية، إلا أنه في واقع الحال يهدم مبادئها الأساسية التي أُعلنت من أجلها ولحمايتها الحرب على الإرهاب. أليست هذه الحرب إلا لحماية القدرة على قول الحقيقة كما نشاهدها كمواطنين أمريكيين وبصرف النظر عن توجهاتنا السياسية أو الأيديولوجية التي نؤمن بها؟ لذلك، إذا كان الهدف من شن الحرب على الإرهاب هو حماية مقدرتنا على الوقوف وإبداء رأينا، فإنه لا يجوز لنا في الوقت نفسه أن نشعر بالغضب تجاه الأفراد الذين

يرون فجوة منتنة بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية. وينبغي أن لا نُتّهم بعدم الوطنية إذا عبّرنا عن وجهة النظر هذه. لقد شاهدنا ذلك من قبل حين واجه مارتن لوثر كينغ(*) حالة مماثلة في قضية فيتنام؛ وواجه أصحاب الفكر السياسي التقدمي الشيء نفسه في كل مرة كانوا يرفعون فيها أصواتهم في وجه الظلم.

وعلى هذا المنوال، فإن هذا الإحساس الأمني المتصاعد، والألوان التي خصصناها لمستوياته المتدرجة يتطابق ويتناغم، وعلى نحو يثير الريبة والشك، مع الأجندة المحلية التي ترغب إدارة بوش بالتركيز عليها أو بصرف الاهتمام عنها. لذلك فإنه في كل مرة يتركز فيها النقاش حول الاقتصاد المتلكئ في ضوء عجز إدارة بوش عن إنعاشه، فإننا نلحظ تصعيداً مريباً في حالة التأهب من خطر هجمات إرهابية.

اعتقد أن من المهم ملاحظة أن إشاعة الخوف بين الناس عقب 11 سبتمبر هي أمر مضر بالمجتمع الأمريكي لأن فيها رفض للاعتراف بأن حرياتنا المدنية هي شريان الديمقراطية الأمريكية. وأنا لا أعني المغالاة والمبالغة في الحريات المدنية إلى درجة نتجاهل معها القلق من الإرهاب. إننا لا نمانع من زيادة وتشديد الإجراءات الأمنية في المطارات بغية التأكد من سلامة الجميع قبل السفر. وبغض النظر عن أيديولوجياتنا، والتزاماتنا، ومعتقداتنا، فإننا في النهاية نرغب في أن نكون بأمان. إلا أننا نمانع ونعترض على هدم الهيكل الأساسي لحرياتنا المدنية، ونرفض كذلك التنازل عن حريتنا في التعبير وقدرتنا على انتقاد إدارة

(*) مارتن لوثر كينغ الأصغر (1929-1968) اسقف معمداني واحد أبرز قيادي حركة المطالبة بالحقوق المدنية ومناهضة التميز العنصري ضد السود في الولايات المتحدة. كان ينتهج الأسلوب السلمي في المعارضة والمطالبة بالتغيير. حصل على جائزة نوبل للسلام عام 1964. وجهت إليه انتقادات داخل الحركة بمهادنة الحكومة اثناء قيادته بعض المظاهرات. وكان من معارضي حرب فيتنام. اغتيل في الرابع من إبريل على يد جيمس إيرل ري. (عن الموسوعة البريطانية بتصرف).

بوش. إن استهداف الحريات المدنية بحجة محاربة الإرهاب هو أمر في غاية السخف. وأعتقد أن هذه الغطرسة التي مورست ضد الشعب قد أثارت - بحق- الشكوك لدى الناس حول التلاعب بالخوف الذي أعقب 11 سبتمبر.

جيرمي إيرب: من الأمور التي نسعى إلى توضيحها في هذا المشروع، مسألة الفجوة النوعية بني الذكور والإناث في السياسات الأمريكية. وبخاصة جانب الذكور من هذه الفجوة والتي قلما يتم التعرض لها مباشرة. هل لديك اي تفسير للتحوّل المضطرد للذكور البيض من الطبقة العاملة نحو مرشحي الحزب الجمهوري مع العلم أن الحزب الجمهوري لا يقف موقفاً ودياً تجاه معظم القضايا التي تهمهم؟ هل هناك شيء يفهمه الحزب الجمهوري والمنظرون السياسيون لجورج بوش حول الأصل العرقي وحول الرجولة بحيث يمكنهم من توسيع هذه الفجوة لصالحهم؟

ثمة تلاحم على الأقل بين هذه المسائل الثلاث. وأعتقد أن قضايا العرق والهوية تؤثر تأثيراً بارزاً على الأفراد من الجنس الأبيض في السلطة أينما كانوا - وحتى حين يتعلق الأمر بأشخاص من الجنس الأبيض لا يقومون بعملهم على الوجه المطلوب، لأن البديل هو أن يأتي أشخاص من العنصر الآخر ويسيطروا على الأمور. وطبعاً لن يسمحوا بذلك لأنهم سيفقدون امتيازاتهم.

القضية الثانية هي قضية الفارق بين الذكور والإناث. ونحن نتحدث عن الرجال البيض، وليس من الضروري أن يكون الواحد منهم عضواً في حركة تدعم قضايا الرجال يدق من خلالها الطبول في عطلة نهاية الأسبوع لدعم تلك القضايا، فهو على الأقل يدق طبول هذه النزعة العسكرية التي تغذي إحساسه بالأمن. وقد عمد الجمهوريون عن طريق التركيز على الجانب الذكوري وبأسلوب خبيث وخادع على إيجاد إحساس عام لدى معظم الرجال بأن سياساتهم تتعلق

"بالرجال الحقيقيين"، وأنه قد حان الأوان "للرجال الحقيقيين" أن يتقدموا إلى الأمام ويتحملوا مسؤولياتهم. وكفانا تخنثاً وضعفاً، لأن جورج بوش يمثل إعادة إحياء الرجل الأمريكي. إنه واحد من بيننا. فهو لا يتحدث بفصاحة، وتخرّج في جامعة ييل بمعدل دون المتوسط. وباعترافه الشخصي كان مدمناً على الكحول إلى أن بلغ الأربعين من عمره وحصل على أول وظيفة له. وهو ربما لا يسوق حافلة "البك أب" إلا عندما يذهب من بيته إلى المزرعة، إلا أنه شخص عادي مثلنا. إذن، هناك قواسم مشتركة كثيرة معه. حتى وإن كانت ظروفك تختلف عن ظروفه وأحواله.

أما القضية الثالثة فهي مسألة البعد الطبقي. وأعتقد أن الجمهوريين استغلوا الطبقة العاملة والطبقة الفقيرة أبشع استغلال وبطريقة خبيثة، وبخاصة فئة الرجال البيض من الطبقة الوسطى. وهم فئة يطغى عليهم شعور بأنهم مستهدفون. فقد أدت التشريعات التي سنت لتعزيز دور الأقليات وبخاصة السود والمرأة إلى الإضرار بمصالحهم وامتيازاتهم. وهذه التشريعات تلقى التأييد من المرأة ومن السكان السود وذوي الأصول اللاتينية، ولهذا فإن الرجال البيض يشعرون بالحيف من تلك الإجراءات. وهذا الشعور هو امتداد للشعور بالامتعاض الذي تجده لدى تمثي ماكفيه(*). ولا أعني أن هذه الشريحة هم على شاكلة تمثي ماكفيه. ولكنك حين تسمع حتى هاورد دين(*) يقول بأن على الحزب الديمقراطي

(*) جندي سابق في الجيش الأمريكي، اتهم بتفجير بناية تسمى (الفرد موراه) تضم عدداً من الوكالات التابعة للحكومة الفدرالية في مدينة أوكلاهوما ستي عام 1995 اودى بحياة 168 شخصاً. وصدر بحقه حكم بالإعدام عام 1997 ونفذ عام 2001 (عن موسوعة إنكارتا بتصرف)

(*) هاورد دين (1948-) طبيب وسياسي امريكي، شغل منصب حاكم ولاية فيرمونت منذ عام 1991 حتى 2003. دخل عام 2002 حلبة السباق لنيل ترشيح الحزب الديمقراطي للانتخابات الرئاسية لعام 2004 وعلى الرغم من تقدمه على منافسيه من الحزب الديمقراطي (كيري وإدوارد) في بداية الحملة إلا أن حجم التأييد له تراجع بشكل متسارع فخرج من السباق لبرأس الحزب الديمقراطي. وقد كان من أشد المنتقدين للحرب على العراق وللرئيس بوش اثناء حملته الانتخابية. (إنكارتا بتصرف).

أن يسعى إلى استعادة أبناء الطبقة الكادحة، الذين يسوقون حافلات "البك أب" ويرفعون علم تحالف الولايات الجنوبية في الحرب الأهلية، إلى صفوفه. فإن ذلك هو محاولة من هاورد دين لتوظيف مشاعر السخط لدى هذه الطبقة لصالح الحزب الديمقراطي. وهي سياسة أحسن الحزب الجمهوري استغلالها أيما استغلال. لذلك أعتقد أن هذه الأمور الثلاثة مجتمعة سمحت لهم باستغلال هذا السوق الطبيعي.

جيرمي ايرب: انت قس معمداني. وسبق لكم ان تحدثتم حول تدين بوش، وحول إنجيليته. هل لك ان تحدثنا بالمزيد عن ذلك، وبخاصة إن كنت ترى ان هذا التدين ترك اثره على سياساته وعلى اسلوبه في معالجة المشاكل؟

لا شك أن للمذهب الإنجيلي والبروتستانتي تأثير كبير على فهمه الشخصي للسياسة الداخلية والسياسة الخارجية. وأعتقد أن بوش يشعر بنداء إلهي لحماية المُثل الأمريكية. إذن، نحن أمام اندماج بين الأيديولوجية والدين. وليس بمقدورنا التأكد على نحو قاطع من أن العقيدة الدينية ستطغى على الأيديولوجية السياسية، ولو حدث ذلك فعلاً، فلا نعلم إن كان لذلك أي ميزة. نظراً لأن الجانب الديني كان دائماً متأثراً تأثراً عميقاً وشديداً بشعور من الاندفاع التبشيري للانضمام إلى مساعي تحقيق الإمبراطورية.

هناك قصة قديمة تعرفها شعوب كثيرة حول العالم تقول: عندما جاءنا الأمريكان، كان معهم الإنجيل، وكانت الأرض لنا. فطلبوا منا أن نصلي. ولما فتحنا أعيننا اصبحت الأرض معهم والإنجيل معنا. ويعتمد هذا الدافع التبشيري الذي ينشر العقيدة، ويعمل على تغذية المذهب الإنجيلي، على قيام المبَشّرين بتغيير دينهم. عليّ أن أوصل رسالة يسوع إليك، وحتى يمكنني إيصال رسالة المسيح إليك، يتحتم عليّ أن أغيّر دينك. ولكي أقنعك بتغيير دينك يتحتم عليّ أن أقول

لك حقيقة ما يحدث في العالم. وبهذا المعنى هناك علاقة بين السياسة والدين: وبهذا المعنى أيضاً، فإن السيد بوش قد تأثر تأثراً عميقاً بهذا الحافز التبشيري الذي يدفعه إلى الانطلاق نحو العالم ليدعوهم إلى المذهب الأمريكي.

امّا كيف ينعكس هذا الأمر على الصعيد الثقافي فذلك أمر مخيف، لأننا أمام عقلية تقسم العالم إلى معسكرين "نحن" و"هم". في نوع من التشويه المانوي في تقسيم العالم. وما الفكرة القائلة بأن "الآخر" هو حليف للشر- محور الشر- إلا صورة من صور التشدد الإنجيلي. إلا أن الشيء الملفت هو أن هناك أبعاداً اخرى من الدين يمكن ان تكون حجة عليه. ويمكن لأي عالم لاهوت او مبشّر ان يقول، حسناً، وماذا عن فكرة أن الخطيئة معنا وليست فقط عند الطرف الآخر. وماذا عن فكرة أننا جميعاً أخفقنا في الوصول إلى مجد الرب. وماذا عن حقيقة أننا عندما نفكر بالشر والإثم، يا سيد بوش، فإنه ليس شيئاً موجوداً هناك فقط، وإنما هو شيء يغوينا نحن ايضاً. إنك لا تجد شيئاً من هذا القبيل في خطاب بوش. ومن المؤسف أنه نجح - بمكر ودهاء- في استغلال معتقداته الإنجيلية الدينية بأسلوب جعل الناس يتفقون معه حتى وإن كانوا ينتمون إلى مذاهب تختلف عن مذهبه. وفي الوقت الحاضر انكمشت الانقسامات الطائفية الإنجيلية واصبح لدى الناس استعداد لوضع شكوكهم جانباً وإنكار أي مخاوف مشروعة لديهم والسماح للسيد بوش بفرض آرائه الدينية علينا بطريقة مخيفة، لأننا نتفق معه في أن هذه المعركة هي معركة فاصلة بين الخير والشر: إنها معركة بين الذين يحاولون تدميرنا، وبين الذين يقفون في صفنا. أعتقد أنه نجح في استغلال الخوف الذي تولد لدى عامة الناس بعد 11 سبتمبر واستعماله لدفع أجندته الدينية بطريقة ضمنية تارة، وعلنية تارة أخرى.

جيرمي إيرب: قد يقول قائل بأن الأمرين سواء، وان الأمة الأمريكية أمة تخشى الرب، وانها انشئت على هذا الأساس في الأصل، وان انتقاد

تدين بوش يعد انتقاداً لأمريكا نفسها. هل تلاحظ تياراً معاكساً، رؤية أخرى لأمريكا دون فقدان هذا الحافز الديني؟

الخطأ الذي يقع فيه كثير من الناس هو أنهم يخلطون بين تاريخ التدين الأمريكي والإمبراطورية الأمريكية. فمثلاً لو دققنا النظر في توماس جفرسون وبنجامين فرانكلن لوجدنا أن نصرانية هؤلاء تختلف عن النصرانية التي نشاهدها في جورج بوش. إن هذه الأمة ليست أمة نصرانية بالمعنى الذي يراه الناس من أن هؤلاء المؤسسين كانوا يدعون إلى الدين بشكله النصراني لتوحيد الثقافة. وما قاله بنجامين فرانكلن هو أنه إذا كان الدين، أي دين بشكل عام، شيئاً حسناً للأمة لأنه يوحدها ويخلق نوعاً من التوافق بيننا كي تقوم الدولة، فبها ونعمت. ولم يكن يدعو إلى أي شكل من أشكال النصرانية. وربما كان لدى توماس جفرسون قناعاته الخاصة حول الكتاب المقدس، ولكن لو عاين الناس اليوم ما كان جفرسون يرى ما يجب أخذه من الكتاب المقدس وما يجب تركه لأصيب معظم النصارى بالصدمة. ولما اعترفوا بذلك الإنجيل الذي يراه. لذلك، فقد دلّست علينا أشد العناصر اليمينية تطرفاً في الكنيسة الإنجيلية لحملنا على الاعتقاد بأن أمريكا هي أمة نصرانية، في حين أن الحقيقة هي خلاف ذلك.

وعندما نفكر بما حدث في السابق، فإن ملّاك الرقيق كانوا يتوجهون إلى إفريقية. كانوا يذهبون إلى هناك لتخليص الوثنيين من وثنيتهم وبعدهم عن المسيح لجلبهم إلى العالم الجديد. ثم ماذا حصل؟ أصبحوا رقيقاً في المزارع الأمريكية. لذلك فإننا دائماً نجد هذا التزاوج بين الأيديولوجية الأمريكية والإمبراطورية الأمريكية. لقد كان توسع الهيمنة الأمريكية مصحوباً دائماً بمسوغات دينية. ويمكننا مشاهدة هذه الظاهرة بكل بوضوح في محاولات جورج بوش إخضاع سياساته المحلية والخارجية لمعتقداته الدينية. وهذا التوجه لا

يعكس سوى شريحة ضيقة من المذهب الإنجيلي ينبغي الإشارة إليه. لأن هناك أعداداً كبيرة من التقدميين المنخرطين في التفكير الإنجيلي ممن يعارضون السلطة القائمة ويصوغون الحجج ضد حصر مملكة الرب في هوية دولة محددة هي اليوم الولايات المتحدة الأمريكية. إن هذه الفكرة القائلة بأن أمريكا كانت من اختيار الرب هي فكرة فظيعة. ويمكن للمرء أن يصفها بخطيئة تحديد الأمة بإرادة الرب. وهذا في منتهى السخف، إلا ان هذه الأصوات، مع شديد الأسف، لا يصغي إليها أحد في هذا المجتمع.

جيرمي إيرب: هناك أعداد كبيرة من الناس الذين يقولون بأنه لا يوجد شيء اسمه الإمبراطورية الأمريكية، وان هذه الفكرة فكرة ساذجة، وتشكل سوء فهم كبير لطبيعة وتاريخ الإمبراطورية. هل لك ان توضح لنا لماذا اعتبرت الولايات المتحدة إمبراطورية، وما تعنيه بذلك؟

عندما اقول بأننا أمام إمبراطورية امريكية فإن ما أعنيه هو أن قوى الهيمنة تعطي الأمة شعوراً بالغضب المبرر ضد أعداء أمريكا. والجانب الإيجابي من الإمبراطورية الأمريكية هو أن تكون "العربيد" و "الشرطي" في وقت واحد لكي تفرض على الأمم الأخرى وجهة نظرك الأخلاقية انطلاقاً من اعتقادك الشخصي بأنك اتقى من الآخرين واقوم أخلاقاً منهم. وما أعنيه بالنظرة القائمة على الاعتقاد الذاتي بأننا أسمى تقى وأخلاقا من الآخرين هو أننا نشعر في ظل حمايتنا للمبادئ الديمقراطية، أننا نملك الحق في مقاومة ومعارضة المبادئ غير الديمقراطية حول العالم، وعندما نشاهد تصاعد هذه القوى غير الديمقراطية فإن مسؤولية القضاء عليها تقع على عاتقنا. لذلك فإن الإمبراطورية من وجهة نظري تعني المقدرة على فرض إرادتك على بقية العالم والرغبة في فعل ذلك استناداً إلى استعلائك الإيماني والأخلاقي على الآخرين.

وهناك شيء آخر ملفت للنظر حول الإمبراطورية، وهو القدرة على إنكار حقيقة أننا إمبرياليون. لذلك فإن إحدى المفاهيم الأولية للإمبراطورية هو القدرة على أن يكون لدينا مقدرة معقلنة من الإنكار: نحن لسنا إمبراطورية: نحن أمة مهتمة بمحبة جيراننا. إننا نتعاون مع الآخرين ومع الأمم الأخرى حول العالم. هذا الإنكار الذي يبدو مقبولاً في الظاهر، هو أحد العناصر المهمة في الإمبراطورية. ويشابه النقاش الدائر هذه الأيام حول العلاقات الإثنية: وهو أنك إذا كنت تعيش في بيئة وثقافة متجانسة مع الجنس الأبيض، فإنك لا تجد نفسك تتأمل صفتك هذه. ولا يحدث ذلك إلا إذا شعرت بشيء يشكل تحدياً لتلك الصفة- حتى يبدأ الأسود، أو البني، أو الأحمر، أو أي شخص من إثنية مختلفة بإظهار ما يعنيه الأبيض- عندها تبدأ تدرك (أ) أنك ابيض: و (ب) ان لديك امتيازات مرتبطة بكونك أبيض: و (ج) أن عليك أن تبدأ بفعل شيء تجاه هذا الوضع، وإلا فسوف تتبدد هيمنة الجنس الأبيض. والآن استبدل "ابيض" في المثال الذي ذكرناه بالإمبراطورية وسترى كيف تعمل الإمبراطورية.

أولاً، أنت جزء من الإمبراطورية عندما تملك القدرة على إنكارها، وثانياً، هذه القدرة على الإنكار والمشوبة بأسباب عقلانية قابلة للتصديق، ترتبط بأشكال من الامتيازات التي قلّما يشكك في شرعيتها أحد. ثالثاً، منذ عام 1945، عندما ظهرت الولايات المتحدة كقوة عظمى، ونحن نشعر بأننا نملك الحق في التوجه إلى أي مكان في العالم للقيام بأعمال باسم الأقل حظاً من الناس والأمم الذين لا يملكون ما يكفي من القوة، والمهارة، والجيش للدفاع عن أنفسهم. الإمبراطورية، بالنسبة لي، هي تركيز القوة والسلطة، وقدرة الدولة على فرض إرادتها على الآخرين بحسب منظورها الأخلاقي.

والآن، هل يختلف ذلك عما كان يحدث من قبل؟ لقد ادت الظروف إلى جعل ما يحدث الآن يختلف عما كان يحدث في السابق. فنحن أمام إمبريالية جديدة.

والولايات المتحدة هي إمبراطورية جديدة. وقد أدت ظروف العولمة إلى وضع الخطاب حول الإمبراطورية في صيغة مختلفة: فنحن الآن نعيش في عالم يرتبط بعضه ببعض بروابط وثيقة نتيجة للإنترنت وانهيار الاقتصاد المحلي. فلدينا الآن شركات متعددة الجنسيات، وتجمعات لشركات عملاقة، ويمكنك أن تجد شركة ألمانية تمتلك شركة أمريكية لنشر الكتب. إذن، هناك نوع من الاختلاط الأيديولوجي. وبهذا المعنى، أثرت العولمة على الإمبراطورية بطرق دقيقة مختلفة. إلا أنها لم تستطع أن توقف القدرة الأمريكية على تنصيب نفسها إمبراطورية بسبب القوة العسكرية الأمريكية. فهي، [أي الولايات المتحدة [لديها الموارد والأسباب لتعلن بأننا إذا رأينا شيئاً ننكره، فإننا على استعداد لخوض الحرب للقضاء عليه. وهذا المذهب الجديد من التدخل النشط يختلف عن مذهب العزلة الذي كان يثير حفيظة الناس من قبل. فنحن الآن مستعدون للعمل بمفردنا، ومستعدون لأن نقول للملأ بأننا إذا رأينا شيئاً ما يشكل مشكلة لنا، فإننا على استعداد لتوجيه الضربة الأولى.

جيرمي إيرب: لو ذهبت إلى الموقع الخاص لجورج بوش على الإنترنت، فستجد عدداً من ملفات الصور المخصصة لدعم أفكار معينة تقوم عليها حملته الانتخابية ونهجه الرئاسي: السياسية الخارجية، الأمن القومي، الخ. ومن بين هذه الملفات ملف يحمل اسم الشفقة والحنان"، وفي كل الصور الموجودة في هذا الملف تقريباً يظهر بوش وحوله أناس من أصول عرقية ملونة، وتحديداً من ذوي الأصول الإفريقية. مع العلم أنك لا تكاد تجد صورة في الملفات الأخرى يظهر فيها وجه لشخص أسود. ما تقول في هذا الدمج بين الحنان والعرق؟

من الأشياء المثيرة حول تحديد السيد بوش للشفقة والحنان بالأفارقة الأمريكيين على وجه الحصر تقريباً. هو أن تفسيرهم (أي الحزب الجمهوري

ممثلاً بجورج بوش) لذلك هو أنهم يمدون يدهم إلى فئات المجتمع المختلفة دون استثناء، وذلك في ظل التهم الموجهة إلى الحزب الجمهوري بعدم اكتراثه بمصالح الأقليات اللاتينية والأفارقة الأمريكان، وإغلاق أبوابه أمامهم. هذا من جانب. وهو جانب التفسير الإيجابي الخيري. أما الجانب السلبي والمريب، وهو ما يعكس الحقيقة برأيي، فيتمثل بوجود نوع من التعالي في هذا الموقف. ولا يقتصر الأمر على التلاعب بقضية العرق والإثنية، بل هناك نوع من ترسيخ العزل والقوقعة على السكان السود. فالسود يصلحون فقط حين نريد التحدث عن الرحمة والشفقة والحنان، وعن مد اليد إليهم لكي نحسّن من أحوالهم وظروفهم، ما دمنا نسيطر على الحزب الجمهوري وعلى الوسائل التي توزع من خلالها تلك الرحمة. والمشكلة في هذا الموقف هو أنه لا يفسح أي مجال أمام هؤلاء الناس في: أ) التعبير عن معارضتهم لهذا الحنان الذي يوزع عليهم، و ب) أنها توحي بأن الأشخاص السود ليس لهم أي مصلحة شرعية أو اهتمام في الحقول الأخرى من السياسة الخارجية والسياسة الداخلية.

وعندما تحول مارتن لوثر كينغ الأصغر من الحديث عن الحقوق المدنية وبدأ بالتحدث عن السياسات الداخلية وعلاقتها بالفقر، وبخاصة عندما بدأ يتحدث ضد الحرب في فيتنام، شعر أناس كثيرون بأنه بدأ يتجاوز الحدود الطبيعية لما يمكن للشخص الأسود أن يتحدث به. وسياسات الشفقة والحنان تفرز هذا السيناريو. وفي اللحظة التي بدأ فيها الدكتور مارتن لوثر كينغ يفقد احترامه بسبب وقوفه ضد الحرب في فيتنام، لم يعد يقال لهم الدكتور الموقر كينغ - بل أصبح واعظاً سريع الغضب ولا يملك أي خبرة للتحدث في هذه القضايا. وربما أعطاه حصوله على جائزة نوبل للسلام عام 1964 بعض الشرعية الأخلاقية في التحدث ضد الحرب كما يراها من وجهة نظره. لذلك، ومن هذا المعنى، هناك تواصل في تلاعب الجمهوريين بالحنان الذي قد يبدو شيئاً حسناً على السطح،

إلا أن أسفلها نوع من التعالي الذي برع السيد بوش في التلاعب به. ومن الجانب الآخر، يبدو بوش وكأنه يمد يده إلى هذه الشريحة الاجتماعية القيّمة، إلا أن ما يفعله حقيقة هو إعادة عزلهم داخل "الفتو": فأنتم لا تصلحون إلا حين نريد أن نقول للمجتمع الأمريكي بأننا نهتم بشأن "الأدنى من هؤلاء". إلا أن سماع ما سيقوله "الأدنى من هؤلاء"، هو أن تسمع المعارضة، وتسمع النقد، وأن تسمح لهم بالتعبير عن معارضتهم للحرب ضد العراق، وهو ما لا يسمح به. لذلك فإن هذا التلاعب والتحايل في سياسات الحنان الجديدة التي ترددها إدارة بوش ينبغي أن تخضع لتمحيص دقيق من وجهة نظري.

جيرمي إيرب: كيف كان سجل بوش تجاه مسألة العرق، من وجهة نظرك؟ هل تجده يختلف عن الرؤساء السابقين في تعامله مع القضايا الخاصة بالعرق والإثنية في هذا البلد؟

إنني متأكد بأنك لو كنت من أصل إفريقي، وكنت تسكن إلى جوار السيد بوش، فإنه سيكون لطيفاً في تعامله معك، وسيقدم لك المساعدة في حمل القمامة إلى الحاوية، وفي إزالة الثلج المتراكم على مدخل منزلك. ليس لدي شك في أنه شخص طيب القلب، ولكن هذا لا يعني الكثير حين يتعلق الأمر بالسياسة العامة التي تخص المجتمع. وبالنسبة لي، فإن قيام السيد بوش قبل عام بالإعلان في ذكرى مولد مارتن لوثر كينغ عن معارضته الشديدة للسياسات الرامية إلى تحسين فرص وأوضاع المرأة والأقليات يكشف عن استعداده للتلاعب واستغلال سياسات التعاطف مع الأقليات العرقية لمصلحته الخاصة، في الوقت الذي لا يولي فيه أدنى اهتمام لمصالح الأفارقة الأمريكان. وتسعى إدارته إلى تطبيق سياسات صارمة ضد جهود تحسين أوضاع الأقليات منذ تسلمه السلطة. حيث وقفت هذه الإدارة إلى جانب الأشخاص الذين رفعوا دعوى قضائية ضد سياسات القبول في جامعة ميتشفان]التي تخصص نسبة من المقاعد لأبناء

الأقليات العرقية ومن بينهم الأفارقة الأمريكان) والذين يسعون إلى إرجاع عقارب الساعة إلى الوراء. إن السيد بوش يقف موقفاً عدائياً تجاه السياسات التي تقدم افضلية في التعامل تجاه الأقليات لتحسين أوضاعهم، في الوقت الذي استفاد هو شخصياً من توسط ابيه له من أجل تأمين قبوله في جامعتي هارفارد و ييل، ثم يطلع علينا متفاخراً بكونه كان طالباً بمعدل (ج). ولسنا ننكر أنه يجيد التحدث بلغة الملك، ولكن ليس بحسب ذوق الملكة. فهو يخلط الحابل بالنابل. ولا يقتصر الأمر على عدم اتساق الأفعال مع الضمائر في حديثه، بل هناك تعمد في التحدث بهذه الطريقة لكي يبدو أمام الناس بأنه شخص عادي من عموم الناس. والناس يقولون "إن عباراته المثيرة للضحك هي دليل على أنه واحد من بيننا". ولكن لو تحدث بهذه الطريقة امرأة من أصل إفريقي، أو أي شخص آخر من أية عرق آخر، لقيل بأن هذا دليل على أن هؤلاء الناس ليسوا جاهزين لهذا المستوى من المعترك السياسي. لذلك فهو قادر على التلاعب بالأخطاء واستخدامها ولكن لو ارتكب أشخاص سود مثل هذه الأخطاء اللغوية لاستخدم ذلك دليلاً على افتقارهم إلى الذكاء.

يملك السيد بوش مهارات شخصية هائلة، إلا أن سياساته الاجتماعية والعامة حين يتعلق الأمر بالعرق هي سياسات شنيعة ومنكرة. ولهذا السبب، بالمناسبة، يشعر الأفارقة الأمريكان أن بإمكانهم أن يفتخروا بأشخاص مثل كونداليزا رايس على حصولها على شهادة الدكتوراه، أو كولن باول على وصوله إلى رتبة جنرال، ولكن هناك كثير من الناس يجأرون قائلين بأن على السود أن يعطوهم فرصة. "ألست فخوراً بهم"؟ والحقيقة أننا لسنا فخورين بالأشخاص الذين يعملون على توسيع السياسات الفاشية: ولسنا فخورين بالأشخاص القابعين في البيت الأبيض ويعجزون عن منع الرئيس من إصدار تصريحات مناهضة لمصالح السود في ذكرى ميلاد مارتن لوثر كينغ. إننا لسنا فخورين

بالأشخاص الذين يتلاعبون بأصلهم العرقي حين يكون ذلك مواتياً لهم، ثم يقولون بأنهم يؤيدون نمطاً متعدي الأعراق من الحكم الديمقراطي. أعتقد أن السيد بوش استخدم كونداليزا رايس وكولن باول رموزاً في سياساته العرقية، وهذه السياسات، شأنها شأن هذه الرموز، لا تساهم بأي شيء يذكر في تقدم الأفارقة الأمريكان. وهو بهذه الطريقة يشابه بل كلينتون في سياساته الرمزية التي تربط بين السود وفشل أبيه في تحقيق أي شيء في حياته. وبهذا المعنى استفاد جورج بوش بمكر ودهاء من سياسات كلينتون وسياسات أبيه من قبل. وقد كان لهذا الدمج آثار مدمرة على السكان السود في الولايات المتحدة.

جيرمي إيرب: من وجهة نظرك، ما الذي سيدفع الطبقة العاملة الفقيرة من السكان البيض إلى النظر إلى أوضاعهم الاقتصادية على حقيقتها وليس من خلال المنظار العرقي؟ وقد تحدثت قبل قليل عن ذكاء الحزب الجمهوري في استخدام حيل وتكتيكات مثل إستراتيجية نيكسون في الجنوب، وتعمدهم استخدام الفروق العرقية في السكان لاستدراج الطبقة العاملة الفقيرة من البيض إلى صفوفهم؟

عندما حبس مارتن لوثر كينغ ذات مرة في سجن بيرمنغهام(*) قال لسجانيه من البيض: "هل تعلمون أنكم لا تختلفون عني كثيراً، ولا يوجد فارق كبير يفصل بيني وبينكم. فأنتم ليس لكم رأي في المؤسسات التي تحكم حياتكم. وليس لكم صوت مسموع في الديمقراطية الأمريكية، ومع ذلك، فإن القوى المسيطرة التي تؤمن بسيادة الجنس الأبيض تتلاعب بعقولكم لدفعكم إلى الاعتقاد بأنكم أعدائي". ومع الأسف، فإن هذه المأساة لم تتغير. وأعتقد أن ما ينبغي أن نقوله لإخواننا البيض من الطبقة الكادحة هو أن أحوالهم ومصاعبهم مطابقة لأحوال ومصاعب السود ومعظم ذوي الأصول اللاتينية. فهم جميعاً يعانون من الاقتصاد

(*) كبرى مدن ولاية ألاباما.

المتردي، ولو سمحتم لنخب السياسيين البيض بالتلاعب بعواطفكم وافكاركم بحملكم على الاعتقاد بأن عدوكم الحقيقي هو هذا الشخص الأسود الذي يعمل إلى جانبكم في المصنع- حيث يستنشق كلاكما الغازات الكيماوية السامة والتي ستتسبب في الموت المبكر لكما- بدلاً من إدراك أن العدو الحقيقي هو رموز النخبة السياسية الأمريكية أو الهيكل المؤسسي (الشركاتي) الذي يعيش على خوفك من الشخص الأسود، فإنكم ستقعون في الهاوية.

ينبغي أن نقول لهم بأننا وإياهم في قارب واحد، وأن حالنا وحالهم واحدة من حيث الطبقة الاجتماعية ومن حيث القيم الثقافية المشتركة بيننا حتى وإن كنا ننظر إليها من زاوية عرقية مختلفة. إننا بحاجة إلى إقناع الطبقة الكادحة من السكان البيض بهذا. إنه لمن العجيب حقاً أن يكون لدينا في أمريكا لغة ومصطلحات خاصة بالعرق ولكننا لا نملك لغة ومصطلحات مشابهة فيما يخص الطبقة الاجتماعية. فماذا عن الأغنياء والفقراء؟ وماذا عن الذين يملكون التأمين الصحي والذي لا يملكون تأميناً صحياً؟ ولو تحدثنا بمثل هذه اللغة لأصبح بمقدورنا تبسيط الأرقام كي نشاهد نسبة السكان البيض الذين يتلقون المعونة الاجتماعية من الدولة، وعدد السكان البيض من الفقراء. وعدد السكان البيض الذين لا يملكون تأثيراً على الحكومة في القضايا التي تهمهم. فكم مرة سمعت أحداً من البيض يقول: "أنت تريد افضلية في التعامل، فلماذا يُقدّم ابنك عليّ؟ او "أنتم تريدون تعويضاً عن استرقاقكم؟ فلماذا يحصل عليها ابنك ولا يحصل عليها ابني، مع أننا مثلكم لا نملك شيئاً من الأسباب الاقتصادية؟" وأنا أقول لهم إن المسألة ليست مسألة إما نحن أو أنتم. إننا جميعاً سواء في هذا.

ومما يدهشني حقاً أن الجناح اليميني من المحافظين يتحولون إلى ماركسيين حين يتعلق الأمر بالعرق. انتبهوا، خذوا حذركم، لأن هؤلاء السود يأخذون النقود من جيوبكم. فكم هو عدد السود الذين يشغلون منصب مدير عام

في أكبر 500 شركة؟ كم هو عدد السود في مجلس الشيوخ؟ كم هو عدد السود في الكونغرس؟ كم هو عدد السود في مواقع صنع القرار الذي يؤثر على حياة البيض؟ هل يخضع البيض لحكم السود؟ لذلك، عندما يرجع البيض إلى الوراء قليلاً ويبدأون بتحليل الطريقة التي يجري من خلالها التلاعب بمشاعرهم وأفكارهم على يد النخبة من الجنس البيض، فقد نكون أمام احتمال تلاحم قوي بين الطبقة العاملة التقدمية والطبقة الكادحة من البيض والسود واللاتينيين والحمر، بدلاً من استمرار النخب الشركاتية في التلاعب بالطبقة العاملة من السكان البيض.

جيرمي إيرب: لنتحول الآن إلى قضية تغيب بوش عن وظيفته في الحرس الجوي الوطني خلال فيتنام، والغموض والجدل الدائر حول خدمته أو عدمها، وأود أن اعرف إذا كنت تعتقد ان هذه القضية هي قضية مشروعة، لأن هناك كثيراً من التقدميين يرون ان مساءلة بوش حول هذه القضية يعزز الخطاب العسكري الذي يرفضه اليسار اصلاً.

ما من شك أن من غير المقبول أن يحاجج المرء من طرفي النقيض، أو كما يقول المثل الدارج "لا يمكنك أن تأكل الكعكة وتقدمها للآخرين في وقت واحد". لقد ضخم السيد بوش سجله الحافل بخدماته وقت الأزمات. "لقد كنت هناك، على خط المواجهة. أنا الرجل الذي يعتمد عليه." إلا أنه تبين لنا فيما بعد أنه لم يكن كما قال. وسبب تركيزنا على هذه القضية هو أنها تعيد الفكرة القائلة بأن الرجولة بحاجة إلى من يدعيها بحقها. ونحن نحاول أن نشير إلى الاطراد في الموقف السياسي، وإذا ادعى بوش أن الرجولة هي حول إقدام المرء وتحمله مسؤولياته، في الوقت الذي يكون فيه مختبئاً بعيداً عن مسرح الأحداث، فإن أقواله لا تتفق مع افعاله.

إنني أعتقد أنه يجب مواجهة السيد بوش بهذه القضية. وأن القيام بذلك هو أمر صائب مائة بالمائة، وأن هناك علاقة بين استغلال فكرة "الرجولة" ورموز الهيمنة من خلال المؤسسة العسكرية وحقيقة الادعاء بأنك قائد العالم الحر لأنك تقول بأنك تملك خبرة عسكرية، ثم يتبين لنا أنك كنت تغيبت عن أداء واجبك في الخدمة العسكرية. لم تذهب إلى وحدتك لأداء واجبك. وهناك أيضاً خلل في القصة التي قدمتها إلى الإعلام. "لقد كنت هناك...أنظروا، إن لي ذكريات في ذلك المكان... إنني أذكر أنني كنت هناك." وكأننا أمام حالة من مرض آلزهايمر (الخرف) التوقعي. أو ربما هي من قبيل اللعثمة الأخلاقية. ولكنك تقرأها بالعكس.

ما يجب علينا قوله للسيد بوش هو: "عليك أن تواجه ما قلته." إذا نظرت إلى الجنود، فستجد نسبة عالية من السود، والفقراء من البيض والأجناس الأخرى الذين يخدمون في الجيش. أعني أن الحقيقة الوحيدة التي يمكن أن نستشفها من قصة جسكا لينش هي أن أعداداً كبيرة من الفقراء البيض يلتحقون بالجيش للأسباب ذاتها التي يلتحق لأجلها السود بالجيش منذ سنوات عديدة. إنهم يحاولون الخروج من الغتو. لقد استخدموا الجيش لحفز تحركهم إلى الأعلى في المجتمع. هذه هي القضية، ولم يكن التحاقهم بالجيش مدفوعاً بأسباب أيديولوجية عسكرية لتدعيم الإمبراطورية الأمريكية. لا، إنها مدفوعة بتردي أوضاعهم الاقتصادية إلى درجة لم تترك أمامهم كثيراً من الخيارات للحصول على تعليم سوي ووظيفة محترمة.

جيرمي إيرب: ما الذي تعنيه هذه الانتخابات بالنسبة لك؟ لأن هناك أشخاصاً يميلون نحو اليسار ولكنهم يقولون بأن العمل يجب أن يكون في مكان آخر، وينبغي أن لا ننخدع بالتفكير بأن انتخاب مرشح من الحزب الديمقراطي سيحدث أي تغيير في هيكل النظام؟

إن مما لا شك فيه أن لهذه الانتخابات أهمية كبيرة. علينا أن نخرج إلى الشارع لنعرب عن مواقفنا، وما كان لي أن أحظى بوظيفتي الحالية في هذه الجامعة المرموقة لولا ان أشخاصاً مثل مارتن لوثر كينغ وابراهام جوشوا هيشل وغيرهم من الأمريكان المهتمين خرجوا إلى الشوارع حتى لا تبقى امتيازات الديمقراطية في أيدي الأشخاص الذين كانوا يعملون ضد مصالح السود والأقليات. والتصويت في الانتخابات هو الشيء الصحيح. إنه أمر ضروري، وهو ممارسة ديمقراطية لأن كل مواطن يستطيع المشاركة في هذه العملية.

وهذه الانتخابات هي في غاية الأهمية، ليس لما يمثله جورج بوش في وعيه السياسي وحسب. إنها معركة حول الطريقة التي تعمل بها العالم، ومن يملك فرصة تسييره، ومن يملك الكلمة الأخيرة في تسييره. وبالطبع أن المرشحين ليسوا على درجة من الكمال. إنها كمن يقول لي بأنهم لا يرغبون في المجيء إلى الكنيسة لوجود منافقين فيها. فأقول لهم: "حسناً، يوجد دائماً متسع لشخص زيادة. تعال وشاركنا". وهؤلاء الذين يقولون بأن السياسة فاسدة، فأقول لهم، حسناً تعالوا وشاركونا ويمكنكم أن تكونوا جزءاً منها. السياسة تتعلق بالمناقشات حول توزيع الموارد. هذه هي السياسة في إحدى مستوياتها. فلا تعتقد أنها لا تهمك. إنها تهمك إذا كنت تهتم بنوعية الماء الذي تشربه، ونوعية الهواء الذي تتنفسه، أو نوعية الإرهابيين الذين سيكونون حولك. إنها تهمك إذا كنت مهتماً بالعرق، والطبقة، والجنسوية. إنها في غاية الأهمية. وعلينا أن نصوّت. وكما يقولون في شيكاغو: صوّت مبكراً وصوت كثيراً.

فيلادلفيا

11 فبراير، 2004

* *

دانييل إلزبيرغ

دانييل إلزبيرغ هو محاضر، وكاتب، وناشط في قضايا مخاطر العصر النووي والتدخلات غير المشروعة. ذاعت شهرته في أعقاب كشفه للصحافة ما أصبح يعرف "بوثائق البنتاغون" عام 1971 - وهي دراسة حكومية سرية للغاية حول تاريخ تدخل الولايات المتحدة في حرب فيتنام منذ عام 1945 إلى عام 1968. وجهت إليه عام 1973 تهم بارتكاب 25 مخالفة يبلغ مجموع عقوبتها الحبس 115 عاماً على نشره تلك الوثائق، إلا ان تلك التهم اسقطت على خلفية تعسف الحكومة وتجاوزاتها ضده. وقد ادى الكشف عن تلك الوثائق إلى إدانة عدد من موظفي البيت الأبيض وشخصيات اخرى ضمن إجراءات توجيه الاتهام ضد الرئيس السابق نيكسون. احدث كتبه: أسرار: مذكرات فيتنام ووثائق البنتاغون (فايكينغ، 2002).

جيرمي إيرب: ذكرت في إحدى المقابلات التي أجريت معكم بأن هذه الحكومة "استخدمت الكذب لتقحمنا في هذه الحرب"، وهذه تهمة كبيرة، فما الذي تعنيه بذلك؟

كما تعلم، لم أقل بأنهم كانوا على غير العادة فيما فعلوه. وفي أوقات الحرب، غالباً ما يكذب هذا الطرف أو ذلك. وفي قضية الحرب على العراق يمكنني القول بأن الحكومة كذبت بشكل سافر كما حدث في فيتنام. وكنت أقول هذا الكلام منذ خريف عام 2002، اي قبل أن يظهر لنا مدى تضخيمهم وتهويلهم لقضية أسلحة الدمار الشامل. ولم أكن أقصد فيما قلته في ذلك الوقت أسلحة الدمار الشامل، لأن بوش استطاع أن يخدعني في تلك القضية. وصدقت كل ما

كان يقال، من أن صدام حسين تبقى لديه كميات من الغاز السام بعد حرب الخليج، وأنه كان يملك أسلحة بيولوجية، وأنه يمتلك برامج أسلحة نووية، لأن قادتنا عبروا عن ذلك بكل قوة. وكانت تلك الإدعاءات قابلة للتصديق. وفي ضوء ذلك، كان من غير المعقول تحركهم نحو احتلال العراق، لأن أكثر ما كنت أخشاه في فترة الاستعداد للحرب أن يقوم صدام حسين باستخدام الأسلحة البيولوجية أو الكيماوية ضدنا وأننا سنرد باستخدام السلاح النووي. كان ذلك هو أكبر مخاوفي.

إلا أن ذلك كله، وكما تبين لنا الآن، كان مجرد أوهام. فلم يكن لدى العراق أسلحة كيماوية أو بيولوجية. وربما تقول لم أكن بحاجة إلى الخشية من ذلك. إلا انهم كانوا يكذبون حول أدلة وجود أسلحة الدمار الشامل، ومن الواضح انهم كانوا يكذبون في كل جانب من جوانب تلك الحرب. والمقولة الأساسية بأن صدام حسين كان يشكل أكبر خطر على أمن الولايات المتحدة وعلى النظام العالمي هي من أسخف الإدعاءات التي صدرت عن الحكومة. وكنت متيقناً بأنهم في قرارة أنفسهم لا يصدقون ذلك. وأنا أتردد هنا في تعميم هذا الحكم على ما إذا كان الرئيس نفسه يصدق ذلك أم لا، لأن من العسير علي أن أعرف ما يجول في رأس السيد بوش. ولا أعرف ماذا كان يعتقد. إلا أنني لا أعتقد أن رمسفيلد أو تشيني أو مرؤوسيهم كانوا يشعرون بأن صدام حسين كان يشكل الخطر الأكبر على الولايات المتحدة، ولا أظن أن باول كان يعتقد ذلك أيضاً، وقد صرح بذلك باول نفسه. إننا نعيش في عالم توجد فيه القاعدة، ويمكنها الحصول فيه على أسلحة نووية، إلا أن فكرة حصول القاعدة على السلاح النووي من صدام حسين كانت آخر الطرق المحتملة وذلك بالنظر إلى وجود حوالي 30 ألف سلاح نووي روسي لا تتوفر لها الحماية المطلوبة، وأن بعض هذه الأسلحة قد تجد طريقها إلى السوق السوداء إذا كانت نظرية السوق تعني أي شيء.

ونتيجة لهذه الحرب وطريقة التعامل مع هذه الحرب، فإن حاجة دولة من دول العالم الثالث إلى امتلاك أسلحة نووية لردعنا انطبعت في أذهان كثير من الناس. إن من السخف القول بأن صدام حسين وبعد عشر سنين من الحصار والمقاطعة وحرب الخليج، كان يشكل أي تهديد. والفكرة القائلة بأنه مع انتهاء العقوبات سيعمل على امتلاك أسلحة نووية ويصبح خطراً كبيراً علينا لا يمكن ردعه، هي أيضاً فكرة سخيفة. والمسألة مسألة حكم على الأشياء. ولا أكاد أصدق بأن وكالة الاستخبارات المركزية كانت تصدق هذه الأمور. وعندما صدرت عنهم تلك التصريحات أمام الكونغرس على لسان جورج تنيت]مدير الوكالة آنذاك[، كان ذلك إعادة تأكيد على أن لديهم على الأقل شيء ثابت استندوا إليه في تلك التصريحات. وقال تنيت بأن راي الوكالة هو أن صدام يمكن ردعه حتى وإن امتلك مثل تلك الأسلحة، وانه من المستبعد جداً أن يستخدم الأسلحة او ان يعطيها إلى أي مجموعة لا تعمل تحت سيطرته، مثل القاعدة، إلا إذا تعرض للهجوم. بمعنى أن الهجوم على العراق من شأنه أن يزيد من احتمالات تعرضنا لهجوم بسلاح نووي أو بأسلحة الدمار الشامل لا أن ينقصها.

لذلك فإن هذه الفكرة القائلة بأن هجومنا على صدام سوف يقلل من مخاطر تعرضنا لهجوم آخر تبدو حكماً مناقضاً للعقل. وكنت متأكداً بأن معظم هؤلاء الأشخاص في الحكومة، بمن فيهم باول، يعرفون أن ذلك كذب، وكذب متعمد لتسويغ الحرب. ثم تبين لنا أنه حتى فكرة خطر أسلحة الدمار الشامل، وفكرة أنه كان لديهم أسلحة كيماوية جاهزة للاستخدام في ظرف 45 دقيقة، كانت كلها تهويل كبير للأدلة، ادلة واهية جداً، وتجاهل لتحفظات معظم المحللين في أجهزة الاستخبارات. إضافة إلى أن خطاب بوش الشهير حول التقرير المزور بأن العراق كان يحاول شراء اليورانيوم من النيجر. والسبب في عدم طرح ذلك التقرير جانباً برغم تحفظ وكالة الاستخبارات المركزية على محتوياته، هو انه

كان الشيء الوحيد الذي أضفى صبغة الدفاع عن النفس ومن ثم صبغة الشرعية على الضربات الوقائية والاستباقية. ومن دون وجود أي تهديد كيماوي ضد جنودنا في المنطقة، ينتفي أي عذر للولايات المتحدة لتجاهلها عدم تأييد مجلس الأمن. ومن دون هذه الإدعاءات الكاذبة، فإنه يكون من الواضح، كما هو ظاهر الآن، بأن هذه الحرب ما هي إلا جريمة عدوانية، وعملاً غير مشروع ضد السلام. لقد كانوا يحاولون إضفاء صبغة الشرعية عليها. وباختصار لقد كذّبوا علينا لدفعنا نحو هذه الحرب.

جيرمي إيرب: فيما يخص ما تحدثت عنه حول الحرب الوقائية وسياسات التدخل التي تنتهجها هذه الإدارة، كنت ذكرت في إحدى مقالاتك شيئاً عن مفهوم الإمبراطورية غير المباشرة. وقلت بأنها تشرف على النهاية وأننا الآن بصدد الاحتلال الإمبريالي المباشر، هل لك أن توضح لنا معنى ذلك؟

كانت الإمبراطورية الأمريكية منذ نشأتها إمبراطورية غير مباشرة تقريباً باستثناء ما حدث في الفلبين وتوسعنا الاستعماري في شمال القارة الأمريكية في القرن التاسع عشر. عدا عن ذلك، كان تأثيرنا في الخارج تأثيراً غير مباشر بالدرجة الأولى، ويتم تحقيقه عن طريق اختيار قادة وزعماء الدول، أو عن طريق التأكد من أن من يحكم مستعمراتنا السابقة في دول العالم الثالث يسيرون في خط الولايات المتحدة ويخدمون مصالحها. وإذا لم يفعلوا ذلك فإننا نتخلص منهم بطرق متعددة، وأكثر هذه الطرق مباشرة هي الاغتيال أو عن طريق الانقلابات العسكرية. هذه هي الوسائل. إلا أن الضغوط المالية والاقتصادية يمكنها أن تحقق نتائج مشابهة، وكذلك الحملات الدعائية الإعلامية والرشوة وغير ذلك. أما تغيير النظام في العراق فقد كان عن طريق احتلال مباشر وحكم عسكري. ويبدو أننا بطيئون في إدراك ما تراه بقية العالم بوضوح، وهو أن

الولايات المتحدة في العراق تحكم عن طريق حكومة عسكرية. ومن أجل التأكد من ذلك قمنا باختيار العراقيين الذين يفترض أن يكون لديهم بعض التأثير، ولكن ثبت أنه ليس لهم أي تأثير. وبذلك فنحن أمام احتلال عسكري لذلك البلد الذي يرفض الاحتلال، ولا يمكنه أن يرى أي سبب معقول لهذا الاحتلال بغض النظر عن غبطة الكثيرين من أبناء الشعب العراقي بزوال صدام حسين كحاكم لهم. وهناك نسبة ضئيلة من الشعب العراقي تقبل بفكرة أن لنا حق حكم البلاد وقتل الشرطة ووضع الأنظمة والتعليمات وقلب القوانين كلها. لا أحد في العراق يقبل بذلك. وهو ما كانت تتوقعه وزارة الخارجية والقادة العسكريون في الجيش ولكن تم تجاهله من المدنيين في وزارة الدفاع والبيت الأبيض.

جيرمي إيرب: ما تقوله هو ان الكذب أصبح ممارسة اعتيادية في السياسة الأمريكية، إلا أن الحجج التي تتردد دائما في محطات الأخبار وبرامج المحادثة التابعة للجناح اليميني هو انه لا يهم إن كانت هناك اسلحة دمار شامل في العراق ام لم تكن، لأننا تخلصنا من دكتاتور متجبر، والحجة الثانية هي أن الخديعة و السرية مطلوبتان لغايات حماية الأمن القومي. ما هو رايك بهاتين الحجتين المختلفتين: ضرورة لجوء الحكومات الديمقراطية إلى الكذب وتضليل الحقائق، وأن الغاية تبرر الوسيلة، والغاية هنا هي الديمقراطية، والثانية بأن الأمن يتطلب ذلك؟

لا افهم الحجة التي سيقت بشأن الأمن القومي؟ كيف يمكن أن يساعد ذلك في حماية أمننا القومي.

جيرمي إيرب: على سبيل المثال، قيام الحكومة بحجب أجزاء مهمة من التحقيقات الخاصة بالحادي عشر من سبتمبر بحجة أن بعض المعلومات لو اتيحت للملأ فإنها ستهدد أمن البلاد.

نعم، ولكن هذه المسألة تتعلق بالحادي عشر من سبتمبر والقاعدة. بالتأكيد نحن نواجه تحدياً خطيراً من القاعدة. ومهما كانت نتائج التحقيقات، فإن القاعدة هي من بين أعدائنا الذين يشكلون تهديداً خطيراً على الولايا ت المتحدة. وفكرة السرية مع القاعدة لها مسوغاتها. إلا انني لم أشاهد أي اسباب تدعو إلى التعطيل الكاسح للحقوق الدستورية في البلاد، وهو ما تعتزم هذه الحكومة فرضه. وأمامنا مشكلة تتعلق بالسرية. إلا أن الفكرة القائلة بأن صراعنا ضد القاعدة- بأن نحتويها ونتخلص من التهديد الذي تشكله وهو ما يسمى بالحرب على الإرهاب - الفكرة القائلة بأن هذا هو سبب الحرب في العراق هو من أكبر الأكاذيب التي ترددها الحكومة. والسؤال المهم والحقيقي هو ما إذا كان هناك صلة واضحة بين القاعدة وصدام حسين. وحتى هذا الوقت، لا يوجد دليل على ذلك. وأنا متأكد أنه لو كان هناك دليل لسمعنا عنه في الحال.

لقد استنتجت من عجز الحكومة عن تقديم دليل صادق وبينة مقنعة، قبل عام، أن المسألة كلها تلفيق وإفك. وبالنظر إلى الوراء فإنها فعلاً تلفيق. لذلك بإمكاني أن أقول بأن الحرب على العراق ليست جزءاً من الحرب على الإرهاب أو القاعدة أو شبكات الإرهاب الأخرى. والأسوأ من ذلك أنها أضعفت الحرب على الإرهاب. لقد أصبحت الحرب على العراق حربا بديلة عن الحرب على الإرهاب. ومن المستحيل أن نقلل من خطر أسامة بن لادن والقاعدة ما دام أننا نحتل العراق ونقتل المدنيين وغير المدنيين من المسلمين هناك. إن هذه الحرب تساعد في تحقيق أهداف تجنيد المجاهدين وتزيد من إصرار القاعدة وابن لادن. وفكرة أننا نحقق تقدماً فيما نحاول أن ننجزه في الوقت الذي نحتل فيه العراق هي فكرة ميئوس منها. وما دامت شعوب المنطقة تنظر إلينا -بحق- بأننا الممول الوحيد للمستوطنات في الضفة الغربية وغزة في إسرائيل. وما دام أن دعمنا

للاحتلال الإسرائيلي غير المشروع في فلسطين مستمر، فإن من المتعذر التفكير بأننا يمكن أن نحقق تعاوناً فعالاً في الحرب على الإرهاب.

لذلك فإنني أقول بأن أمننا القومي يتعرض لتهديد خطير بسبب هذه الاحتلال، وبسبب سياساتنا تجاه إسرائيل وسياسة هذه الحكومة تجاه إسرائيل. وفي وكل يوم يتواصل فيه الاحتلال فإن الأمور ستتحول من سيء إلى أسوأ، وأنا متأكد أنها تتحول إلى الأسوأ. وأن أسامة بن لادن- وهذا ليس من قبيل الخطابة والمبالغة- يصلي من أجل استمرار حكومة بوش في الحكم. لأنه ليس هناك أفضل من بوش يمكن أن يقدم له البيئة المناسبة لتحقيق أهدافه.

جيرمي إيرب: ذكرت في بداية إجابتك شيئاً عن إلغاء الحقوق المدنية الذي رافق هذه السياسات، وأنا أتساءل، تأسيساً على كل ما شاهدته طيلة خدمتك الطويلة في حكومات عدد من الرؤساء الذين وصلوا إلى البيت الأبيض، هل كان هناك سوابق لمثل ما نشاهده اليوم؟

بالنظر إلى الوراء طوال خدمتي في الجهاز التنفيذي وفي ظل عدد من الحكومات المتعاقبة، فإنني أتذكر عدداً قليلاً من الأفراد الذين لا يولون التقدير لنظامنا الديمقراطي أو للدستور. ووقفوا مواقف مناهضة من الكونغرس ولديهم تجاهل لأي قيود قانونية على ما يفعلونه. ولا يختلف هذا كثيراً عما نشاهده الآن إلا بدرجة الحدة، ولدي انطباع بأن آشكروفت ورمسفيلد وتشيني ليس لديهم أدنى احترام أو فهم لأي ميزة أو فائدة من مزايا وفوائد الديمقراطية. إنهم يعتبرون ما يفعلونه بأنه في صالح البلد بطريقة قد لا يفهمها الشعب، وإذا كان الشعب لا يفهم ذلك أو لا يقبله، فينبغي تجاهلهم والتضييق عليهم.

أعتقد بأن جنوح هذه العصبة نحو تكريس دولة البوليس في أمريكا وبدرجة كبيرة تختلف عن أي حكومة مرت عليها في السابق. وعلى الرغم من أنه لم يحكمنا عموماً رؤساء يولون كثير اهتمام لما يريده عامة الناس، إلا أنني أقول بأن

هناك فارق نوعي كبير. وأعتقد أننا لو تعرضنا لهجوم إرهابي آخر في ظل هذه الحكومة فإننا سنتحول إلى دولة بوليس. إننا ما زلنا بعيدين عن دولة البوليس الفاشية كالدول الاستبدادية التي نصبناها في أمريكا اللاتينية وفي آسيا وبقية العالم الثالث، واعتقد أننا سنتحول إلى مثل هذه الدول إذا تعرضنا لهجوم إرهابي كبير آخر، لأن طبيعة ونزعة هذه الحكومة تفرض عليهم أن يكون لديهم خطط جاهزة لمثل هذا الهجوم، كما حدث في 11 سبتمبر. خطط لاستخدام الخوف العام لتعطيل الحقوق المدنية وتعزيز وضمان دورهم وسحق أي معارضة تقف في طريقهم.

وبالمثل، فإنني لا أرى اية معارضة حتى الآن، بالتأكيد ليس في الكونغرس ولا في أجهزة الإعلام الرائجة حول هذه القضية. إنني أشاهد تحركاً شعبياً كبيراً نسبياً ضد ما يسمى قانون الوطني. ولكنه ليس بالمستوى الذي يقلق هذه الحكومة أو يردعها. وهذا التحرك الشعبي لا يلقى أي دعم في الكونغرس، باستثناء عضو واحد في مجلس الشيوخ هو السيناتور رس فاينغولد الذي كان لديه الجرأة على التصويت ضد هذا القانون. وهذا أمر فظيع. ولكن ذلك حدث عقب 11 سبتمبر مباشرة. وأعتقد أنه لو وقع حادث آخر مثله فإن الشعب سيقبل بتعطيل الحقوق المدنية وقمع الحريات، تماماً كما تشبث الشعب الإسرائيلي بآرييل شارون في مواجهة الانتفاضة الثانية. إن تشبثهم بالزعيم القوي الذي يزيد من تعقيد القضية ليس من الحكمة في شيء. ولكنني أستشف ان شيئاً مشابهاً سيحدث في أمريكا كما حدث في العامين المنصرمين.

جيرمي ايرب: ذكرت في إحدى المقابلات التي اجريت معكم مؤخراً بأن هذه الإدارة قامت باستغلال احداث 11 سبتمبر دون حياء لتحقيق مصالحها. وقبل أيام شاهدت ريتشارد بيرل عبر إحدى المحطات، وذكر حجة مناقضة لما تقوله. ووجهة نظره، وهذه النظرة تتردد في دوائر

المحافظين الجدد بشكل علني، تقول بأن الإدارة لم تستغل احداث 11 سبتمبر، ولكن 11 سبتمبر اثبتت انهم كانوا محقين فيما يقولونه منذ البداية. والنقطة التي يركزون عليها هي ان الهجمات الإرهابية كانت مؤشراً لما يمكن ان يحدث ما لم نعمل على تعزيز دفاعاتنا واستخدام قوتنا بحزم وعزيمة حول العالم. لذلك فإن 11 سبتمبر بحسب هذه النظرة ليست ذريعة، بل دليلاً على صحة وصواب رؤيتهم في السياسة الخارجية.

إنني لا أكاد أفهم ما إذا كان شخص مثل بيرل، وهو من دون شك على درجة من الذكاء، يتفوّه بمثل هذا الكلام ويصدقه بغباء، أو أنه مجرد مضلل إعلامي يحاول جاهداً إقناع الناس بهذه السياسة الخطيرة التي لا تطاق. ولا أجد سهولة في التكهن بذلك لأنه لم يسبق لي أن قابلت الرجل. إلا أن الحقيقة هي أن الغباء الوافر يمكن أن يتعايش مع الذكاء الوافر في شخص واحد. وربما أن هذا هو ما يحدث هنا. والحقيقة هي أن أحداث 11 سبتمبر نفسها، تكشف لنا عن استعداد هذه الإدارة بكامل أعضائها بمن فيهم بيرل مستشار مجلس سياسة الدفاع، لتجاهل الأخطار والتهديدات التي ما فتئ الديمقراطيون وبعض الجمهوريين يحذرون منها. ويقال بأن آخر التقارير التي قدمتها إدارة كلينتون إلى الإدارة الجديدة كانت تحاول التأكيد على إدارة بوش بأن أسامة بن لادن والسعوديين يشكلون خطراً كبيراً وأنه يجب اتخاذ إجراء ما بشأنهم. إلا أن هذه الإدارة تجاهلت هذه التحذيرات على مدى سنة كاملة. وقد فعلوا ذلك بفظاعة شديدة تجعل التفكير بالمؤامرة احتمالاً وارداً وليس من قبيل الجنون، لأنها تقدم تفسيراً لما يصعب تفسيره بغيرها.

ثانياً، وعلى مدى عقدين من الزمان، كانت خطة بيرل و ولفوويتس ومعهم رمسفيلد وتشيني تنادي بمهاجمة العراق وتغيير النظام فيه وإعادة تشكيل الشرق

الأوسط. فهل ما حدث في العامين الماضيين يظهر لنا أن هذا هو الأسلوب الأفضل في التعامل مع مشكلة أسامة بن لادن الذي كان هناك طيلة معظم تلك الفترة؟ ما حدث هو العكس. إن إسداء الخدمة لأسامة عن طريق قتل المسلمين وبث ذلك عبر شاشات التلفاز، وإلقاء القنابل بكثافة فوق رؤوسهم، والقول بأن ذلك هو محاربة لخطر أسامة بن لادن والقاعدة، و11 سبتمبر، هو عكس للحقيقة. لذلك أقول بأن وجهة النظر التي قادتنا إلى هذه الحرب هي، تحت أفضل الاحتمالات، نظرة غير حكيمة، وأن القرارات التي صدرت عن أصحابها كانت قرارات متهورة وقائمة على الجهل والمعلومات الخاطئة، وأنهم ليسوا أهلاً للثقة. وكل هذه الأوصاف تصدق على هذه العصبة تحديداً، بمن فيهم بيرل. ولكن، وتحت أسوأ الاحتمالات، فإنها تعني أنهم متهمون بالاستعداد لتحقيق أهدافهم على حساب زيادة المخاطر من الإرهاب على المدنيين في هذا البلد. وهذا ما نجنيه الآن.

جيرمي إيرب: استخدمت عبارة "الملكية المنتخبة" في وصف ما شاهدته عبر السنوات من القوة المتنامية والمتزايدة للسلطة التنفيذية. وقلت بأنك قلق من هذه الظاهرة وخاصة في ظل حكومة بوش. فلماذا؟

إن استعداد الرئيس للقول وبشكل سافر "لم أقرر إن كنت سأهاجم العراق أم لا،" في وقت لم يكن فيه تفويض من الأمم المتحدة ولا من الكونغرس- وعندما صرح بأنه سيقرر شخصياً ذلك، فإن فعله هذا يعد نقضاً للدستور. وتقضي المادة (1) بند (8) من الدستور بأنه ما لم يكن هناك خطر محدق أو هجوم وشيك أو قائم، فإن الكونغرس وحده هو المخول بتقرير إعلان الحرب. وليس من صلاحيات الرئيس أن يقرر ذلك. ولم تكشف تصريحاته تلك عن نزعته في التصرف وكأنه ملك وحسب، بل أظهرت أيضاً مدى استعداد الكونغرس للرضوخ والقبول بذلك. وبالطبع لم يكن هذا الموقف فريداً في تاريخ البلاد، بل توجد له

سوابق بدأت بالتفويض الصادر بشأن خليج تونكن وفي الحرب على أفغانستان. ومرة أخرى لم نجد سوى عضو واحد في الكونغرس هي باربرا لي التي وقفت وحدها موقفاً دستورياً مشرفاً غير جبان في تصديها لهذا الافتئات على صلاحيات الكونغرس. إلا أنه وبعد عام، صوت 132 ضد هذا التفويض في مجلس النواب، و23 عضواً في مجلس الشيوخ، ولم يكن لدى أي من أعضاء مجلس الشيوخ الذين يعتزمون الترشيح للرئاسة الشجاعة الكافية للتصويت ضد هذا القرار غير الدستوري بتفويض سلطة إعلان الحرب من الكونغرس إلى الرئيس. وهذا الوصف بعدم الدستورية هو الذي أطلقه السيناتور بيرد والسيناتور كيندي وهما العضوان المتبقيان من مجلس الشيوخ من بين الذين صوتوا لصالح قرار التفويض الأول الخاص بخليج تونكن عام 1964 والذي يفوض الرئيس الأمريكي بحق إعلان الحرب في فيتنام، بعد أن ندما على ذلك القرار لأكثر من ثلاثين عاماً؛ وحذرا زملاءهما في مجلس الشيوخ من التصويت لصالح قرار سيندمون عليه لعدة قرون قادمة.

جيرمي إيرب: عندما توازن بين قرار تفويض إعلان الحرب في خليج تونكن وقرار تفويض الرئيس إعلان الحرب في العراق، هل تستشعر وجود تشابه في انعدام الشجاعة لدى الكونغرس بين الحالتين؟ كيف تؤثر حقيقة اننا تعرضنا فعلاً لهجوم في 11 سبتمبر على هذه المقارنة؟

إن فكرة وجود تهديد على الولايات المتحدة في أرضها ليست بالفكرة الجديدة. لقد كنا في الحرب الباردة نعيش دائماً في ظل التهديد بوقوع حرب نووية شاملة نتيجة إنذار خاطئ، وهو تهديد عايشناه وكانت سياساتنا واستفزازاتنا للطرف الآخر تزيد من حدته يوماً بعد يوم، وسنة بعد سنة، وقرناً بعد قرن. إلا أن الشعب الأمريكي كان لا يدرك كثيراً مما يجري حوله. لم يكونوا

على دراية بسياسات وتصرفات الحكومات المتعاقبة، وكانوا يعتقدون بأن الولايات المتحدة تعمل كل ما في وسعها لتجنب المواجهة على عكس ما كان يحدث على أرض الواقع. والحقيقة أن الولايات المتحدة كانت تستفز سيناريو الحرب الشاملة. وكانت ممارساتها تزيد من احتمالات وقوعها، كما تفعل حكومة بوش الآن في زيادة فرص وقوع هجمات إرهابية على أرض الولايات المتحدة. إلا أن الهجوم الذي وقع في 11 سبتمبر كان هجوماً حقيقياً، كما لو قام الروس فعلاً بمهاجمة قواتنا، وهو ما لم يحدث خلال الحرب الباردة. ولو فكرت بالأمر، فإن قواتنا لم تتعرض لهجوم من قبل القوات الصينية أو الروسية من بداية الحرب الباردة وحتى نهايتها. والآن، ومع 11 سبتمبر، قام خصومنا بتنفيذ هجوم على أهداف في الأرض الأمريكية وبأسلوب خطير، ومن الواضح أن مثل هذا الهجوم سيتكرر وعلى نحو أكيد.

وأفضل شيء يمكننا فعله لتخفيف مخاطر هجوم آخر هو تقليل فرص حدوث هجوم مشابه والتخفيف من آثاره عن طريق وسائل مختلفة، وهذه الحكومة لا تطبق أياً منها. ويبدو أن عامة الشعب تتطلع إلى من يظهر نفسه بمظهر الشخص القوي، الشخص الذي يبدي استعداداً لعمل كل ما يلزم لحمايتنا من الخطر الذي يهددنا بأي وسيلة. وهذا الموقف الشعبي تنقصه الحكمة والحصافة. وفي الوقت الذي نجد فيه بعض المعارضة، فإن هذه الحكومة لا تتوانى عن وصف من يخالفها بالخيانة. ولو قارنا ذلك بما كان يحدث في عهد الرئيس ليندن جونسون أثناء حرب فيتنام، فسنجد أن عدداً قليلاً من الناس يعي ذلك. وبإمكاني التعليق على ذلك أكثر من معظم الناس- إذ لم يكن جونسون تحديداً هو الذي يصف الناس بالخونة. وباستثناء بعض الحالات، لم يلق الأشخاص المعارضون له، وبخاصة في مؤسسات الدولة، هجوماً كاسحاً على غرار المكارثية ونعتهم بالخونة وعديمي الوطنية. كان هناك شيء من ذلك، ولكن

ليس كالذي نشهده اليوم. فاليوم تستخدم كلمة "خائن" استخداماً فضفاضاً لوصف اي شخص لا يتفق مع الحكومة في اي أمر. ولا يقتصر الأمر على آن كوتلر في كتابها الذي جعلت عنوانه "خيانة" مستخدمة تلك الكلمة بحسب هواها. لقد كثر استخدام هذه الكلمة لدرجة أفقدتها معناها. إنني لا احب ان يقال لي "خائن". على الرغم من أن ذلك حدث كثيراً بسبب نشري وثائق البنتاغون، ولا يمكنك أن تتعود على ذلك. لقد كنت أعتبر نفسي وطنياً. وأجد الآن أن الكلمة تستخدم دون تحديد من قبل آن كوتلر، ومن قبل اليمين، والحكومة. ومن قبل أشخاص مثل آشكروفت لدرجة لم يعد لهذه الكلمة اي تأثير. وعلى كل حال، فإن عدم اتهامك بالخيانة من قبل رمسفيلد أو آشكروفت هو كعدم وجودك على قائمة أعداء نيكسون، ويدفعك ذلك إلى أن تسائل نفسك "ما الأمر، الا أستحق ذلك؟

إن استعداد هذه الإدارة لإطلاق هذه التهمة على أعضاء مجلس الشيوخ هو أمر غير عادي. وأعضاء مجلس الشيوخ لا يريدون ذلك. وأنا أتعاطف معهم في رفضهم سماع تهمة عدم الوطنية توجه إليهم، ولكنني أيضاً اقول بأنني، ومعي كثير من الذين حفّزوني وعملوا معي في الحركة المناهضة للحرب، قد قبلنا تحمّل أن ننعت بهذه الأوصاف، ولم يوقفنا ذلك عن الاستمرار في جهودنا. ومعظم أعضاء مجلس الشيوخ يعتقدون، ولسوء الحظ، أن وقوفهم في وجه بوش ومعارضتهم لهذه الحرب سوف تكلفهم مقاعدهم في مجلس الشيوخ، مع أن عدداً كبيراً منهم يمثل دوائر انتخابية آمنة ومضمونة لنجاحهم. ولكنهم مع ذلك، لا يحبون سماع تلك التهمة ولا يرغبون بمواجهتها أثناء حملاتهم الانتخابية. لذلك فهم يفضلون الرضوخ للرئيس على التعامل معها.

جيرمي ايرب: سبق ان وصفت نفسك بأنك من محاربي حقبة الحرب الباردة، ولكنك ايضاً وصفت نفسك بالمحارب "العادل". واعتقد بأن

التفرقة التي بينتها مهمة جداً في ضوء ما تحدثت عنه، لأن أسطورة المحارب وفحواه تحتل مكاناً مهماً لدى الناس في هذا الوقت بالذات. ويقوم بوش هذه الأيام بإظهار نفسه ليس بمظهر المحارب وحسب، بل ويمظهر المحارب في سبيل العدالة الأمريكية.

يدرك كثير من القادة العسكريين القيود الملازمة لمذهب الحرب العادلة. وإدراك ذلك يعني أن تدرك أن لهذا المذهب جانبين. الأول هو مسألة ما إذا كانت الحرب تقوم على أسباب مسوغة ومشروعة، والآخر يتعلق بشرعية الطريقة التي تدار من خلالها تلك الحرب. والعنصر الجوهري في ذلك هو تحريم التدمير العشوائي، أو الاستهداف المتعمد للأهداف غير العسكرية. وينسحب ذلك بموجب اتفاقيات لاهاي على استهداف البنية التحتية "المدنية" تحديداً، وهي الأشياء الضرورية لصحة السكان المدنيين، كموارد المياه والكهرباء والصرف الصحي. وهي الأشياء التي يتسبب تدميرها وتعطيلها في انتشار الأوبئة على سبيل المثال. وقد تعمدت الولايات المتحدة استهداف البنية التحتية في حرب الخليج الأولى]تحرير الكويت [ومرة أخرى في هذه الحرب. وفعلت الشيء نفسه في صربيا. وتشكل هذه الممارسات انتهاكاً واضحاً للقانون الدولي ويمكن محاكمة المسئولين عنها في لاهاي. ولو قبلت الولايات المتحدة بالاختصاص القضائي للمحكمة الجنائية الدولية، فإن من المؤكد أن يمثل عدد من الرؤساء الأمريكان، بوش الأول، وآخرون، ومعهم ويسلي كلارك بصفته قائد العمليات العسكرية في البلقان، أمام تلك المحكمة بوصفهم مجرمي حرب على مخالفتهم قانون الحرب وأعمالهم غير الأخلاقية في تدمير المدنيين العزّل غير المقاتلين. وأكثر من ذلك، هناك الخسائر الهائلة في أرواح المدنيين التي حدثت نتيجة مباشرة للقصف بالقنابل والصواريخ والأساليب التي نتبعها في الحرب عموماً. وعليه، فإن الأساليب التي نتبعها في هجومنا على العدو تخالف الوسائل العادلة

والمشروعة في الحرب كما هي موضحة في قانون الحرب. ويصدق هذا الوصف على ما كان يحدث في فيتنام ايضاً، وبخاصة الهجمات الجوية. وما بدأ ينكشف مؤخراً هو مدى مخالفاتنا لقانون الحرب على الأرض. لم أكن أعلم بذلك عندما كنت في فيتنام بين أعوام 1965- 1967. كنت أدرك ما يحدث في الهجمات الجوية، وفعلت كل ما بوسعي لمعارضة القصف الجوي بالقنابل في شمال وجنوب فيتنام، في التوصيات والدراسات التي قدمتها. ولكنني لم أكن على علم بالمذابح التي جرت على طراز مذبحة مي لاي والتي عندما ظهرت عام 1968 بدت وكأنها سلوك شاذ ومنحرف. وقد بدأنا الآن نكتشف أن جماعة أخرى من الجيش الأمريكي كانت تقوم بعمليات قتل مدمرة للمدنيين وعلى نحو عشوائي في الريف الفيتنامي قبل عام من وقوع مذبحة مي لاي. لقد كانت تلك المذابح تشكل أوضاعاً منتجة للفظائع ومسببة لحدوث المزيد من الفظائع كما يصفها روبرت ليفتون. وهذا هو ما نفعله في العراق اليوم. فالهجمات الموجهة ضد قواتنا هناك تهدف بكل تأكيد إلى استفزاز الجنود لارتكاب أعمال انتقامية، وتلك الأعمال الانتقامية سينتج عنها مزيد من الهجمات المضادة والمتبادلة كما كان يحدث في فيتنام.

جيرمي إيرب: ذكرت في إحدى المقالات التي نشرت مؤخراً، بأن هذه الإدارة تضم من بين اعضائها الد اعداء ميثاق الحقوق والدستور على نحو لم نشهده من قبل. وكون هذا الادعاء يصدر عنكم فإنه يظهر لكثير من الناس بأنه ادعاء مخيف وخطير.

هذا هو ما كنت أتحدث عنه قبل قليل. إنني أعتقد أن هذه الزمرة عاقدة العزم على نقض جميع الإصلاحات التقدمية التي جاءت بها الصفقة الجديدة. ولكنها أيضاً تسعى إلى العودة بالبلاد إلى حالة ما قبل التنظيم والوحدة، ولكنهم في الوقت نفسه يريدون مشاهدة الرئيس وقد جمع في يده السلطات التي

فوضها إليه الكونغرس، وحاز بيده شيكاً مفتوحاً بلا تاريخ ليستمتع بالصلاحيات والسلطات التي طالما حلم بها الرؤساء السابقون ولكنهم لم يجرؤوا على طلبها. وعلى العموم، فإن بوش الآن يملك رخصة عريضة لاستخدام القوات العسكرية كما يشاء. وهم يسعون بكل وضوح إلى إلغاء الحكم الدستوري الذي يجعل سلطة إعلان الحرب من اختصاص الكونغرس وحده، وهو حكم حرص المؤسسون على النص عليه في الدستور بهدف الحد من استخدام خيار الحرب، وجعل ممارسة هذا الخيار أمراً صعباً عن طريق وضع سلطة اتخاذه بيد عدة مئات من الناس بدلاً من أن يكون بيد شخص واحد. لقد شاهدوا البديل عن ذلك في خصائص الملكية التي كانوا يحاولون جهدهم تجنبها. ومن الواضح أن هذه الإدارة قد جعلت من نفسها بعد 11 سبتمبر ملكية منتخبة عازمة على نقض الدستور نهائياً.

وبالمثل، وفيما يخص القيود الأخرى التي فرضت على السلطة التنفيذية، فإنني لا أعتقد أن هذه الإدارة تحترم الحقوق والحريات الأساسية التي جاء بها الدستور: حرية التعبير، وحرية التجمع، حرية حمل السلاح.. الخ. ولست متأكداً من أن هذه الإدارة ستسمح لنفسها بأن تخسر الانتخابات بسهولة.

جيرمي إيرب: ماذا تعني بذلك؟

هذا تخمين من جانبي، يعكس نظرتي تجاه من نتعامل معهم لنعرفهم على حقيقتهم. واعتقد اننا نتعامل مع أشخاص هم في غاية الخطورة على الديمقراطية. وما أعنيه هو انه لو أشارت استطلاعات الراي بأنهم سيخوضون انتخابات ستكون نتائجها في متقاربة أو أن هناك احتمالات للهزيمة بسبب الاقتصاد أو بسبب عدم الفشل في العراق، فإن ذلك باعتقادي سيزيد من احتمالات حدوث هجوم إرهابي في البلاد. وليس بالضرورة أن يكون هذا الهجوم من تدبير الحكومة الأمريكية، كما حدث في حالة الرعب من جرثومة الجمرة الخبيثة. وعلى ما يبدو، فليس لدينا دليل على أن تلك العملية تمت بتشجيع من

المستويات العليا في الحكومة، إلا أن هناك أسباباً كثيرة تدفعنا إلى الاعتقاد بأنه جرى تدبيرها ضمن المستويات الوسطى من الحكومة الأمريكية، وعلى يد بعض الأشخاص الذين جرى التغطية على أفعالهم منذ وقوع الحادثة. ويوجد لدى الحكومة عدد كبير من مخازن الجمرة الخبيثة، ولو دعت الحاجة، فإن هذه المادة يمكن أن تجد طريقها إلى البريد مرة أخرى. أو ربما يحدث شيء آخر، يفتح الباب أمام مذبحة أخرى، جريمة كبيرة، يكون من شأنها أن تعمل على تأمين التأييد الشعبي لصالح الرجل القوي الذي يستخدم أكثر الخطابات جرأة في التعامل مع الحدث، الشخص الذي يتحدث بأشد العبارات ويحث الناس على شن حرب صليبية ضد الشر.

إن كبار الشخصيات في هذه الإدارة، وهم على الأرجح علمانيون في قناعاتهم الشخصية، مثل كارل روف، يشعرون بأن اليمين المسيحي، والأصوليين يشكلون قاعدة انتخابية أساسية بالنسبة لجورج دبليو بوش. ويعتقدون بأن بوش الأب ارتكب خطأ فادحاً بإقصاء نفسه عن نزعتهم الثقافية. وأعتقد أن هذا الارتباط باليمين المسيحي والأصوليين هو عنصر خطير لأن أفكارهم لا تقتصر على دعم إسرائيل العظمى وحسب- بتحالفهم مع الليكود في هذا الجانب- بل لأنهم مستعدون للتهديد بالحرب النووية للتعجيل بمعركة هرمجدون.

جيرمي إيرب: كيف ترد على اولئك الذين يقولون بأن الادعاء بالأهمية المعلقة على هذه الانتخابات، وانها تختلف عما سبقها هو من قبيل المبالغة وتضخيم الأمور؟

إنني أعتقد أن الأهمية المعلقة على هذه الانتخابات كبيرة جداً في المجال النووي، وذلك برغم اعتقادي بأن سياسة بوش التدخلية لن تكون أسوأ مما هي عليه الآن. وفي الحقيقة، أنني خُدعت من بوش مرة أخرى. لقد سمعته يجادل آل غور في إحدى المناظرات حول مسألة التدخل الإنساني وبناء الأمم وقلت في

نفسي، "يا إلهي، إن موقفه يبدو أفضل من موقف غور في هذه القضية". وعلى الرغم من ذلك، كنت أعتقد أن الرهان خطير لأنني توقعت أنه سينفذ أجندة الجمهوريين في إلغاء الاتفاقيات الخاصة بحظر الصواريخ الموجهة (البالستية)، كما حدث فعلاً؛ وأنه سيضع المسمار الأخير في نعش اتفاقية الحظر الشامل للتجارب النووية؛ وأنه سيعمل على تطوير واختبار أسلحة نووية جديدة، وأعتقد أنه يفعل ذلك في هذه اللحظة؛ وأنه أكثر استعداداً لاستخدام الأسلحة النووية، وهو ما يتضح أكثر يوماً بعد يوم.

لذلك، كنت أعتقد أن الأهمية المعلقة على تلك الانتخابات كانت في منتهى الخطورة، وهو ما دفعني إلى أن أكون من أشد المنتقدين لحزب الخضر، وإستراتيجية رالف نادر في المرحلة الأخيرة من حملته الانتخابية في الولايات ذات الأصوات المرجحة. وأعتقد أن الحجج التي ساقها نادر لدعم دخوله السباق في تلك الولايات لا تتساوى في وزنها مع تبعات إيصال بوش إلى البيت الأبيض. كما وأعتقد أن ما قاله نادر قبل أربعة أعوام بأنه لا فرق بين هذين الحزبين وبين هذين المرشحين (غور وبوش) هو كذب محض. ولا أظن أن رالف نادر نفسه يصدق تلك المقولة السخيفة. وهو ما يزال يردد تلك المقولة، وما زلت أعتقد أنه يكذب. وأنا أقول ذلك بكل أسف لأنني كنت من قدامى المعجبين برالف نادر، وما زلت أقدره كل ما قام به قبل تلك الحملة الانتخابية. وهذا يكشف لي بأنه حتى الأشخاص ذوي الاستقامة والذكاء مثل نادر يمكن أن يندفعوا إلى إصدار تصريحات غير صحيحة وخطيرة تحت ضغط الحملة الانتخابية.

إنني أرى الانتخابات القادمة على الدرجة ذاتها من الأهمية والخطورة. وقد لا نحل أي مشكلة بشكل جوهري بانتخاب رئيس من الحزب الديمقراطي. وستبقى معظم هذه المشاكل، ولا أعتقد بأن الديمقراطيين سينسحبون من العراق بسرعة متخلين عن كل ذلك النفط والموقع الاستراتيجي. ستبقى هذه المشكلات

حتى مع وجود الديمقراطيين في البيت الأبيض، إلا أننا سنواجه أخطاراً أقل بكثير مما يمكن أن نواجهه في ظل أربعة أعوام أخرى من حكم بوش. إن ولاية ثانية لبوش وأعوانه تعني دولة بوليس تتخطى حدود ما يمكن لأي إدارة من الحزب الديمقراطي، أو حتى حكومة أخرى من الحزب الجمهوري، إن كان أمامنا مثل ذلك الخيار، أن تفعله حتى في ظل تعرضنا لهجوم إرهابي آخر. إن احتمال تنفيذ هذه السياسة الإمبريالية وإعادة تشكيل خارطة الشرق الأوسط، في ضوء المقاومة التي نشهدها، ستكون أمراً حتمياً في ظل إدارة ثانية لجورج بوش، وأقل احتمالاً فيما لو فاز أي منافس له. ولا أقول هذا لأنني أحب الحزب الديمقراطي. بل إنني أحياناً أتمنى لو يعود بوش الأب مرة أخرى من باب أهون الشرين. إننا نواجه حقاً تهديداً غير عادي. ويمكن للمرء أن يقول، بأن أوجه التشابه بين الحزبين الديمقراطي والجمهوري هي أكثر مما يعترفان به أو مما ينبغي أن يكونا عليه، وعلى نحو خطير، ولا شك في ذلك. ولكن القول بأنه لا يوجد فوارق بين الاثنين هو خطأ واضح وفي منتهى الخطورة.

جيرمي إيرب: أخيراً، وبالنظر إلى تجربتك مع قضية نشر وثائق البنتاغون، ما هو رد فعلك على تسريب اسم فاليري بليم بصفتها عميلة لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية في مجال مكافحة الإرهاب على يد أحد المسئولين في البيت الأبيض؟

حسناً، لقد سألتني قبل قليل عما إذا كنت أرى أي تشابه بين الوضع القائم والماضي، وأول ما خطر ببالي هو قضية جوزيف ويلسون. لقد عمل السيد ويلسون سفيراً للولايات المتحدة في السابق، واستخدم سلطته للإعلان بأن ما ذكره الرئيس بوش في خطاب حالة الاتحاد لا أساس له من الصحة وأنه محض افتراء(*). وقد شكلت تصريحاته تلك تهديداً للبيت الأبيض يشابه التهديد الذي

(*) المقصود هنا الادعاء بأن العراق حاول شراء اليورانيوم من النيجر.

شعرت به إدارة نيكسون من قيامي بنشر الحقيقة حول سياساتهم المبكرة. واعتقد أن ردة فعل إدارة بوش مطابقة تماماً لما فعلته إدارة نيكسون. ومن الواضح أنه جرى الإعداد لعملية في البيت الأبيض بهدف الطعن بسمعته ومعاقبته ليكون عبرة لكل من يحاول تقليده. وهذا العمل يعكس وعيهم بأن سياساتهم قائمة على الخديعة والسرية، شأنها شأن كل السياسات الإمبريالية في التاريخ. وحتى الدكتاتوريات نجدها تبذل قصارى جهدها في تمويه أفعالها وأسباب قيامها بتلك الأفعال أمام شعوبها والمجتمع الدولي. فقد ادعى هتلر بأنه تعرض لهجوم على يد حرس الحدود البولنديين وهو في طريقه إلى بولندا. إلا أن هذه السياسات عندما تمارس في ظل الديمقراطية فإنها تبقى معرضة لاختبار الحقيقة. لذلك فإن الحقيقة لا تناسبهم، وهم يحاولون إقصاءها بقدر الإمكان. لذلك، فإن شخصاً ما في البيت الأبيض، ولا نعرف من هو على وجه التحديد، قام بتسريب اسم زوجة ويلسون ودورها كعميل سري مكلف بهمة نحن في أشد الحاجة إليها في هذا الوقت، وهي مراقبة انتشار أسلحة الدمار الشامل. وتتطلب مهمتها هذه قدراً كبيراً من السرية، وبفعلهم هذا عملوا على تقويض عملية تخدم الأمن الأمريكي من أجل معاقبة ويلسون بإنهاء وظيفة زوجته، وحتى على حساب حياة من كانوا يعملون معها. وفعلتهم هذه تشكل انتهاكاً لقانون يسمى قانون حماية هوية العاملين في نشاط الاستخبارات.

ونتيجة لذلك، فإن هذه المخالفة تحمل في طياتها احتمالات الإطاحة بعدد من الأعضاء الخطرين في هذه الحكومة، بمن فيهم كارل روف وسكوتر ليبي كبير موظفي نائب الرئيس تشيني. وعندما تذكر ليبي فأنت تشير إلى تشني مباشرة. إلا أن المسئول عن إجراء التحقيق في هذه القضية هو آشكروفت، لذلك فلا أتوقع أن تتمخض عن أي شيء مهم. ولكن لعلها أن تسفر عن شيء، وإذا كشفت التحقيقات عن المسئول عن هذه المخالفة، فإن من المؤكد أن توجه إلى تشيني

التهمة وربما الإدانة. وهذا لا يعني أن الجمهوريين سيسمحون بتوجيه الإدانة له. فهذا لن يحصل. إلا أن هذه التحقيقات ستشغلهم عن التخطيط لأعمال عدوانية جديدة. وسيتحتم عليهم الدفاع عن انفسهم في المحكمة. باختصار، اقول بأن البيت الأبيض فيه من يخرق القانون، كما حدث عندما أرسل البيت الأبيض فريقاً من السباكين إلى مكتب المحلل النفساني الذي كنت أتعالج عنده، بحثاً عن معلومات لاستخدمها في ابتزازي. وقد أدت تلك الفضيحة إلى الإطاحة بجزء كبير من الحكومة آنذاك، وقد يتكرر ذلك اليوم. وهذه ملاحظة تبعث على الأمل.

آمهرست، ماسيتشيوستس

11 نوفمبر، 2003

* *

ستان غوف

عمل ستان غوف جندياً في العمليات الخاصة التابعة للجيش الأمريكي (دلتا فورس، رينجرز، والقوات الخاصة) في حرب فيتنام، وغرينادا، وهايتي، وفي قواعد تدريبات الجيش الكولومبي وبيرو. درّس العلوم العسكرية في أكاديمية وست بوينت، وقاد عمليات سرية في السلفادور وغواتيمالا، وفي وحدة المهمات الخاصة التي أسقطت فيها طوافة من طراز بلاك هوك في مقديشو. وله كتاب احلام شريرة من منشورات (سوفت سكل، 2000) وكتاب فوضى طيف كامل: الجيش في القرن الأمريكي الجديد(سوفت سكل، 2004) وهو ايضاً منظم حركة (اعيدوا الجنود إلى وطنهم الآن) وهي حركة تضم مئات من أسر الجنود الذين يشاركون الآن في الحرب في العراق والذين يعتقدون بأن ابناءهم يجبرون على خوض حرب غير شرعية وغير اخلاقية.

جيرمي ايرب: نحاول أن نوضح للناس المحرك الدافع وراء سياسة الحرب لهذه الحكومة. هل هي دوافع الإمبراطورية برأيك، أم أنها دوافع المحافظين الجدد؟ وهل هناك فارق بين الاثنين؟

أعتقد أن الديمقراطيين كانوا سيقومون بإرسال قوات عسكرية لاحتلال العراق وإيران لو كانوا في الحكم. إلا أنني أيضاً أعتقد أنهم كانوا سيتعاملون مع القضية بطريقة مختلفة. والمسألة الأكبر مدفوعة بحقيقة أننا على مشارف الوصول إلى ذروة إنتاج النفط على المستوى العالمي كما برزت أيضاً منافسة عالمية بين الولايات المتحدة والصين. إضافة إلى المناوأة الاقتصادية بين الولايات المتحدة وأوروبا. وبذلك أصبحت منطقة جنوب شرق آسيا محوراً من محاور

السياسة الطبيعية (الجيوبوليتيكية) لتدعيم موقف الولايات المتحدة في مواجهة المراكز الاقتصادية في المستقبل. لذلك فإنني أعتقد أن هذه المغامرات العسكرية هي أمر حتمي بالنسبة للحزبين الرئيسين.

ومما أوجد المشكلة بالنسبة لحكومة بوش هو سيطرة هذه المجموعة من المنظرين المتزمتين داخل الحكومة والذين يرتبطون بروابط غير صحية بأهداف إسرائيل التي تعتبر في نظرهم متراساً للولايات المتحدة في المنطقة دون الاعتبار بتأثير ذلك على سكان المنطقة الذين يشعرون بالظلم والإجحاف من ممارسات الحكومة الإسرائيلية. وأنا لست من الذين يقولون بأن هذا كله يتصل بعلاقة الولايات المتحدة بإسرائيل. أظن أن من الهراء قول ذلك. إلا أنني مقتنع بالتقاء المصالح، وهذا المفهوم لالتقاء المصالح أوهم بيرل وولفوويتس وغيرهم وعلى نحو خطير للسير في هذا الاتجاه.

كما أن لديهم نزعة نحو إحاطة أنفسهم بالأشخاص الذين يقولون لهم ما يحبون سماعه، وهذا هو ما يميّز حكومة بوش الثاني عن حكومة بوش الأول. فبوش الأول أحاط نفسه بأناس كانوا يتمتعون بنظرة ثاقبة في القضايا الجيوبوليتيكية. ولديهم المقدرة على إجراء تقديرات واقعية. لقد كانوا قادرين على عزل وتمييز ما يريدون رؤيته مما يهمهم من بين ما يشاهدونه أمامهم. وهذه الحكومة تفتقر إلى مثل هذه القدرات. لقد نظروا حولهم فلم يجدوا أحداً يقول لهم ما يريدون سماعه، فعملوا على إبعاد كل من يخالفهم الراي إلى أن أصبحوا محاطين بمجموعة من الأشخاص الذين يعزفون على أنغامهم، ومنهم أحمد الجلبي. وهذا أمر مدهش بالنسبة لي، لأن هذا الشخص محتال من الدرجة الأولى، ولص. ولو ذهب إلى الأردن فإن مصيره سيكون إلى السجن لصدور حكم بالسجن لمدة ثلاثة وعشرين عاماً بحقه في قضية احتيال على أحد المصارف هناك. وما أعنيه أن هذا الرجل محتال، وقام بالاحتيال على رمسفيلد وبول

وولفوويتس وجورج دبليو بوش ودفعهم إلى الاعتقاد بأنه هو الأعرف والأخبر بما في العراق. وأقنعهم بأنهم سيستقبلون استقبال المحررين. وهو ما لم يحدث.

لقد أقنعهم الجلبي، وعمل آخرون على إقناعهم بوجود أسلحة دمار شامل في العراق، وأنهم سيجدون هذه الأسلحة. في الوقت الذي كان خبراء الاستخبارات الأمريكية يرون غير ذلك. وكان أصحاب الخبرة في الجيش يقولون لرمسفيلد بأن احتلال العراق هو "فكرة سيئة" من الناحيتين الإستراتيجية والتكتيكية. إنها فكرة عقيمة - لكل الأسباب التي نشاهدها اليوم. إلا أن رمسفيلد كان يملك القدرة على تهميش أي شخص لا يتفق معه وترقية أي شخص يوافقه. وكان هناك درجة عالية من الاستعلاء والفوقية بين صفوف النخبة المسيطرة في هذه الحكومة، وهذا هو سبب تردي الأوضاع بوتيرة متسارعة.

جيرمي ايرب: لكم كتابات عدة حول "إدارة التصور العام" أو "الانطباع العام" في أوقات الحرب، وبخاصة في هذه الحرب بالذات. الا يمكن للمرء أن يجادل بضرورة إدارة مفاهيم الناس وانطباعاتهم؟ فهي ضرورة للجنود لضمان استمرار التأييد الشعبي للجيش، وذلك بالنظر، كما ذكرتم، إلى وجود قطاع عريض من الناس الذين تولد لديهم تبلد في المشاعر والأحاسيس بفعل ما يشاهدونه عبر وسائل الإعلام وأصبحوا لا يعيرون انتباهاً لهذه الحرب لولا هذا النوع من إدارة الرأي العام؟

هذا صحيح بنسبة 90٪. وهذا هو بالضبط الهدف من إدارة الرأي العام. إنها تهدف إلى ضمان استمرار دعم الناس للحرب، أو إذا لم يكن الدعم، فعلى الأقل عدم معارضتهم لها. ولكنها أيضاً تهدف إلى طمس عيون الناس عن الحقائق الأعمق للحرب. وإذا نجحت في المحافظة على تركيز الناس على

المجريات اليومية للحرب، فإنك ستتمكن من إظهارها لهم على أنها قصة (دراما) ذات بعد أخلاقي، وهي ليست رواية أخلاقية. هناك افراد من الجيش الآن يقومون بأعمال مثل القتل بدافع الإثارة. وهي نفس الأعمال الدموية العدوانية غير الأخلاقية التي شاهدناها في فيتنام. وهذه الأعمال ترتكب في هذا الوقت، وتجري على مرأى ومسمع القادة العسكريين الكبار. إلا أنه يتم التغاضي عنها لأن من الحكمة تجاهلها. إذن، المسألة ليست مسألة ابيض وأسود.

الأمريكان ليسوا طرف الخير في نظر غالبية العراقيين، والطريقة الوحيدة التي يمكن من خلالها ملاءمة هذه الحقيقة أمام الرأي العام الأمريكي هي تجريد العراقيين من إنسانيتهم. أن تجعل العراقيين بمجموعهم اناساً اغبياء او منحرفين كثيراً لدرجة أنهم لا يعرفون ما ينفعهم. في حين أن الحقيقة هي أن صدام حسين لم يكن يحظى بشعبية في العراق. وتظهر استطلاعات الراي الآن أن غالبية العراقيين يرون أنهم كانوا أحسن حالاً أيام حكم صدام حسين، وهو من الناحية الموضوعية صحيح. والواقع أن العراق كان قبل الحملة العسكرية الأمريكية الأولى (1991) دولة حديثة جداً، وانا لم أجلس هنا لكي اكيل المديح لصدام حسين وأدافع عنه، فهذه ليست مسؤوليتي، إلا انني اعتقد أن كل شخص يحمل على عاتقه مسؤولية قول الحقيقة. وهناك وجهان للحقيقة في هذه المسألة. لقد ارتكب حزب البعث بعض الأخطاء، واقترف بعض الجرائم. إلا انه حقق أيضاً إنجازات كبيرة. وهذه هي الحقيقة المعقدة التي لا يرغب الناس أن يعترفوا بها. لأنهم مهتمون فقط بالبحث عن الطرف الخيّر والطرف الشرير. إلا أننا لا نتعامل هنا مع طرف حسن وطرف قبيح: إننا أمام سياسات حكومية إقليمية في المنطقة. ولهذا السبب يجد الناس صعوبة في استيعاب ما يشاهدونه الآن، ولسان حالهم يقول: "هناك خلل ما، ولكننا لا نستطيع تحديده بدقة. ليس من المفروض أن نرى هذا التدفق المتواصل للضحايا" والصورة لا تنسجم مع

الخلفية المتكونة في أذهانهم، هناك نوع من التنافر في الأفكار لدى الناس، ولكن ليس لدهم وسيلة للتوفيق بين ما يشاهدون وبين ما في أذهانهم من انطباعات لأنهم اقتنعوا بأن العالم ينقسم إلى قسمين: الأشرار والأخيار. وهم لا يدركون الحقائق التي تستند عليها السياسات الحكومية الخارجية. لم يكن الهدف من هذه الحرب الإطاحة بنظام صدام حسين، بل كان احتلال العراق. ولكن كان من الضروري صنع "الشخصية الشريرة"، كان يتحتم وجود مثل هذا الرمز من أجل جعل احتلال العراق أمراً سائغاً. لأنه لا يمكنهم أن يقولوا للناس إننا ذاهبون إلى المنطقة لاحتلال العراق والسيطرة على دولة يمكن أن تكون مصدراً مهماً لإنتاج النفط لبقية العالم. والسبب الذي جعل الناس يشعرون بهذا التنافر في عقولهم أننا الآن نشاهد هذه الانتصارات غير المتكافئة. نحن نخسر فرداً وهم يخسرون خمسة. إنها تشابه ما كان يحدث في فيتنام لدرجة تقشعر منها الأبدان. ولكن في الوقت نفسه، لا شيء يتحسن هناك لأن الناس لا يفهمون. إنها عالم مانوي من الأخيار والأشرار.

إن معظم الناس في الولايات المتحدة لا يدركون أن العمليات العسكرية هي في طبيعتها سياسية. وفي النهاية فإن العمليات العسكرية ليس لها أهداف عسكرية بل أهداف سياسية. والنجاح العسكري لا يقاس بالنتائج التكتيكية، بل يقاس دائماً بنتائجه السياسية. ولهذا السبب استطيع القول الآن بكل تأكيد أن الولايات المتحدة قد خسرت الحرب في أفغانستان وأنها خسرت الحرب في العراق، وذلك على الرغم من نجاحها في احتلال تلكما الدولتين. إذ لم تتحقق النتائج السياسية المرجوة من الحملة العسكرية فيهما، بل بالعكس فإن الأمور تتحول إلى الأسوأ يوماً بعد يوم.

وفي الحقيقة أن معظم الإجراءات التي اتخذت حتى الآن تزيد من تعقيد الأمور وذلك للافتقار إلى حيلة تصلح التناقض بين الحقائق العسكرية والحقائق

السياسية، وهو ما حدث بالضبط في فيتنام. وكما كان ويتمورلاند يقول: "أرسل إليّ المزيد من الجنود وسوف أحقق النصر". ولم يخطر في باله أن كل ما يلزم الفيتناميين فعله لتأمين النصر هو الصبر والتحمل. وكل ما يلزم العراقيين فعله هو أن يتحملوا يوماً واحداً أكثر من الأمريكان. ليس من الضروري أن يحققوا أي انتصارات تكتيكية، بل أن يصبروا ليوم واحد أكثر.

وهذه حقيقة لا مفر منها، وهي حقيقة يتفهمونها جيداً. ونحن نسمع التلفيق الإعلامي يومياً: في البداية كان يقال بأن الذين يقومون بأعمال المقاومة في العراق هم الموالون لصدام حسين، بعد ذلك قالوا بقايا البعثيين، والآن يفترض أنهم المقاتلون الأجانب من القاعدة. لقد كنت في العراق، ويمكنك أن تقول بأن عمليات المقاومة في العراق هي أكثر تماسكاً مما يعترفون به. ويمكن استنتاج ذلك بسهولة لأن العمليات تبدو قادرة على التحول بسهولة من الأهداف المعقدة إلى الأهداف السهلة في أقل من 24 ساعة.

أما الشيء الأخر الذي بدأ بالظهور الآن، والذي سيشكل مشكلة للقوات الأمريكية في العراق فهو أنهم لم يتوصلوا حتى الآن إلى حل للمشكلة الكردية. فتركيا التي هي عضو في حلف شمال الأطلسي، ليس لديها النية في أن ترى كردستان مستقلة تنمو على حدودها الجنوبية. فأنت هنا أمام حليف قلق جداً مما تفعله الولايات المتحدة مع الأكراد الذين لا يخفون نواياهم بإقامة كردستان مستقلة، ويقومون بأعمال عدوانية ضد التركمان والعرب الموجودين في ما يعتبرونه كردستان العراقية. وهي أغنى المناطق العراقية بالنفط. وتتاخم تركيا وإيران. لذلك فإن الأوروبيين لديهم مشكلة كبيرة إذا ما تزعزع الاستقرار بين الأتراك والأكراد لأن ذلك سينعكس بشكل مباشر على الجاليات التركية والكردية الموجودة في أوروبا على شكل اضطرابات وأعمال عنف كما حدث في ألمانيا في بعض الأوقات.

إذن، فالوضع الآن ليس قابلاً للحل. إلى أين ستتجه الأمور من هنا؟ جيمس غليك الف كتاباً بعنوان "نظرية الفوضى" وذكر فيه نقطة مهمة وهي أنه بإمكانك أن تضع معادلة حسابية تثبت إمكانية أن تجعل قلم الرصاص يقف على رأسه المدبب. بإمكانك ان تكتب تلك المعادلة وتثبتها رياضياً وفيزيائياً، ولكنك لا تستطيع أن تطبقها عملياً. لقد أمضى دونالد رمسفيلد وقته في كتابة المعادلات لإثبات إمكانية توقيف القلم على رأسه المدبب، إلا أنه لن يتمكن من تطبيق ذلك. هذا هو الوضع الذي وضعوا أنفسهم فيه في العراق.

جيرمي ايرب: لقد تحدثت عن احتمالات قيام افراد الجيش بعمليات "القتل للإثارة" في مقالة بعنوان "إلزم إنسانيتك". وانني اتساءل هنا: ما هي الرسالة التي كنت تحاول أن توصلها إلى القراء. وهل كان هناك استجابة وردة فعل على هذه المقالة. هل وصلتك ردود فعل وبالتحديد من الجنود المشاركين في الحملة العسكرية في العراق؟

من أصعب الأيام التي مرت بي هذا العام يومان عصيبان، الأول عندما ودعت ابني لدى توجهه إلى العراق ضمن القوات الأمريكية، والثاني هو اليوم الذي انفجرت فيه حافلة مفخخة في الرمادي في 11 ديسمبر، وهي المنطقة التي كانت تتمركز فيها وحدته. وانتظرنا يومين كاملين قبل أن نسمع خبراً منه. وكنا في حالة عصيبة من الترقب والتوتر. إنني أعيش صراعاً حقيقياً حول هذه الحرب، ولا أعتقد أن هناك أي سبب يدفعني إلى عدم الإفصاح عن مشاعري الحقيقية تجاه هذه القضية.

فمن جانب، لا أتمنى الشر والمكروه لأحد. لا أريد أن أشاهد مزيداً من الجنود الأمريكان من قتيل وجريح. وابني هو واحد من هؤلاء الجنود، وارغب ان أشاهد الجنود كلهم يعودون إلى وطنهم وذويهم. أريدهم أن يعودوا كما ذهبوا. ومن جانب آخر، فإنني أتفهم وأحترم حق العراقيين في مقاومة الأجنبي المحتل.

إذا قام أحد باحتلال الولايات المتحدة، فإننا سنفعل الشيء ذاته في مقاومتهم. لذلك فإني أتفهم ذلك. إنها حقائق متناقضة، ولكن هذه هي الحياة.

وفيما عدا القلق الواضح لكل أب أو لكل زوجة أو أخت أو اخ ممن لهم قريب في ميدان القتال. فإنني أخشى من تعرضه هناك لآثار اليورانيوم المنضب وغيره من العوامل المضرة بالصحة والتي لا نعرف عنها شيئاً؛ أو من تلقيه مجموعة من المطاعيم دون أن تجرى عليها فحوصات كافية حول آثارها الجانبية. وقد يكون من المرجح أن هذه المطاعيم هي المسئولة عن مرض متلازمة حرب الخليج التي ظهرت بين الجنود عقب تحرير الكويت عام 1991. وأكبر مخاوفي هو أن يعود بدرجة الجنون التي عدت بها أنا من فيتنام.

لقد أصيب كثير منا بالجنون بطريقة أو بأخرى. بعضنا كان أسوأ من بعض. بعضنا تحسّن بمرور الزمن. وقسم لم يتحسّن. وهناك عدد كبير اصبحوا مشردين بلا مأوى. وبخاصة الذين أدمنوا على المخدرات، أو الانتحاريين، أشخاص من سنّي أو أكبر مني من الذين شاركوا في حرب فيتنام. قسم كبير من هؤلاء الأشخاص شاركوا في المعارك على خطوط النار. وإذا قام أحدهم بقتل آخر دفاعاً عن النفس لا أعتقد أنهم يلامون. إلا أن ذلك لا يهوّن من الأمر شيئاً، لأن ما يحدث هو غير ذلك. إنها ليست الصورة المحسنّة والمنقّاة التي يشاهدها كل شخص في الأفلام أو الأخبار مرة بعد أخرى.

أولاً، الشخص الشرير ليس شخصاً سيئاً بالكامل. إنه فقط شخص آخر. الأمر ليس بهذه النظافة. إنها ليست تجربة منقية للمشاعر. إنها ليست شيئاً يمكنك أن تدير ظهرك له وتسير بعيداً - دعك من التوتر والضغط الناتج عن كونك في محيط لا يكون فيه هذا الاتصال ممكناً وبخاصة في نزاع يصعب عليك التمييز فيه بين المحيطين بك، من السكان المحليين، بين الأعداء والأصدقاء. إنها تخلق وضعاً يجعلك تشك في كل شيء حولك وفي كل الناس. وهذا الشك يتحول

بدوره إلى نوع قوي من العنصرية ذات المفعول القوي. وبإمكانك أن تذهب إلى العراق الآن لتجد أن الغالبية العظمى من الجنود تسمي العراقيين "رؤوس الخرق"(*) او " هاجيز"(*) وهذا جزء من عملية التفاعل مع التناقض بين المعتقدات والممارسات. وسببه احتمال انني سأقتلك، ولهذا لا يمكن أن انظر إليك على أنك شخص مثلي. لا يمكنني أن أنظر إليك على أنك شخص تستحق أن اتعاطف معك. وإلا فلن أكون قادراً على الدفاع عن نفسي.

عندما كنت أتلقى تدريباتي الطبية في القوات الخاصة، جرى إخضاعنا لدورة لمدة اربعة عشر أسبوعاً في المختبر. وكان المختبر للماعز، وعلى مدى الأربعة عشر أسبوعاً تطلبت التدريبات استهلاك حوالي 400 راس من الماعز. كنا نقوم بتخدير الماعز، ثم نضعها في الساحة ونباشر بطعنها والانقضاض عليها، ومن ثم نأخذها إلى الجراحة. بعد ذلك، نحضر الماعز لكي نطلق عليها النار، نطعنها ونصرعها. كانت الماعز مخدرة. ثم نتوجه بعد ذلك لتلقي تدريبات على إدارة صدمة المعركة كي نعتاد على التعامل مع القضايا الحية. وحتماً بعد الأسبوع الأول من التدريب، فإن الأشخاص الذين ليس لديهم رأي محدد حول الماعز، أصبحوا يكرهون الماعز. ونبدأ بالحديث عن "هذه الحيوانات الغبية". إنها مقززة، إنها كذا وكذا، كان علينا أن نجد طريقة ننزع منها أي قيمة بسبب ما كنا ملزمين بفعله بها.

وهذه نتيجة حتمية لأي وضع مشابه، وبخاصة بالنسبة لجيش محتل. لأنهم لا يملكون اي مسوّغ او عذر لوجودهم في تلك البلاد. إنهم هناك، إلا أنهم ليسوا متأكدين لماذا هم هناك. وقد قدمت لهم أسباب لما يقومون به، إلا ان عدداً كبيراً

(*) من الألفاظ النابية التي تستخدم لتحقير العرب وكلمة ممسحة او خرقة وهي كناية عن غطاء الرأس الذي يلبسه العرب على رؤوسهم خصوصاً في دول الخليج وبلاد الشام والعراق.

(*) مشتقة من كلمة حجاج.

منهم بحاجة إلى مستويات أعلى من "النكران" من أجل الإبقاء على هذه المسوغات العقلية. بعض الأشخاص ينطوون على أنفسهم ويخرجون هذه المشاعر فيما بعد عن طريق المخدرات وشرب الكحول والانخراط في نشاطات خطرة. وبعضهم يبحث عن المساعدة ويحاول أن يتحسن. وهم ليسوا بحاجة إلى الحصول على هذه المساعدة من داخل المؤسسة العسكرية لأن واجب الأطباء النفسيين العاملين في الجيش هو إعادتك إلى الخدمة، لذلك لو ذهبوا إليهم فسيحصلون على بعض الأدوية المهدئة غير المجدية، وبعضهم يعتاد ويدمن على تلك الأدوية. وهذا أمر يصعب وصفه. ولكن عندما يحدث فإن من العسير إعادة هؤلاء الأشخاص إلى حالتهم الطبيعية لوجود نوع من الحرية والمتعة التي تصاحب تجاوز آخر الممنوعات. ويمكن أن يولد لدى الشخص شعوراً بالقوة. وقد حدث ذلك لأعداد من الناس أكبر بكثير مما يريد الناس تصديقه.

ليس من الصعب قتل نفس بشرية. وعندما نفعل ذلك فإن الأرض لن تتفتح لتبتلعك. وتعود الأمور إلى ما كانت عليه، ولا يحدث شيء مفاجئ درامي، وإذا قتلت للمرة الثانية أو الثالثة فإن بعض الناس ولأسباب لا أستطيع توضيحها يتولد لديهم تعطش للقتل. وهذا التعطش ليس لقتل الأعداء، بل تعطش للقتل أي قتل. لقد سبق أن تحدثت إلى عدد كبير من طياري الطوافات الذين عادوا من فيتنام، وكانوا يعبرون عن متعة القتل الذي كانوا يمارسونه في فيتنام بالقول "إنني أعشق حصدهم بالرصاص". إنها من أكبر أعمال الإثارة في حياتهم. البحث عن شخص ما في منطقة لا يوجد فيها شهود، وإمطاره بوابل من الرصاص والقضاء عليه. وهذه الممارسة شائعة على نطاق واسع وأكثر مما يحب الناس أن يعترفوا به- لقد اكتشف أمر الجنود الذين ارتكبوا مجزرة ماي لي، إلا أن ما حدث في ماي لي كان يحدث كل يوم في فيتنام. ربما ليس بالدرجة نفسها. إلا أنه كان يحدث في كل وقت.

إنني أؤيد حركة أسَرٍ وقدامى المحاربين في فيتنام لقول الحقيقة. والسبب الذي دفعني إلى كتابة ذلك المقال هو أن ذوي الجنود بدأوا يكتبون لنا عبر موقعنا الإلكتروني للتعبير عن قلقهم من التغيرات التي حدثت لأفراد أسرهم من الجنود العائدين من ساحة المعركة. إنها تغيرات ذات دلالات خطيرة، وتشير إلى أن مثل هذه الأمور ستحدث. لقد بدأوا يلاحظون اتساع الهوة في التواصل بينهم وبين أحبائهم. بدأوا يلاحظون تكوّن نزعة حادة لدى هؤلاء الجنود تدل على أن حالتهم النفسية بدأت تتحول إلى الدموية والجنون. إنهم قلقون، وهم محقون في قلقهم هذا. فقمت بكتابة تلك المقالة ووصفت فيها كيف تحدثت تلك العملية مع بعض الناس، ولماذا تحدث. وترتبط هذه المشكلة في أصلها بعملية تصوير الشعوب التي تحتل بلادهم بأنهم بهائم دون البشر. ولو أدرك هؤلاء ما حدث لهم، فإنه يسهل عليهم التعامل مع الحالة. وربما يكون من الأسهل عليهم البحث عن وسيلة تحول دون استحكام هذه النزعة في نفوسهم.

وعقب كتابة تلك المقالة تلقيت مئات من الرسائل الإلكترونية من أسر الجنود في مناطق نزاع أخرى يقولون فيها بأنه شاهدوا هذه الأعراض على أبنائهم. بعضهم انتحر، ولا أدري بالضبط عدد الرسائل الإليكترونية التي وصلت من أناس قالوا بأنهم يعرفون أشخاصاً انتحروا بسبب ذلك. إنه أمر مفزع. أو من أشخاص هاموا على وجوههم في الشوارع، أو انتهى بهم المطاف إلى السجن أو المصحات النفسية. وصلتنا رسائل من أفراد يقولون "إن ما كتبته ساعدني في فهم ما أراه يحدث أمامي، وسوف أرسل المقالة إلى ابني" أو "سأرسلها إلى زوجي."

كما وصلتني رسائل من أناس من مسرح الأحداث، وكان 60٪ منهم تقول: "نعم هذا حقيقي، نشكرك على كتابة المقالة. إنها مسألة مهمة" أما الأربعين بالمائة فكان من بينها عدد من الرسائل التي تهدف إلى إلهاب المشاعر كالتي

تقـول " خـائر، جـبـان، الـخ..." وحـاول عـدد كـبـيـر منهم إقناعي بـأنني مـخطئ بقـولهم:"هذه الحـرب ليـست فـيـتنام. إنهـا تخـتلف". وكـأنني اتحـدث عن ظاهرة نفـسـيـة ينحـصـر ظهورها ضـمن حـدود جـمـهـورية فـيـتنام دون غـيـرها. إنني لا أستطيع أن أصف لك مقدار التأثير الذي أحدثته تلك المقالة.

وقـمت بإرسـال نسـخـة منهـا إلـى ابني بـعـد انفـجـار الشـاحنة المفـخـخـة في الرمـادي، وأبدى تقـديره لما جاء فـيها. فقـد كان هناك توتر كثير. كانت الشـاحنة التـي انفـجـرت فـي الرمـادي تنقل سـجـاداً إلى مكتب الجنرال. وهـذا هـو سـبـب سمـاحـهم للشـاحنة بدخـول الثكنة العـسكرية. وأدى الانفـجـار إلى مقـتل شـخص وجرح أربعة عشر آخرين. وقتل ثلاثة عراقيين. ووقع الانفجار داخل الثكنة وليس خارجها كما ذكرت الأخبار. وتوجـد تعليمات للجنود الأمريكان بملازمـة العراقيين الذين يعـملون فـي الثكنة كـعـمـال القـمـامـة والتـنظيف أو الذين يقـومـون بخـدمـة توصيل ونقل اللوازم من وإلى الثكنة: ومهـمـة هـؤلاء المجـمـوعـة مـرافـقـة ومـلازمـة العـراقيين. وهكذا توفي الجندي الأمـريكي في هذا الانفـجـار. وكان هذا الجندي من رفـاق ابني فـي العـراق. وعندمـا تحـدثـت إلى ابنـي أول مـرة بعـد الحـادث استشـعـرت الغضب الثائر في نفسـه، تلك الحـدة التي تحدثت عنها. كان غضبه منصبـاً على "هؤلاء العـراقيين أبنـاء الفـاعلة." ولكن وبعد أن مضى بعض الوقت وهدأ روعه، وأرسلت إليه تلك الرسالة المفتوحة، قال لي:"نعم، أنت محق يا أبي" وسـمـعنـا من أسـر الجنود الآخـرين، ليس فـقـط عن الرسـالة، ولكن عن سـهـولة الانزلاق إلى تلك الحـالة فـي نزوة الغـضـب. من الضـروري أن تـخـرج نفـسـك من ساعة الغضب. واستعادة قواك العقلية

جيـرمي إيرب: كتب نورمان ميلـر مؤخراً مقـالة تحدث فيهـا عن الصدى الخـاص الذي تردده هذه الحـرب لدى الطبـقـة العـاملة وبخـاصـة فئـة الذكور البـيض. هل تشـاهد اي ارتبـاط بين الطريقـة التي لقيت فـيهـا

هذه الحرب التأييد والاستحسان في وسائل الإعلام الدارجة وبين ظاهرة القتل بدافع الإثارة الذي تحدثت عنه للتو؟ بمعنى آخر، هل القتل للإثارة والمتعة هو ظاهرة تظهر في ساحة المعركة فقط، أم أن هناك أنواعاً منها قد تظهر في الحياة المدنية. هل تتحقق متعة بالتبعية لدى الذكور بالتحديد من مشاهدة الحرب عبر شاشة التلفاز لا يحصلون عليها في حياتهم اليومية المخدرة؟

لا أعرف بالضبط ما يقصده نورمان ميلر من إضفاء طابع "الرجولة" على الطبقة العاملة من فئة الذكور البيض. إلا أن من المؤكد وجود شيء من هذه التفرقة النوعية. وباعتقادي أن الأمر فيه أكثر مما نشاهده على شاشة التلفاز والأفلام من مشاهد منقاة ومصححة مضافاً إليها عنصر الدراما والإخراج الفني. ثم بعد ذلك نتحوّل إلى مجتمع وحشي همجي فظيع ويصبح الأمر مقبولاً لدينا. وأنا متأكد من أن ذلك جزء من هذه الظاهرة. وأعتقد أن هناك بعض المفاهيم الاجتماعية التي لها صلة بهذه القضية. لقد لاحظت أن التوجهات الاجتماعية تتبع ما يحدث على أرض الواقع. وفي الأوقات التي يصبح فيها الجيش محور اهتمام أجندة الدولة، نلاحظ إنتاج المزيد من الأفلام ذات الصبغة العسكرية من استوديوهات هولي وود.

ولكني أعتقد أن النزعة العسكرية هي نوع من الأيديولوجية التي كانت وما زالت تشكل جزءاً أساسياً في المفهوم الأمريكي للرجولة. وهذا المفهوم هو ثمرة دولة البوليس التي أعقبت الحرب العالمية الثانية. وهي الفترة التي احتفظت فيها الولايات المتحدة ولأول مرة في تاريخها بجيش نظامي. ولم تبدأ بالاحتفاظ بجيش نظام كبير طوال الوقت إلا بعد الحرب الكورية. وأعتقد أن الفكرة القائلة بأن أفكار الناس تتبع ممارساتهم هي فكرة صحيحة. وقد كان الجيش جزءاً جوهرياً في المشروع الأمريكي منذ العقود الماضية الأخيرة. وعندما تصل أمريكا إلى الذروة فإن الجيش الأمريكي يصل إلى الذروة معها.

وهناك إعادة صياغة وتحديد مستمرين لمفهوم "الرجولة"، ويوجد عدة أنواع من "الرجولة". إلا أن النوع الأسمى كان يتمثل دائماً بصورة الجندي المقاتل في الجيش- ومع أن تلك هي صورة كاريكاتورية بالكامل، إلا أنها تصور دائماً في وسائل الإعلام والسينما بصورة فردية مغالية فهي تعكس دائماً صورة شخص قوي صارم يملك كل المهارات الاجتماعية والقدرات الخارقة التي تمكنه من تجاوز كل العقبات والعوائق والتغلب على الأعداء. في حين أن الحياة العسكرية في حقيقة الأمر هي حياة مؤسسية تقوم على طمس الفردية. ولا أقصد الفردية بمفهوم الشخصية بل الفردية كأيديولوجية. فالجيش يشجع العمل ضمن فريق لأن الجيش يقوم على العمل الجماعي. وهذا الجانب يمثل أبرز التناقضات التي سيلحظها كثير من الناس عبر الحملات الدعائية الموجهة إلى الشباب للالتحاق بالمؤسسة العسكرية. فانظر مثلاً إلى آخر حملة دعائية للتجنيد، ولأن الحملات الدعائية توجه نحو ما يحب الناس مشاهدته. فإنها تستقي من تلك الصور الكاريكاتورية. فانظر إلى حملة "جيش من شخص واحد". إنها قمة الدجل! جيش من شخص واحد؟ كيف يكون ذلك؟ ليس من الممكن بحسب التعريف أن يوجد جيش من شخص واحد. إن حجم الجيش يتحدد بحجم أفراده. والجندي هو جزء من مجموع الجيش، ومصلحة المجموع مقدمة دائماً على مصلحة الجندي الفرد. وهو كيان تعاوني جماعي من الداخل. وفي واقع الأمر أن المنافسة تمت إزالتها بصرامة داخل مؤسسة الجيش باستثناء القسم الإداري الخاص بشؤون الأفراد.

وأنا أتساءل عن المجندين الجدد الذين يلتحقون بالجيش بناءً على فكرة جيش من شخص واحد، ولسان حال الواحد منهم يقول: "سوف أكتسب مهارة، سأكون شخصاً مرموقاً، وسأكون محل إعجاب الجميع". وأتساءل كيف ستكون ردة فعلهم بعد أن ينخرطوا في الجيش ويكتشفوا أن ما فعلوه هو أنهم طمروا

انفسهم في أشد المؤسسات البيروقراطية في البلاد. كم عدد الأشخاص الذين ستخيب آمالهم من ذلك، اضف إلى ذلك أن حرب العراق أحدثت أزمة في تجنيد المتطوعين والإبقاء على مستوى عدد الجنود الحاليين.

جيرمي إيرب: بالعودة إلى السياسة، كيف تفسر ظاهرة ميول الذكور إلى الحزب الجمهوري وسياساته، وهي الظاهرة التي تكونت منذ عهد نيكسون؟ لماذا نشهد هذا الإقبال الكبير من قبل فئة الذكور البيض من الطبقة العاملة على الحزب الجمهوري؟

لا اعتقد أن هناك شيء واحد فقط يجذب الناس إلى الحزب الجمهوري. فالجمهوريون لديهم أكثر من قاعدة شعبية انتخابية. فلديهم مجموعة تشبه التحرريين من المؤيدين المهتمين بالسياسات المالية المحافظة للحزب ولا يهمهم إن كان الناس يتعاطون المخدرات أو يمارسون الموبقات. فهذه الأمور لا تعنيهم البتة. وهمهم الوحيد هو أن لا ترفع الضرائب. وهناك قسم كبير من القاعدة الشعبية للحزب الجمهوري مؤلفة من الأصوليين المسيحيين. وهؤلاء لا يمكن التقليل من شأنهم. وهذا النوع من المسيحية مرتبط ارتباطاً وثيق بكثير من الطوائف الإنجيلية الأصولية المنتشرة في الولايات الجنوبية، وأعتقد أن هذه هي أساس العلاقة بين الحزب الجمهوري وفئة الذكور البيض من الطبقة الكادحة تحديداً والذين ازدادت أعدادهم منذ تبنى نيكسون "إستراتيجية الجنوب" والتي تركزت رسالتها حول مشاعر الامتعاض ضد المكاسب السياسية والاجتماعية التي حققتها الأقلية السوداء والمرأة. وتم توجيه هذه الإستراتيجية في الولايات الجنوبية.

وعندما تستقطب هوية الشخص، جيلاً بعد جيل، حول الذكر/ الأنثى، ورجولي /نسائي، أبيض/ أسود، فإن ذلك يمكن أن يشكل تهديداً غير عقلاني. وأعتقد ان ذلك أحدث نوعاً من رد الفعل المعاكس. وفي واقع الأمر، فإن الناس لا

يحاولون فصل مسألة النوع والأصل العرقي. فليس هناك من شيء يلهب الحمى السياسية لدى كثير من الذكور البيض، في الجنوب والشمال، مثل رؤيتهم لرجل أسود برفقة فتاة بيضاء. والآن قل لي ما سبب ذلك؟ إننا بحاجة إلى أن نفصل ذلك إذا أردنا أن نفهم الأساليب التي يوظفها خطباء ودهماء الحزب الجمهوري. إنها خطة لا تستند إلى العقلانية، ولهذا السبب فإن الفكرة القائلة بأنه يمكننا محاولة ثني الناس عن تلك الجاذبية هي فكرة غير صحيحة- لأننا لم نقم حتى الآن بالبحث في جذور هذه الظاهرة. وأنا أرى أنها شكل من أشكال الذعر الجنسي العميق، وهذه الفجوة النوعية بين الذكور والإناث تمتد إلى جذور عميقة. ولا يوجد شيء أتقنا التدرب عليه أكثر من الهوية النوعية. إنها أول شيء نفهمه عن أنفسنا فيما يميزنا عن الناس الآخرين: إنه النوع (ذكر أم أنثى). وفيما يتعلق بالعرق، فإن كل حملة انتخابية تنادي بنقض المكاسب السياسية والاجتماعية التي حصل عليها السود في الولايات المتحدة كانت مصحوبة بحملات دعائية تضليلية تتحدث عن حماية نساء الجنس الأبيض من الرجال السود، بدءاً من نقض إعادة دمج الولايات المنفصلة عن الاتحاد عقب الحرب الأهلية، إلى تطبيق الفصل العنصري ضد السود، والنضال نحو منع السود من مشاركة البيض في وحدات الجيش، واستهداف حركة الحقوق المدنية، وإلغاء القوانين التي تحظر التمييز العنصري.

وما زالت جاذبية هذه القضايا قائمة إلى اليوم، وحتى عند الحديث عن مبادرات مدارس الأحياء. وهذه القضية لا تتعلق بالعقلانية بالنسبة لكثير من الناس. إنها لضمان عدم تخالط البنات البيض مع الأولاد السود. هذا كل ما في الأمر. كيف يمكنك أن تدعم ذلك سيكولوجياً؟ ربما أنني لست مؤهلاً لفعل ذلك. لدي أفكاري الخاصة. إلا أنها مؤسسة على تجربتي الشخصية لأنني عشت حياتي كلها بين السكان البيض، وما تبقى من أقاربي ما زالوا يعيشون في ولاية

آركانسا، لذلك فهذه المسألة ليست غريبة عني. إذا رغبت أن تغضب شخصاً من الجنوب فأرسل إليه صورة لامرأة بيضاء مع رجل أسود. إنها قضية سياسية ساخنة بالنسبة لهم.

جيرمي إيرب: في ضوء ما نشهده من نزعة عسكرية ونبرة رجولية عالية والميزة السياسية لهذا كله، كيف ترى هذه الانتخابات من حيث مقدرة الرئيس بوش على إدارة قضايا الأمن؟

كما تعلم، فإن بوش يقف موقفاً حرجاً من جميع الجوانب: فحكومته في موقف حرج فيما يتعلق بالحرب، وهي أيضاً كذلك فيما يتعلق بالأمن القومي. بإمكانك أن تتحدث إلى أي فرد في دائرة الدفاع المدني، أو في جهاز الأمن العام، وسوف تجد أن هذه الإدارة لم تفعل شيئاً واحداً يذكر في شأن الأمن القومي. وكل ما فعلوه هو إصدار التحذيرات الملونة بحسب درجة الخطر بهدف إخافة الناس، أما ما فعلوه على أرض الواقع لتحسين مستوى الأمن الداخلي فلا شيء يذكر. وفي الواقع أنهم عمدوا إلى مهاجمة ومعاقبة كل من صرح أو تقدم بمعلومات تفيد أن منشآتنا غير آمنة. وحكومة بوش هي أعتى حكومة في تاريخنا الحديث في تتبع وملاحقة الأشخاص الذين يطلقون صفارات الإنذار، وبخاصة الذين يشيرون إلى الأخطاء والمخالفات التي من شأنها أن تهدد أرباح الشركات أو التي قد تهدد بعض الوكالات الفدرالية. ولو قام الحزب الديمقراطي بالتركيز على أخطاء هذه الحكومة في مجال الأمن القومي فإنه سيضمن سحقهم في الانتخابات.

جيرمي إيرب: أخيراً، ما هو رأيكم بنوعية الخطاب السياسي عقب 11 سبتمبر وخلال الحرب، وبخاصة ونحن على مشارف الدخول في موسم الانتخابات؟

هناك نزعة نحو استثناء بعض القضايا من حلبة النقاش لسبب أو لآخر، استناداً لاعتبارات الذوق واللباقة في التعامل، وهو ما لا أراه. لأن بوش وأعوانه، بعد كل الأكاذيب التي اقترفوها، يقومون بأعمال تفتقر إلى الذوق واللباقة يجهلها كثير من الناس.

وأنا شخصياً أعتقد أنه لا ينبغي أن نمنع عرض صور الجرحى أو القتلى في الحرب. أعتقد أنه يجب علينا أن نشاهدها بالألوان الحية كل يوم. إنهم يختبئون وراء حجة "أن عرض هذه الصور يعكس عدم الإحساس". بالطبع سيكون فيه عدم إحساس. إننا بحاجة إلى أن نحس بكل ما يحدث على أرض الواقع. إن هذه الفكرة المتعلقة باحترام المشاعر تترجم إلى ما يجوز عرضه وما لا يجوز. وهذا مرفوض في نظري.

علينا أن ننظر إلى قدرة الضربة المضادة. هناك عدد كبير من الناس يتساءلون عما كانت حكومة بوش تعلمه عن هجمات 11 سبتمبر قبل وقوعها، لأن هناك دلائل كثيرة تشير إلى أن حكومة بوش كانت تعلم قبل 11 سبتمبر أن شيئاً ما كان يحدث ولكنهم لم يفعلوا ما يلزم لإيقافه. هذه هي الحقيقة. وهذا ليس كمن يقول بأن حكومة بوش هي التي دبرت الهجوم. مع أن هناك من يقول بذلك. ولكنك إذا قلت بأن حكومة بوش تجاهلت خبراءها في أجهزة الاستخبارات، وعملت على تهيئة الوضع بما يسهل وقوع ما حدث، فإن هذا الموضوع يصبح خارج نطاق النقاش. وخارج نطاق السياسية. ولا أحد يجرؤ على التحدث بذلك. والسبب في أنهم لن يتحدثوا حول هذا الموضوع هو أنهم سيصنفون ضمن المهووسين بنظرية المؤامرة. هذا هو الحاجز الذي يمنعك من الاقتراب من بعض القضايا.

وينتابني فضول هذه الأيام لرؤية ما سيحدث بعد الانتهاء من الجولة الأولى للانتخابات التحضيرية الأولية للرئاسة يوم الثلاثاء الحاسم(*)، بعد أن يفرغ

(*) Super Tuesday يطلق على يوم الثلاثاء من شهر مارس. وتجري فيه جولة انتخابية أولية في 16 ولاية بين مرشحي الأحزاب المتنافسة لاختيار المرشح النهائي الذي سيختاره الحزب لخوض الانتخابات الرئاسية العامة.

الديمقراطيون من التشهير ببضعهم في المعركة الانتخابية للفوز بترشيح الحزب. إنني متشوق حقاً لرؤية ما إذا كان الحزب الديمقراطي سيطعن مرشحه من الخلف، وهو ما فعلوه في السابق وربما يفعلوا الشيء نفسه هذه المرة. ولهذا السبب لا أكن لهم أي احترام. ولكنهم إذا وقفوا وقفة واحدة، فإن لديهم الشيء الكثير من القضايا الكفيلة بالإطاحة بالحكومة الحالية في الانتخابات القادمة، وبخاصة إذا استمر الوضع في العراق بالتردي. وأنا شخصياً لا أتصور أن يفعلوا شيئاً غير ذلك. وإلا فإن الحزب الجمهوري ربما يكون بمقدوره أن ينجح في حسم المعركة الانتخابية مرة أخرى مستخدماً بعض القصص الملفقة في الوقت المناسب ليرفع من مستوى خطر الإرهاب إلى اللون المطلوب، بالإضافة إلى نظام دايبولد في التصويت، فليس من المستبعد أن ينجحوا في ذلك مرة أخرى، من يدري، وسوف ننتظر ونشاهد.

رالي، نورث كارولينا

5 يناير، 2004

❀ ❀

ويليام هارتنغ

يعتبر وليام هارتنغ خبيراً على المستوى الدولي في حقل تجارة السلاح، واقتصاد الإنفاق العسكري، والسياسة الخارجية الأمريكية. وهو مدير مشروع السيطرة على تجارة السلاح الدولية التابع للمعهد العالمي للسياسة. وله عدة مؤلفات، وشارك في تأليف عدد كبير من الدراسات، من ضمنها كتاب بعنوان أسلحة للجميع (هاربر كولينز، 1994)، وكتاب الديناميكية المتغيرة في سياسة وموازنة الدفاع الأمريكية في حقبة ما بعد الحرب الباردة (غرينوود برس، 1999)، وكتاب كم جنيت من الأرباح في الحرب يا ابي؟ دليل سريع وقذر لأرباح الحرب في حكومة بوش (نيشن بوكس، 2004).

جيرمي إرب: تقوم حكومة بوش بشن حملة إعلامية كاسحة لإظهار جورج دبليو بوش بمظهر القائد القوي في الأوقات العصيبة. ما هي النصيحة التي تقدمها للمواطنين الأمريكان في فهم الخطاب الدعائي والصور المرافقة له والذي يوشك أن يغمرهم؟

لو كان أمامي نافذة أخاطب من خلالها المواطن الأمريكي العادي، أو لو أتيح لي مخاطبة الجمهور لخمس دقائق في المساء، لأرشدتهم إلى كيفية فك رموز حملات التضليل الإعلامي حول ما سنشاهده من بوش فيما يتعلق بالأمن. سأقول لهم: أولاً، لا تنظروا فقط إلى الصور - تلك التي يظهر فيها بوش وهو يهبط على حاملة للطائرات، أو وهو محاط بالجنود، أو وهو واقف في مصنع للسلاح. إن خبراء فريقه في العلاقات العامة يريدون أن يظهروه بمظهر الشخص الشديد، يريدون أن يظهروه بمظهر القوي- وحتى في احتفالات يوم

الأرض، اختــاروا له صـورة وهو يحـمل في يده فـأسـاً يمهـد بهـا الطريق في أديروندداكس. إن هـذه الحكومـة تعـاني من ارتفـاع نسـبـة هـرمون التسـتوسـترون، لدرجة أن الاحتفال بيوم الأرض اقتضى أن يظهر فيه هذا الرجل وبيده سلاح. وهذه التكتيكات تحدث أثرها المطلوب في عامة الشعب، كيف لا وفيلم هاي نوون يشهد إقبالا كبيراً في دور السينمـا. وفي استطلاع أجري مؤخراً حول الأفلام التي يشاهدها الرؤساء، كان هاي نوون في المقدمة. وبالطبع، فإنهم لم يدركوا أن الفيلم كان يطرح في جزء منه قضية الوقوف في وجه المكارثية، بل كل ما فهموه هو الجزء المتعلق باستخدام البندقية.

وكل مـا يتـمنوه هو أن الناس سيشـاهدون تلك المشاهد ويشعرون أن بوش ومنذ 11 سبتمبر جعل جل تركيزه واهتمامه حماية الولايات المتحدة والدفاع عنهـا. فقد أطاح بحكومتين، وأنفق كل هذه الأموال، ولكنه لم يقم بالإجراءات المعقولة لحمايتنا من الإرهاب. وهذا هو الوقت الذي ينبغي للناس أن يغلقوا فيه التلفاز، ويبدأوا بتلقي الأخبار من مصادر مستقلة. ولو أمضى الناس 15 دقيقة في اليوم للاطلاع على مـا يجري حولهم بدلاً من تلقي كل مـا يقدم لهم بالقبول- فإنني أعتقد أن الحقائق ستظهر بكل وضوح. وأولها أننا ذهبنا إلى العراق استناداً إلى الحجة القائلة بأن صدام حسين كان على وشك الحصول على أسلحة نووية. ونحن نعلم الآن أن ذلك المبرر كان زائفاً. لقد ذهبت حكومة بوش إلى العراق على أساس من أن صدام حسين يرتبط بعلاقات قوية بالقاعدة. وقد تبين الآن أن ذلك لم يكن صحيحـاً، واتضح أن الحكومة قامت بتلفيق وتزوير وتهويل الأدلة لتضليل الشعب الأمريكي. وقد صدرت أقبح المواقف المخزية عن الشخص الأكثر حصافة في الحكومة - كولن باول، عندما وقف في الأمم المتحدة وبيده قارورة تحتوي على مادة مزيفة عرضها على أنها عينة من جرثومة الجمرة الخبيثة أثناء تقديمه الحجج ضد صدام حسين. لم يقل وقتها إن صدام حسين

كان وراء هجمات الجمرة الخبيثة، ولكن كان ذلك ما عكسته الصورة التي ظهرت على غلاف مجلة نيوزويك. وما سجل في وعي الناس هو "العراق... الجمرة الخبيثة... صدام حسين... كلها في قالب واحد".

والحقيقة هي أن قرابة الخمسين بالمائة من الأمريكان يعتقدون أن صدام حسين كان وراء هجمات 11 سبتمبر، وهذا هو ما يفهم من تصرفات حكومة بوش، يدعمها في ذلك تأييد وتحالف اليمين والأجهزة الإعلامية والجمعيات والمؤسسات الاجتماعية المختلفة. إن ما رأته حكومة بوش بعد 11 سبتمبر هو فرصة لتحقيق هدف كانوا يسعون إلى تحقيقه منذ وقت طويل، وهو انتهاز فرصة انتهاء الحرب الباردة لا لخفض القوات الأمريكية، بل لقول "اشكروا الرب! نحن الآن القوة العظمى الوحيدة! لو حشدنا قواتنا، فإننا نملك التحكم بالآخرين، بإمكاننا إعادة تشكيل العالم بما يخدم مصالح الولايات المتحدة بشكل أفضل". وهذا الموقف يتطلب أن يكون لك أصدقاء مقربين في مناطق إنتاج النفط، وتحررك من الالتزام بأي معاهدة تمنعك من استخدام قوتك كما تهوى - هذه هي ترنيمة المحافظين الجدد الذين يحيطون بالرئيس بوش.

جيرمي إيرب: هل لك ان تحدثنا بالمزيد عن تأثير المحافظين الجدد على هذه الحكومة منذ 11 سبتمبر؟ فأنا اتساءل عما إذا كنت تلاحظ التحول الذي طرأ على السياسة الخارجية الأمريكية، وبخاصة قرار شن الحرب على العراق، كقرار مدفوع بالنظرة الأيديولوجية والمنظور الأخلاقي للمحافظين الجدد، ام بالاعتبارات الواقعية للسياسة الخارجية، أم بمصالح الشركات الأمريكية؟ ام انه خليط من كل هذه العوامل الثلاثة؟

هناك شيء مختلف يتعلق بهذه المجموعة التي تحيط بالرئيس بوش. إنهم طراز خاص من الجمهوريين. فهم ضد المؤسسات الدولية، ولا يثقون بحلفائنا،

ويفضلون استخدام القوة على الدبلوماسية، وبالطبع، فهم لا يعارضون الاستفادة وتحقيق الربح من وراء ذلك كله. ولكن حتى بالنسبة لشخص مثل ريتشارد بيرل، الذي حقق مكاسب جمّة كسمسار لتجمع صناعات السلاح، فإنك تجده أكثر تحفزاً بالأيديولوجية منه بالمال.

وتعود نظرتهم إلى العالم إلى مدرسة أفكار هنري جاكسون. وكان السناتور هنري جاكسون من الديمقراطيين المحافظين في السبعينيات، وهي مدرسة تجمع بين موالاة إسرائيل ومعاداة الاتحاد السوفييتي. وكان يشكل العمود الفقري في التمهيد للثورة الريغانية. وكثير من الأشخاص الذين عملوا لدى هنري جاكسون - مثل ريتشارد بيرل، وفرانك غافني، وهذا الأخير يدير مركز سياسات الأمن (وهؤلاء هم من أشد المتحمسين لحرب النجوم ونظام دفاع صاروخي متعدد الطبقات) - تحولوا من ديمقراطيين معتدلين إلى ديمقراطيين محافظين ثم إلى ريغانيين، وهذا كله يعود إلى قناعتهم بعدم إمكانية التعامل مع الاتحاد السوفييتي. وكانوا يعتقدون بأن سياسة الاحتواء لن تفلح في التعامل مع المعسكر الشرقي: يجب أن يكون لديك القدرة للقضاء عليهم عسكرياً. وفي عام 1980، شارك كيث بين في كتابة مقالة بعنوان "النصر ممكن" حول كيفية تحقيق النصر في الحرب النووية. وذكر فيها أن الحرب ضد السوفييت، ربما تحصد 20 مليوناً من البشر، إلا أنه بإمكاننا الانتصار. وكانت حجته تقول: "إذا كنت ستلعب اللعبة النووية، فيجب أن يكون الفوز نصب عينيك".

وهذه النظرة كانت مرفوضة حتى من قبل ريغان نفسه في فترة رئاسته الثانية، بدليل الصفقات التي أبرمها مع غورباتشوف. وصرح بكلمة قال فيها بأنه يستحيل تحقيق أي نصر في الحرب النووية، وينبغي الا نفكر بها. وكان ذلك يعكس جزءاً من اعتقاده واستجابته للحركات الداعية إلى السلام والتي كانت تنتقد سياساته. إلا أن المحافظين الجدد لم يطرأ أي تغيير على قناعاتهم

وسلوكهم. ريغان تغير مع مرور الوقت، وعدّل من مواقفه، وأبرم اتفاقيات مع غورباتشوف، وكان يسعى إلى التخلص من الأسلحة النووية، وقام بتأجيل مشروع حرب النجوم. أما الأشخاص من أمثال فرانك غافني والذي كان يعمل في البنتاغون في عهد ريغان، فقد بلغ بهم الامتعاض درجة دفعتهم إلى الاستقالة من وظائفهم. وانتقلوا إلى مراكز الأبحاث التابعة للمحافظين والتي تتلقى الدعم المالي من ريتشارد ميلن سكيف، وأسرة كوورز. وفي حالة المركز الذي يعمل فيه غافني، فكان يتلقى الدعم المالي أيضاً من الشركات المصنعة للأسلحة كشركة لوكهيد مارتن وغيرها.

وقام المحافظون الجدد بشحذ نظرياتهم التي تتمحور حول "السلام من خلال القوة"، والمواقف الأحادية منذ نهاية الثمانينيات إلى عهد كلينتون، وتوّجت تلك الجهود بمركز مشروع القرن الأمريكي الجديد، والذي تأسس في عهد الولاية الثانية للرئيس كلينتون. أرادوا العودة إلى عهد الفترة الرئاسية الأولى لرونالد ريغان. وهذا هو رونالد ريغان الذي كان يمازح الصحفيين قبل إلقائه خطابه الأسبوعي قائلاً "سيبدأ القصف خلال خمس دقائق": رونالد ريغان الذي كان يطلق على الاتحاد السوفييتي وصف "إمبراطورية الشر" ولا يمكن التفاوض معه. إنهم لا يزالون متحجرين في تلك الحقبة الزمنية. لم يطرأ عليهم التحول الذي طرأ على ريغان، لذلك فقد أمضوا الثمانيات والتسعينيات في تعزيز وتلميع المواقف الأحادية. ثم وفي عهد حكم بوش الأب، قام ولوفوويتس و لويس ليبي، الذي كان يعمل نائباً لتشيني]في وزارة الدفاع [بالإضافة إلى آخرين، بوضع إستراتيجية الأمن القومي تأسيساً على فكرة أن الولايات المتحدة يجب أن تكتفي بالهيمنة على خصومها، بل يجب أن يكون لديها قوة عسكرية كاسحة بحيث يخشاها أصدقاؤها. وقد أدت هذه الوثيقة إلى إحداث ضجة بعد أن تسربت إلى وسائل الإعلام، وأعرب الأوروبيون عن انزعاجهم مما ورد فيها، وانتقدها كل من

كولن باول وبوش الأب وحتى تشيني، إلى حد ما، واصفين إياها بالغلو. عليكم تخفيف تلك اللهجة. إن انتهاء الحرب الباردة لا يعني الضوء الأخضر لبناء قوتنا العسكرية على نحو جامح، والتعدي على الدول الأخرى، مستخدمين السيف عوضاً عن الدبلوماسية. إلا ان هؤلاء الأشخاص لم يتزحزحوا عن تلك المواقف.

لقد قاموا بصقل تلك الأفكار في مراكز أبحاث المحافظين، ولما ظهر جورج بوش وافق شن طبقة، لأنه كان هو الآخر يتوافق مع سياسات ريغان في فترة رئاسته الأولى أكثر من توافقه مع سياسات أبيه. وفي أثناء حملته الانتخابية، وحين يقدم له مستشاروه مقترحات بشأن بعض القضايا، كان يوجههم نحو التشدد أكثر. فلم يكن يعبأ باتفاقية نزع الصواريخ البالستية: كان يفضل الدفاع الصاروخي. سألهم لماذا نريد جيشاً. وهو سؤال قد يوحي بأنه يفصح عن نزعة إصلاحية مشوّقة. ولكن إذا نظرنا إلى هذه التصريحات في ضوء النزاع الذي تبدى بين رمسفيلد والجيش، فإنه يتضح لنا أنهم لا يحبون الجيش لأن الجيش جاثم على الأرض من الناحية الواقعية لا يعمل شيئاً. عليهم أن يحتلوا دولاً: ويتحتم عليهم مواجهة الناس وجهاً لوجه. أما رمسفيلد والآخرون فيريدون عمل الأشياء من بعيد: يريدون أن يضعوا أسلحة في الفضاء: يريدون إلقاء القنابل عن بعد 15 ألف قدم من الجو. إنهم لا يرغبون بالتعامل مع السياسات المعقدة لهذه الدول، ولهذا السبب يحاولون إدارة العراق وكأنه الولاية الحادية والخمسين المخصخصة، وهذا لن ينجح.

جيرمي إيرب: يرى بعض المحللين انه لا شيء "جديد" فيما يفعله المحافظون الجدد، ويقولون بأن ما نشاهده اليوم هو مثال متشدد من "راسمالية الشللية". كيف ترد على ذلك؟

إنهم يمنحون كل هذه العقود لرفاقهم المقربين، مثل هاليبرتون، وبيتشل وغيرها من الشركات، إلا أن هذه الشركات لا توفي بالتزاماتها. وظهرت مؤخراً

مقالات في الصحافة تقول بأن الجنود لا يملكون الماء الكافي للشرب. فهم يحصلون على كمية محدودة بمقدار لتر ونصف في اليوم لأن هاليبرتون لا تستطيع تنفيذ المهمة. ولكنها حصلت على عقد مع الجيش بدون مناقصة ويجدد سنوياً. والذي أوجد هذه الفرصة هو دك تشيني (الذي كان الرئيس التنفيذي لهاليبرتون) قبل أن يصبح وزيراً للدفاع في عهد بوش الأب. وهو صاحب فكرة خصخصة خدمات الدعم والمساندة للجيش خارج الولايات المتحدة. وهو صاحب فكرة قيام شركات خاصة بتقديم خدمات التخطيط في وزارة الدفاع. وخدمات صيانة عربات الجيش، وتقديم الطعام والشراب، وبناء القواعد، الخ. فهو الذي وضع نموذج خصخصة الخدمات، ثم وبعد بضع سنوات، التحق بالعمل في هاليبرتون وهي الشركة التي استفادت من هذه العقود. خسرت هاليبرتون تلك العقود عندما كان تشني رئيساً تنفيذياً لها، ولكنها عادت وحظيت بها ثانية عندما أصبح تشيني نائباً للرئيس الأمريكي. وأحد الأسباب التي حصلت فيها تلك الشركة على العقود هو أن المسئولين في البنتاغون رأوا أن ذلك ربما يرضي نائب الرئيس وغير ذلك من أشكال المحاباة. وحتى لو لم يتدخل تشيني مباشرة، فيكفي حقيقة أنها الشركة التي كان نائب الرئيس يرأسها، وأنه ما زال يتلقى مكافآت مالية ضخمة من تلك الشركة. فهذه الأمور لها تأثير في ذلك. وقد أورد تشيني في نموذج كشف الذمة المالية أنه يتلقى ما يتراوح بين 180 ألف دولار إلى المليون دولار في السنة من هاليبرتون كجزء من مكافأة نهاية الخدمة (المظلة الذهبية) التي حصل عليها بعد تركه العمل في تلك الشركة. أما زوجته (لِن) وهي الأخرى من المحافظين الجدد، فقد كانت عضواً في مجلس إدارة شركة لوكهيد مارتن طيلة سبع سنوات، وما زالت تتلقى مكافآت مؤجلة من تلك الشركة صاحبة أكبر نصيب من التعاقدات مع الجيش. وعليه فإن أسرة تشيني من الناحية الفعلية ما تزال مدرجة في جدول رواتب تجمع صناعات السلاح.

وبالمثل، فإن والد جورج دبليو بوش يتلقى 100 ألف دولار على كل خطاب يلقيه لصالح مجموعة كارلايل، وهي شركة تستثمر في الشركات العسكرية ويديرها فرانك كارلوتشي، زميل الدراسة السابق لرمسفيلد في جامعة برنستون.

إن هذه الجماعة هي في واقع الأمر لصوص متخمون. وبرأيي أن ذلك ليس بسبب الجشع- فهم يشعرون بأن ذلك هو من استحقاقاتهم. إنهم يعتقدون بأنهم النخبة المصطفاة والمختارة لإدارة شؤون العالم. وبما أنهم يؤمنون بحرية السوق والمشاريع الفردية وغير ذلك، فإنهم يشعرون بأن كل هذه الأموال التي تنهال عليهم ما هي إلا بعض الآثار النتائج الثانوية لكونهم الأفضل والأفضل كل يوم ومن كل الجوانب، لأنهم يناضلون في سبيل البشرية. وهم يعانون من نقطة عمياء كبيرة، ولا يدركون أن ما يفعلونه يبدو فساداً في عين كل شخص في العالم. وكان أول عقد لإعادة أعمار العراق عقداً بدون منافسة، عقداً سرياً نالته الشركة التي يديرها نائب الرئيس، في الوقت الذي لم يحصل فيه أحد على فرصة لدخول المناقصة، لا من حلفائنا البريطانيين الذين ساعدونا في الاستيلاء على بعض المناطق، ولا حتى الشركات الأمريكية الأخرى التي يمكنها تقديم خدمات أفضل.

ولو عاينت التاريخ المهني لريتشارد بيرل و وزلي وبقية العصابة المحيطة برمسفيلد لوجدت انهم من اتباع أيديولوجية واحدة أولاً. وحتى لو نظرت إلى تاريخهم المهني، فستجد أن معظم علاقاتهم المهنية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالرأسمالية الشللية. فلم تقم هاليبرتون بتوظيف دك تشني لأنه كان مديراً ممتازاً. وجاء تعينه في تلك الوظيفة بعد أن رافق رئيس الشركة في رحلة صيد للأسماك، وتبين لهم أن له صلات ومعارف في الشرق الأوسط، ولأنه ساعد في تحقيق النصر في معركة الخليج، وبإمكانه فتح كثير من الأبواب أمام تلك

الشركة. ولم يكن من بين تلك الاعتبارات قدراته الإدارية الفذة. والحقيقة هي أنه أوشك أن يوقع تلك الشركة في هاوية الإفلاس عندما قام بشراء شركة درسرز إندستريز التي كانت مثقلة بديون والتزامات تتعلق بقضايا تعويضات الإسبست. ولولا مساعيه خلف الكواليس لتأمين عقود حكومية للشركة لأفلست الشركة تحت إدارته.

وحتى رمسفيلد الذي يشيع عنه أنه كان مدير أعمال رائع، حصل على أول وظيفة له من شخص اسمه تد فورستمان. وكان فورستمان هذا متخصصاً بضم ودمج الشركات، وساعد في تمويل مؤسسة إمباور أمريكا (تمكين أمريكا) إحدى معاهد الفكر التابعة للمحافظين الجدد. ورمسفيلد هو احد اعضاء مجلس إدارتها. وقامت هذه المؤسسة بنشر وتمويل إعلانات مناهضة للمرشحين الديمقراطيين لمجلس الشيوخ في التسعينيات، وكانت هذه الإعلانات تطعن بوطنية هؤلاء المرشحين لعدم دعمهم المطلق لمشروع الجمهوريين لحرب النجوم. وبعد أن امتلك فورستمان شركة تسمى جنرال إنسترمنت، قام بتعيين رمسفيلد مديراً تنفيذياً لها. لم يرتق رمسفيلد إلى هذه المرتبة من خلال درجات السلم الإداري للشركة. بل كان ذلك بفضل أحد أصدقائه المقربين، وشريكه في بعض الأعمال السياسية. إنهم يديرون واشنطن كما كان سوهارتو يدير إندونيسيا. إنها رأسمالية شللية في أسوأ صورها. وبإمكانك أن تقوم بذلك بعض الوقت، ولكنك في النهاية ستبدأ بتقويض الاقتصاد الوطني. وستنهار ثقة الناس بالديمقراطية.

هذا هو المستوى الذي وصلنا إليه الآن، بحيث لم يعد بوسعنا القبول بالصورة التي يحاولون تصوير أنفسهم بها. علينا أن ندقق النظر فيما يفعلونه. وعندما حذّر أيزنهاور من تأثير تجمع صناعة السلاح، فعن مثل هذه الأمور كان يتكلم، ولكنه قال بأن علينا أن نراقب التأثير المباشر وغير المباشر لتجمع صناعة

السلاح، فبحكم ما تتمتع به هذه الشركات من ضخامة الحجم، فإن بإمكانها أن تستحوذ على المكان، وتستجمع القوة، وغير ذلك. إلا أننا اليوم أمام وضع مختلف. إن هذه الزمرة تقوم بالاستغلال المتعمد لتجمع الصناعات العسكرية كأداة لبسط نفوذهم وسلطتهم، ولا أعتقد أن أيزنهاور نفسه كان يتخيل أن شخصاً ما سيملك في يوم من الأيام هذا القدر من الجرأة والصفاقة. إلا أننا نرى بوش يقوم بجولات استطلاعية داخل تجمع مصانع الأسلحة، ويهبط بطائرته على متن إحدى حاملات الطائرات، ثم يلقي خطاباً في اليوم التالي في شركة يونايتد ديفنس تحت منصة كبيرة تحمل اسم "يونايتد ديفنس". وهذه الشركة تملكها مجموعة كارلايل. وهي الشركة التي يعمل فيها أبوه براتب مقطوع مع جيمس بيكر الذي تولى الإشراف على عملية فرز الأصوات في ولاية فلوريدا.

جيرمي إيرب: اين تقع احداث 11 سبتمبر في هذا كله؟

لقد قدمت لهم هجمات 11 سبتمبر الغطاء السياسي لتحقيق أهدافهم المرسومة مسبقاً. فبعد 11 سبتمبر طغت على الناس صدمة عاطفية قوية. وكانوا يتطلعون إلى من يحميهم: لم يكترثوا بالتفاصيل. وجاءهم بوش يقول: "سأجعل هذه المهمة مهمة واحدة، إنني متوجه إلى أفغانستان. وكان هناك على الأقل بعض الصلة بين أفغانستان وما حدث في 11 سبتمبر. فقد كان فيها معسكرات تدريب للقاعدة. وعلى الرغم من أن احتلال أفغانستان لم يكن هو الرد الأحنك. إلا أن فيه بعض المنطق. ولكنهم بعد ذلك توجهوا صوب العراق. وهاهم الآن يتحدثون عن إيران وكوريا الشمالية، وانتقلت قضية القاعدة إلى أسفل سلم أولويات واهتمامات الحكومة. وعلى الرغم من أنهم استطاعوا القبض على بعض عناصر القاعدة واربكوا عملياتها في أفغانستان، إلا ان القاعدة شبكة تعمل في 60 دولة. وتعمل خلاياها باستقلالية تامة. فهي تقوم بغسل الأموال، ويديرون اعمالاً غير

مشروعة. ولا يحتاجون إلى اي دعم حكومي. إن الأشخاص الذين ضربوا مركز التجارة العالمي كانوا خلية منضبطة مؤلفة من عشرين شخصاً أمضوا سنتين في البلاد وانفقوا ما بين 200 إلى 500 الف دولار.

والمشكلة التي يفرزها مثل هذا النوع من التهديد هو أن هؤلاء الأشخاص إذا كانوا مصممين على فعل شيء ما فإن من الصعب إيقافهم. والإطاحة بحكومات العراق وافغانستان أو إيران أو كوريا الشمالية ليس له تأثير على مجرى عملياتهم. وبالعكس، قد يؤدي ذلك إلى تسهيل مهمتهم لأن الولايات المتحدة بأفعالها تلك تعكس الصورة القبيحة لأمريكا. فهي تلوح بسيفها حول العالم، وتتجبر على الدول الأخرى الأمر الذي يقدم وسيلة فعالة لابن لادن ورفاقه في تجنيد المتطوعين. وبإمكانهم الآن أن يقولوا: "انظروا! هذه هي أمريكا، إنها تفضل البطش واستخدام القوة. إنها تدوس كرامتنا. لذلك فإن الطريقة الوحيدة للتعامل معها هو استخدام القوة- علينا أن نحارب النار بالنار".

ولو اتبعنا إستراتيجية حصيفة، وهي ما اقترحه بعض مستشاري بوش عقب 11 سبتمبر، فإن ممارساتنا ستكون أصعب في إقناع الجمهور بها لأنها لا توفر فرص البهرجة الإعلامية، ولن يكون هناك مفرقعات، ولا الصور الكبيرة، ولا وجون وين(*). إلا أن من أنجع الوسائل في مقاومة هذا النوع من الإرهاب هي الوسائل الهادئة الكيسة والمتزنة. إنها المفاوضات والاتفاقيات بين الدول على تبادل المعلومات، إنها التعاون الجماعي في مجالات الاستخبارات وفرض القانون. ولكن هذه الإستراتيجيات لا تتولد عنها الانطباعات والصور التي يحتاجها بوش لإعادة انتخابه. والصورة الأكثر شناعة بالنسبة لي كشخص يسكن في نيويورك هو عقد المؤتمر العام للحزب الجمهوري في نيويورك. وسوف يقوم بوش بزيارة

(*) إشارة إلى الممثل الأمريكي المشهور بطل افلام الكاوبوي.

لموقع برج التجارة العالمي، ويضع حجر الأساس للنصب التذكاري هناك. وسوف يقوم بتسييس واستغلال تلك البقعة المقدسة لتحقيق مكاسب سياسية. تلك البقعة التي تضم رفات الضحايا. وسوف يستغل المشاعر المرتبطة بذلك الحدث لدفع إعادة انتخابه. وسيعمل على دمج تلك الصورة في حملته الانتخابية. لقد أدركت حكومة بوش أن الصور في السياسات الأمريكية لها أكبر الأثر. فقد ينسى الناس كل التفاصيل، إلا أن صورته وهو يهبط بطائرته على متن حاملة طائرات ستبقى عالقة في أذهان الناس. وهذا هو ما يأملون بتحقيقه في مدينة نيويورك.

جيرمي ايرب: هل تعتقد أن الإجراءات التي اتخذتها الحكومة منذ 11 سبتمبر نجحت في جعل الأمريكان أكثر أمناً؟

لا تزال بلدية نيويورك تفتقر إلى وجود خبراء في تحديد الأسلحة الكيماوية. ولا توجد كاشفات إشعاعات في الأنفاق والجسور، لذلك إذا أراد شخص إحضار مواد مشعة، فإن من العسير اكتشافهم. وحتى الآن لم تقم الأجهزة الفدرالية المختلفة بتنسيق قائمة الأشخاص المفترض مراقبتهم وتعقبهم لمعرفة من ينبغي منعه من دخول البلاد. وانعدام هذا التنسيق سمح لبعض الخاطفين بدخول الولايات المتحدة. لذلك فإن هذه الحكومة لا تهتم بالإجراءات التي تتطلب تفاصيل دقيقة ولا توفر فرصة للبهرجة الإعلامية والتقاط الصور الصالحة لأخبار المساء.

وفي الحقيقة، هناك شخص اسمه راند بيرز وهو من كبار المسئولين في مجلس الأمن القومي قدم استقالته قائلاً إنكم لا تخوضون الحرب الصحيحة. إنكم في أفغانستان وفي العراق، ولا تعملون على تأمين الأراضي الأمريكية: إنكم لا تقومون بعمل اللازم. وهذه المغامرة في العراق هي أمر ثانوي يشتت الانتباه والتركيز عن فعل ما ينبغي فعله لحماية المواطنين. ولم يكتف هذا المسئول

بالاستقالة، بل عاد بعد شهرين ليصبح معاوناً رفيع المستوى في حملة جون كيري للرئاسة(*). وهو أمر غير مسبوق، ولم يحدث من قبل بالنسبة لشخص أمضى حياته المهنية في الحكومة الأمريكية في حقل العلاقات الخارجية. لم يكتف بالاستقالة العلنية ولكنه قال "سأبحث عن أفضل شخص يخرجنا من هذه الورطة، وسأعدكم على تحقيق ذلك."

إن الأشخاص الذين يعملون حقاً ما يجب فعله لتأمين البلاد مستاءون جداً من الأسلوب الذي يتبعه بوش في التعامل مع المسائل الأمنية بهذه البهرجة الإعلامية، ومواقف التهديد والوعيد التي يتخذها. كما أن عدداً كبيراً من دوائر الاستخبارات غير راضية عن قيام الحكومة بتزوير التقارير الإستخبارية. كما أن الجيش في حالة صراع مع رمسفيلد و ولفوويتس بسبب تقديراتهما الخاطئة حول الإجراءات اللازمة لتأمين العراق بعد التخلص من نظام صدام حسين. وقد اتضح الآن أن الجيش كان محقاً في رأيه. فقد كان الجنرال شينسكي محقاً عندما قال بأن الأمر يحتاج قرابة مائتي ألف جندي. ولكنهم سخروا منه في ذلك الوقت، وحاولوا التعجيل بإحالته إلى التقاعد. وقالوا بأن تقديراته بعيدة جداً عن الصواب. ولكن من الذي كان يقول ذلك؟ إنه بول ولفوويتس. و ولفوويتس هذا لم يطلق في حياته رصاصة واحدة. لم يسبق له أن قاد سرية من الجنود. أما إريك شينسكي فقد كان يتولى قيادة الجنود الأمريكان في البلقان. وهو يعلم حقيقة ما تتطلبه مهمات حفظ السلام. أما هؤلاء الذين يدعون بأنهم يعملون على تأمين حمايتنا فإنهم لا يأخذون بنصيحة أهل الخبرة وأصحاب الاختصاص في الاستخبارات والجيش، بل عملوا على تحييدهم وإخماد أصواتهم. ومعظم المحافظين الجدد هم من صقور الدجاج الذين اختلقوا الأعذار

(*) من باب توضيح الحقيقة، لم يكن المرشح الديمقراطي جون كيري معارضاً للحرب في العراق بل كان يدعو إلى زيادة أعداد القوات الأمريكية هناك.

للتهرب من التجنيد الإجباري حين صدر النداء لخدمة الوطن. ولكنهم تملصوا من الخدمة بسبب الدراسة، أو توسط آبائهم لهم، أو استصدار أعذار طبية الخ. وهم الآن يرسلون أبناء الوطن من الكادحين إلى العراق التي تشهد موسماً مفتوحاً لاستهداف الجنود الأمريكان. فكل مهووس له ثار مع الأمريكان يتوجه اليوم إلى العراق ليقوم بتفجير انتحاري أو لقتل جندي أمريكي.

لقد ورطونا في تلك المناطق. وهم بذلك يضاعفون من التهديدات الموجهة إلى جنودنا وإلى بلدنا. وعندما يقوم أشخاص مثل ولفوويتس وبيرل ورمسفيلد بتزوير التقارير الإستخبارية والتلاعب بالإجراءات التي يفترض فيها أن تقدم معلومات صحيحة ودقيقة إلى الرئيس حول ما يهدد الأمن القومي، فإن هذه الأفعال مجرمة بموجب القانون. إن هؤلاء الأشخاص يجب أن يقدموا إلى العدالة. ويجب أن يجرى تحقيق حول ما إذا كان يسمح لهؤلاء البقاء في وظائفهم الحكومية أم لا. لأن إرسال الجنود إلى الحرب استناداً إلى معلومات استخبارية ملفقة ومزورة، وتفاصيل مضخمة، يعد عملاً مجرماً بالقانون. وفي المملكة المتحدة، حيث يوجد لديهم نظام لا يمكن لرئيس الوزراء الاختباء في ظله، فإن مستقبله السياسي في خطر بسبب هذه الأمور بالضبط. أما هنا في أمريكا. فإن جورج بوش يهبط بالطائرة على متن حاملة الطائرات ويرعى احتفالاً في موقع برجي مركز التجارة العالمي، وكل ذلك مغتفر.

جيرمي إيرب: كل انتخابات رئاسية تجري يقال عنها بأنها "تاريخية" لأنها تحمل أهمية غير مسبوقة. وفي هذا الوقت نسمع هذه المقولة من جديد، ولكن هذه العبارة تبدو أكثر صدقاً هذه المرة وأكثر تناغماً مع التاريخ، ما هو المعول عليه في انتخابات عام 2004؟

القضية الأساسية هي: هل سيقف الناخب الأمريكي مكتوف اليدين تجاه ما يحدث؟ هل سنتعامل مع ديمقراطيتنا كما لو كانت مباراة رياضية مثل السوبر

بول(*)؟ أم أننا سنراجع انفسنا قليلاً هذه المرة؟ هل سنمحص ادعاءاتهم؟ هل سننظر إلى تفاصيل ما قامت به الحكومة الأمريكية؟ إنني أعتقد أنها ابتعدت عن جادة الطريق ليس فقط عما كان سيفعله الديمقراطيون. بل ابتعدت عن الخط التقليدي للحزب الجمهوري. إنهم ينقضون معاهدات نزع التسلح، كمعاهدة الحد من الصواريخ العابرة للقارات التي تم التفاوض بشأنها في عهد أكثر الجمهوريين تطرفاً ريتشارد نيكسون. إذن نحن لسنا أمام سيطرة الحزب الجمهوري على الحكومة، بل أمام سيطرة فصيل محدود من الحزب الجمهوري وهو جناح المحافظين الجدد. وهذا الجناح يؤمن بالانفرادية في العلاقات الدولية. ولا يؤمنون بحكم القانون، ولا يعتقدون بواجب الصدق وقول الحقيقة أمام الشعب.

وحسبك أن تنظر إلى عدد الأشخاص في هذه الحكومة الذين كانوا متورطين في فضيحة إيران كونترا: جون بويندكستر في البنتاغون والذي عزل مؤخراً بسبب فضيحة احتيال تتعلق بالأسواق المستقبلية للإرهاب تديرها وزارة الدفاع. أما الشخص المتخصص بأمريكا اللاتينية، أتو رايخ فقد كان على رأس عمله إلى أن رفض الكونغرس إقرار تعينه. إلا انهم أبقوه حولهم. وكان هذا الرجل يشكل ذراع التضليل الإعلامي في قضية إيران كونترا. إليت إبرامز يعمل الآن مبعوثاً للسلام في الشرق الأوسط. ووضع شخص كهذا في هذا المنصب هو منتهى البغي. فقد كان إبرامز متورطاً في صفقة الأسلحة لإيران مقابل إطلاق سراح الرهائن، وقدم الدعم والعون لنظام هو بحسب ادعائهم يرعى الإرهاب. وعلى الرغم من ذلك كله، يبدي هؤلاء قلقهم من أن بعض أساتذة الجامعات يتخذون مواقف غير وطنية. هؤلاء الأشخاص هم الذين يفتقرون إلى الوطنية. هؤلاء هم الذين يهدمون ديمقراطيتنا. وهم لا يعملون في جامعة ما، إنهم يمسكون بدفة الحكم ويسيرون البلاد.

(*) المباراة النهائية لبطولة كرة القدم الأمريكية. وهي أهم حدث رياضي على المستوى الوطني في الولايات المتحدة، ويتابعها الملايين من الناس.

وإذا أدركت عامة الشعب مدى خطورة هذا الوضع وأن المسألة ليست أن "الجميع يفعل ذلك" وأن هذه الحكومة ليست كباقي الحكومات الأمريكية المتعاقبة، لو أدركوا ذلك لثاروا غضباً ولأخرجوهم من السلطة يجرون أذيال الهزيمة في الانتخابات بفارق شاسع بحيث لا يمكنهم التفكير بسرقة الأصوات للبقاء في الحكم. ولكنني أخشى الا يحدث ذلك، وأخشى أن تكون هذه الانتخابات متقاربة في النتائج. وأن يكون لهذه الصور وقع كبير. أنظر إلى الانتخابات السابقة. وعلى سبيل المثال ما حدث مع مايكل دوكاكس عندما ركب الدبابة- بمظهر يشبه شخصية سنوبي في أفلام الكرتون- وتذكر الإعلان الساخر الذي وضعه ويلي هورتن ضده مستخدماً فيه تلك اللقطة، إنك لا تفكر بالمحتوى والجوهر لأن الانتخابات لا تتحدد بناءً على الجوهر. إن بلدنا يواجه مخاطر حقيقية، وهؤلاء الأشخاص لا يتتبعون الأخطار الحقيقية. وهم ماضون في تنفيذ أجندة موضوعة من قبل تحت قناع محاربة الإرهاب. وهي أجندة ستؤدي إلى إفلاس الولايات المتحدة، وتضع الجيش الأمريكي في مواطن الخطر، وهذا من شأنه أن يضاعف التهديد الإرهابي علينا مع مرور الوقت بدلا من القضاء عليه.

جيرمي إيرب: ما هو سبب احتلال العراق من وجهة نظرك؟

يتساءل كثير من الناس، "إذا لم يكن احتلال العراق بهدف محاربة الإرهاب، فما هو السبب الحقيقي لتلك الحملة العسكرية؟ بعض الناس قالوا بأنه لإظهار الشوكة والنفوذ، بينما رأى بعضهم أن النفط هو السبب. وهذا غير صحيح. إن السبب يتعلق بالقوة وإظهار الشوكة. إن هذا الاحتلال يوفر لهم القوة من طرق عدة. فهم الآن يسيطرون على نفط العراق. وهذا الأمر لا يعود عليهم بالفوائد المالية وحسب، بل والأكثر أهمية، سيمكنهم من ممارسة النفوذ على المستوى العالمي. (...) ومتى ما استحكمت سيطرتهم على منطقة الشرق الأوسط بالمعنى

الجيوبوليتيكي فإن ذلك سيوفر لهم مزيداً من النفوذ على حلفائنا في أوروبا وآسيا. وهو نوع من الالتفاف على حقيقة تردي سياساتهم الاقتصادية في البلاد.

فمن جهة، نجدهم يستخدمون العراق أداة لصنع النفوذ وتمويل إعادة انتخابهم. ومنح العقود المجزية لأصدقائهم، وإنقاذ الاقتصادي الأمريكي من حالة التردي التي سببتها سياساتهم الاقتصادية العفنة. وهم يريدون تغيير خارطة العالم، وإجبار الحكومات على السير بالطريقة التي يرونها. ومن أسباب استبعادهم الأمم المتحدة من مشروعهم في العراق هو أن ولفوويتس وغيره في هذه الحكومة صرحوا بأنهم لا يريدون الأمم المتحدة في العراق ولا الفرنسيين ولا الألمان، وذلك خشية أن يتأثر العراق بالسياسات والتوجهات الألمانية في مجال العمل، فتنشأ فيه النقابات العمالية وغيرها، وهي توجهات يحاربونها في الولايات المتحدة. إنهم يتعاملون مع العراق بوصفه مختبراً صغيراً لتجربة أفكارهم حول الخصخصة، والسوق الحرة، ومفهومهم الخاص للديمقراطية، وهو مفهوم يشبه إلى حد كبير النموذج الذي مارسوه في فلوريدا. لا يهمهم إحصاء الأصوات، هم يريدون أشخاصاً في الحكم تحت سيطرتهم. ولا يريدون أن يرأس الحكومة في العراق ويسير شؤون ذلك البلد أي شخص يؤمن بالديمقراطية الحقيقية.

والشيء الذي يحفزهم هو سلطة استخدام القوة العسكرية ومصادر الطاقة لإعادة تشكيل العالم وفق الهيئة التي تروق لهم. وإذا نظرت إلى صور رمسفيلد وولفوويتس وهما يعاينان خارطة العالم في غرفة العمليات، ويتمازحان أثناء ذلك، فإنك تستطيع أن تستنتج أن هذا هو ما يعيشون لأجله. ليس المال فقط: بل هي السلطة، ولا يمكنك أن تتمتع بالسلطة إلا إذا سيطرت على الآلة العسكرية. ولهذا السبب انتقلوا من وظائفهم ذات الرواتب المجزية في القطاع الخاص إلى

الحكومة. إنهم يعتقدون أن هذه هي فرصتهم الأخيرة لوضع بصمتهم على العالم. وهم مصممون على فعل ذلك ما لم نعمل على إيقافهم.

مانشستر، نيو هامبشير

29 اغسطس، 2003

* *

تشالمرز جونسون

يراس تشالمرز جونسون معهد اليابان لأبحاث السياسة، وهو استاذ فخري في جامعة كاليفورنيا، سانديياغو. له اثنا عشر كتاباً، من ابرزها: النتائج العكسية: تكاليف وتبعات الإمبراطورية الأمريكية (هنري هولت، 2000)، وكتاب مآسي الإمبراطورية: النزعة العسكرية، السرية، وزوال الجمهورية (متروبوليتن بوكس، 2004).

ست جالي: نزل إلى الأسواق في شهر مارس من عام 2000 كتاب لكم بعنوان (النتائج العكسية) وكان من اكثر الكتب التي شهدت إقبالاً بعد 11 سبتمبر، فما هو هذا الكتاب؟

النتائج العكسية (بلوباك) هو مصطلح من وضع وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (سي آي إيه)، وهو من المصطلحات الفنية المستخدمة داخل الوكالة. ولا تقتصر دلالته على النتائج غير المقصودة للسياسات الخارجية الأمريكية، بل تتعداها إلى الآثار والنتائج غير المقصودة للنشاطات والعمليات السرية والتي أبقيت طي الكتمان عن الشعب الأمريكي. لذلك فإن النتائج العكسية قد تعني الثأر. وعندما يأتي الثأر على يد من عانى من العمليات السرية، فإن الشعب الأمريكي لن يقدر على فهم ما يحدث ووضع الأحداث في إطارها الصحيح.

ست جالي: ما علاقة 11 سبتمبر بهذا الموضوع؟

إن هجمات 11 سبتمبر هي أفضل مثال على الآثار والنتائج العكسية. بمعنى أن تلك الهجمات هي بالتأكيد أهم استخدام للإرهاب السياسي في تاريخ

العلاقات الدولية. ولكن الإرهاب في هذه الحالة تم على يد أشخاص هم بحسب وصف وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية "عملاء" سابقون للوكالة، وهم الأشخاص الذين اغدقت عليهم الوكالة الدعم في الثمانينيات في أفغانستان لخدمة المصالح الأمريكية ضد الاتحاد السوفييتي. وبعد أن انسحب الاتحاد السوفييتي من أفغانستان عام 1989، تخلت الولايات المتحدة عنهم. وهوت البلاد بعدها في عراك حرب أهلية مدمّرة انتصرت في نهايتها مجموعة أصولية تسمى طالبان، وشكلت حكومة دينية قمعية في البلاد. إنهم الأشخاص الذين كانوا حلفاءنا وابرزهم أسامة بن لادن، ابن أحد الأثرياء السعوديين، انضم إلى جهود وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية والباكستانيين في تجنيد المسلحين من حول العالم لمقاتلة الروس. (...)

وفي الحقيقة أن 11 سبتمبر جاء متأخراً. فقد قام قبل ذلك بتفجير سفاراتنا في شرق إفريقية، وقام بتوجيه هجمات على الجنود الأمريكان في أماكن أخرى إضافة إلى الهجوم على البارجة "كول" وتم تفجير برج التجارة العالمي مرة قبل هذا. وهذه الأعمال لم تكن هجوماً على قيمنا وليس على أمريكا لأننا أمريكان. لقد كانت هجوماً على سياساتنا الخارجية على يد أناس يشعرون بأنهم ظلموا بسببها. لذلك فقد لجأوا إلى نموذج تقليدي في الإرهاب- هو ما تطلق عليه وزارة الدفاع "الحرب غير المتكافئة" - هجوم على مواطنين أبرياء بهدف جلب الانتباه إلى جرائم الدولة. وهذا يجعل من الواضح أن وصف "المدنيين الأبرياء العزل" ينطبق على العاملين في برج التجارة العالمي فقط. أما الذين كانوا في بناية البنتاغون فليسوا أبرياء عزل. كان ذلك الهدف هدفاً صحيحاً بالنسبة للمهاجمين، وصحيح أنهم نفذوا هجومهم بأسلوب وحشي. ولكن الحدث كان مثالاً واضحاً على "الآثار العكسية" التي تحدثنا عنها.

والشيء المثير بالنسبة لي هو أنني في صبيحة 11 سبتمبر، 2001، تلقيت اتصالاً من الناشر الذي أتعامل معه ليقول لي بأن كتاب "الآثار العكسية" يشهد إقبالاً منقطع النظير. ولم نلتفت وقتها لا أنا ولا هو إلى الإرهاب الإسلامي أو العربي. لقد ظننا أن هجمات 11 سبتمبر كانت على يد أشخاص من تشيلي أو الأرجنتين أو إندونيسيا، أو إكيناوا. أو من أي منطقة في العالم عانت من ظلم الولايات المتحدة. وفي الأيام التي أعقبت 11 سبتمبر مباشرة، أظن أن من أكثر المشاهد المأساوية التي عرضتها شاشات التلفاز الأمريكي هي مشهد النساء اللاتي كن يقفن في مانهاتن السفلى ويحملن صوراً لزوج أو ابن أو أب ويسألن عن معلومات عنهم. وفي اللحظة التي دققت النظر في تلك الصور قلت في نفسي، طبعاً، لقد رأيت هذا المشهد من قبل، أليس كذلك؟ إنه مشهد النساء في الأرجنتين أو في تشيلي واللاتي كن يحملن صوراً لأزواجهن أو أبنائهن أو إخوانهن ومكتوب تحتها عبارة جديدة على اللغة الإسبانية هي "الشخص الذي اختفى،" لأنهن لم يجرؤن قول كل ما يعرفنه- وهو أن هؤلاء الأشخاص ببساطة ألقي القبض عليهم وأعدموا، وفي العادة بعد تعذيبهم. وأن ذلك يتم بدعم من الحكومة الأمريكية.

إننا نعلم أن 11 سبتمبر كان من قبيل الآثار العكسية، إلا أننا نرفض أن نقول ذلك. وبدلاً من أن نطرح الأسئلة كمعظم الأسئلة التي يطرحها المحققون حين وقوع الجريمة: ما هو دافع هؤلاء السعوديين الانتحاريين؟ بدلاً من ذلك، رحنا نقول بأن هذا صراع حضارات، وأن إسلام القرون الوسطى عاد يهاجمنا بسبب الغيرة من أسلوب حياتنا وأشياء أخرى من هذا القبيل. إن بعض كبار المسئولين في الحكومة يحملون في أعناقهم مسؤولية ولو جزئية عن موت ما يقارب ثلاثة آلاف من المواطنين في ذلك اليوم. ويعود خط المعارضة لهؤلاء الإرهابيين إلى سياسات الشرق الأوسط، وإلى سياسات النفط، وقلب نظام الشاه

عام 1979، وإصرار الولايات المتحدة على تجريع الاتحاد السوفييتي كأسهم من فيتنام عن طريق تجنيد المجندين من حول العالم فيما يشبه النموذج العصري لكتائب أبراهام لنكن لمقابلة الاتحاد السوفييتي. لا شيء من هذا نوقش في وسائل الإعلام.

إن الأشخاص المحيطين بالرئيس بوش هم الذين وضعوا هذه السياسات. وكان ينبغي عليهم أن يبرزوا أنفسهم ويتحدثوا عن هذه السياسات أمام الملأ لمناقشتها وتعريفها. ولكنهم لم يفعلوا ذلك. والتزموا الصمت. وهذا برأيي، يعتبر جريمة ضد الدستور.

ست جالي: من المثير حقاً أننا كلما ابتعدنا عن 11 سبتمبر، توارت قصة الهجوم على البنتاغون عن المسرح العام، وضاعت بين ثنايا التغطية الإعلامية لذلك؟ ما هو سبب ذلك؟

من الواضح أن ذلك جزءاً من حملة التضليل الإعلامي ضد الإرهاب لتبقى الحجة بأن الإرهابيين يهاجمون المدنيين الأبرياء. ويمكن للمرء أن يحاجج بأن الموظفين القابعين في مكاتبهم في برجي التجارة العالمية لا يعتبرون أهدافاً عسكرياً شرعية في نزاع دولي. أما البنتاغون فليس هناك مجال للمناقشة حول شرعيه استهدافه. فالبنتاغون يحتفظ بجنود متمركزين في 130 دولة. إنه المكان الذي تدار منه 725 قاعدة عسكرية في دول شعوب أخرى. لذلك، فإن الهجوم على البنتاغون مسألة من الواضح أن يحرص المحافظون الجدد الذين يديرون سياستنا الخارجية منذ 11 سبتمبر على عدم لفت الانتباه إليها. وسيكون الأمر كذلك لو كان هناك هجوم على مقر وكالة الاستخبارات المركزية وهما المصدران الكبيران للقوة في حكومتنا.

والبنتاغون ليس وزارة الدفاع، إنه مقر بديل للحكومة على الضفة الجنوبية من نهر البوتومك. و40٪ من ميزانيته سرية. وكل ميزانيات وكالات الاستخبارات

هي الأخرى سرية في خرق واضح لأبرز مواد الدستور التي تقول "يجب أن يعلم الشعب كيف تصرف أمواله". هذا هو ما يجعل البلاد ديمقراطية بدلاً من مملكة. وهذا الحكم الدستوري معطل منذ الحرب العالمية الثانية. وكان مشروع مانهاتن(*) سرياً بالكامل. وكانت مخصصاته مدفونة في ثنايا ميزانية الدفاع. ولم يتمكن أي شخص من الوقوف على تفاصيله. وهذا الوضع قائم منذ منتصف الأربعينيات من القرن الماضي. وما من شك أن الأشخاص الذين يديرون حكومتنا اليوم - وبهذه العقلية الإمبريالية- سيتجنبون مناقشة الهجوم على البنتاغون لأن التركيز عليه سوف يدفعنا إلى التساؤل لماذا البنتاغون؟ ولماذا مؤسساتنا العسكرية؟ ما الذين فعلوه لدفع الناس إلى كراهيتنا؟ وطرح السؤال هو من الناحية الفعلية كالإجابة عنه.

ست جالي اخترت عنوان مآسي الإمبراطورية للكتاب الذي نشرته مؤخراً. ومصطلح "الإمبراطورية" ما يزال مصطلحاً مجرداً وغامضاً بالنسبة لمعظم الشعب الأمريكي. هل لك أن تحدثنا ببعض التفصيل لماذا تعتقد أن أمريكا تشكل إمبراطورية؟

تعني الإمبراطورية من الناحية الكلاسيكية الاستحواذ والسيطرة والغلبة العسكرية والتفوق على الدول الأجنبية الأخرى وجعلها تابعة لك وجزءاً من عالمك. وثمة أنواع مختلفة ومتنوعة من الإمبريالية، من الاستعمار إلى الدول التابعة. وهذه الأخيرة تعني الدولة التي تدور سياستها الخارجية في حول فلك قوة إمبريالية، كحال دول أوروبا الشرقية التي كانت تدور في فلك الاتحاد السوفيتي، وكالدول التابعة لأمريكا هذه الأيام مثل اليابان وكوريا الجنوبية، والتي لا تملك اتخاذ قرار من دون أخذ موافقة واشنطن عليه.

(*) مشروع تصنيع القنبلة النووية التي استخدمت ضد اليابان.

إلا أن الشكل الحديث للإمبراطورية يتمثل فوق كل شيء بالولايات المتحدة، والتي تحب أن تطلق على نفسها وصف القوة العظمى. وفي هذا الشكل الحديث من الإمبراطورية تقابل القاعدة العسكرية دور المستعمرة في الإمبراطورية القديمة. ولدينا 703 قاعدة عسكرية تنتشر حول العالم من اليابان إلى آيسلاندا. وهي موجودة في كل قارة من قارات الكرة الأرضية، ما عدا القارة المتجمدة الجنوبية. وبالإضافة إلى ذلك، لدينا أكثر من ثلاث عشرة حاملة طائرات عملاقة تهيمن على بحار ومحيطات العالم. وبإمكاننا أن نتوجه بها إلى أي مكان في العالم. ولا يمكن لأحد أن يقف في طريقها. وهذه الإمبراطورية لها مناطقها الجغرافية المنعزلة والمغلقة، وتشكل القاعدة التي نحاول أن نعيد فيها صنع الحياة الأمريكية في الخارج. إذ يوجد حول العالم أكثر من 234 ملعب للغولف مخصصة لغايات الترفيه عن الجنود وإبقائهم سعداء، وهناك طائرات مخصصة لنقل القادة العسكريين الكبار إلى هذه الملاعب أو إلى المنتجعات السياحية التابعة للقوات المسلحة في منطقة غارميش في مقاطعة بافاريا من جبال الألب.

وبالطبع لا تتطابق الحياة في الخارج مع الحياة الأمريكية في كل جوانبها. وهناك قطاع عريض من الإناث في القوات المسلحة هذه الأيام، ولا يمكن لتلك الفتيات إجراء عمليات إجهاض في المستشفيات التابعة للجيش في الخارج. وفي العام الماضي وحده سجلت 14 ألف حالة اعتداء جنسي على النساء في الجيش. وإذا اكتشفت إحدى المجندات العاملات في العراق أنها حامل، فليس أمامها سوى الذهاب إلى السوق المحلي ومحاولة إجراء عملية إجهاض في بغداد، وهو ليس بالأمر اليسير ولا السائغ هناك. وهذا بدوره يعكس الأصولية الدينية التي تحكم الولايات المتحدة. لأنك تستطيع إجراء عملية إجهاض في الولايات المتحدة ولكنك لا تستطيع إجراءها في المؤسسات التابعة للجيش.

إنه عالم معقد لا يمكن لشخص واحد أن يقدره بشكل كامل. خذ على سبيل المثال إحدى القواعد البريطانية القديمة التي تحولت إلى قاعدة أمريكية، وهي قاعدة دييغو غارسيا في المحيط الهندي، وهي القاعدة التي تنطلق منه جميع أسلحتنا الإستراتيجية وهي قاذفات ب-52، و ب-2 و ب-1 لضرب الأهداف في العراق. لا توجد أمامنا أي مشكلة في دييغو غارسيا لأننا قمنا بعد أن انتقلت إلينا حيازة تلك الجزية من البريطانيين بترحيل جميع السكان الأصليين إلى جزر سيشلز حيث يعيشون في فقر حالة من الفقر المدقع. وجزيرة أوكيناوا هي الأخرى مثال تقليدي آخر. فهي أفقر جزيرة يابانية وتقع في أقصى جنوب الجزر اليابانية. وهي أصغر مساحة من جزيرة كاواي في جزر هاواي، ويوجد في أوكيناوا 38 قاعدة عسكرية. وتحتل القواعد والمنشآت العسكرية الضخمة أفضل 20٪ من أرض الجزيرة، وفيها أكبر قاعدة عسكرية في شرق آسيا، والتي بنيت لغايات الحرب النووية الحرارية. إن الإمبراطورية الحديثة ليست إمبراطورية مستعمرات قديمة. وليست إمبراطورية مستعمرات جديدة (باستثناء ما نفعله في أمريكا اللاتينية)، ولكنها إمبراطورية الاحتياط العسكري الضخم. وفي بريطانيا تموّه هذه القواعد العسكرية الأمريكية تحت اسم قواعد سلاح الجو الملكي. ولكن هناك قواعد أخرى في ألمانيا، وإيطاليا، بالإضافة إلى سلسلة من القواعد التي تطوق الخليج العربي، ويجري الآن بناء أربع قواعد في العراق، وقاعدتين في أوزبكستان، وفي قرغيزستان ووسط آسيا. هذه هي إمبراطورية اليوم.

ست جالي: ولكن ألسنا نعيش في عالم خطر؟ ألا يتوجب علينا أن نحمي أنفسنا؟

بلى، إنه عالم محفوف بالمخاطر، ما من شك في ذلك. إلا أن الإمبراطورية ليست هي الرد الأمثل على هذا الخطر. ما هي وظائف الإمبراطورية؟ وما هو

الهدف منها؟ والجواب يتمثل في خمسة أمور، ولا يوجد واحد منها - في نظري- يجعل الشعب الأمريكي أكثر أمناً بأية حالة من الأحوال.

أول هذه الوظائف: الغلبة العسكرية على بقية العالم، والتأكد من عدم قدرة أي منافس محتمل على تطوير قوة يمكن من خلالها تحدي الولايات المتحدة بأي طريق كانت. وهذا الهدف صرح به بول ولفوويتس عندما كان يعمل في وزارة الدفاع في وقت يعود لعام 1992 . وأصبح هذا الهدف الآن سياسة رسمية- أننا سنوقف الدول الأخرى من تطوير قوة يمكن أن تستخدم ضدنا في المستقبل، أو أن توجد توازناً في القوى. وهذا يشمل الفضاء الخارجي.

ثانيها، بالطبع، النفط. إن السيطرة على مصادر النفط تشكل جانباً جوهرياً في العلاقات الدولية. والمفارقة في هذا كله هو أنه بإمكاننا تحرير أنفسنا من الاعتماد على نفط الخليج العربي باستخدام وسائل تقنية لتقليص الاستهلاك، وهي وسائل متوفرة اليوم. فلو تم إنتاج سيارات مقتصدة في استهلاك الوقود في أمريكا، لأصبح بالإمكان وضع حد لاعتمادنا على النفط الأجنبي. ولكن بدلاً من ذلك، شهد السوق الأمريكي إقبالاً منقطع النظير على السيارات الكبيرة ذات الدفع بأربعة عجلات والمسرفة في استهلاك البنزين. فمثلاً سيارة السوبربان تزن ثلاثة أطنان وتستهلك غالوناً من البنزين لقطع 10 أميال. وقد تضاعفت مبيعاتها بعد 11 سبتمبر. وأصبح رمز الوطنية المنتشر في الولايات المتحدة بعد 11 سبتمبر، وهنا في جنوب كاليفورنيا- يتمثل بالشخص الذي يسوق سيارة كبيرة بسرعة كبيرة على الطريق السريع واضعاً العلم الأمريكي على هوائي الراديو.

الهدف الثالث للإمبراطورية هو القيام بالتجسس على كل شخص. ويمكننا الآن التنصت على أي بريد إليكتروني، أو فاكس، أو أي مكالمة هاتفية في أي مكان في العالم. ولدى الولايات المتحدة غواصات تلتقط وتتنصت على كابلات

الفـايـر أوبتكس(*) في المحيطات، وهي وسيلة الاتصال الوحيدة التي لا ترسل موجات مرتدة يمكن التقاطها عن طريق الأقمار الصناعية.

والوظيفة الرابعة للإمبراطورية هي خدمة مصالح تجمع صناعات السلاح. والولايات المتحدة، وإلى درجة كبيرة جداً، هي أكبر مصدر للذخيرة على وجه الأرض. ومعظم الشعب الأمريكي لا يدرك مدى أهمية البنتاغون لحياة الاقتصاد الوطني. فالأسلحة ليست في العادة- وبالتأكيد ليست أهم المنتجات التي تبيعها المصانع- فهي تباع عبر البنتاغون نفسه. حيث يعمل 10 آلاف موظف في قسم المبيعات العسكرية. ويبيعون هذه الأسلحة لكل أصناف الناس حول العالم. وقد نشأت أعمال ضخمة لدعم هذه الصناعة. حوالي نصف مليون جندي أمريكي، وجاسوس، ومعلم، ومتعهد.

الوظيفة الخامسة للإمبراطورية هي ضمان الرفاهية والعيش الكريم لمنتسبي القوات المسلحة والأجهزة الأمنية. فعندما كنت في سلاح البحرية خلال الحرب الكورية، كان التجنيد الإجباري ساري المفعول. وكان أمام الشاب الأمريكي اتخاذ قرار: هل سألتحق بالجيش، وأين سأذهب في سلاح البحرية؟ وماذا سنفعل؟ عليك أن تفعل شيئاً ما. وكانت الخدمة في الجيش شرطاً للحصول على الجنسية الأمريكية في ذلك الوقت. وقد توقف العمل بذلك الشرط منذ عام 1973. وكان الذين يخدمون في القوات المسلحة من المتطوعين، ولم يكن الجيش مؤلفاً من مواطنين كما يحلو للبنتاغون أن يتظاهر. واليوم يلتحق الشباب بالجيش تجنباً للطريق المسدود أمامهم في مجتمعنا. ولذلك نجد أن نسبة أعداد الأمريكان من أصل إفريقي أكبر بكثير من نسبتهم في سوق العمل.

أما الوظيفة الأوسع للإمبراطورية فهي الإمبريالية. وهذا النوع من الإيديولوجية نشأ وترعرع مع بداية الحرب الباردة وبتشجيع مكشوف ممن

(*) وهي شبكة الأسلاك التي تربط العالم عبر المحيطات والبحار بالإنترنت.

يتسمّون بالمحافظين الجدد في الولايات المتحدة، ويطلقون على الولايات المتحدة اسم "روما الجديدة" و "ما بعد الخير والشر". لسنا بحاجة بعد اليوم لأي أصدقاء. لسنا بحاجة إلى القانون الدولي. وكما يقول المثل الروماني القديم "لا يهم إن كانوا يحبوننا أو يكرهوننا طالما أنهم يخشوننا". هذه هي الأيديولوجية التي تطبقها حكومة بوش اليوم.

ست جالي: ما الذي يجنيه المواطن الأمريكي العادي من الإمبراطورية؟ هل تضره؟ وهل يستفيد منها؟

لقد حاولت أن أبسط في كتابي "مآسي الإمبراطورية- تكاليف الإمبراطورية. ويمكن تصنيفها ضمن أربع فئات. الأولى: الحرب الدائمة: وحرب بعد حرب بعد حرب إلى أن نصبح دولة حرب. ويتم توجيه النظام في البلاد نحو خوض الحروب. وسوف لا يعدم سبباً لشنها- ونحن الآن نخوض حربين في العراق وأفغانستان، وهذه فقط منذ بداية القرن الجديد.

التكلفة الثانية للإمبراطورية هي إضعاف الحريات المدنية. ويمكن القول الآن أن مواد التعديل الرابع والسادس من الدستور هي نصوص ميتة. لقد أعطينا الرئيس سلطة سجن المواطن الأمريكي من دون إحضاره أمام المحكمة للنظر في شرعية احتجازه، ومن دون تلاوة لائحة الاتهام الموجهة ضده، ومن غير إعطائه الفرصة للدفاع عن نفسه، ومن غير إعطائه فرصة الاستعانة بمحام للدفاع عنه، ومن دون مواجهته بالدليل المقدم لإدانته. وهي الأحكام التي ينص عليها التعديل السادس من الدستور. وقد باتت الآن من الماضي. أما أحكام التعديل الرابع من الدستور والتي تتعلق بحق الشخص بخصوصيته في منزله وحصانته من تطفل ومراقبة الحكومة له، فهي الأخرى قد توقف العمل بها بفعل قانون الوطني. وبإمكان مكتب التحقيقات الفدرالي و وكالة الاستخبارات المركزية القيام بعمليات تجسس سرية على نشاطاتك الشخصية. على سبيل المثال، مواقع

الإنترنت التي تزورها، والكتب التي استعرتها من المكتبة العامة، الخ، ولا يملك أي قاض أن يوقفهم. وتشكل هذه الإجراءات تطورات خطيرة، وهي متطورة جداً لدرجة أنني أصبحت اشك أن دستور عام 1787 ما زال ساري المفعول اليوم. وقد لاحظ هاناه آروندت، الفيلسوف السياسي المشهور، أن الحكم الاستبدادي يمكنه دائماً أن يتغلب على الآخرين، إلا أن ثمن هذه الغلبة هي التحول الذي يطرأ على المجتمع الذي يقوم فيه. فالنزعة العسكرية والإمبريالية هما صنوان لا يفترقان ولهما تأثير فتاك على الحريات العامة. وعلى توازن السلطات، وعلى الفصل بين سلطات الدولة. وتؤدي إلى رئاسة إمبريالية، وإلى مغريات الإمبراطورية، وإلى توسع البنتاغون إلى مجالات لم يتصور أحد من قبل أن تكون من اختصاصه.

لدينا الآن القيادة الشمالية وغايتها - حماية البلاد من أي هجوم خارجي. لم يسبق أن أوجدنا مثل هذه القيادة من قبل، ولا حتى أثناء الحرب العالمية الثانية، وذلك خشية أن تصبح مركز سيطرة للجيش. وقد نقل عن الجنرال إد إبرهارت القائد الحالي للقيادة الشمالية قوله بأنه قد تنشأ ظروف تتطلب التدخل في بعض القوانين مثل "قانون بوسي كوميتاتس"(*) الذي شرع عقب الحرب الأهلية بهدف منع الجيش من التدخل في الانتخابات المدنية وما شابهها من أمور. وقال الجنرال إبرهارت بأنه قد تطرأ ظروف تستلزم إلغاء العمل بهذا القانون. وقد قلت حين صرح بذلك "الا تدري أيها الجنرال أن قانون بوسي كوميتاتس إنما شرع لحمايتنا منك ومن أمثالك." لهذا السبب سن ذلك القانون. ويتعرض هذا القانون هذه الأيام لهجوم مستمر من الرئيس وأعوانه ووزارة العدل.

التكلفة الثالثة للإمبراطورية هو النزوع إلى الكذب الرسمي والتضليل الإعلامي من قبل القادة السياسيين، ورفض الصراحة مع الشعب، وتنامي

(*) مصطلح لاتيني معناه الحرفي "قوة البلد" وتعني في الاستخدام الحديث قوات المليشيا الشعبية التي يمكن أن يستعين بها الحاكم الإداري لضبط الأمن والنظام في حالات الطوارئ.

السرية في النشاط الحكومي. وأفضل مثال على ذلك هو الخطاب الذي ألقاه وزير الخارجية كولن باول في مجلس الأمن في الخامس من فبراير من عام 2003، ليوضح فيه هول الخطر الذي يشكله صدام حسين والعراق على الولايات المتحدة. ونحن نعلم الآن بالتفاصيل أن كل ما قاله كولن باول كان كذباً، وكان يعلم أنه كذب، وأن جورج تينيت، مدير وكالة الاستخبارات المركزية والذي كان يجلس خلفه حين ألقى ذلك الخطاب، كان هو الآخر يعلم أن ما ورد في الخطاب هو تضليل معلوماتي. هذه الحقيقة أصبحت شائعة الآن وهي ثمن باهظ يدفعه الشعب بدم أبنائه وبأمواله.

كما أن خطاب حالة الاتحاد الذي ألقاه الرئيس بوش عام 2003. وهنا علي أن أعترف أنني بوصفي أستاذا في العلاقات الدولية، أجد أن من غير المتصور أن يقوم الرئيس الأمريكي، وفي أهم خطاب سنوي يلقيه في جلسة مشتركة للكونغرس ويبث حول العالم، بتضمين معلومات استخبارية معروف أنها كاذبة بشهادة وكالات استخباراتنا ذات السرية العالية والميزانيات الكبيرة. ومع ذلك قام الرئيس ومستشاروه بالاستشهاد بالمعلومات المزورة التي تقول بأن صدام حسين حاول الحصول على اليورانيوم الخام من إفريقية، وهم يعلمون تمام العلم أن هذا غير صحيح. وإنه لمن غير المعقول أن يسمح الرئيس بشيء كهذا. وعليّ أن أقول بأن من السذاجة أن يصدق المرء بعد هذا كله اي تصريح يصدر عن الحكومة الفدرالية دون أن يتحقق من صحته عبر مصادر موثوقة، والتثبت من مصادر أخرى للتأكد من صدق إدعاءات الحكومة.

التكلفة الرابعة هي الإفلاس والإنهاك الإمبريالي. لقد بلغت مخصصات الدفاع في نوفمبر عام 2003 الموقعة من الرئيس 401 بليون دولار. وهذا المبلغ لا يشمل 150 بليون دولار تكاليف الحرب في العراق. واسمح لي أن أقدم مقارنة لتوضيح هذه المسألة. كانت بريطانيا قبل الحرب العالمية الأولى تتمتع بفائض في

الميزان التجاري يوازي 7٪ من ناتجها المحلي الإجمالي. وكانت دولة غنية. وكان بإمكانها تحمل ارتكاب بعض الأخطاء والتعافي منها. والولايات المتحدة الآن لديها عجز في الميزان التجاري يقارب 5٪ من مجموع الناتج المحلي الإجمالي. وإذا قرر العالم أن الدولار لم يعد له تلك الجاذبية كمحل لمدخراتهم كجاذبية اليورو مثلاً، فإن الاقتصاد الأمريكي سيبدأ بالانهيار مرة واحدة. والأسس المالية لوقع ذلك قائمة موجودة الآن. وكما قال هيرب ستاين، الرئيس السابق لمجلس المستشارين الاقتصاديين، ذات مرة: "إن الأشياء التي لا يمكنها الاستمرار إلى الأبد لن تستمر إلى الأبد". وما نتحدث عنه الآن هو أن الاقتصاد الأمريكي المزيف لا يمكنه الاستمرار إلى ما لا نهاية. ولست بحاجه لأن تكون على درجة عالية من العبقرية للتوصل إلى هذه النتيجة. فالحرب الدائمة، وضياع الحريات، وانعدام الثقة بالحكومة لإخفائها الحقائق، كل هذه تعتبر تطورات سياسية فظيعة ولكنها لا تهدد بنهاية الولايات المتحدة. أما الإفلاس المالي، فإنه كفيل بالقضاء عليها.

ست جالي: كثر التركيز مؤخراً على المحافظين الجدد داخل حكومة بوش، ومن الواضح انهم لم يخترعوا الإمبراطورية الأمريكية، ولكنهم وُصِفوا بالمتحمسين المتطرفين للإمبراطورية. هل تعتقد ان وصف "راديكالي" هو وصف ينطبق عليهم وعلى سياساتهم الخارجية؟

باعتقادي أنهم متطرفون إلى أبعد الحدود. واعتقد أنهم اختطفوا السياسة الخارجية الأمريكية. ويطلق عليهم الجنرال زيني من المارينز وصف "صقور الدجاج" المتحمسين للحرب بينما ليس لديهم أي خبرة في حياة الثكنات العسكرية أو في ساحة المعركة. وهم متحمسون للإمبراطورية في عالمها النظري. وتوصلوا إلى نتيجة تقول نحن إمبراطورية حميدة، وأن العالم اليوم هو في أشد الحاجة إلى هذه الإمبراطورية. ويشبهون الولايات المتحدة بروما، مع أنهم لا

يعلمون شيئاً عن تاريخ روما وما جرى لجمهورية روما، والتي كانت في وقت من أوقاتها وإلى حد ما نموذجاً لدستورنا. ولكنها تهاوت بسبب الأمور نفسها التي تضغط على مجتمعنا اليوم. الإمبريالية والنزعة العسكرية. إلا أن المحافظين الجدد، وفي نهاية فترة رئاسة بوش الأول عام 1992 بدأوا بالفعل بارتكاب الخطأ الكارثي الذي سيكلف الأمريكان دولتهم. فقد استنتجوا أن انهيار الاتحاد السوفييتي يعني أننا انتصرنا في الحرب الباردة. وأننا الآن بطريقة أو بأخرى، القوة العظمى الوحيدة التي تتمتع بالهيمنة الكاملة على العالم.

إلا ان حقيقة الأمر هي أن كلا المعسكرين كانا على وشك خسارة الحرب الباردة. لقد كانت قضية خاسرة وإلى حد بعيد منذ السبعينيات فيما يتعلق بخطر أي تشابك أمريكي- سوفييتي. لم نتعامل مع نهاية الحرب الباردة بتسريح الجيش كما فعلنا مع نهاية الحرب العالمية الثانية، وتوجيه الجهود العسكرية نحو التطوير المدني. ولكننا بدلاً من ذلك، فعلنا كل ما بوسعنا لتوسيع وتكريس بنية وتركيبة الحرب الباردة في شرق آسيا وأمريكا اللاتينية، وأخذنا نبحث عن بديل يحل محل الاتحاد السوفييتي لتبرير الإبقاء على آليات وأدوات الحرب الباردة. وبدأ بعض المتطرفين على الفور بتقديم ما يرضي مسامع وزارة الدفاع وتجمع مصانع الأسلحة: مسوغات جديدة لتجهيزاتنا العسكرية، وبدأوا يقولون بأن السياسة الأمريكية يجب أن تحافظ على تفوق كبير على بقية العالم، ومنع بروز أي قوة، سواء صديقة أم عدوة، يمكنها أن تتحدى الولايات المتحدة بأي شكل عسكري. وعندما أعلن عن هذا عام 1992 على يد بول ولفوويتس، وهو مثال تقليدي على "صقور الدجاج" كانت هذه الأفكار مثاراً للسخرية والاستهزاء في ذلك الوقت.

ومن الأمور المثيرة هي أن هؤلاء المحافظين الجدد كانوا موجودين في حكومة بوش الأول ولكنهم كانوا موضوعين تحت السيطرة. كانوا في الحكومة،

ولكن برنت سكوكروفت مستشار الأمن القومي للرئيس بوش الأول أبقاهم تحت السيطرة. وهو ليس من القادة العباقرة ولكنه محارب حصيف من عهد الحرب الباردة. والشيء الذي يختلف الآن هو انه بعد تعيين جورج بوش عام 2000 رئيساً للبلاد ووقوع هجمات 11 سبتمبر انتقلت هذه العصبة إلى المقدمة. ولا يوجد من يقيد حركتهم. وفي الوقت الذي خرجوا فيه من الحكومة مع مجيء كلينتون إلى الحكم، قاموا بتأسيس منظمة أطلقوا عليها اسم "مشروع القرن الأمريكي الجديد" وعملوا من خلالها على نشر أفكارهم. وبدأ يظهر في صفوفهم عناصر قوية تمثل حزب الليكود الإسرائيلي. أو على الأقل عناصر من السياسات الإسرائيلية المرتبطة بأرييل شارون الجنرال الإسرائيلي ذائع الصيت. وبدءوا يشعرون بالقلق على إسرائيل من دول مثل العراق وإيران، والتي تصنفها إسرائيل ضمن مصادر الخطر والمناوأة لقوتها في الشرق الأوسط. ولديهم أفكار موسعة حول تحويل الشرق الأوسط إلى ما يطلقون عليه "نهضة ديمقراطية" ويبدو من الجنون للوهلة الأولى أن أشخاصاً لا يعلمون اي شيء تقريباً عن هذه المجتمعات ولا عن تاريخها وكيفية ظهورها إلى الوجود، ولا يعلمون شيئاً عن العداوات في الشرق الأوسط المرتبطة بالصراع الإسرائيلي - الفلسطيني على مدى السنين، أن يتخيلون شيئاً كهذا.

كانوا ينتظرون ساعتهم إلى أن جاء 11 سبتمبر الذي حدث فيه ما قالوا انهم بحاجة إلى حدوثه قبل عام وهو "بيرل هاربر جديدة" لكي يتمكنوا من الشروع في تطبيق برامجهم. حدث فظيع يحرك الشعب الأمريكي ويشعرهم بالخطر. وفي غضون أيام فقط من 11 سبتمبر، استدعت كونداليزا رايس (مستشارة الأمن القومي آنذاك) مجلس الأمن القومي لتطرح عليهم السؤال التالي: "كيف يمكننا استغلال هذا الحدث من أجل تحويل مسار السياسة الخارجية الأمريكية" وخلال ساعات من 11 سبتمبر كان وزير الدفاع رمسفيلد

يتحدث عن الحاجة لشن حرب ضد العراق. ودون وجود أي دليل على أن للعراق أي ضلوع في هذا كله. كان ذلك مستحيلاً من الوهلة الأولى. فأسامة بن لادن مدفوع بالتزامه الأصولي الإسلامي، في حين صدام حسين وحزب البعث يعتبرون من المغالين في العلمانية ومحاربة الأصولية. إلا أن المحافظين الجدد اختطفوا السياسة الخارجية الأمريكية. وكانوا عاقدين العزم على محاربة العراق أولاً. واتضحت لنا الأدلة الآن من داخل الحكومة أن تحذيرات أثيرت من أن الرأي العام سوف لا يرى علاقة بين العراق وما حدث في 11 سبتمبر، ولذلك اختاروا أفغانستان.

وقام البنتاغون بإشاعة حملة إعلامية تتحدث عن الانتصارات الباهرة التي حققها في أفغانستان، في حين أن الحقيقة هي أن الولايات المتحدة لجأت إلى رشوة زعماء الفصائل التي انهزمت في الحرب الأهلية من أجل إعادة إحيائها بعد أن هزمتهم طالبان. وقامت الولايات المتحدة بتقديم الغطاء الجوي لتلك الفصائل. ولم تكن هذه إستراتيجية عسكرية ذكية إطلاقاً. وهي وإن كانت قد أطاحت بنظام طالبان، إلا أنها أعادت أفغانستان وبسرعة كبيرة إلى الحالة التي كانت عليها قبل مجيء طالبان إلى الحكم، وهي الحالة التي أدت إلى انبعاث النشاطات الإرهابية الأصولية. ونحن نرى الآن أن أفغانستان عادت لتصبح أكبر منتج للأفيون في العالم. كما فشلت محاولات وضع دستور جديد لأفغانستان بسبب الخلافات والتعقيدات الإثنية في البلاد.

ومع ذلك، كان هدفهم الأساسي هو العراق. وكما اتضح لنا الآن، فقد شرعوا باختلاق مسوغات احتلال العراق، وهي أن العراق يمتلك أسلحة دمار شامل تشكل تهديداً على أرواحنا، وعلى حياة حلفائنا في بريطانيا وإسرائيل. وأن صدام حسين كان على علاقة مع الإرهابيين السعوديين الذين نفذوا المهمة الانتحارية صبيحة 11 سبتمبر. ولم تثبت صحة هذه الادعاءات. ويشكل

اختلاقها أكبر فضائح الحكومتين البريطانية والأمريكية. ونعلم الآن من استطلاعات الرأي العام أن الشعب الأمريكي ما زال يعتقد بوجود علاقة بين صدام حسين و العمليات الإرهابية على الولايات المتحدة، وذلك على الرغم من عدم وجود ذرة من دليل على تلك الادعاءات. وانتشار هذا الاعتقاد لدى غالبية الشعب الأمريكي هو أمر حتمي لأن الرئيس وأعوانه كرروا تلك المقولة يوماً بعد يوم. وساعد في ذلك الإعلام الببغائي الذي كان يردد كل ما تقوله الحكومة دون تمحيص.

ويجد المحافظون الجدد أنفسهم اليوم في ورطة. فقد قالوا بأن الجيش الأمريكي سيستقبل بصدر رحب وأن العراق سيشهد ثراءً مغدقاً لأنه يشكل ثاني أكبر احتياطي للنفط في العالم. وأن بإمكاننا الذهاب إلى هناك والاستفادة من ذلك. ثم تبين زيف هذا الادعاء. لأن العراقي الذي يقاتل من أجل حريته، والعراقي الوطني هو كالفيتنامي الوطني في الستينيات، سيقاوم المحتل الأجنبي الذي يحتل أرضه ويهيمن على حياته، ويهينه أمام أسرته، ويقتحم منزله شاهراً سلاحه أمام أطفاله. إن مثل هذا الشخص سوف لا ينثني عن قتل الأمريكان، وسيتحين الفرصة لذلك. وهذه مصيبة لا يمكن تخفيف حدتها. وهي نتيجة لسماحنا لمجموعة ساذجة، لا تعرف ما تفعل، بوضع السياسات التي تسير عليها البلاد، وسماحنا لهم بالسيطرة على حكومتنا، وقبولنا برئيس غير مؤهل لهذه المهمة الجسيمة لا من حيث الخبرة ولا من حيث الحنكة. رئيس لم يفز بالانتخابات، بل تم تعينه من قبل المحكمة العليا، أي أن شرعية توليه السلطة هي محل شك. وإلى جانب هذا كله، فإن مستشارة الأمن القومي كونداليزا رايس هي الأخرى من المتشددين. وهي متخصصة بدولة لم تعد موجودة الآن (الاتحاد السوفييتي). ويبدو أنها غير قادرة على أداء دورها بفعالية كمستشارة للأمن القومي. وعاجزة عن التنسيق بين الأجهزة الحكومية المختلفة وعاجزة عن التقدم بأفكار إستراتيجية أصيلة بمفردها.

ست جالي: في ضوء هذه الإخفاقات، ما هي افضل السبل لمحاربة الإرهاب؟

(...) إن الأسلوب الأساسي في الإرهاب هو محاولة إحداث ردة فعل مبالغة في الدولة المستهدفة تكون نتائجها مضرة بمصالح تلك الدولة. وهذا يعني في العادة إضفاء الصبغة العسكرية على القضية مما يؤدي إلى ذهاب ضحايا في صفوف المدنيين الأبرياء. وعندما نرتكب ذلك نطلق على هذه الخسائر "أضرار جانبية". ولكن هذا المصطلح يعني عدم أهمية الذين لقوا حتفهم بفعل قنابلنا ذات التقنية العالية في افغانستان أو على يد قوات الاحتلال في العراق. ونحن الذين خسرنا حرب فيتنام، كان الأولى بنا أن نفهم أن الذين كانوا يقاتلوننا هناك لم يكونوا كلهم من الشيوعيين، بل كانوا مقاتلين يدافعون عن بلدهم ضد ما يمكن تحديده بسهولة على أنه قوات احتلال أجنبي. وقد خسرنا خسارة مريرة لأنهم كانوا يصرون على عدم الاستسلام بسهولة. واليوم نشاهد الأشخاص الذي أوجدوا تلك الكارثة مثل روبرت ماكنيمارا يعترف بذلك. إنها شهادة سيئة للولايات المتحدة وخللنا التاريخي في هذا المجتمع أننا خسرنا حرب فيتنام وأننا نسينا بسرعة معاني ودروس تلك الهزيمة.

ست جالي: ما هو السبيل للخروج من هذا الوضع؟

إن الأزمة التي نواجهها اليوم هي ازمة دستورية بالدرجة الأولى. يقول جيمس ماديسون، واضع الدستور الأمريكي، بأن أهم بند في الدستور هو البند الذي يعطي النواب الذين يمثلون الشعب حق إعلان الحرب. وأضاف بأن هذا الحق يجب أن لا يعطى لفرد واحد. وأنه لا أحد يمكنه تحمل تلك المسؤولية بنفسه. وفي أكتوبر من عام 2002 تنازل الكونغرس عن حقه بإعلان الحرب إلى الرئيس الذي أصبح بإمكانه الآن إعلان الحرب متى شاء بقرار شخصي منه مستخدماً الأسلحة النووية إذا شاء. وقد تنازل الكونغرس عن تلك السلطة بدون

أي نقاش. وباعتقادي أن ذلك يشكل خيانة للدستور. والرئيس لا يوقع ولا يقسم اليمين الدستوري على حماية الشعب الأمريكي بل على حماية الدستور. وهذا ما لم يفعله. وبدلاً من ذلك خان الدستور. إنها قضية دستورية والمرشح الذي سيخوض المعركة الانتخابية ضده يجب أن يثير هذه المسألة مباشرة مؤكدا على حق الشعب في هذا البلد، وفي الدستور، والحريات الجمهورية. هذه هي القضايا التي يجب أن تكون محور الانتخابات. وإذا لم تكن كذلك فإنه يمكن الافتراض أن الولايات المتحدة بدأت تسلك الدرب نفسه الذي سلكه الاتحاد السوفييتي السابق وأنها، تحت هذا الضغط، ستبدأ بالتفسخ والتفكك في القريب العاجل.

سان دياغو، كاليفورنيا

2 يناير، 2004

* *

جاكسون كاتس

يعتبر جاكسون كاتس من ابرز المناهضين للعنف في الولايات المتحدة. أسس عام 1993 برنامج الوقاية من العنف في مركز دراسات الرياضة في المجتمع التابع لجامعة نورث ويسترن، ويدير منذ عام 1996 اول برنامج عالمي للوقاية من العنف بين الجنسين والتابع لقوات المارينز في الولايات المتحدة. وهو ايضاً أول برنامج من نوعه في تاريخ الجيش الأمريكي. وعمل من عام 2000 إلى عام 2003 عضواً في لجنة وزير الدفاع حول العنف في الجيش. وقام بإعداد مجموعة من اشرطة الفيديو التعليمية حول العنف والوقاية منه لطلبة الجامعات والمدارس وحازت على عدة جوائز تقديرية، ومن بين عناوين هذه الإصدارات "قناع الشدة: العنف، الإعلام وازمة الرجولة.

جيرمي ايرب: كثر الحديث مؤخراً حول الفجوة بين الجنسين (الذكور والإناث) تجاه السياسة الأمريكية، إلا ان معظم الانتباه تركز على انماط تصويت الإناث. ما هي نظرتكم لجانب الذكور-حقيقة أن الجمهوريين يحظون بإقبال متزايد من قبل ذكور الطبقة العاملة من الجنس الأبيض؟

من الواضح أن الحزب الجمهوري نجح في استقطاب أصوات الطبقة العاملة والذكور البيض في طول البلاد وعرضها. وبخاصة في الجنوب وعلى مدى عدة أجيال. وهذه الطبقة تصوت في غير صالحها. ومن هنا يطرح السؤال نفسه، لماذا؟ وأعتقد أنها ظاهرة مهمة تسترعي النظر والتدقيق. ومن الواضح أنها ترجح كفة الانتخابات وعلى كافة المستويات. وبالتأكيد في الانتخابات

الرئاسية. وإذا ما استطاع الحزب الديمقراطي أن يعرف سبب قيام الذكور البيض من الطبقة العاملة بالتصويت ضد مصالحهم حين يدلون بأصواتهم لصالح الحزب الجمهوري، ولو فعل الحزب الديمقراطي شيئاً لاستمالة هذه الطبقة إلى صفه لأحدث ذلك تحولاً جذرياً في سياسات الانتخابات الأمريكية في كافة المستويات.

جيرمي ايرب: ما هو تفسيركم لهذا التوجه؟ ما هو الشيء الذي يدفع هؤلاء الرجال إلى التصويت بهذه الطريقة؟

أعتقد أن العامل الرئيس الذي يدفع الرجل الأبيض من الطبقة العاملة إلى التصويت للحزب الجمهوري هو العرق. وهذا واضح جداً. فالحزب الجمهوري نجح في تأطير هوية الحزب بالجنس الأبيض مقابل الحزب الديمقراطي الذي تتحدد هويته بالأجناس الملونة. وتحديداً الأمريكان ذوي الأصل الإفريقي. ولكنني أعتقد أن الحزب الجمهوري حقق نجاحاً كبيراً ايضاً في تسويق فكرة أنه حزب الجنس الأبيض وخاصة الذكور منه تحديداً. واستطاعوا إضفاء طابع رجولي على الحزب وعلى مرشحيه لمختلف المناصب. ويستخدم الحزب الجمهوري لغة خطاب رجولي تضفي عليه صفة الرجولة في القضايا التي تطرح للمناقشات. لذلك أظن أن كثيراً من الذكور البيض من الطبقة العاملة يستجيبون لهذه الصورة ولهذا النداء. وهناك ضغط على أفراد هذه الفئة يدفعهم إلى الوقوف مع الحزب الجمهوري أذا أرادوا أن يظهروا بمظهر الرجال الحقيقيين. والوجه المقابل لتلك الصورة في ظل هذا الخطاب هو أن الحزب الديمقراطي انصبغ بالصبغة الأنثوية، وأصبحت الانطباع السائد عن الحزب الديمقراطي هو أنه حزب الإناث، أو حزب الذكور الذين يفتقرون إلى الرجولة. وعليه، إذا كنت رجلاً، ورجلاً أبيض تحديداً، ورجلاً أبيض من الطبقة الكادحة أكثر تحديداً، فإن انتماءك إلى الحزب الديمقراطي يتطلب منك القدرة على مقاومة الضغط الذي يعكس عنك صفة الخنوع، وانعدام الرجولة، وعدم الاحترام.

جيرمي إيرب: ماذا تعني مصطلحات "الرجولي" و "الأنثوي" في السياق الذي ذكرته؟ فهذه مفاهيم مجردة، كيف تتحدد في الإطار السياسي؟ كيف تتكشف لك في احاديثك مع الأشخاص العاديين؟

هناك مقولات تتردد باستمرار في لغة الخطاب السياسي وفي المناقشات المحيطة بالحزب الجمهوري بالمقارنة مع الحزب الديمقراطي. فمثلاً يتردد دائماً أن الديمقراطيين ليّنون على الجريمة. وأنه رحماء بالمجرمين. وأنهم ضعاف في التعامل مع الشيوعية، خوّارون في التعامل مع الإرهاب. ضعاف في قضايا الدفاع. وبإمكانك أن تقارن ذلك بالنقاش الذي يحيط بالحزب الجمهوري. إذ يفترض دائماً انهم أقوياء في قضايا الدفاع، أشداء على الجريمة، أشداء على الشيوعية خلال الحرب الباردة، وضمن هذه المقابلة المزدوجة بين القوي/الضعيف، حازم/غير حازم، محافظ متشدد/ ليبرالي خائر. إذا ألقيت نظرة على هذا الجدول المزدوج فإن الحزب الجمهوري يبرز بوصفه الحزب القوي، حزب الفائزين، حزب الشدة. وفي جميع الأحوال يخرج الديمقراطيون بوصفهم حزب الخاسرين، الحزب الضعيف، الحزب المتساهل مع الجريمة، المتساهل مع الإرهاب،..الخ. وأعتقد أن هذا ينعكس على المناقشات السائدة مع الرجال ومع النساء، بطريقة يمكن التنبؤ بنتائجها بسهولة.

جيرمي إيرب: أليس صحيحاً، رغم ذلك، انك لو نظرت من خلال الأسلوب الذين يحكمون به وعلى الفوارق بين فلسفتهم السياسية أن الجمهوريين هم الحزب الأشد فعلاً؟

لا، وأعتقد أن هذا التفسير فيه إسفاف ولا يستقيم مع الواقع العملي. إلا اننا نتحدث عن الخطاب السياسي في مقابلة الواقع. وأعني أنك إذا سألت شخصا عادياً أبيض من الطبقة العاملة لماذا تؤيد الحزب الجمهوري، فإن إجابته في العادة ستكون "إنهم أقوياء في الدفاع. إنني أثق بهم في قضايا الأمن

القومي". وإذا سألته، كما كنت أفعل في كثير من المناسبات، "حسناً، ما هو الفرق بين إستراتيجيات الجمهوريين ومخصصات وأولويات الجمهوريين في قضايا الأمن القومي والدفاع وبين تعامل الديمقراطيين مع هذه القضايا؟" وسوف تجد أن هؤلاء الناس ليس لديهم جواب لأنهم لا يعرفون. واعتقد أن ذلك بسبب استجابتهم للغة الخطاب. إنهم يستجيبون للصور وللانطباعات بدلاً من الاستجابة لمعاينتهم الشخصية للقضايا بإمعان. فعلى سبيل المثال، وفي قضايا الإنفاق العسكري، يدرك الخبراء العسكريون الفوارق بين هذا النظام الصاروخي أو ذاك النظام، أو الفارق بين الزيادة في هذه الميزانية أو تلك. إلا أن الشخص العادي لا يعرف من ذلك شيئاً. فالشخص العادي بما ذلك الناخب العادي، يدلي بصوته بناءً على الانطباع المتكون في ذهنه. وبإمكانك أن تسمع في المناقشات السياسية اليومية مع هؤلاء الأشخاص أن انطباعاتهم مؤسسة على أدلة واهية، وعلى الصور والكلام، على ضغط الأقران، وليس على معاينة واعية للقضية.

جيرمي إيرب: تعودنا في ثقافتنا السائدة هذه، على التفكير بأن النساء يغلب عليهن الجانب العاطفي، وأن الرجال اكثر هدوءاً واتزاناً من النساء، وأن النساء يتأثرن بالمشاعر والعاطفة. وعليه، يمكن للمرء ان يستنتج ان العاطفة تعلب دوراً رئيساً في التأثير على طريقة تصويت النساء اكثر من تأثيرها على الرجال. إلا ان الحقيقة، وهذا له علاقة بما تحدثت عن آنفاً، وكما نعلم من استطلاعات الراي المكثفة، هي ان النساء يملن إلى التصويت لصالح المرشح تأسيساً على موقفه من القضايا المهمة بالنسبة لهن. والمفارقة فيما ذكرته هو ان الرجال هم الذين يصوتون بحسب العاطفة.

هذا صحيح. ومن أعجب المفارقات في ذلك هو أنه في الوقت الذي يسود فيه انطباع عام أن الرجال أكثر عقلانية من النساء وأن النساء أشد عاطفة،

وعندما يتعلق الأمر بمجموعة من القضايا السياسية فإن بإمكانك إثبات أن الواقع هو العكس. إذ نجد أن النساء كفئة نوعية، ينزعن إلى اتخاذ قرارات أكثر عقلانية وأكثر منطقية في اختيار الطرف الذي يؤيدنه في الانتخابات اعتماداً على مواقف المرشح من قضايا الرعاية الصحية والتعليم والقضايا اليومية التي تؤثر على الأسـرة والناس بشكل عـام. في حين يغلب على الرجـال الميل مع الإغراءات العاطفية كالشدة والشوكة الوطنية، والدفاع والأمن، والاقتصاد ضمن إطار عام، بدلاً من التدقيق في تفاصيل التوجه الاقتصادي التي يدفعهم إلى دعم هذا المرشح أو ذاك. لذلك فإن هذه القضية تعكس تركيبة الصورة النمطية التقليدية بأن النساء عاطفيات وأن الرجال عقلانيون.

جيرمي إيرب: يذكر روبرت كيغان وهو أحد منظري المحافظين الجدد في كتابه الذي نشر مؤخراً تحت عنوان "الجنة والسلطة" أن الولايات المتحدة تنحدر من كوكب المريخ وأن أوروبا تنحدر من كوكب الزهرة. ويقصد بذلك أن الأوروبيين، كالفرنسيين، يمكنهم الجلوس في المقاهي والتمادي في ازدراء الولايات المتحدة لأنها في نظرهم دولة تفتقر إلى التعقيد، دولة رعاة البقر، دولة تعربد على الدول الأخرى، متجاهلين أن القوة الأمريكية وشوكتها العسكرية هي صاحبة الفضل عليهم في تحـقـيق الأمـان الذي يمكنهم في ظله الجلوس في تلك المقـاهي والانخراط في نقدهم الفكري للولايات المتحدة. ويبدو أن هذه النظرة هي جوهر فلسفة المحافظين الجدد التي أصبحت محور سياسات حكومة بوش الحالية- انه في عهد ما بعد 11 سبتمبر فإن القوة والشوكة هما أمران جوهريان، وأن العالم مكان محفوف بالمخاطر، وأن من السذاجة التفكير بأن المسالمة والموادعة ستحل مشاكلنا الأمنية. ما رايك بذلك؟

إن من أبرز الوسـائل التي حصل من خـلالها المحـافظون الجـدد على الدعم والتـأييد لمغامراتهم العسكرية العدوانيـة هي فكرة أن هناك أشـراراً يتربصون بنا الدوائر، وأن السـبيل الوحيـد لوقف هؤلاء الأشرار ومنعهم من إيذائنا هو قيام الأخيار باستخدام قوة كبيرة كاسحة في القضاء عليهم. وهذه الحجة تبدو مقنعة ومنطقية للوهلة الأولى إذا كنت تجهل التفاصيل. لا أحد يناقش، ولا أعرف أحداً يجادل بأننا لسنا بحاجـة إلى استخدام القوة في الدفاع عن أنفسنا ضد الإرهاب أو ضـد أي شكل من أشكال العنف العدواني. فالسؤال إذن لا يتعلق بالحاجـة إلى استـخدام القوة، أو الحاجـة إلى الدفاع عن أنفسنا. بل هو كيف ندافع عن أنفسنا ولماذا. السـؤال الأسـاسي هو كيف نفعل ذلك وليس مـا إذا كنا بحـاجـة إلى الدفـاع عن أنفسنا أم لا. ولهـذا السـبب فإنني أرفض بشكل مطلق فكرة أن من يعـارض أجندة بوش أو اليمين أو المحـافظين الجـدد كأنه يقـول للأعـداء "تعـالوا هـاجمونا لأننا سنبقى مكتوفي الأيدي ولن نقـاوم." هذه الحـجة هي في منتهى السـخف. لا أحـد يقول بذلك. هناك طرق حصيفـة ومعقدة للتعامل مع الإرهاب غيـر القوة والتوسع في الهيمنة العسكرية الإمبريالية.

جيـرمي إيرب: ذكرت لي شـاديا دروري التي كتبت كثيـراً حـول الجـذور الفلسـفيـة للمـحـافظين الجـدد، بأن فلسـفـة وايديولوجـيـة المحـافظين الجدد مهووسـة بفكرة "الرجـولة"، وتحدثت حـول الشعور بالكارثة التي تلوح في الأفق والخطر المحدق الذي يستحوذ على كتاباتهم، وأن جوهـر ايديـولوجـيـتـهم هو ان هذا الخـطر يتطلب رداً رجـولـيـاً حـازمـاً في السياسات والممارسات. برأيك، هل هذه هي السمة المميزة للأيـديولوجية المحافظة الجديدة، وبخاصة كما تتبدى في السياسة الخارجية لبوش، في كون هذه الأيـديولوجية ذات طبيعة دفاعية او هجومية مغالية؟

من الأمـور الواضـحـة في خطابنـا السـيـاسـي أن العمل الانفـرادي يـدل على الرجولة، بينما يُنظر إلى العمل الجماعي على اعتبار أنه من الخصائص الأنثوية. لذلك فإن بوش والمحافظين الجـدد بأسلوبهم الانفـرادي قـد وضعـوا أنفسـهم في مـرتبـة الرجـال الفـاعلين الذين يبـادرون بالعـمل، على العكس من الذين يفـضلون العـمل الجـمـاعي ويضـيـعـون وقـتـهم بالكلام والمناقشـات بينمـا يقـوم الإرهـابيـون بأعمـالهم الإرهـابيـة. وهذا بالمناسبـة واحد من أبرز حبكات أفـلام الكاوبوي التي تنتـجـهـا هـولي وود. حيث يتكرر مشـهـد سكان البلدة المذعورين من رجل شـرير، ولكنهم عاجزون عن التعامل معه. فهم يتحدثون، ويذهبون إلى الكنيسة، ويصلون، ويتباحثون، ولكن لا شيء يجدي معـه. والمخرج الوحيـد لهم من هذا الكابوس هو عندما يأتي (جون وين) أو (كلينت إيستوود) إلى البلدة ممتطياً صهوة حصانه، لا يتكلم كثيراً، ولكنك تعـرف انه يحمل مسـدساً على جانبه. وفجأة يبدأ بالتحرك وإطلاق النار على الرجل الشرير، وينقذ سكان البلدة. والشيء الذي اجده مثيـراً حقـاً في ذلك هو أن تشـيني ينحـدر فـعـلاً من ولاية وايومـنغ (إحـدى مقـاطعـات الكاوبوي من الناحيـة التـاريخيـة) ولذلك فإن من الواضح انه يهتم بفكرة محـددة عن الرجولة تنبثق من أفلام الكاوبوي. وعلى الرغم من أنه شـخص متعلم ومثقف إلا أنه يحب أن تحـيط به هـذه الهـالة التي تقـول بـأن الكلام رخـيص وأن الفعـال هي التـي تحـدد الرجل. وهـذا مقـنـع مظهـرياً ودراميـاً وسـينمـائيـاً. وهنـاك نقطة أخـرى على صلة بهـذا الموضـوع وهي انه عندمـا يوجـه إلى بوش الانتـقـاد بـأنه كاوبوي، كما يفعل الإعلام الغربي وغيره، وحتى هنا في الولايات المتحدة، وبينما يقصد من ذلك السخرية والاستهزاء، إلا أن هذه الصورة هي التي تعزز وتوسع من دعم وتأييـد رجـال الطبـقـة الكادحـة من السكان البـيض له. لأن الكاوبوي يحرك في النفسيـة الأمريكية انطبـاعـاً قـوياً وإيجـابيـاً. وهـذه الانطبـاعـات مؤسـسـة على بعض الحقيقة، إلا أن معظمها مبني على الخرافات والأساطير المستقاة من الأفـلام السينمـائيـة والروايات الأدبية حـول الكاوبوي والبيداء، ومن خـرافة الفـرد

الشديد قوي البنية. واعتقد أن هذا جزء من جاذبية جورج بوش. لئن كان دك تشيني ينحدر فعلاً من ولاية وايومنغ إلا أن جورج بوش ينحدر من الشمال الشرقي للبلاد، وحظي بالدراسة في أرقى المدارس والجامعات الأمريكية. ومع ذلك نجده يحاول جاهداً أن يركز على انتمائه إلى تكساس وأنه من الكاوبوي. ونشاهد هذا النمط في المجلة تلو المجلة، حيث يظهر لابساً قبعة الكاوبوي، وحذاء الكاوبوي الطويل وهو يقطع أغصان الشجر في مزرعته. وما من شك أن ذلك يشكل جزءاً من الصورة المقصود منها أن تظهره بمظهر الرجل الماتشو والفتوّة. ويجد هذا الانطباع صدى واسعاً لدى ذكور الطبقة الكادحة من السكان البيض وبخاصة في الولايات الجنوبية، بل وفي أرجاء الولايات المتحدة بأسرها.

جيرمي إيرب: وماذا عن الانطباع السائد عن الأمم المتحدة في هذا السياق؟

الأمم المتحدة هي منظمة متعددة الأطراف بحسب تعريفها. وفيها يبدي الجميع آراءهم حول ما يطرح من قضيا وفق آليات شائكة ومعقدة. إنها ممارسة ديمقراطية على مستوى الدول. ويجري تصنيفها في الجانب "الأنثوي" أو الذكوري غير الكامل. والطريقة الفعالة لحل هذه المشاكل لا يكون بإجراء المناقشات المطولة حولها، ولا من خلال العملية الديمقراطية الموحلة بل بالتحرك والمبادرة بعمل اللازم. والولايات المتحدة تملك القوة، وبإمكانها فعل ذلك. وطريقة تفكير المحافظين الجدد هي أننا يجب أن نتصرف لأننا إذا لم نفعل فلن يقوم بهذه المهمة أحد. والشيء الذي لا يخضع للمساءلة هو ما الذي نحتاج إلى فعله. إننا بحاجة إلى احتلال هذه الدول، إننا بحاجة إلى زيادة الميزانية العسكرية، إننا بحاجة إلى زيادة الرقابة المحلية على المعارضة. والشخص الوحيد الذي يملك الشجاعة لفعل ذلك هو جورج بوش والمحافظون الجدد والحزب الجمهوري. أما الديمقراطيون فليس لديهم العزيمة على فعل ذلك، حتى وإن كانوا يعلمون أن

ذلك هو الإجراء الصحيح. وهي حجة تبدو مقنعة للوهلة الأولى إذا لم تسمع بأن هناك عدد من الطرق المختلفة للتعامل مع المشكلة دون أن تتطلب استخدام تلك التكتيكات التي تفرز ردود أفعال معاكسة. ومن الأمور التي لا يعيها كثير من الناس هي أن العدوان العسكري يشبه العنف بين الأفراد في أنه قد يبدو وكأنه قادم من نزعة عدوانية للسيطرة، وفي معظم الأحيان يستخدم العنف كوسيلة دفاعية قائمة على الخوف. بمعنى آخر، أنت توجه الضربة لأنك تخشى أن يسبقك الشخص الآخر في توجيه الضربة إليك. وهذا له صلة لما سماه جورج غيربنر "بمتلازمة العالم العدواني". والنقطة الأساسية التي يوضحها هي أن الناس حين يتعرضون إلى جرعات كبيرة من العنف الإعلامي، وبخاصة الأولاد، فإنهم على الأرجح سينظرون إلى العنف باعتباره الرد الضروري على الأوضاع التي يواجهونها في حياتهم اليومية لأنهم يتصورون أن العالم اكثر عنفاً مما هو فعلاً. لذلك إذا فكروا بأن الشخص المقابل لهم سيوجه إليهم ضربة أو سيطلق عليهم الرصاص فإنهم على الأغلب سيطلقون النار أولاً استباقياً ووقائياً أو دفاعياً لأنهم يخشون أن يحدث ذلك لهم إذا لم يقوموا بذلك. وباعتقادي أن هذه النظرية تنطبق على أوضاع العالم من الناحية الفعلية. بمعنى أن استعراض القوة ليس فقط استعراض للقوة، إنه إجراء دفاعي، حتى وأن بدا للعيان بأنه إجراء هجومي. وهو إجراء هجومي عدواني على إحدى المستويات. ولكنه هجوم مبني على الخوف. وأعتقد كذلك- وهذه الفكرة ليست من ابتكاري- بأن البشر حين يكونون في حالة من الخوف فإنهم على الأغلب سيدعمون السياسات والمرشحين الذين يركزون على التعامل مع هذا الخوف، وسيصوتون ضد مصالحهم الذاتية إذا كانوا يعتقدون بأن سلامتهم الشخصية تتطلب ذلك. وأعتقد أن من الواضح أن هذه هي إستراتيجية الحزب الجمهوري في الانتخابات القادمة عام 2004. وهي بشكل عام تقوم على الآتي: هناك أشخاص أشرار يتربصون بنا الدوائر ويحاولون قتلنا وإيذاءنا. ولدينا رجال أقوياء مستعدون لمواجهتهم حتى وإن كان

هذا العمل لا يروق للجميع. إنكم أكثر أمناً معنا، حتى وإن كنتم غير راضين عن الأحوال الاقتصادية، وحتى إن كنتم بدون وظائف ولا تحبون كل هذه المشاكل في الداخل، فعلى الأقل أنتم في أمان. وأما إذا صار الأمر إلى أولئك الأشخاص، والمقصود هنا الحزب الديمقراطي، فإن كل الخيارات معطلة، وستعرضون أنفسكم لمخاطر كبيرة لأنهم لا يملكون القدرة على التصرف وفعل اللازم لمواجهة هذا التحدي.

جيرمي إيرب: عندما ننظر إلى الفجوة "النوعية" بين الذكور والإناث نشاهد ان المراة اقل ميولاً للتصويت لصالح الحزب الجمهوري من الرجل، فهل ما ذكرته يعني ان المراة الأمريكية اقل خوفاً من الرجل الأمريكي؟

هناك فجوة بين الذكور والإناث في يتعلق بطريقة التصويت والميول السياسية. لا شك في ذلك. فقد كان الحزب الجمهوري أكثر نجاحاً في استقطاب أصوات الرجال البيض من نجاحه في استقطاب أصوات النساء. إلا أن هناك أعدادا كبيرة من النساء اللاتي اقتنعن بهذه النظرة العالمية. لذلك فليس من الإنصاف القول بأن المسألة مسألة ذكور وإناث. إلا أن معظم الانتخابات الوطنية منذ عام 1980 شهدت وجود فجوة ملحوظة بين الرجال والنساء في التصويت تجاه الحزبين الرئيسين. ومن المهم معاينة ذلك. وعندما درس المحللون هذه الفجوة على مدى العشرين سنة الماضية كان معظم تركيزهم على الجانب الأنثوي من هذه الفجوة. وركزت التحليلات على تأييد غالبية النساء للمرشحين الديمقراطيين. ولا شك أن هذه القضية مهمة، إلا أن المسألة التي لم تبحث جيداً هي كيف ساعدت حياة الرجال وهويتهم النوعية في تشكيل طريقة تفكيرنا السياسي وطريقة تصويتنا في الانتخابات. واعتقد أن جزءاً من التشويش الحاصل هو أن الناس عندما يسمعون كلمة "نوع" فإنهم يعتقدون أن

المقصود بها المراة. لذلك فإن عبارة "الجنسوية في السياسة" تعني لكثير منهم "المراة في السياسة"، وهكذا يتم تجاهل المجموعة المهيمنة وهي طبعاً الرجال. لذلك أرى أن من المهم أن ننظر إلى جانب الرجل في الفجوة النوعية. وكيف يتصرف الرجال بناءً على محدداتنا النوعية بدلاً من الاكتفاء بمعاينة كيفية تصرف المراة في ذلك المجال.

جيرمي إيرب: مع التسليم بذلك، استمرت هذه الفجوة بالاتساع منذ 11 سبتمبر، هل يمكن القول بأن الرجال اشد خشيةً من الإرهاب من النساء؟

لا أعتقد أن الرجال أكثر خوفاً من النساء. بل اقول بأن كثيراً من الرجال يعتقدون أنهم أدرى من المراة بمصلحتها وبما ينفعها لأن فهمنا للرجال أحسن من فهمهن لهم. بمعنى آخر، بعض الرجال يعتقدون انه لا بأس أن نتحدث عن الرعاية الصحية، وسوق العمل، والتعليم، ورعاية الأطفال. فهذه القضايا مهمة وتستحق الرعاية، ولكنها لا ترقى إلى أهمية سلامتنا وحمايتنا من الإرهاب. ونحن الرجال نعرف نوايا الإرهابيين، وكثير من النساء لا يفهمن ذلك. لذلك علينا أن نحافظ على امتيازنا في فهم الأخطار المحدقة بالعالم لأننا افضل فهماً لهؤلاء الرجال من النساء. وهذا النمط من التفكير والسلوك الاستعلائي الأبوي جزء من هذه القضية. ومرة أخرى، يجب أن لا نغفل أهمية الحاجة إلى الدفاع عن أنفسنا ضد الاعتداء العنيف. ولا يمكن ابداً أن اقول بأننا لسنا بحاجة للدفاع عن أنفسنا ضد العنف. فذلك منتهى الإسفاف. ولا يمكن أن اؤيد اي برنامج سياسي لا يرد بشدّة على التهديد الموجه ضد المدنيين العزل، سواء في الولايات المتحدة أم في أي مكان في العالم. إلا أن تلك ليست هي الحجة التي يوجهها النقاد ضد بوش- بأن نجلس مكتوفي الأيدي لنكون هدفاً سهلاً للإرهاب. ولكنها تقدم للناس بهذه الشكل. والطريقة التي توصف بها في

الخطاب السياسي العام هي أننا أمام خيارين: أحدهما متشدد وصارم في ملاحقة الإرهابيين الأشرار والعنيفين. والخيار الثاني هو الاستكانة وترك المجال أمام الإرهابيين يعيثون في الأرض فساداً وتخريباً ويقتلوننا دون مسؤولية أو محاسبة. وعندما يواجه الناس هذين الخيارين فإنهم من دون شك سيقولون "فلندافع عن أنفسنا" ووضع الخيارات بهذه الطريقة هو قطعاً غير صحيح وينطوي على مسخ سخيف للحقيقة. لذلك فإني أعتقد أن ما نحتاج إليه هو خطاب وطني أكثر عمقاً حول ما يتوفر لدينا من خيارات و بدائل عن النظرة العالمية للمحافظين الجدد، وبدائل عن رد إدارة بوش على الإرهاب. وحتى هذه اللحظة لم يكن الحزب الديمقراطي مؤثراً في فعل ذلك على المستوى الوطني، ولم يقم حتى الآن بصياغة وجهة نظر واضحة يمكن للناس العاديين أن يستوعبوها وتكون حجة مقنعة ضد السياسات القائمة للإدارة الحالية.

جيرمي إيرب: هل لك ان تتحدث حول الفجوة بين الذكور والإناث في ضوء بروز قطاع سكاني من الناخبين يطلق عليه "آباء الناسكار"؟

مرة أخرى نجد أنفسنا أمام ظاهرة الاختزال الثقافي في الخطاب السياسي. ففي الانتخابات السابقة استخدمت عبارة "أمهات السوكر" للدلالة على نساء الطبقة الوسطى اللاتي يقمن بتوصيل أبناءهن إلى المدرسة، وينصب اهتمامهن السياسي على قضايا الأسرة كالرعاية الصحية، والحضانة، وقضايا التعليم. وفي هذا الوقت نحن أمام "آباء الناسكار" وهي عبارة تستخدم للدلالة على رجال الطبقة العاملة، وبخاصة فئة الذكور من السكان البيض في الجنوب. وهذه الطبقة تتردد فيها أصداء مجموعة من القضايا وتستجيب لنوع محدد من الخطاب السياسي حول القوة والوطنية والسلاح. وقد نجح الحزب الجمهوري وإلى حد بعيد في تقديم نفسه على أنه الحزب الذي يستجيب ويلبي رغبات طبقة "آباء الناسكار" من المجتمع. ومرة أخرى هذا المصطلح هو فقط اختزال

سياسي للدلالة على الناخبين من الطبقة العاملة وبخاصة في الولايات الجنوبية.

جيرمي ايرب: لماذا يحتاج ذكور الطبقة العاملة إلى هذه الصورة. لماذا تستهويهم؟

لو ألقينا نظرة على التحليلات الاقتصادية الدقيقة حول معدلات الأجور الحقيقية، فسنجد أن معدلات كسب عمال الطبقة الكادحة بشكل عام شهدت تراجعاً على مدى الثلاثين عاماً الماضية وذلك برغم ازدهار سوق الأسهم والطفرة التقنية وبقية عوامل الاقتصاد الكلي الأخرى. والشيء الوحيد الذي بقي على ثباته هو تراجع معدلات أجور الطبقة العاملة. لذلك، فما الذي ستتمسك به إذا كان من المفترض أنك المسئول عن إعالة أسرتك وأن تكون محترماً في مهنتك؟ فأنت تقع على هامش الاقتصاد، ولا تكسب سوى القليل من المال. وقوة كسبك المادي ليست بمستوى الكسب الذي كان متوفراً لأبويك. وليس بمقدورك أن تشتري بيتاً، وفي بعض الأحيان تجد نفسك غير قادر على إرسال أبنائك إلى الجامعة ودفع رسومهم، وعاجزاً أيضاً عن شراء الأشياء التحسينية الأخرى التي تشاهدها على شاشة التلفاز والتي يفترض أن بقية الناس يقتنون مثلها. ما هي هويتك كرجل؟ من الواضح أن هناك شيئاً واحداً يمكنك أن تتشبث به وهو أيديولوجيتك في الرجولة. أنت رجل ترعى وتحمي أسرتك. وهذا عنصر مهم، وبالتبعية أنت تدعم السياسات والحزب الذي يرعى ويحمي البلاد. وأعتقد أن كثيراً من الرجال سيصوتون لصالح سياسات تتناقض تناقضاً مباشراً مع مصالحهم الاقتصادية إذا كانت تلك السياسات تعكس تصورهم عن الرجولة. وحسبك أن تنظر إلى القضايا الرئيسة التي يشار إليها بأنها قضايا ثقافية. قضية تقييد حمل وترخيص السلاح، الإجهاض، الوطنية. في الجنوب هي قضية رفع علم تحالف الولايات الجنوبية في الحرب الأهلية. كل ذلك له علاقة بالتعبير

عن هوية الرجولة بصورة رمزية. أنظر إلى مسألة حمل وترخيص السلاح على سبيل المثال، وانظر إلى لغة الخطاب الدائر حولها. من الواضح أن المسألة بالنسبة لجمهور الناخبين المتحمسين لهذه القضية هي أكثر من مجرد الاهتمام بمادة التعديل الثاني للدستور، إنها اتصال عاطفي، إنها التهيئة الذكورية للتفاعل الاجتماعي، إنها علاقة الآباء بأبنائهم حين يصطحبونهم لتدريبهم على أصول الرمي. إنها أكثر صلة بتحديد هويتهم كرجال، منها بالمبادئ الدستورية المجردة مثل مواد وثيقة الحقوق الأساسية المتضمنة في تعديلات الدستور.

جيرمي إيرب: تحدثت عن أهمية الدقة في اللغة في الخطاب السياسي والتواصل، هل لك أن تحدثنا حول الأخطاء الشنيعة التي ترد في خطابات بوش وحول جهوده في خلق انطباع عن نفسه وعن السمعة التي يشيعها عن نفسه بأنه ليس من طبقة المثقفين، وهي سمعة قد توفر غطاءً للمحافظين الجدد الذين يتولون رسم سياساته؟

من الأمور التي نجح فيها جورج بوش أكثر من أبيه هي أنه نأى بنفسه عن أصله الأرستقراطي: مولده ونشأته في الشمال الشرقي للولايات المتحدة، وانحداره من أسرة قديمة الثراء من سلالة النبلاء. وهذه السمات لا تروق للطبقة الكادحة في الجنوب وغرب وسط البلاد، أو بالأحرى في أي مكان. لذلك فإن ما نجح جورج بوش في تحقيقه هو أنه وضع نفسه في إطار يوحي للناس بأنه شخص عادي متواضع ليّن الجانب يمكن لأي شخص أن يرافقه إلى البار أو المطعم. وهو ما يناقض تماماً الانطباع السائد عن أبيه الذي كان في نظر الناس من علية النخبة الأرستقراطية. لذلك فإنني أعتقد أن عجز جورج بوش عن التعبير في كلامه وفداحة أخطائه اللغوية قد عملت لصالحه لأن ذلك يجعل منه شخصاً عادياً. بمعنى آخر هناك نزعة مناهضة للذكاء والفكر متأصلة في الثقافة الأمريكية، وهذه النزعة أكثر بروزاً لدى الرجال، وأكثر تحديداً لدى

الذكور من الطبقة الكادحة. وتحمل هذه النزعة في طياتها شعوراً بعدم الثقة في الأشخاص الأذكياء، الأشخاص المتعلمين الذين يحسنون التعبير والإفصاح في كلامهم، وذلك لسهولة وصفهم بالنخبويين. فنحن في نظرهم أغبياء، حثالة المجتمع. وقد نجح الحزب الجمهوري في مخاطبة جمهور الناخبين من الذكور البيض من الطبقة الكادحة بلسان يقول: "إننا نحترمكم، بينما يزدريكم الديمقراطيون، إنهم نخبويون، وينظرون إليكم نظرة دونية". وقيام الحزب الجمهوري باختيار مرشحين مثل جورج بوش، وريغان، ووضعهم في الواجهة فيما يشبه الناطق الرسمي باسم الحزب، من شأنه أن يحجب نظر الطبقة العاملة عن إدراك حقيقة أن طبقة الأثرياء والنبلاء من أصحاب البنوك في نيويورك هم الذين يدعمون الحزب الجمهوري بالمال. إلا أن بإمكان الناخبين أن يتشاركوا وجدانياً مع الناطق الرسمي، المرشح على المستوى الشخصي. وإلى هذا الجانب ينبغي تحويل النقاش- بأن المسألة مسألة انطباع وصورة. فالمسألة ليست قضية فهم معمق للقضايا العامة. إنها قضية وضع الرجولة الرئاسية والانطباع المنبثق عنها. ومن العجيب حقاً قلة النقاش الدائر حول هذه المسألة، لأننا نعلم، على سبيل المثال، أن معظم مصاريف الحملات الانتخابية في ربع القرن الماضي كانت تنفق على الدعاية التلفازية للمرشحين. بمعنى آخر، عندما تتحدث عن قيام جورج بوش بجمع وتخصيص ميزانية ضخمة لإنفاقها على حملته الانتخابية، مئات الملايين من الدولارات، ومعظم هذه الأموال ستذهب إلى الدعاية التلفازية. فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما هي الصورة الأكثر تأثيراً والتي يجري وضعها في الإعلانات التلفازية؟ وقد يخطر ببالك أن الناس ربما ينظرون إلى هذه المسألة بدقة وتعمق، إلا أن النقاش المتعلق بإعلانات التلفاز لم يتعمق في الجوانب النوعية (الذكرية والأنثوية) فيها. وتركزت المناقشات حول الادعاءات الواردة في الإعلانات وما إذا كانت صحيحة أم لا، أو ما إذا كانت مبنية على أدلة وحجج منطقية أم على لغة الخطابة- ولكننا لا نجد أي نقاش معمق حول عملية

تصنيع المرشحين كمنتج استهلاكي يشتريه الناس. إنني مهتم هنا بالتشكيل الجنسوي لهذا المرشح، وأعتقد أن الحزب الجمهوري يفهم هذا الجانب حتى وإن لم يكن باستطاعتهم التعبير عنه بالطريقة التي بسطتها هنا. وفهمها مايك ديفر، ولي آتواتر من قبل، وفهمها كارل روف وطبقها، وكذلك بقية المخططين الإستراتيجيين في الحزب الجمهوري. إنهم يدركون أنك عندما تسوّق المرشحين الجمهوريين ضمن إطار رجولي فإن الناخبين من الطبقة الكادحة سيتجاوبون لصالح هؤلاء المرشحين. فالمسألة لا تتعلق بالقضايا المطروحة بالذات. بل إن الطريقة التي تظهر من خلالها صورة وانطباع المرشح والإطار الذي توضع ضمنه القضايا هي التي تصنع الحزمة التي تضمن رواج المرشح وقناعة الناخبين به. والجانب الجنسوي أساسي في هذه الحزمة.

جيرمي إيرب: ترى من يقف وراء هذا النوع من الدعاية السياسية وصنع الصورة الأيقونية التي تحدثت عنها؟ ويمكن معاينة هذه الدعاية من طريقين، الأولى أن ننظر إلى محتواها، أو أن ننظر إلى ما خلفها ومن خلفها.

إن مما يحبطني ويحبط كثيراً من الناس هو تمكّن النخبة الفكرية من المحافظين الجدد في استخدام رجال الطبقة الكادحة واستغلالهم لدعم طموحاتهم الإمبريالية، وزيادة الميزانية العسكرية، الخ. ولا أعتقد أن المحافظين الجدد يكنّون أدنى قدر من الاحترام لهذه الطبقة، ولو كان لديهم احترام لهم لما قاموا بوضع وتنفيذ سياسات تحد من قدرة أبناء هذه الطبقة على الكسب، وتخفيض برامج التعليم ورعاية الطفل وغيرها من البرامج التي تحتاجها الطبقة العاملة في دعم أسرهم وتوفير العيش الكريم. وهذا أمر يزعجني ويزعج كثيراً من الناس فعلاً: فكم من مفكري المحافظين الجدد تجنبوا الخدمة العسكرية عندما كانوا في سن التجنيد الإجباري؟ لقد تفادوها بالكامل، ومع ذلك فهم لا

يتورعون عن إرسال أبناء الطبقة الكادحة، من البيض والسود والفقراء لكي يقتلوا ويقتلوا في سبيل طموحاتهم الإمبريالية. ولكنهم يجلسون في مكاتبهم الفارهة والأنيقة في واشنطن ونيويورك يكتبون هذه الدراسات والمقالات ويضعون النظريات والسياسات بينما يتكبد أبناء الطبقة الكادحة عناء الحرب ويتعرضون للقتل في سبيلها.

جيرمي إيرب: ولكن هل بالإمكان القول، على الرغم من ذلك كله، أن بوش هو فعلاً قائد قوي؟

كثيراً ما يشار إلى بوش بأنه قائد قوي، والسبب وراء دعم ناخبيه له هو انهم يرون فيه شخصاً فعّالاً يضطلع بالمسؤولية، يقود، سواء كنت تتفق معه أم لا تتفق. وهناك بعض الحقيقة في ذلك. ولا أقول بأن ذلك كله غير صحيح. أعتقد أنه نجح في القيادة نوعاً ما. لقد تحرك، على سبيل المثال، من خسارة أصوات الشعب فعلاً إلى ترسيخ مواقع اليمين المتطرف ونجح في ذلك. وبإمكانك أن تقول بأنه قاد الحزب الجمهوري إلى اليمين، انتقل بحزب يميني أصلاً إلى أقصى جناح اليمين، بمعنى أنه نجح في إظهار نوع من القيادة. ولكن في المقابل يمكن القول بأن قيامه بتزوير الخطر القادم من صدام حسين، عن طريق اختلاق أدلة أسلحة الدمار الشامل، قد ابتعد عن قول الحقيقة فيما يتعلق بالسبب الحقيقي وراء احتلال العراق، بغض النظر عن ماهيتها. لماذا لم يستخدم قدراته على الإقناع والمنصة الرئاسية ومخاطبة الشعب الأمريكي لفعل ذلك: هذا هو ما يحدث، بدلاً من اختلاق الأدلة وبدلاً من التعسف في استخدام وتحوير المعلومات الإستخبارية القادمة من وكالة الاستخبارات المركزية.

جيرمي إيرب: كان الشعار المشهور والناجح لحملة كلينتون للرئاسة عام 1992 "إنه الاقتصاد، يا غبي". إذا كان لديك نصيحة توجهها إلى كيري

وإدوارد(*) الآن، فما هو الشعار الذي ترى انه يجب ان يعلق في غرفة عملياتهم؟

في عام 2004، يحتاج الحزب الديمقراطي إلى وضع شعار يقول "إنها الرجولة، يا غبي". لأن الحزب الجمهوري سيحاول تخنيث الحزب الديمقراطي ومرشحيه. وسيحاولون توجيه حملتهم بالهجوم على رجولة مرشحي الحزب الديمقراطي. وقد نجحوا بذلك عام 1988، عندما هاجموا مايكل دوكاكس مرشح الحزب الديمقراطي مستخدمين مشهداً له وهو راكباً دبابة ويبدو فيها كالأخرق. وقد حاولوا ذلك مع كلينتون مستخدمين "التهرب من الخدمة العسكرية" إلا انهم اخفقوا. وإنه لمن المؤكد في هذه المرة أن يقوم المخططون الإستراتيجيون بتقديم جورج بوش على أنه القائد الشديد الرجولي في مقابل هذا الديمقراطي الخائر. وبعض المصطلحات بدأت تظهر في الإعلام من الآن. ومن الأماكن التي يمكنك رصد لغة الخطاب السياسي للحزب الجمهوري هو برامج المحادثة على الراديو. على سبيل المثال، لاحظ كيف يقوم رش ليمبو بتأطير المرشحين. فهو يطلق على جون كيري عبارة "كيري الذي يشبه الفرنسيين". وهي محاولة لوصفه بالخنوثة، محاولة لوضعه ضمن هؤلاء الفرنسيين الناعمين المسالمين. وانظر ماذا يلقب جون إدوارد: "فتاة بريك". وإذا رغب الديمقراطيون بالنجاح في هذا الوقت، فعليهم أن يفكروا بطريقة لعكس هذا التوجه.

نورثمبتون، ماسيتشيوستس

26 نوفمبر، 2003

(*) جون كيري وجون إدوارد مرشحا الحزب الديمقراطي لمنصبي الرئيس ونائب الرئيس في انتخابات الرئاسة الأمريكية لعام 2004 في مقابل جورج بوش ودك تشيني عن الحزب الجمهوري.

مايكل كلير

استاذ دراسات السلام والأمن العالمي في كلية هامبشير. له عدد كبير من الأبحاث والدراسات حول سياسات الدفاع في الولايات المتحدة، وتجارة السلاح، وقضايا الأمن الدولي. الف عدداً من الكتب، منها "الدول المارقة والدول النووية الخارجة على القانون" (هل آند وانغ، 1995)، وكتاب "حروب الثروات الطبيعية: المنظور الجديد للنزاعات العالمية" (متروبوليتن، 2001)، وكتاب" الدم والنفط: مخاطر وتبعات الاعتماد الأمريكي المتزايد على النفط المستورد لتأمين احتياجاتها من الطاقة. (جزء مركز مشروع الإمبراطورية الأمريكية التابع لمترو باليتين، 2004).

ست جالي: لنبدأ بسؤال عام حول الدور الذي لعبته المنازعات حول الموارد والثروات الطبيعية في العلاقات الدولية؟ ما مدى اهميتها في الماضي والحاضر؟

كانت الموارد الطبيعية، وما تزال، تشكل محوراً مركزياً في العلاقات الدولية. ولعبت الموارد دوراً مهماً في العلاقات الدولية منذ بداية تدوين التاريخ البشري. وخاضت الأمم الأولى الحروب بهدف السيطرة على موارد المياه والأراضي الزراعية. كما أن الثروات الطبيعية كانت حافزاً وراء الاستعمار والإمبريالية الحديثة. ولولا التسابق للسيطرة على تلك الموارد، بل بالأحرى سرقتها، لما شهدنا الاستعمار الأوروبي للأمريكيتين. فهي التي جاءت بالأوروبيين إلى هنا. كما لعبت المنافسة بين الدول القوية في السيطرة على ثروات ما وراء البحار دوراً مهماً في صراع الحرب العالمية الأولى. وخلال الحرب الباردة التي طغت عليها

الأيديولوجية - والأيديولوجية هي القوة الدافعة وراء سياسات العالم- ولكن حتى خلال الحرب الباردة فإننا نجد أن عدداً كبيراً من الأحداث المهمة كانت في حقيقتها صراعاً للسيطرة على الموارد المهمة وبالتحديد في منطقة الشرق الأوسط. وكان الهدف من مذهب ترومان، ومذهب أيزنهاور، ومذهب نيكسون، ومذهب كارتر، كانت كلها -بدرجة أو بأخرى- تهدف إلى حماية النفط في المملكة العربية السعودية والخليج العربي. ولذلك كانت الموارد تشكل جانباً مهماً في العلاقات الدولية وفي الصراع بين الدول منذ القدم. وما أقوله هنا هو أننا دخلنا في عهد جديد من الصراع المحتدم على الموارد والثروات الطبيعية بسبب العولمة الاقتصادية. وهناك عدد متزايد من المتصارعين للسيطرة على ما تبقى من موارد العالم التي بتنا نستهلكها بشراهة غير معهودة حتى قاربنا على استنفادها. لقد بدأنا بالاقتراب من مرحلة تشهد ندرة في الموارد الأساسية، لذلك فسوف تزداد حدة المنافسة على ما تبقى منها. وستتزايد معها احتمالات ومخاطر استخدام العنف.

ست جالي: ما مدى أهمية النفط في الحرب على العراق؟

إن للنفط -بكل تأكيد- دور مركزي في الصراع الدائر في العراق، إلا أنه ينبغي معاينته في إطاره التاريخي. ويرجع الاهتمام الأمريكي بالعراق إلى زمن سابق يعود إلى عام 1990 عندما احتل العراق الكويت وبات يشكل تهديداً على المملكة العربية السعودية. وفي ذلك الوقت قال الرئيس بوش الأول بأن الوجود العراقي في الكويت يشكل تهديداً على نفط المملكة العربية السعودية، والنفط السعودي يحتل أهمية مطلقة بالنسبة للولايات المتحدة وللأمن القومي الأمريكي، لذلك علينا أن نستخدم القوة لحماية السعودية وإخراج العراقيين من الكويت. وكانت حرب الخليج الأولى عام 1991. ثم اتبعت بإجراءات لاحتواء العراق بدلاً من الزحف نحو بغداد، كما كان يدعو ويروج لذلك بعضهم في ذلك الوقت. وكان

موقف بوش الأول وكلينتون من بعده يتمثل باحتواء العراق ومحاصرته وضرب منشآته بالقنابل والصواريخ كلما دعت الحاجة بهدف الإبقاء على صدام حسين أسيراً في قفصه وترك الأمور على ذلك.

ثم جاء الرئيس الجديد بوش الثاني، وكان من الواضح منذ البداية أنه لا يؤمن بسياسة الاحتواء، ويعتقد أنها سياسة فاشلة وتعكس ضعفاً في الموقف الأمريكي. والأهم من ذلك أنها منعت الولايات المتحدة من دخول العراق وتطوير نفطه، وهو ما يشكل في نظر الرئيس الجديد عنصراً حيوياً في تلبية الاحتياجات الأمريكية من النفط. لذلك كان من الواضح منذ البداية أن الرئيس بوش وأعوانه كانوا عاقدين العزم والنية على استئناف الحرب من حيث انتهت إليه في فبراير من عام 1991 ومواصلة الزحف نحو بغداد وفق ما كانوا يدعون ويروجون له في ذلك الوقت في ذلك.

ست جالي: لماذا تسعى حكومة بوش الثاني إلى التحرك إلى ما هو أبعد من سياسة الاحتواء؟ ما هو الدافع وراء هذه السياسة الجديدة؟

علينا أن نتذكر أنه عندما دخل جورج بوش البيت الأبيض في فبراير من عام 2001، لم يكن الإرهاب أو الأمن القومي على رأس سلم أولوياته، كما أصبحت فيما بعد، بل كانت قضية الطاقة هي التي تقع على رأس أولويات البيت الأبيض. وكان أول شيء فعله بوش لدى تقلده الحكم هو تشكيل مجموعة عمل حول السياسة الوطنية للطاقة برئاسة نائب الرئيس دك تشيني. وجاء تشكيل هذه المجموعة في ظل معاناة البلاد من أزمة طاقة في ذلك الوقت. إذ شهدت ولاية كاليفورنيا انقطاعاً كلياً في التيار الكهربائي على فترات متقطعة، وكانت البلاد تعاني من نقصان النفط في معظم الولايات. والأهم من ذلك، تخطت الولايات المتحدة قبل عام من ذلك حاجز الخمسين بالمائة (50٪) من الاعتماد على النفط المستورد لأول مرة في تاريخها. وكان ذلك باعث قلق شديد لدى

صناع السياسة الأمريكية. وهو ما يعني أن الولايات المتحدة من الآن فصاعداً ستستهلك من النفط أكثر مما تنتج، وأنها ستصبح أكثر اعتماداً على النفط المستورد.

وكانت هذه القضية أكثر من غيرها تشغل اهتمام الرئيس وحكومته خلال الأشهر الأولى من تسلمه السلطة. وقام نائب الرئيس دك تشيني بتقديم تقرير بعنوان "سياسة الطاقة الوطنية" في 17 مايو،2001. وكان هذا التقرير يشكل الخطة العريضة لسياسة الطاقة في البلاد. ومعظم ما جاء في التقرير معروف على نطاق واسع. ودعا التقرير إلى استخراج النفط في المناطق المحمية من ولاية الاسكا، وإلى تمويل ودعم منتجي الطاقة المحليين الذين يزودون البلاد بالنفط والفحم والكهرباء والطاقة النووية. إلا أن الجزء غير المعروف من ذلك التقرير هو دعوته إلى زيادة كبيرة في التدخل الأمريكي في الخارج في المجالات السياسية وغيرها في المناطق التي يتزايد اعتماد الولايات المتحدة على مواردها في الطاقة. ودعت الخطة إلى زيادة استيراد النفط من الخليج العربي وبحر قزوين وإفريقية وأمريكا اللاتينية. وسبب الدعوة إلى التدخل قائم على الفرض القائل بوجود مقاومة للتدخل الأمريكي في شؤونها النفطية بشكل أو بآخر لأسباب قومية أو سياسية أو تاريخية، أو بسبب حقيقة أن هذه المناطق تضمر مشاعر معادية لأمريكا. ولذلك ينبغي على الولايات المتحدة أن تلعب دوراً أكثر تشدداً في وضع يدها على باقي نفط العالم. وكانت تلك هي خلفية 11 سبتمبر، 2001.

وخلال صيف ذلك العام وحتى 11 سبتمبر، كان الرئيس بوش يسعى إلى حشد التأييد الشعبي لتطبيق سياسته الجديدة للطاقة، وكان ذلك شغله الشاغل. وأعتقد أن بالإمكان رؤية احتلال العراق نتيجة لذلك، إلى جانب أسباب أخرى. إن التدخل الأمريكي العدواني، والتغلغل إلى حوض بحر قزوين وإقامة القواعد

العسكرية في أوزبكستان وكردستان وطاجيكستان ونشر الجنود الأمريكيين في جمهورية جورجيا والحديث عن توسيع القواعد البحرية في الخليج العربي. كل هذا يظهر لنا كيف اندمج السعي وراء الطاقة بإستراتيجية مكافحة الإرهاب وتحولتا إلى سياسة واحدة في ظل حكم بوش، بحيث يصعب الفصل بينهما من الآن فصاعداً. وحيثما وجدت المصالح النفطية الأمريكية فثمة عنصر من عناصر مكافحة الإرهاب.

إننا نشاهد ذلك في كولومبيا، على سبيل المثال، حيث كان التدخل الأمريكي في الأصل حول المخدرات، أما الآن فإن الدفع هو لحماية أنابيب النفط وبحضور أبرز للقوات الأمريكية. والشيء نفسه ينطبق في جمهورية جورجيا التي انفصلت عن الاتحاد السوفييتي وغيرها من المناطق. وهناك حديث الآن حول بناء قواعد عسكرية في إفريقية، كل هذا يجري وصفه بأنه ضمن إستراتيجية مكافحة الإرهاب، ولكن ما يقف وراءها هو خطة تشيني لزيادة سيطرة الولايات المتحدة على نفط العالم.

ست جالي: إذن، فالحرب على الإرهاب تستخدم كقناع لهذه الأجندة؟

باعتقادي أن إستراتيجية مكافحة الإرهاب والحرب على الإرهاب لها هوية خاصة بها، ولكنها أدمجت في الإطار الجيوبوليتيكي لإستراتيجية الطاقة، ولم يعد بالإمكان الفصل بينهما. وصحيح أن المناطق التي يوجد للولايات المتحدة فيها مصالح نفطية يوجد فيها دائماً تهديد الإرهاب، كما هي حال مناطق وسط آسيا، والقوقاز التي يوجد فيها مجموعات إرهابية يمكن القول بأنها تهدد الولايات المتحدة، ولكن للولايات المتحدة أيضاً مصالح جيوبوليتيكية فيها. إذن، لا يمكن الفصل بين الاثنين. وتستخدم الحرب على الإرهاب كوسيلة للحصول على التمويل والقوى البشرية والدعم لزيادة الوجود العسكري الأمريكي في المناطق التي يوجد فيها مصالح جيوبوليتيكية للولايات المتحدة مثل كولومبيا وإفريقية

ووسط آسيا. ويمكنك مشاهدة هذا التلاحم والاندماج بين مكافحة الإرهاب والنفط في أن هذا الأخير يأتي من مناطق لا يمكن الوصول إليها بسهولة بحيث يتحتم جلبه بواسطة أنابيب النفط. وأنابيب النفط تشكل أهدافاً طبيعية للإرهابيين والمخربين؛ لذلك سوف تركز السياسة الأمريكية بشكل متزايد على تأمين وحماية أنابيب النفط العراقية ذات الامتداد الواسع. وتقوم القوات الأمريكية بحماية أنابيب النفط في كولومبيا وجورجيا وغيرها من مناطق العالم لدرجة أن مكافحة الإرهاب وحماية النفط أصبحا نشاطاً واحداً.

ست جالي: هل لك أن توضح ما الذي يميز مذهب بوش عن غيره وبخاصة بالموازنة بمذهب كارتر؟

يتميز مذهب بوش عن غيره تميزاً دراميا حاداً بخصيصتين بارزتين. الأولى هي الولع باستخدام القوة العسكرية كأداة سياسية. وفي هذا الخصوص نلاحظ أن الرؤساء المحدثين للولايات المتحدة ومنذ فيتنام، بمن فيهم بوش الأول وبل كلينتون، كانوا يترددون في استخدام القوة العسكرية الأمريكية نظراً لما قد تسببه من مخاطر تتمثل بردود أفعال معادية للولايات المتحدة قد توقع القوات الأمريكية في مستنقعات حول العالم، ونظراً لمعارضة الرأي العام تكبد الخسائر البشرية. وفي جميع الأحوال، ولعدة أسباب مجتمعة، كان هناك تردد في استخدام القوة العسكرية في الحكومات الأمريكية المتعاقبة. إلا أن لأعوان بوش رأي مختلف تماماً في هذه القضية. فهم يشعرون بأن استخدام القوة العسكرية يعد أداة مفيدة لممارسة السلطة. وأنه ينبغي استخدامها من وقت لآخر وإلا فإن الشعوب الأخرى لن تحترمنا، ولن تخشانا. وهذه النظرة هي نظرة مختلفة اختلافاً صارخاً عما هو معهود. وهم لا يخفون هذا الموقف، بل يعبرون عنه بصوت واضح ومسموع في إستراتيجية الأمن القومي وفي خطاباتهم. ويعتقدون بأن القوة العسكرية هي جانب مهم من مكونات السياسة الأمريكية ويجب استخدامها

للإبقاء على تلك السياسة مؤثرة وفعالة. وهذا الموقف يختلف اختلافاً بيناً عن مواقف الحكومات الأمريكية السابقة. (...)

والجانب الآخر من مذهب بوش هو بعده العالمي، أي الفكرة القائلة بأن أمريكا يجب أن تكون قوة عالمية مهيمنة. في السابق كان لدينا سياسات إقليمية- سياسة الناتو الأوروبية، سياسة آسيا والمحيط الهادي، سياسة الشرق الأوسط- أما الآن فلدينا سياسة تدخل وهيمنة عالمية واحدة. وهذا هو جوهر مذهب بوش: على الولايات المتحدة أن تكون مستعدة للتغلب على أي منافس لها يمكن أن يظهر في أي مكان في العالم. يجب أن تملك القدرة على التحرك والمناورة من أي مكان في العالم. وهذه الأفكار واضحة تمام الوضوح في سياسة الأمن القومي وبإمكانك أن تشاهد خطط إعادة هيكلة ونشر القوات الأمريكية وإقامة القواعد الجديدة في وسط آسيا وإفريقية وجنوب شرق آسيا بهدف تمكين الجيوش الأمريكية من القيام بعملياتها العسكرية في أي مكان دون أن تكون مقيدة كما كانت خلال الحرب الباردة عندما كانت تعتمد على بنية تحتية عسكرية ضخمة في أوروبا والناتو وأخرى في اليابان. هذه القواعد العسكرية الكبيرة أصبحت في نظر هؤلاء عائقاً أمام استخدام أمريكا لقوتها العالمية، ومقيدة لحركتها ومرونتها. لذلك، بات من الضروري استبدالها بقواعد عسكرية أصغر حجماً ولكنها تنتشر في كل مكان في العالم كمربعات الشطرنج كي يتمكن البنتاغون من تحريك قواته بين عشية وضحاها من وإلى أي نقطة حول العالم بحسب ما ترى القيادة العليا أنه ضروري. وهذه الأفكار هي أيضاً تحول بعيد عن السياسات السابقة.

ست جالي: استخدم مصطلح "الإمبراطورية" على نطاق واسع في وصف انتشار وتعزيز القواعد الأمريكية، هل تعتقد أن هذا الوصف يصدق على ما يجري الآن؟

لا أعتقد أنه وصف صائب. وربما ينبعث رأيي هذا من دراستي للتاريخ. لقد كانت الإمبراطوريات في السابق تمارس سيطرتها الظاهرة على كل ما يحدث وبأدق التفاصيل في المناطق التي تدخل ضمن نفوذها الاستعماري، فقد كانت تعمل على تبديل المؤسسات، وفرض الثقافة واللغة. ولا أعتقد أن القائمين على الحكم في البيت الأبيض يسعون لتطبيق مثل هذا المشروع. إنهم يهتمون بالهيمنة الشاملة، وفي لعب دور شرطي العالم، واستخدام القوة حين الضرورة. وخلف ذلك، هناك إستراتيجية الشراسة والضراوة، وأنه ينبغي تأمين العالم من أجل الحصول على الثروات والموارد الطبيعية التي تحتاجها الولايات المتحدة وبخاصة النفط منها أينما وجدت. وما دامت الحكومات المحلية تتعاون في هذا المشروع، فإنه لا يهمنا الطريقة التي يديرون بها شؤونهم المحلية، ولا نهتم بفرض ثقافتنا عليهم. قد يحدث ذلك في نهاية المطاف، وقد لا يحدث. ولكنه ليس مطلوباً لذاته(*). وكل ما يريده هؤلاء هو وضع يدهم على موارد وثروات الدول الخاضعة للهيمنة وفتح الطريق أمام الشركات الأمريكية لممارسة نشاطها هناك. وبهذا المعنى يمكنك تسميتها بالمشروع الإمبريالي. ولكنه ليس كالإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية السالفتين.

ست جالي: هل تعتقد ان فوز جورج بوش بفترة حكم ثانية من شانه ان يجعل العالم عموماً والشعب الأمريكي خصوصاً اكثر اماناً من تهديد الإرهاب؟

(*) لا ينسجم هذا التحليل مع وجهة نظر المحافظين الجدد كما وردت في كتاباتهم حيث يدعون إلى التغيير الثقافي بالقوة في منطقة الشرق الأوسط لنشر ثقافة الديمقراطية والتعايش السلمي وتمكين دور المرأة في المجتمع وتعزيز دور الأقليات في الحكم ومحاربة المشاعر المعادية للسامية (اليهود) عن طريق الإصلاح الديمقراطي وتغيير المناهج الدراسية. ويستدلون على نجاح هذا الحل بما حدث في ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية وتحولها من دولة فاشية عدوانية معادية للسامية إلى دولة ديمقراطية.

في جعبة التاريخ الشيء الكثير لأخذ العبرة منه في هذا الصدد: فالإمبراطورية الرومانية كانت تتصرف بهذه الطريقة لوقت طويل جداً. وما من شك أن امتلاك القوة العسكرية من شأنه أن يردع بعض الناس عن ارتكاب أفعال كانوا سيقومون بها لولا هذا التهديد. لذلك يمكنك القول بأن القوة العسكرية لها بعض الفعالية. ولكن وفي الوقت نفسه، فإنها تذكي مشاعر العداوة والامتعاض لدى كثير من الشعوب المستاءة من السلوك الفظ والمتجبر للولايات المتحدة، وهذا بدوره سيدفعهم إلى البحث عن مواطن الخلل داخل الولايات المتحدة لتوجيه ضربة إليها، وهو ما يطلق عليه في الاصطلاح العسكري "الميزة غير المتكافئة". وتعني البحث عن مواطن الضعف التي يمكنهم من خلالها الانتقام من الولايات المتحدة بطرق غير تقليدية. إنني أخشى أن هذا الاستخدام الفظ والعاتي للقوة العسكرية سيعمل على دفع الآخرين إلى التفكير بوسائل تمكنهم من اختراق دفاعاتنا والتسبب في إحداث الدمار بطريقة أو بأخرى. وهذا الأمر يشكل خطراً كبيراً على البلاد. إن هذه الإستراتيجية قد تكون فعالة على المدى القريب في تحجيم وكبح جماح بعض الأعداء المحتملين، على افتراض أن إيران تعتبر مثالاً على ذلك، ولا أعتقد أن إيران ستقدم على فعل شيء بالمشاركة مع سوريا من شأنه أن يستفز الولايات المتحدة، لأنهما تخشيان أن ما حدث في العراق سيصيبهما. ولكن في الوقت نفسه، أعتقد أن هناك آخرين غيرهم في مناطق أخرى من العالم سيبحثون عن طرق للالتفاف على القوة الأمريكية وبوسائل غير تقليدية، وهذا من شأنه أن يكون أكثر خطورة في النهاية.

ست جالي: يرى بعض المراقبين أن دك تشيني هو الذي يحل ويربط داخل حكومة بوش، هل هو من المحافظين الجدد، أم انه رجل نفط من الطراز القديم؟

باعتقادي الشخصي أن دك تشيني هو أهم الأشخاص المسئولين عن صنع السياسية في حكومة بوش عدا عن الرئيس نفسه. إن دك تشيني هو الذي يتولى صنع القرارات المهمة في المسائل الاقتصادية والسياسة الخارجية. وعلينا أن نتذكر أنه كان وزيراً للدفاع في حكومة بوش الأول. ومدبر حرب الخليج الأولى (تحرير الكويت عام 1991). وعبر تشيني في ذلك الوقت وبكل وضوح أنه يتبع نموذجاً جيوبوليتيكاً في قضايا الأمن الأمريكي. وأن السياسات الإقليمية تعتبر أمراً مهماً وجوهرياً. إنه الشخص الذي قرر أن الولايات المتحدة يجب أن تتدخل في حرب الخليج الأولى (1991) بسبب تهديد تدفق النفط. وكان هو الشخص الذي دفع بذلك الاتجاه.

وأعتقد أن تقرير الطاقة الذي أعده تشيني وظهر عام 2001 يعكس شغفه بقضايا السياسات الجيوبوليتيكية التقليدية. الأرض، خطوط الملاحة البحرية، المصادر المهمة للإمدادات. وهذه تختلف عن أجندة المحافظين الجدد من عدة جوانب. وأعتقد أنه أقل اهتماماً بالأيديولوجية والسياسة، وأكثر تركيزاً على السلطة والقوة والسيطرة والثروة.

والآن، يمكن القول بأن حكومة بوش تتشكل من تحالف بين المنظور التقليدي الجيوبوليتيكي المحافظ الذي يسعى إلى إحكام السلطة، وبين المصالح الأيديولوجية للمحافظين الجدد. وتتقاطع مصالح الطرفين في أكثر من محور. كما حدث في العراق، حيث يتفق الطرفان على مزايا وفوائد احتلال العراق. ولكني لا أظن أن هذه المصالح ستبقى دائماً متوازية، فعلى سبيل المثال، ستجد اختلافاً في المواقف بخصوص آسيا. وأعتقد أن المحافظين الجدد هم أكثر تصلباً حول تايوان وملاحقة كوريا الشمالية. وفي نظري أن هذا مضر بالمصالح الاقتصادية الأمريكية على المدى البعيد. لذلك، فإن هذا النوع من التطرف والمغامرة تم استثناؤه من السياسات المتعلقة بآسيا. وهذا يوضح مدى تأثير تشيني في الحكومة.

ست جالي: ما هي المميزات المحددة لسياسة بوش/تشيني في مسألة الطاقة؟

علينا أن نأخذ بالحسبان أن دك تشيني عندما قام في فبراير من عام 2001 بوضع تقريره حول السياسة المستقبلية للطاقة في الولايات المتحدة في القرن الحادي والعشرين، كان من الواضح آنذاك أن البلاد تقف على مفترق طرق. وكان مفهوماً أن مواصلة السير في الطريق نفسه سيعني زيادة متصاعدة في اعتمادنا على المملكة العربية السعودية والخليج العربي، وبحر قزوين في تلبية احتياجاتنا المتزايدة من الطاقة. وهذا بدوره سيؤدي إلى مزيد من المغامرات العسكرية. إلا أن الناس كانوا يقولون في ذلك الوقت: هناك طرق أخرى لتطوير مصادر بديلة للطاقة وتقليل اعتمادنا على النفط، وزيادة فعالية محركات السيارات في التقليل من استهلاك البنزين، وتطوير الهيدروجين كمصدر بديل للوقود. لم تكن هذه الأفكار بالشيء الجديد في ذلك الوقت، وكانت هذه المقترحات معروضة، ويوجد من يناصرها. إلا أن دك تشيني وحلفاءه اختاروا السير في طريق استيراد المزيد من النفط الأجنبي، والمزيد من الإستراتيجية التقليدية للطاقة التي اتبعناها في السابق.

ومن هنا يمكننا أن نشاهد تأثير شركات النفط العملاقة لأننا نعلم ومن خلال سجلات اللجنة المسماة (مجموعة تطوير السياسة الوطنية للطاقة) وتعرف اختصارات (NEPDG) أن كل ما أجرته من اتصالات ومشاورات كان مع كبريات شركات الطاقة الأمريكية وبخاصة شركة إنرون(*) وهذه الشركات هي من

(*) أعلنت شركة إنرون، وهي سابع اكبر شركة في الولايات المتحدة، إفلاسها عام 2001 ويعد هذا الإفلاس الأكبر من نوعه في تاريخ الولايات المتحدة، وتم على إثره فتح تحقيق جنائي في ممارسات إدارة الشركة بالإضافة إلى شركة آرثر اندرسون التي كانت تتولى مسك ومراجعة حسابات إنرون. وتعد الفضيحة المالية لهذا الشركة من اكبر عمليات الاحتيال في تاريخ البلاد وبلغت خسائر المستثمرين والموظفين ومالكي الأسهم بالمليارات، علماً بأن إيراد الشركة بلغ 100 مليار دولار في العام وكان يعمل فيها اكثر من 20 الف موظف.

الممولين الرئيسيين لحملة الحزب الجمهوري في انتخابات عام 2000. وبالطبع فإن تشيني وبوش وغيرهم سيدعمون مواقف وتوصيات هذه الشركات، وكانوا يدركون أن أي تحوّل جذري نحو نظام بديل للطاقة سوف يكبد هذه الشركات خسائر كبيرة لأنه سيتحتم عليها تخصيص مبالغ ضخمة للاستثمار في تقنية بدائل الطاقة الآمنة والموائمة للبيئة: لذلك أقدم تشيني وحلفاؤه على ممارسة خيار مواصلة السير في درب الإدمان على النفط والاعتماد على البترول المستورد عن وعي وقصد. هذا هو أشد الجوانب الصارخة لممارسات هذه الحكومة وحرصها على الإبقاء على البنية التحتية الحالية للطاقة. وهذا الحرص لم يأت من انعدام في البدائل أو لنقصان في المعلومات أو الأفكار حول ما يتوجب فعله. فكل إنسان يعلم ما يجب علينا فعله. علينا القيام بتحول فوري وسريع عن الاعتماد على النفط والغاز الطبيعي كمصدر رئيس للطاقة، وأن نعمل بسرعة على تطوير البدائل التي ستكون مهمة في العشر أو العشرين سنة القادمة، عندما يزداد شح النفط والغاز الطبيعي ويتزايد خطر طاقة الكربون وآثاره المهلكة على البيئة إلى درجة لا يعود فيها مفر من القيام بهذا التحول.

إن ما فعلوه في هذا المجال- وهو في نظري جريمة من الجرائم التي اقترفوها بحق الأمة- هو أنهم دفعوا بهذا التحول الذي يعلم الجميع أننا يجب أن نباشر بتطبيقه بأسرع ما يمكن، دفعوه إلى المستقبل عندما تكون تكلفة تطبيقه وآلامه أكبر بكثير مما هي عليه الآن - وفوز بوش بولاية ثانية ستهوي بنا في هاوية نظام الطاقة القديم إلى أعمق مستوياته، وتجعل من الصعب التحرك إلى الأمام، في الوقت الذي بات فيه واضحاً ضرورة القيام بهذا التحول وبأسرع ما يمكن.

ست جالي: إذن، هناك حقاً فارق بين الديمقراطيين والجمهوريين؟

إننا لا نعلم على وجه التأكيد طبيعة السياسة المفضلة لدى بديل ديمقراطي عن بوش، لذلك لا يمكنني التكهن بما ستكون عليه الحال. إلا أنه يمكنني القول بأن فوز بوش بولاية ثانية للحكم سيعني الاستمرار في تطبيق السياسات التي

شـاهدنـاها حـتى الآن. ومـن وجـهـة نظري سنكون اقل امناً مما نحن عليـه الآن. وسيقـومون بذلك من جانبين. أولاً، عن طريق زيادة اعتمـادنا على النفط المستورد من منـاطق مضـطربة وخطرة مـثل: (...) آسـيـا الوسطى، ومنطقـة بحـر قـزوين، وإفريقية. وهم ملتزمـون بذلك حتمـاً. وهذا السعي وراء نفط هذه المناطق سيولد العداء والكراهية والإرهاب مرة أخرى ضد الولايات المتحدة. ومن المؤكد أن ذلك سـيـجـعلنا اقل امناً. ثانيـاً، يبـدو من الواضـح انهم عـاقـدون العـزم على تطبـيق إسـتراتيـجيـة التصرف الانفـرادي في الشؤون الدوليـة واستـخـدام القوة العسكرية من جـانب واحد، والتـخلي عن المؤسسـات الدولية، وعن حلفـائنا. وهذا بكل تأكيد يشكّل طامـة كبـرى على الولايات المتـحدة. إن بإمكانهم التظاهر بأننا نعـيش في عـالم لا قـيـمـة فـيـه إلا لما تفـعله أمـريكا، إلا أن أي شـخص لديه أدنى مـعـرفـة بالاقتصـاد الدولي والبيئة الدوليـة والقوى السياسية والاجتمـاعيـة المؤثرة عالمياً، وبالعولمة الاقتصـادية، يعلم تمام العلم أن الولايات المتـحدة لا تملك بمفـردها حل المشاكل التي تواجهها. وأنها بحـاجة إلى الحصول على تعاون ودعم الدول الأخرى في العـالم لكي تتصدى المشـاكل الكبيـرة التي ستواجـهـها. ومن شـأن التـصـرف بأسلوب أحادي إنفـرادي أن يسـتـعـدي حلفـاءنا، كـمـا أن إقـصـاء الدول الأخـرى سيعمل على زيادة عدد أعدائنا. إننا نقوض المؤسسات الدولية التي سنحـتاج إلى دعـمـهـا للـمـحـافظـة على مـصـالحنا الحـيـوية وحـمـايتـهـا في عـالم يـزداد تعـقـيـداً وخطورة. عـالم يشكل الإرهـاب فيـه عنصـراً واحـداً فقط مـن المشكلة، في حين أن التقهقر الاقتصـادي والهجـرة وتردي البيئـة وتنامي الجريمـة الدولية، كلهـا تشـكل جـزءاً من الشـبكة الأكبـر للمـخـاطر. وليس بوسـعنا أن نتـعـامل مع هذه المشـاكل والمخـاطر وحدنا. بل نحتـاج في ذلك إلى مسـاعـدة الدول الأخرى. وإسـتـراتيـجيـة بوش تعمل على إضعاف أمتنا بإقصاء تلك الدول وإبعادها عنا.

نورثمبتون- ماسيتشيوستس

12 يناير، 2004

المقدم المتقاعد كيرين كوايتكوسكي

تقاعدت كيرين مؤخراً من الخدمة الفعلية في سلاح الجو الأمريكي برتبة مقدم. وكان اخر منصب تقلدته هو ضابط الشؤون السياسة - العسكرية في دائرة سياسات جنوب الصحراء الكبرى وجنوب شرق آسيا والشرق الأدنى (NESA) في مكتب وزير الدفاع، وكيل وزارة الدفاع لشؤون السياسة. وخلال خدمتها في تلك الدائرة، عملت السيدة كوايتكوسكي في مكتب شمال إفريقية، وهو المكتب التوأم لمكتب الخطط الخاصة، وشاهدت بأم عينها طريقة وضع مسوغات الحرب على العراق داخل البنتاغون. ألفت كتابين حول القضايا الإفريقية، الأول: مبادرة التعامل مع الأزمات الإفريقية: الماضي والحاضر والمستقبل (معهد الجيش الأمريكي لحفظ السلام، 2000) و كتاب عمليات الاستطلاع الجوي في إفريقية: التحديات والحلول (مطبوعات جامعة سلاح الجو، 2001)، وتدرّس في جامعة ميرلاند، ونظام الجامعة الأمريكية العامة، ومحاضر غير متفرغ في العلوم السياسية في جامعة ماديسون. ولها مقالات دورية تنشر في موقع (LewRockwell.com)، ولها عدد من المقالات حول عملها في وزارة الدفاع نشرت مؤخراً في مجلة امريكان كونسيرفتف (الأمريكي المحافظ).

جيرمي إيرب: ما الذي شاهدتيه في البنتاغون وأثار اهتمامك لأول مرة؟

عندما انتقلت إلى دائرة جنوب شرق آسيا والشرق الأدنى في مايو من عام 2002. شاهدت بأم عيني ولأول مرة في حياتي عملية صنع السياسات في

البنتاغون كما كانت تحدث. كنت أعمل تحت إشراف وإدارة بل لوتي. والشخص الأعلى منه هو بالطبع دوغلاس فايث. وتفتحت عيناي على ما يحدث داخل البنتاغون فيما يخص رسم سياسات الشرق الأوسط والاهتمام المنصب عليها. في حين أنني عندما كنت في القسم المتخصص بشؤون جنوب الصحراء الإفريقية لم نكن نشاهد السيد فايث أبداً، ولم نتلق منه أي تكليف بأي مهمة على الإطلاق. كما لم يكن السيد تشيني يهتم بشؤون منطقة جنوب الصحراء الإفريقية. إلا أن الأمور اختلفت تماماً عندما انتقلت إلى مكتب جنوب شرق آسيا والشرق الأدنى.

لقد كنت في غاية الدهشة مما كنت أشاهد. ولما بحثت فيما كان يحدث وجدت أن جميع الأشخاص العاملين في تلك الدائرة هم من أصحاب توجهات سياسية معينة، وجميعهم تم تعينهم بناء على ميولهم السياسية، وكان تلك الدائرة تضم في جنباتها أكثر تركيز لفئة من المفكرين ذوي الميول السياسية المحددة من أي مكتب آخر في وزارة الدفاع. وبشكل عام تضم الحكومة في العادة تعيينات تغلب عليها الصبغة السياسية الحزبية في بعض المراكز والمناصب، إلا أن التركيز الذي أتحدث عنه هنا يخص الأيديولوجية السياسية للمحافظين الجدد فيما يتعلق بالسياسية الخارجية. لقد كان هؤلاء الأشخاص يعملون في البنتاغون ولديهم أجندة خاصة فيما يتعلق بالسياسة الخارجية، وكانوا جميعاً متمركزين في هذا المكتب بشكل ملحوظ جداً وغير عادي. طبعاً كانوا موجودين في أماكن أخرى، ولكنهم كانوا مسئولين في هذه الدائرة عن وضع سياسة البلاد، ومسئولين عن دعم ما أسميه حملة تضليل إعلامي من أجل إقناع الشعب الأمريكي بضرورة احتلال العراق. كان هذا الوضع قائماً قبل أن ألتحق بهذا القسم. وفي مايو من عام 2002 لم أعر هذا الأمر أي اهتمام، ولكن الأمور كانت تسير على هذا المنوال قبل ذلك بزمن. وقد بات معلوماً الآن أن قضية العراق ظهرت في مساء 11

سبتمبر. فقد كانوا يقولون، "كيف يمكن للبنتاغون ووزير الدفاع استخدام هذه المناسبة لاحتلال العراق؟" ولكنني لم أفطن إلى هذه المسألة إلا بعد أن بدأت أشاهد ذلك بأم عيني.

جيرمي إيرب: لماذا تسمين ما كان يحدث في مكتب شؤون الشرق الأدنى وجنوب شرق آسيا "بالتضليل الإعلامي"؟

كلمة التضليل الإعلامي كلمة قاسية وهي شيء تفعله الحكومات. لم يكن تحوير المعلومات لإكسابها التأييد الشعبي أو لتقديمها بصورة إيجابية بالأمر الغريب عني، إلا أن ما رأيته في مكتب شؤون الشرق الأدنى وجنوب شرق آسيا- وتحديداً مع بل لوتي وفي النهاية بعد إنشاء مكتب الخطط الخاصة تحت إدارة إبرام تشولسكي- ما رأيته هو برنامج مركز جداً في تطوير التضليل الإعلامي. كان الهدف من هذا التضليل هو إقناع الموظفين داخل البنتاغون وغيرهم في وزارة الخارجية والمسئولين في مجلس الأمن القومي والشعب الأمريكي بأن العراق كان متورطاً في أحداث 11 سبتمبر. وطبعاً اتضح لنا الآن، أن هذا الادعاء غير صحيح. إلا أن ذلك الادعاء كان واحداً من الرسائل التي تم تطويرها في ذلك المكتب. ومن الرسائل الإعلامية الأخرى القول بأن العراق كان يشكل تهديداً خطيراً بامتلاكه أسلحة دمار شامل، ليس على جيرانه والمنطقة وحسب، بل وعلى الولايات المتحدة الأمريكية.

ومن خلال عملي كمحللة سياسية وضابط في الجيش وهو ما فعلته على مدى سنوات عدة وحتى قبل ذلك، كان لدي إطلاع على المعلومات الإستخبارية وخبرة في التعامل معها، حتى عندما كنت في مكتب شؤون جنوب الصحراء الإفريقية كان يرد إلينا معلومات استخبارية عالمية. وفي عام 1991 أثناء المواجهة مع العراق ودخولنا جنوب الأراضي العراقية كان لدينا معلومات استخبارية عن ذلك البلد، واستمر تدفق المعلومات بعد ذلك، إلا أن ما شاهدته لم يكن يمثل

استخداماً للمعلومات الإستخبارية، ولكنه انتقاء مزاجي لأجزاء أو نتف من المعلومات الإستخبارية، أو أخذ النقاط الخاصة التي تدعم القصص والادعاءات الإخبارية التي تستخدم في التضليل الإعلامي.

جيرمي ايرب: هل لك أن توضحي لنا طبيعة مكتب خطط العمليات الخاصة، وأهمية التعليمات المكتوبة التي كان يصدرها وتمثل "نقاط الحديث الرئيسة" فيما يخص القضايا العامة؟

عندما تم نقل مكتب الخطط الخاصة في أغسطس من عام 2002 إلى مكان آخر خارج الدائرة التي كنت أعمل فيها، وتكليف إبرام تشولسكي بإدارته، كان من بين الأشياء التي زودونا بها قائمة تمثل "نقاط الحديث الرئيسة" لكي نوزعها على الضباط وكبار المسئولين المدنيين والعسكريين في البنتاغون وفي الحكومة واستخدامها في أي تقرير نرفعه في الشأن السياسي أو فيما يخص أي معلومات نقدمها للجهات العليا أو للزوار أو الضيوف أو أي شخص آخر. هذه النقاط الرئيسة للحديث كانت مستقاة من معلومات استخبارية. لقد كنت أطلع على المعلومات الإستخبارية المصنفة بالسرية على الأقل، ولم تكن نقاط الحديث الرئيسة التي توزع علينا مصنفة بأكثر من مستوى "سري". وبإمكانك أن تجد في ثناياها بعض أجزاء الحقيقة هنا وهناك. إلا أنها كانت مؤطرة وموضحة ومسبوكة بطريقة مصممة لإقناع أي شخص بالأشياء التي لم تكن حقيقية وخاصة فيما يتعلق بهجمات 11 سبتمبر، بأن القاعدة على ارتباط بصدام حسين - وهي من الأشياء التي أنكرها جورج بوش نفسه بعد عام من نشرها وتظاهر بالدهشة حين سمعها. والحقيقة أنني عملت في المكان الذي كان يركز على إصدار هذه الروايات والقصص وإقناع كل شخص يمكن إقناعه بها، والتأكد من استخدامها في كل مناسبة.

لقد كانت تأتينا أوامر محددة بإدراج هذه النقاط بشكلها الكامل في كل ورقة أو تقرير نصدره إلى الجهات العليا، وأن نعدها لمخاطبة الأشخاص من خارج البنتاغون. ومن الملفت للنظر حقاً أننا في البنتاغون من عسكريين ومدنيين، كنا نتعرض لعملية تضليل إعلامي وتحوير للمعلومات شأننا شأن المواطن الأمريكي العادي. وهذا هو السبب الذي دفعني إلى البحث والتقصي عما كان يجري من حولي. لقد تعلمت من خدمتي التي امتدت لعشرين عاماً في الجيش والحكومة، أن الحكومة بالطبع تقوم بوضع وجه إيجابي على ما تفعل، وأنها تحاول نفي أي تهمة عنها حتى آخر لحظة. وأنا أتفهم ذلك. لقد كان ذلك جزء من عملي، ولكنه كان موجهاً إلى الناس خارج الحكومة: دافعي الضرائب، المستهلكين، الإعلام، الخ. إلا أنه لم يسبق لي أن شاهدت مثل هذا التضليل الإعلامي والمعلومات الذي كان موجهاً داخل البنتاغون. وها قد شاهدنا كيف كان يوجه إلى كل شخص خارج تلك الدائرة الصغيرة من الناشطين السياسيين داخل البنتاغون.

جيرمي إيرب: ما هي طبيعة واصل هذه الحملة الإعلامية المضللة؟

كنت أرغب بمعرفة المزيد حول ما يجري، ورحت أبحث عن خلفية هؤلاء الأشخاص، قرأت كل ما وقعت عليه يدي عن ريتشارد بيرل. وفي ذلك الوقت كنت أعمل في البنتاغون، وكان بيرل يرأس مجلس سياسة الدفاع: وعلى الرغم من تنحيه عن رئاسة المجلس، إلا أنه ما يزال عضواً مؤثراً وفعالاً فيه. وقرأت كل ما استطعت الحصول عليه عن دوغلاس فايث، وكان يعمل قبل مجيئه إلى البنتاغون في مكتب فايث وزيل للمحاماة، وكان عميلهم الأجنبي الوحيد هو دولة إسرائيل. اطلعت على هذه الأمور وتساءلت في نفسي عن هؤلاء الأشخاص وعن أجندتهم. كانت أجندهم معلنة بشكل واسع. فقد شارك بيرل في كتابة تقرير عام 1996 بعنوان انطلاقة نظيفة(*): إستراتيجية جديدة لتأمين المنطقة، وهذه

Clean Break: A New Strategy for Securing the Realm (*)

الوثيقة ما زالت منشورة على الإنترنت. وقام بيرل وآخرون - بعضهم يعمل في البنتاغون وبعضهم تم تعينه في وزارة الخارجية- بوضع تلك الوثيقة لتكون إستراتيجية لحملة نتنياهو الانتخابية عام 1996. وإذا قرأت تلك الوثيقة ستجد أنها تنادي بتغيير النظام في العراق. وكان هذا عام 1996!

قد تكون تلك الإستراتيجية مناسبة لنتنياهو. ولكن ما علاقتنا نحن الأمريكان بذلك؟ والحقيقة أن هذا الأمر ما كان ليعنينا لولا أن الذين أعدوا تلك الإستراتيجيات وطورها وبحثوها وناقشوها ومحصّوها في بيئة اكاديمية- بيئة المنظرين والمفكرين - جرى غرسهم فجأة في البنتاغون. فلم يعودوا في بيئتهم الأكاديمية الفكرية: إنهم الآن في بيئة صنع القرار وسلطة التوجيه. ومن الواضح أن ما يفعلونه الآن في البنتاغون يعكس ما كانوا يدعون إليه في السابق عندما كانوا في الحقل الأكاديمي.

والمعلومات المتعلقة بأجندة المحافظين الجدد منشورة أمام الملأ. وتم التخطيط لها قبل أن يصل بوش إلى الحكم. وهذا من جانبه يفسر نجاح هذه الحكومة في توجيه الرأي العام الأمريكي، ونجاحها في وضع المحافظين الجدد في المراكز الحساسة، مراكز صنع القرار داخل البنتاغون، وفي وزارة الخارجية، وإلى حد ما في مجلس الأمن القومي، وبالتأكيد في مكتب نائب الرئيس. لقد كانت هذه الشبكة قائمة أثناء حكم كلينتون، وكان عمل هؤلاء الأشخاص منصباً على إصدار الوثائق والدراسات والتقارير الإستراتيجية.

ومشروع القرن الأمريكي الجديد هو منظمة أخرى تابعة لهم، وصدر عنها عدد كبير من التقارير والدراسات المنشورة. ولهم موقع على الإنترنت يمكن لأي شخص أن يتصفحه. وساهم دك تشيني ورمسفيلد وعدد من مفكري المحافظين الجدد في تطوير هذه المنظمة. وتم تأسيسها كمركز للأبحاث، وقام هذا المركز بتطوير إستراتيجية لزيادة وبسط القوة الأمريكية. ولو ألقينا نظرة على قائمة

الأشخاص الموقعين على الوثائق والتوصيات والتقارير الصادرة عن هذا المركز لوجدنا أسماء تشيني ورمسفيلد وولفوويتس، وبقية هذه العصبة.

ولما جاءوا مع بوش عام 2000، جاءوا كشبكة من الأشخاص الذين عملوا معاً. وهذا ليس بالضرورة شيئاً مستغرباً، فقد كانوا من الحزب الذي خرج من السلطة بفوز الديمقراطيين في عهد كلينتون، وبالطبع كانوا على اتصال ومخالطة في السنوات التي كانوا فيها خارج الحكومة. ومن هذا المنظور لا يوجد شيء غريب أو خطير في ذلك- باستثناء أن الأجندة التي يتبنوها كانت أجندة تقوم على الحرب، وتعتمد على الكذب والتضليل واختلاق القصص وتمييقها لإقناع الشعب الأمريكي بها.

جيرمي إيرب: ما هي العلاقة بين الحملات الإعلامية المضللة التي انتجت في البنتاغون وبين ما كان يصدر عن البيت الأبيض؟

في الوقت الذي كنت أعاين فيه "نقاط الحديث الرئيسة" التي وزعت علينا من قبل مكتب الخطط الخاصة، كنت أستمع فيه أيضاً لخطابات الرئيس بوش في مدينة سينسيناتي مثلاً، أو خطابات دك تشيني، والشيء الذي لفت انتباهي هو أن ما كنت أسمعه من خلال المذياع في خطابات الرئيس ونائبه هو بعينه ما كنت أقرؤه في الأوراق التي كانت أمامي، كلمة بكلمة. وهذا يعكس سيطرة سياسية كبيرة. وإذا كان لديك القدرة في جعل الجميع يسيرون على خط واحد فهذا أمر جيد، إلا أن ما كانوا يقولونه ويرددونه لم يكن صحيحاً. فقد كانت معلومات ملفقة ومزورة، ومحض أكاذيب، وقصصاً مختلقة. وما تردد على لسان الرئيس ولسان نائبه هو الشيء نفسه الذي كان يقدم إلينا كي نرفعه بدورنا إلى كبار المسئولين المدنيين في الحكومة ليرددوه بدورهم أمام وسائل الإعلام. وهذه المعلومات لم تكن مؤسسة على المعلومات الإستخبارية التي ترد إلينا، بل على قراءة انتقائية مزاجية لهذه المعلومات بعد إعادة صياغتها ووضعها في قالب

ابتكاري لتعزز القضيتين الكبريين اللتين استخدمهما الرئيس ونائبه وسائر المحافظين الجدد في تسويغ الحرب الوقائية على العراق، وهما: أن صدام حسين يمتلك أسلحة دمار شامل وأنه على وشك استخدمها ضد الولايات المتحدة، والثانية أنه يتعاون مع الإرهابيين وربما أنه كان وراء هجمات 11 سبتمبر.

وبالطبع هم ينكرون ذلك الآن، إلا أن تلك الحجج كانت -بكل تأكيد- هي الأسطوانة التي رددوها أمام الشعب الأمريكي، وداخل البنتاغون أمام الموظفين "غير الثقات"، وهذا الوصف يطلق على الموظفين الذين ليس لهم ولاءات حزبية سياسية، ولا تتغير مناصبهم بتغير الحزب الذي يقود الحكومة. فقيادة الأركان المشتركة مليئة بالجنرالات وأمراء البحر والموظفين العسكريين والمدنيين، ولا يوجد فيها تعيينات سياسية بقدر ما هو موجود في مكتب وزير الدفاع، لذلك كانت قيادة الأركان المشتركة من الهيئات غير الموثوق بها، ولا يمكن الاطمئنان إلى أن ما سيصدر عنهم من تصريحات سيوافق ما تريده الحكومة، لذلك جرى إخضاعهم لحملة التضليل الإعلامي معنا.

جيرمي إيرب: برأيك، ما هي الرؤية الأيديولوجية التي تقف وراء هذه الحملة الإعلامية؟ وهل تشعرين أن هذه الرؤية صبغت نظرتهم لما سيتمخض عنه احتلال العراق؟

يوجد لدى المحافظين الجدد أجندة سياسية فيما يتعلق بالسياسة الخارجية. وما برحوا يعكفون على هذه السياسية ويكتبون عنها منذ سنين عدة. وتعكس هذه السياسية نظرتهم للقوة الأمريكية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة. ولم يسموها في ذلك الوقت "إمبراطورية"، ولكنهم وضعوا وصفاً لما يتحتم على الولايات المتحدة فعله في المجتمع الدولي. وتم وضع هؤلاء الأشخاص في مواقعهم الحساسة قبل 11 سبتمبر بوقت طويل. ولما وقعت هجمات 11 سبتمبر، تم تفعيل جورج بوش. وفرض الموقف على الولايات المتحدة أن تفعل شيئاً، فكان

مستشاروه من المحافظين الجدد في أماكنهم يوجهونه فيما يفعل. ولهذا السبب جرى طرح مسألة احتلال العراق في 12 سبتمبر أو ربما مساء 11 سبتمبر من عام 2001.

كانوا يسعون إلى استغلال ما حدث في اتخاذ خطوات نحو خلع صدام حسين الذي لم نعد نحبه. بعد أن كنا نحبه في السابق- فقد وضعناه في الحكم، وقدمنا له الدعم على مدى سنين طويلة. ولكننا الآن لا نحبه: وشعر المحافظون الجدد أنه قد حان الوقت لإزالته من الحكم. وما إن دخل عام 2002 حتى بدأت الحملات الإعلامية التي تدفع بهذا الاتجاه، وباع بوش ضميره بتعمده الكذب أمام الشعب الأمريكي، وباع دك تشيني ضميره بكذبه على الشعب الأمريكي، وتوجهنا إلى الحرب.

لم يقم القسم الخاص برسم السياسية في البنتاغون بمهمته على الوجه المطلوب فيما يخص التخطيط لما بعد الحرب، لأن القائمين على هذا القسم كانوا يعتبرون الأشخاص الذين أبدوا شكوكاً حول سهولة الحملة العسكرية مثل الجنرال زيني وغيره من أعضاء قيادة الأركان المشتركة، من الأعداء. فكل الذين قالوا بأننا ربما نواجه مشاكل في ظل تنامي المشاعر الوطنية لدى العراقيين، ومشاكل مع الجيش إذا لم نجمعهم كأسرى حرب، وهم طلقاء الآن، ومشاكل مع حزب البعث إذا أعاد ترتيب صفوفه- هذه المقترحات لهذه الاحتمالات التي جاءت نتيجة الخبرة الميدانية لهؤلاء الضباط في أماكن مثل الصومال- كان ينظر إليهم في مرحلة التخطيط للحرب على أنهم أعداء. وكل من يقول بأن هذه الحرب لن تكون نزهة سهلة فإنه يشكل عقبة في خطة الرئيس بوش للحرب الوقائية، لأن هذه الحرب الوقائية لا تقوم على وجود هذا الخطر العظيم المحتمل القادم من الإرهاب وأسلحة الدمار الشامل وحسب، بل وعلى إمكانية النجاح في هذه الحرب بتكلفة بسيطة. وكان ذلك جزء من الحجة التي سيقت لإقناع الرأي العام الأمريكي بهذه المغامرة.

وأي شخص كان يقول بأن هذه الحرب قد لا تكون قليلة التكلفة فإنه بذلك يناقض الحملة الإعلامية. ولذلك لا يسمع كلامه ولا يعطى متسعاً للحديث. وبالطبع كان الجنرال زيني محقاً. وكل من كان يتفق معه في الراي كان محقاً. ولذلك بدأ بوش عام 20003 ينظر حوله قائلاً " ما الذي يجري. أعتقد أنكم قلتم لي بأننا سنستقبل بالورود والحلوى". وجورج بوش باعترافه الشخصي شخص قليل القراءة. وقليل السفر إلى الخارج. وليس لديه أي خبرة في السياسة الخارجية؛ واقتصرت خبرته في العمل السياسي على الشؤون المحلية. وأعتقد أن بوش كان مندهشاً بعض الشيء. فهو يفتقر إلى الخبرة العسكرية. ولا يمكنك تعلم الكثير من الخدمة في إذا كنت تتغيب عن وظيفتك في الحرس الوطني في تكساس]أثناء الخدمة العسكرية الإلزامية .[وأظن أنه تفاجأ بعض الشيء من أن مستشاريه - وأغلبهم من المحافظين الجدد الذين كانوا سعداء باحتلال العراق- كانوا على خطأ.

جيرمي إيرب: هل تعتقدين أن قلة عدد المحافظين الجدد الذين خدموا في الجيش له علاقة بما نراه يحدث في العراق اليوم؟

ما من شك أن للخبرة العسكرية دورها. لأن الخدمة في الجيش تكسبك أشياء كثيرة. وصحيح أن الجيش فيه جوانب سلبية كالغلو والتشدد في البيروقراطية على سبيل المثال. إلا أننا في الجيش نمارس ونتدرب تدريباً عملياً ما نقوم به. ونكتب مقالات حول ما سنتدرب عليه. نقوم بالتمارين والتدريبات. وما نفعله يشبه لعبة كرة القدم الأمريكية. كنا نضع الخطة. نتدرب عليها. ثم نتوجه إلى الملعب وفق الخطة الموضوعة. وبعد انتهاء المباراة. نجتمع في غرفة الاستراحة. فإن خسرنا. سيصرخ المدرب في وجوهنا موبخاً. وإذا فشل الظهير الخلفي في التصدي لبعض الهجمات فإنه سيلقى نصيبه هو الآخر من التوبيخ والصراخ. ولا يهم إن كان هو قائد الفريق. ولا يهم إن كان أفضل لاعب في

الفريق: إذا أخطأ في اللعب فسوف يوبخ. والجيش هو مثل ممارسة الرياضة من حيث إنه يتطلب من الفرد الذي ينتمي إليه أن يتمتع بالقدرة على تحمل المسؤولية وتقبل اللوم من أجل مصلحة الفريق: فأنت تعاين الخطأ الذي ارتكبته وتحاول أن يكون أداؤك أفضل في المرة القادمة.

في الجيش، لدينا دروس نتعلم منها، ونتعرض لما يطلق عليه "الغسيل الساخن"(*). هناك شيء نكتسبه من ذلك. ولا أحد في الحكومة اليوم من الذين يصنعون هذه القرارات يفهم ذلك: لذلك فإن ما يحدث هو أنهم يدمجون أداءهم بشخصيتهم: ويصبح القرار جزءاً من شخصيتهم ومن قيمهم كأشخاص. لذلك فهم لا يحبون سماع النقد، ويترددون في قبول حقيقة أنهم ارتكبوا أخطاء. ففي العراق، ارتكب المخططون الأمريكيون أخطاءً فادحة. هل أدى الجيش مهمته على الوجه المطلوب؟ لقد قامت القيادة المركزية للجيش بمهمتها بشكل جيد، بل وأكثر، فقد تجنبوا الوقوع في أخطاء لم تكن في حسبان المخططين الذين قاموا بعملهم على أسوأ وجه في التحضير لما ستكون عليه الحال في اليوم التالي، أو الأسبوع التالي. والجنود يعلمون كيف يؤدون مهمتهم. وقاموا بها بشكل جيد. أما الجانب الذي ظهر فيه الفشل فقد كان في الجزء المتعلق بالأجندة، وهي أجندة باطلة.

ليس للإمبريالية الأمريكية مكان في تقاليدنا. كنا إمبرياليين في السابق، ولكن ذلك كان شذوذاً وانحرافاً في حق هذا البلد. إن السعي نحو الإمبراطورية الأمريكية - وتحديداً الإمبراطورية العسكرية، وهي ما يسعى إليه المحافظون الجدد ويرون فيها مستقبل أمريكا- ليس من التقاليد الأمريكية، وهذا هو الخطأ الأول. ومحاولة فعل شيء لا تريده غالبية الشعب الأمريكي هو الخطأ الثاني. ولو مر هؤلاء بتجربة "الغسيل الساخن" بعد المباراة، لكان أمامهم فرصة مناقشة ذلك بطريقة لا تشوه ولا تنقص من قدرنا كآدميين. ويمكننا أن نقول للأشخاص

(*) كناية عما يلقاه اللاعبون من مواجهة حازمة وقاسية من المدرب وتوبيخه لهم على أخطائهم.

الذين يروجون هذه الأجندة "أنظروا!، لقد ارتكبتم خطأ، ولن نسمح بتكرار ذلك الخطأ في المرة القادمة." إلا أن هذه المجموعة تفتقر إلى مثل تلك التجربة والخبرة.

إننا نسميهم "صقور الدجاج" لأنه لم يسبق لأي أحد منهم أن خدم في الجيش- لم يرتدوا قط الزي العسكري، وكلهم لديهم أعمالهم الأخرى. وليس من أبنائهم من يخدم في الجيش، إذن، فنحن أمام صقور دجاج مضاعفة، لأن ابنتي جورج بوش لا ترديان الزي العسكري. وإنه لمن المضحك أن تسمعه يقول: "كما تعلمون، فإن ابنتي هما في عمر جيسكا لينش". نعم هذا صحيح، ولكن هناك فوارق كبيرة: جيسكا لينش ارتدت زي الجيش، وفعلت ما طلب منها.

أعتقد أن الأمر لا يقتصر على انعدام الخبرة العسكرية فقط، بل يتعداه إلى نقص الخبرة الرياضية. ورب قائل يقول بأن جورج بوش ودك تشيني ورمسفيلد مارسوا رياضة المصارعة في شبابهم. نعم، ولكن تلك رياضة فردية. وما يفتقرون إليه هو رياضة الفريق. في الرياضة التي تمارس من خلال الفريق ويسمح لك بارتكاب الأخطاء؛ ويسمح لك بتلقي النقد والتوبيخ أمام الفريق والعودة في اليوم التالي مدركاً أنك لاعب جيد ولكنك ارتكبت خطأ فادحاً، وبإمكانك تقبل مثل هذا النقد.

هناك كتاب نشر في بداية التسعينيات، وهو كتاب حول الإدارة للنساء، عنوانه: "كرة قاسية(*) للنساء" ويستخدم الكتاب على نطاق واسع أمثلة مستقاة من أوضاع الفريق الرياضي كوسيلة توضح للنساء العاملات في الإدارة كيفية

(*) هناك نوعان من رياضة البيسبول الأمريكية: نوع يستخدم كرة قاسية وهو الأصل في هذه اللعبة، وهناك نوع آخر معدل من اللعبة يستخدم كرة لينة أكبر حجماً تقام على ملعب أصغر حجماً. وقد شاع استخدام التسمية الأولى (hard ball) في عالم الإدارة للدلالة على الحزم وعدم المهادنة وهو المعنى المقصود من عنوان هذا الكتاب كما هو موضح في المتن.

تعامل الرجال- أي الرجال العاديين- مع صنع القرارات الإدارية وكيفية متابعتها وتنفيذها. ومن الأشياء التي يشير إليها الكتاب هو أن النساء في السبعينيات والثمانينيات وأوائل التسعينيات، لم يكن أمامهن سوى فرص قليلة لممارسة رياضة الفريق على العكس من حالهن اليوم. لذلك حرمت النساء في تلك الفترة من الميزة التي كانت متوفرة للرجال لافتقارهن إلى الخبرة التي يكتسبها الشخص من اللعب ضمن فريق، وتعرضه للنقد حين يخطئ. وينطبق هذا التشخيص على المحافظين الجدد - ولاحظ قلة العنصر النسائي في صفوفهم- ولذلك تجدهم شديدي الحساسية تجاه أي نقد يوجه إليهم. وما تزال أمامهم- وولفوويتس حتى هذه اللحظة، ودوغلاس فايث، تحديداً، وبالطبع بل لوتي، ودك تشيني، الذي يعاني من حالة نكران شاملة- ما زال أمامهم الاعتراف بأبسط الأخطاء. وريتشارد بيرل هو الآخر لم يسبق له أن لعب ضمن فريق رياضي. هل تعلم ما هو رد بيرل على من يوجه إليه انتقاداً؟ يرد عليه بالقول: "ليس لديك ما يكفي من العلم لتوجه لي النقد. إنك لست بمستوى ذكائي ولذلك فأنت لا تفهم ما نعمل. لقد قمنا بالعمل الصحيح ولكن التنفيذ كان سيئاً". فهو دائماً يقدم الأعذار.

وحقيقة الأمر أن كل خطأ اقترفه يعود إلى ما قبل ظهور مبدأ الحرب الوقائية. وهو ليس بمذهب، وبالتأكيد أن العمل به لن يستمر بعد جورج بوش. لقد كان العمل بهذا المبدأ خطأً فادحاً بكل تأكيد. وليس له أساس من الناحية التاريخية. والخطأ الآخر هو الكذب المتعمد على الشعب الأمريكي طيلة عام 2002، والتصرف وكأننا سننتصر في هذه الحرب بدون تكاليف، وخلق كل هذه التوقعات الكاذبة حول استقبال العراقيين لنا كأبطال محررين، في حين أننا نشاهد الوضع الآن يتحول من سيء إلى أسوأ بمرور الوقت. وهذه الأمور كلها هي نتيجة أخطاء كل من دك تشيني وجورج بوش ورمسفيلد وولفوويتس

ودوغلاس فايث وبل لوتي، وآبي شولسكي، وريتشارد بيرل، ومجلس سياسة الدفاع - ومع ذلك ليس لدى أي واحد منهم أدنى استعداد للاعتراف بالخطأ. واعتقد انهم يخشون من الاعتراف بالخطأ بسبب افتقارهم في تكوينهم الشخصي إلى الخبرة العسكرية والتجربة الرياضية في العمل ضمن فريق، وإلى خشيتهم من أن اعترافهم الشخصي بالخطأ يمثل ضربة قاضية لسمعتهم وذاتهم. وهو أمر مخيف بالنسبة لهم.

جيرمي إيرب: تأسيساً على خبرتك في التعامل مع هؤلاء الناس، هل تعتقدين ان المحافظين الجدد يؤمنون حقاً بما يتحدثون عنه من نشر الديمقراطية في العراق؟ ام ان ذلك هو واجهة تخفي وراءها شيئاً أخر؟

يعمل بول(*) بريمر في العراق من أجل نقل السلطة إلى الفئات العراقية التي نميل إليها. وهو يحاول جاهداً أن يظهر للعالم الخارجي أننا نعمل على نقل السلطة إلى كل العراقيين. وبالتأكيد اننا لا نستطيع فعل ذلك لأنه لو وجدت ديمقراطية حقيقية في العراق فإنها على الأغلب ستعمل على التخلص من قواعدنا العسكرية ومن وجودنا العسكري هناك. وهي السبب وراء خوضنا تلك الحرب. فهناك سبب إستراتيجي عسكري من احتلال العراق. ولدينا أربع قواعد عسكرية كبيرة في العراق بالإضافة إلى أعداد كبيرة أخرى من القواعد الصغيرة، وهذه القواعد المقصود منها أن تبقى قائمة هناك. والحكومة الجديدة التي يعمل بول بريمر على إقامتها في العراق تقوم على المركزية من الأعلى إلى الأسفل، وهو بذلك يكون قد سبق بيروقراطية حزب البعث بأشواط في ترسيخ السيطرة الحكومية المركزية. ولسان حاله يقول: أنا أصدر الأوامر فيما يجب

(*) هذا الاسم بالعربية هو بولس (عن اليونانية) وأصله من العبرية "شاول". واخترنا التسمية التي درجت في الصحافة العربية منعاً للالتباس.

فعله، وعليكم التنفيذ، ولا مجال لأي نقاش، ولا محل للسوق الحرة هنا". فهو متناسق مع أجندة حزب البعث. ويسوس العراق على طريقة حكم الأحزاب الشيوعية. وهي طريقة غير فعالة.

إلا أن ما يحاولون فعله هو خلق عراق صديق للولايات المتحدة، وليس عراقاً محرراً - فتحرير العراق هو محض تلفيق. لأن الولايات المتحدة لم نكن في يوم من الأيام ترغب في تحرير شعب العراق. بل أردنا تحرير العراق من صدام حسين لإقامة قواعدنا العسكرية فيه. فالولايات المتحدة كانت تسعى جاهدة لنقل قواعدها العسكرية من المملكة العربية السعودية. ونجحنا في ذلك الآن. ولدينا الآن قواعد في الكويت، ويتمركز الأسطول الخامس في البحرين، ولدينا قاعدة ممتازة في قطر. وباستطاعتنا ضرب سوريا، وضرب إيران، والسيطرة على الوضع في أفغانستان. هذه هي بعض الأشياء التي يمكننا القيام بها الآن.

وأي تصور لعراق مستقل- هذا إن صح استخدام وصف مستقل- ينبغي أن يأخذ بالاعتبار بقاء القواعد العسكرية الأمريكية. وستبقى هذه القواعد في العراق لضمان أمن البلاد بغض النظر عمن يحكم البلاد، ولدينا مصلحة كبيرة في تحديد من يمسك بزمام الأمور فيها. وهذا يتناقض مع الديمقراطية ويتناقض مع التحرير، ولكنها جزء من خطة ريتشارد بيرل الإستراتيجية التي صدرت عام 1996 (لبنيامين نتنياهو)، وهي أيضاً جزء من أجندة مشروع القرن الأمريكي الجديد. ولم يكن لها علاقة في يوم من الأيام بكون صدام حسين حاكما سيئا لأنه استخدم الغاز السام ضد الأكراد عندما كان حليفاً لنا عام 1988، بل كان يتعلق بحاجتنا لإقامة قواعد عسكرية هناك، وحاجتنا إلى حكومة صديقة في بغداد. هذا هو ما كنا نسعى إلى تحقيقه.

ولو نظرت إلى ما كتبه المحافظون الجدد قبل وصول جورج بوش إلى الحكم، فستجد أن هذا كله موجود في خطتهم. ولما وصلوا إلى السلطة مرة أخرى، قاموا

بتنفيذ تلك الخطة دون تغيير مستخدمين المكر والخديعة والتضليل الإعلامي، والتحايل والمناورات السياسية. ولم يفعلوا لك بأمانة وشرف. بل نفذوا برامجهم بأغلى ثمن من المال والأرواح البشرية، ومن جيب هذا البلد، وبأرواح أبنائنا وأرواح العراقيين. وعلى حساب تلويث سمعتنا في المجتمع الدولي. وهناك خسائر أخرى، ولكنهم مع ذلك نجحوا في فعلتهم.

جيرمي إيرب: اين تقع افغانستان في هذا السيناريو؟

هناك جانب كبير آخر لما تسعى الولايات المتحدة إلى تحقيقه في الشرق الأوسط، وهذا يشمل أفغانستان. وهو جانب يتعلق بالسيطرة على المصادر والثروات الطبيعية في المنطقة، وهذا الهدف يشكل جزءاً من الأجندة الأمريكية منذ عقود وليست بالضرورة شيئاً جديداً. في السابق، كانت الولايات المتحدة تضع الأشخاص الموالين لها في الحكم. كما فعلنا مع صدام حسين عندما وضعناه في السلطة. لقد ساعدنا صدام حسين في الوصول إلى الحكم وكان حليفاً لنا. وكان هذا الأسلوب ناجحاً إلى حد كبير. إلا أن المحافظين الجدد أكثر عدوانية في هذا المجال. والمسألة من وجهة نظرهم لا تتعلق بالسياسة فقط، بل ترتبط بالإستراتيجية، والإستراتيجية والأمن يرتبطان بالموارد الطبيعية، وبخاصة بالنسبة لبلد مستهلك للطاقة كالولايات المتحدة.

والمسألة الأفغانية هي أكثر تعقيداً وقبحاً نوعاً ما. لقد جرى تحميل أسامة بن لادن المسؤولية عن أحداث 11 سبتمبر، وهو يتلقى الدعم من طالبان، مع أن العكس هو الصحيح: فقد كان الدعم الذي يقدمه ابن لادن لطالبان يفوق دعم طالبان له. ولكن مع ذلك كان هناك علاقة تواميه بين مجموعة أسامة بن لادن وبين طالبان التي كانت تحكم أفغانستان. وعقب 11 سبتمبر، كانت الحملة على أفغانستان التي أعلن عنها آنذاك بأنها من أجل تعقب ابن لادن والقبض عليه، تحظى بتأييد شعبي واسع. وكانت تشكل في نظر معظم الناس خطوة حازمة من

قبل جورج بوش. وكانت تحظى بتأييد شعبي واسع حتى من الأشخاص الذين يعارضون الحرب على العراق لأن احتلال أفغانستان كان وراءه بعض المستند المنطقي.

إلا أن الشيء المثير للدهشة حول أفغانستان. ومرة أخرى هذا ليس من الأسرار، والمعلومات متاحة ومتوفرة لمن يوجد لديه حب الإطلاع- هو أن خطة احتلال أفغانستان كانت موضوعة قبل 11 سبتمبر. وعلى الأقل قبل يونيو من عام 2001. كانت خطة احتلال أفغانستان جاهزة للتنفيذ، وكانت الولايات المتحدة تنوي الإطاحة بحكومة طالبان وتنصيب حاكم عميل لها في كابول. والسؤال هو لماذا؟

في السابق، كنا متحالفين مع طالبان من أكثر من جانب: وكنا نتعاون معهم ونقدم لهم الدعم عندما أخرجوا السوفييت من أفغانستان(*). إضافة إلى ذلك تتبنى طالبان نهجاً إسلامياً تقليدياً متشدداً، ولكنهم كانوا ضد الشيوعية. ولهذا السبب وقفنا إلى جانبهم. إلا أنه تبين لنا ضرورة التخلص منهم بعد أن تحققت أهدافنا بإلحاق الهزيمة بالسوفييت. ولأنهم ومنذ عام 1996 أو 1997، عجزوا عن توفير الأمن والحماية لبعض مشاريع مد أنابيب النفط والغاز الطبيعي التي تمر عبر الشمال الشرقي للبلاد إلى باكستان ثم تتفرع من هناك.

وهذا المشروع له شقان: حيث كانت باكستان تشكل المنفذ لهذا النفط والغاز الطبيعي إلى العالم الخارجي. ومن جهة أخرى هناك أنبوب يمتد عبر الهند إلى مدينة تضم محطة ضخمة لتوليد الكهرباء شاءت الأقدار أن تعود ملكيتها لشركة إنرون. وجرى تمويل هذا المشروع من قبل البنك الدولي والحكومة الهندية. وهذه

(*) من الواضح أن المتحدثة في هذه المقابلة تقصد الجماعات الإسلامية في أفغانستان بشكل عام وطالبان واحدة منها. لأن طالبان لم تكن موجودة أثناء الغزو السوفييتي. وإنما ظهرت عقب الحرب الأهلية الطاحنة التي دارت رحاها بعد انسحاب السوفييت من البلاد.

المحطة لا تعمل الآن لأن الوقود الذي كان من المفروض أن يزودها بطاقة التشغيل لم يصل إليها. وتعثر المشروع بسبب الهواجس الأمنية في افغانستان. وعلى الرغم من سيطرة طالبان على الحكم على مدى ست سنوات إلا أنهم لم ينجحوا في إحكام قبضتهم على البلاد.

وكانت تواجههم عقبات ومشاكل في توفير الأمن. ونظراً لعجزهم عن إحداث أي تقدم في هذا المجال، انسحبت شركة يونوكال وهي الممول الرئيسي للمشروع، وهي شركة أمريكية تعمل في نشاط النفط والغاز الطبيعي. وتضم حكومة بوش الحالية عدداً كبيراً من الموظفين السابقين في يونوكال. ومن بين الأسماء المعروفة: حامد كرازاي، الرئيس الأفغاني الجديد. وكان يعمل مستشاراً لدى تلك الشركة. ومنهم أيضاً زالماي خليل زاد الذي يشغل منصب السفير الأمريكي في افغانستان، وكان قبل ذلك يعمل بمنصب المبعوث الأمريكي إلى المنطقة. وأصبح الآن من الشخصيات المهمة في حكومة بوش (وهو عضو مؤسس في مشروع القرن الأمريكي الجديد). إذن، لدينا موظفان سابقان في يونوكال يتمركزان في كابول كحليفين للولايات المتحدة. والأدهى من ذلك أن أول شيء فعله حامد كرازاي عندما تسلم السلطة - أي عندما وضع في الحكم يرافقه طاقم أمريكي من الحرس الشخصي- هو دعوة الدول المشاركة في مشروع أنبوب النفط الذي يمر عبر أفغانستان لاستئناف العمل به.

لم أطلع منذ وقت طويل على خارطة لقواعدنا العسكرية حول العالم. ولكنني شاهدت خارطة لمشروع خط أنابيب النفط المقترح إنشاؤه والذي يمر عبر شمال شرقي أفغانستان. ثم وقعت عيناي على خارطة حديثة لقواعدنا العسكرية قبل شهور، فوجدها مطابقة لخارطة مشروع أنابيب النفط، حيث تمتد القواعد العسكرية وخطوط الإمداد ومراكز القواعد الخاصة على طول المشروع. فقد تم إقامة القواعد العسكرية هناك لحل المشكلة التي عجزت طالبان عن حلها. لم

تستطع طالبان تأمين الأمن والحماية في ذلك الجزء من أفغانستان. وهو الجزء الذي يضم قواعدنا العسكرية هناك. وتتمتع المناطق المحيطة بتلك القواعد العسكرية ببعض الأمن. وبالطبع ما زالت تلك القواعد تتعرض بين الحين والآخر للقصف بقذائف الهاون لأننا هدف طبيعي لها، ولكن بشكل عام هناك محيط آمن حول تلك القواعد.

إذن، فما علاقة أسامة بن لادن بهذا كله؟ ليس لابن لادن شأن في ذلك. ولها كل العلاقة بالخطة الأبعد، وهي في هذه الحالة إستراتيجية ليس بالضرورة أن تنتمي إلى المحافظين الجدد، ولكنها تتفق بشكل كامل مع أجندة المحافظين الجدد. إنها أيديولوجية تقول بأنه إذا كان لديك قوة عسكرية، فأنت بحاجة إلى نشر تلك القوة العسكرية لتحصيل ما تريد، ولأن احتياجات بلدك كبيرة وجسيمة. إنها فكرة التصرف الانفرادي، واستخدام القوة لتحقيق أهدافك.

جيرمي إيرب: هل لك أن تلقي المزيد من الضوء على النزعة الانفرادية في تفكير المحافظين الجدد؟ ما هي أوجه اختلافهم مع النزعة الواقعية في السياسة الخارجية المتمثلة برفضهم قيم، او على الأقل الفوائد البراغماتية، للقانون الدولي العام؟

المحافظون الجدد لا يولون القانون الدولي أي اعتبار، ولعل هذا يعود إلى افتقارهم إلى الخدمة في الجيش، ولأنهم لا يؤمنون بمبدأ الدولية أصلاً. فهم لا يعترفون بمبدأ المعاملة بالمثل. والمعاملة بالمثل تطبق في المعاملات التجارية في السوق الحرة. وهي أساس السوق الحرة العالمية أو أي سوق حرة. وهي ممارسات محددة في السلوك تجعل من السهل التنبؤ بسلوك الأطراف والتقليل من عنصر المفاجأة وعدم التيقن في العلاقات الدولية، سواء بين الدول أو بين المنظمات أو بين الأفراد. كيف سأعرف أنني إذا أعطيتك خمسة دولارات فإنك ستقدم لي بضاعة بقيمة خمسة دولارات؟ سأبقى في دائرة التخمين إذا لم أكن

أعرفك من قبل، ولم يسبق لي أن تعاملت معك من قبل. ولكنني إذا كنت مطمئناً أنني وإياك نلتزم بمعايير محددة تقضي بأنه إذا أعطاك شخص خمسة دولارات فإن واجبك أن تعطيه بضاعة بقيمة خمسة دولارات، فإنني أستطيع التعامل معك. وهذا هو أساس التجارة الحرة، وأساس الدبلوماسية، وأساس العلاقات الدولية.

والمحافظون الجدد يسقطون من حساباتهم مبدأ الدولية، لأنهم فشلوا في فهم السوق. فهم ليسوا علماء اقتصاد. ولا يمكنك أن تجد عالم اقتصاد ينتمي إلى مذهب المحافظين الجدد. ومعظم المحافظين الجدد لا يولون سوى اهتمام ضئيل لهيكل علاقات السوق. ولا يفقهون فيها شيئاً. ولهذا السبب هم يتجاهلون مبدأ الدولية، ويسقطون من حساباتهم مبدأ المعاملة بالمثل.

وعلى صعيد الأمن والسلوك، ولأنه لم يسبق لهم الخدمة في الجيش، فإنهم يسقطون أيضاً فكرة وجود أعراف وقواعد تحكم الحرب. ويسقطون من حسابهم فكرة الحرب العادلة. والحرب العادلة هي أي حرب يقررون هم أنها عادلة. هذا ما يفضلونه. ولأنه لم يسبق لأي واحد منهم أن وقع أسيراً في الحرب، ومن المستبعد أن يقع أي منهم أسيراً في أي حرب قادمة، فإنهم يتجاهلون تماماً اتفاقيات جنيف في معاملة أسرى الحرب. وكما نعلم بأن هذه الاتفاقيات وضعت لمنع تكرار الفظائع التي حدثت لأسرى الحرب خلال الحروب وبخاصة ما حدث في الحربين العالميتين الأولى والثانية. فالدولة (أ) ستمتنع عن إساءة معاملة أسرى الدولة (ب) مقابل امتناع الدولة ب عن الإساءة إلى أسرى الدولة (أ). إلا أن هذه الحكومة تجهل حقيقة مبدأ الدولية، وهم لا يرون فيه سوى الجوانب السلبية، ويقولون بأنه يعني السماح للأمم المتحدة بإملاء اوامرها عليك فيما تفعل وما لا تفعل في حين أن هذه الإدعاءات عارية عن الصحة. إنهم لا يفقهون مبدأ المعاملة بالمثل. ولم يسبق لهم أن خدموا في الجيش أو مارسوا أعمالاً

تجارية لكي يكون لديهم حساسية تجاه السوق. وبسبب جهالتهم في هذه الأمور فسوف ندفع ثمناً باهظاً لجهلهم هذا.

جيرمي إيرب: من وجهة نظرك، كيف سيؤثر احتلال العراق على انتخابات الرئاسة لعام 2004؟

على العكس من جورج بوش، ودك تشيني، وريتشارد بيرل، وولفوويتس، ورمسفيلد، يوجد لدى معظم الأمريكان ابن أو ابن عم أو أخ أو زوج أو قريب يخدم في الجيش. وسيعود هؤلاء الجنود من العراق يوماً ما. وسيبداون بالتحدث عن خبرتهم في العراق وعما جرى معهم، وسيكون لذلك وقع وتأثير على الناس من حولهم. لذلك سيصعب على فريق بوش تهميش قضايا السياسة الخارجية في الانتخابات القادمة.

ومن مصلحة جورج بوش أن يحرص على عدم تصدر أخبار العراق الصفحات الأولى من الأخبار بقدر المستطاع. فهو يسعى إلى تقديم صورة مشرقة تعكس نجاح الحملة العسكرية في العراق، بما يسمح له بالقول بأننا حررنا الشعب العراقي، وانجزنا مهمتنا واعدنا الجنود إلى أهليهم. وهو ما يريد الشعب الأمريكي سماعه. وسيحاول التحرك في هذا الاتجاه هذا العام. وقد بدأ بالفعل بذلك.

وفي الخريف القادم، سيتولى كارل روف قيادة الحملة الانتخابية لجورج بوش. وقد بدأت ملامح الاختلاف والقلق تظهر على فريق السياسة الخارجية من المحافظين الجدد الذين ما زالوا يحتفظون بمراكزهم ومناصبهم في الحكومة، ولديهم أجندة أخرى في المنطقة. وفيها بالتأكيد تغيير النظام في سوريا، والإصلاح الديمقراطي في إيران ولو عن طريق التدخل بالقوة. ولو قرأت كتابات ريتشارد بيرل وغيره من منظمة مشروع القرن الأمريكي الجديد، فستجد أن الأمر لا يتعلق فقط ببغداد، لأن الطريق إلى دمشق تبدأ من بغداد، وهذا

الكلام منشور في كتاباتهم. وهم يعرفون أن ذلك هو ما يفعلونه في المنطقة. والمسألة ليست مسألة تحرير العراق، بل مسألة قلب نظام حكم. ويسعى المحافظون الجدد إلى الاستمرار في تنفيذ هذه الأجندة. وهم الآن يشهدون شيئاً من التباطؤ في العمل، على الأقل إلى أن تنتهي الانتخابات، لأن جورج بوش لا يستطيع تحمل مثل هذه المخاطر أثناء الانتخابات.

جيرمي إيرب: من وجهة نظرك، هل يعتبر جورج بوش من المحافظين التقليديين؟ هل هو من المحافظين الجدد؟ وما هو تصنيفك له ولحكومته بشكل عام ضمن سياق التيار الأمريكي المحافظ؟

معظم الأمريكان، وتحديداً غالبية الجمهوريين الذين يعتبرون أنفسهم جزءاً من الحزب المحافظ، لا يعتقدون أن جورج بوش يؤمن بالقيم المحافظة التقليدية، مع أنه سيلعب تلك الورقة على كل حال. وسيستغل ارتباطاته الدينية، واحترامه للرب، وكل هذه الأمور مهمة لأنها تعد جزءاً من القيم الأمريكية التقليدية. فمؤسسو هذا البلد، في معظمهم كانوا يؤمنون بالإله، وكانوا من الملتزمين بالدين، وكانوا يعتبرون الدين قوة مهمة في تمدن المجتمع. لذلك فإن جورج بوش سيوظف انطباع التدين والنهج المحافظ والبروتستانتية لصالحه لأنها من الأمور التقليدية الأمريكية.

إلا أنه ليس من المحافظين التقليديين، ومعظم المحافظين يعترفون بذلك. والواقع أن بوش أحدث شرخاً في الحزب الجمهوري. ويلاحظ الناس سواء في الكونغرس أو في الأوساط الشعبية إسرافه في الإنفاق الحكومي. ويلاحظون سياساته المحلية. خذ مثلاً القانون الجديد في التعليم والذي اتخذ شعاراً له يقول "لن ندع طفلاً واحداً يتخلف" هذا القانون يعكس مركزية من الأعلى إلى الأسفل، هذه المركزية الفدرالية في التعليم العام تخالف المواقف التقليدية من التعليم. ولذلك ثمة تساؤلات وشكوك بين المحافظين أنفسهم حول جورج بوش

وكونه محافظاً أم لا. وإذا لم يكن من المحافظين فما هو انتماؤه السياسي وكيف وصل إلى هناك؟

وتنزع السياسة الخارجية المحافظة التقليدية نحو المواقف الدفاعية، هذا إن لم نقل نحو المواقف الانعزالية. كما أن التجارة الحرة والانفتاح التجاري هي من التقاليد الأمريكية ذات الجذور المتأصلة والعميقة في التاريخ الأمريكي منذ 400 عام، اي قبل تأسيس الدولة، عندما كانت البلاد خاضعة للاستعمار. إلا أن جورج بوش لديه مشكلة في ذلك. ونظراً لحاجته إلى الأصوات من كافة فئات المجتمع، وشعور كثير من أفراد الشعب الأمريكي بأن وظائفهم مهددة نتيجة الإفراط في سياسات التحرر التجاري، عمد بوش إلى فرض بعض السياسات التي تتناقض مع هذا التوجه. وقد بدأ المحافظون الحقيقيون والمفكرون المحافظون بالإعراب عن شكوكهم حول صدق انتماء جورج بوش إلى النهج المحافظ.

وعلى مدى العقود السابقة، تحول كل من الحزب الجمهوري والحزب الديمقراطي إلى المواقف الوسط داخل الحزب لكسب أصوات القاعدة الانتخابية لكل منهما. ولذلك فإن جورج بوش لن يكون لديه مشكلة إذا استطاع الاطمئنان إلى أن المحافظين لن يصوتوا لصالح مرشح الحزب الديمقراطي. ولكنه سيواجه مشكلة لو قعد المحافظون في بيوتهم ولم يشاركوا بالتصويت. إنه في أشد الحاجة إلى أصواتهم وسيحتاج إلى السير على درب في غاية الدقة خلال الحملة الانتخابية. هناك محافظون كثر في هذا البلد، وينتمي بعضهم إلى الحزب الديمقراطي، وبعضهم بدون انتماءات حزبية ومنهم أعداد كبيرة في الحزب الجمهوري وحزب التحرريين: ولدينا قطاع عريض من الأمريكان التقليديين الذين يعتبرون أنفسهم محافظين. ويحتاج بوش إلى حفزهم وتشجيعهم عن طريق أشياء مثل خفض مخصصات البرامج التي يرى المحافظون التقليديون أنها غير مهمة أو أنها تشكل ممارسة غير دستورية من قبل الحكومة

الفدرالية. لذلك فإن أمامه مهمة صعبة لأن ممارساته في الحكم تهدد مركز الوسط داخل الحزب وتحيّد قطاعاً كبيرا من القاعدة الانتخابية.

جيرمي إيرب: بصفتك من المحافظين، ما مدى أهمية هذه الانتخابات الرئاسية بالنسبة لك؟

إنها في غاية الأهمية، مع أنه ليس لدي أدنى شك في أن الديمقراطيين سيستمرون في احتلال العراق لو وصولوا إلى البيت الأبيض. إنني أريد من الجنود العودة إلى وطنهم في الحال: هذا هو في نظري الحل الأمثل. ولا أعتقد أنه لو نجح رئيس أمريكي من الحزب الديمقراطي فسيفعل ذلك. إلا أنه لو فاز رئيس ديمقراطي فسوف يعمل على تغيير الحكومة ويتخلص من كثير من هؤلاء المستشارين الذين يعيشون في عالم من الأحلام والأوهام ويجبرون البقية على السير خلفهم. لذلك أعتقد أن الانتخابات القادمة ستكون في غاية الأهمية. ويتردد في أذهان الكثير فكرة "هل سيؤثر صوتي؟" من الصعب الحكم على ذلك، ففي الانتخابات السابقة حصل المرشح الديمقراطي آل غور على غالبية الأصوات الشعبية، وكانت النتيجة متقاربة جداً، كما كانت نتيجة أصوات هيئة الناخبين متقاربة جداً. وشاهدنا جميعاً الدراما التي حدثت في فلوريدا. وأعتقد أن هذا دليل على أهمية كل صوت. وأعتقد أيضاً أن الناس يهتمون بهذا الأمر، وأسمع من كثير من الناس الذين صوتوا لجورج بوش - بعضهم محافظون، وبعضهم الآخر من الاتجاه التحرري- يكتبون ويقولون لي "لقد صوت لجورج بوش عام 2000، ولن أصوت له مرة أخرى". هل يعني ذلك أنهم سيصوتون للمرشح الديمقراطي؟ لا، ما يعنه ذلك أنهم لن يصوتوا لجورج بوش. ولكن بوش خسر صوتاً في هذه الحالة. ولو خسر بوش بضعة أصوات ممن صوتوا له في المرة الأولى فسوف لن يكون رئيساً مرة أخرى.

أعتقد أن الانتخابات القادمة ستكون مثيرة. ويمكنك أن تتحدث عنها من منظور فلسفي "هل لصوتك قيمة؟" وأقول بأن صوتك له قيمة، وعدم صوتك له قيمة. إذا كنت من مؤيدي بوش وتشعر بأن جورج بوش ليس محافظاً تقليدياً لا على الصعيد السياسي ولا على الصعيد المالي، وأنه يمارس سياسة خارجية سيئة، فمن الأولى أن لا تصوت له. هل ينبغي أن تصوت لصالح شخص آخر بديل؟ الأمر يعود إليك. ولكن في جميع الأحوال ينبغي أن لا تقدم صوتك لجورج بوش حين لا يكن جورج بوش يمثلك. وربما أكون مخطئاً في رايي هذا، ولكني أعتقد أن كارل رووف قلق جداً هذه الأيام بشأن الناخب الأمريكي المحافظ العادي في كلا الحزبين الديمقراطي والجمهوري، هذا عدا عن الناخب المحافظ المستقل. كارل روف قلق حول إقناع هذه الشريحة من المجتمع بالتوجه إلى صناديق الاقتراع يوم الانتخابات. وستنفق الأموال الطائلة لحفز هؤلاء إلى التوجه إلى صناديق الاقتراع. وأعتقد أنها ستكون معركة صعبة نظراً لوجود كثير من الناس الذين يشعرون بأنهم خدعوا في الانتخابات الماضية. وهناك أعداد كبيرة من المحافظين التقليديين الذين خدعهم جورج بوش وسيحجمون عن إعطائه صوتهم هذه المرة. وهذا من شأنه أن يضع خصمه في البيت الأبيض. وسوف لا يكون ذلك تصويتاً بالثقة للمرشح المقابل.

وما يعنيه هو أن جورج بوش لن يحصل على هذه الأصوات التي اعتمد عليها في المرة السابقة. وأعتقد أن ذلك سيشكل مشكلة عويصة، وانا متفائلة من أنه لن يعاد انتخابه هذه المرة، ولكنه يملك المال الكثير وسوف ينفقه لحفز المحافظين مثلي للخروج والتصويت لصالحه. وسوف يحاول ذلك.

شيناندوه فالي، فيرجينيا

6 يناير، 2004

نورمان ميلر

نشر نورمان ميلر اول كتاب له عام 1948 بعنوان العريان والميت، وحصل كتابه الأخر بعنوان جيوش الليل على جائزة الكتاب الوطني، وجائزة بولتزر عام 1969، وحصل ميلر على جائزة بولتزر ثانية عام 1980 على كتاب اغنية السياف واخر كتاب له هو لماذا نحن في حالة حرب؟

جيرمي إيرب: ذكرت مؤخراً في كتاباتك ان 11 سبتمبر احدثت اضراراً بالغة في المعنويات الأمريكية وأن هذا الضرر وصل إلى الصميم. كيف ترى تأثير 11 سبتمبر على الحالة السياسية والاجتماعية الأمريكية، وعلى النفسية الأمريكية مع اقتراب موسم الانتخابات واستمرار الحرب في العراق؟

يمكنني القول بأنني شهدت في حياتي ثلاثة أحداث كان لها أثر مباشر في تغيير مسار التاريخ الأمريكي. أول هذه الأحداث كان الهجوم الياباني على ميناء بيرل هاربر، وثانيها هو اغتيال الرئيس الأمريكي السابق جون إف كينيدي، وثالثها هو 11 سبتمبر. واعتقد أن وقع 11 سبتمبر كان مساوياً أو ربما أشد وقعاً من الناحية السيكولوجية على الولايات المتحدة من بيرل هابر، لأن بيرل هاربر ساعدت في النهاية على تحفيز أمريكا لدخول الحرب العالمية الثانية. والشيء الذي يميز الحرب العالمية الثانية، بحسب ما أذكر، هو توحد الجبهة الداخلية في الولايات المتحدة على دعم تلك الحرب. وبينما كان هناك بعض المعارضين، إلا أنهم كانوا قلة قليلة بالمقارنة مع الأغلبية الكاسحة المؤيدة للحرب. كانت بيرل هاربر شيئاً حسناً بالنسبة لأمريكا بطريقة غريبة: وأعتقد انه لو أعيدت عقارب

الساعة إلى الوراء، وخُيِّر اليابانيون بين القيام بذلك الهجوم وبين عدم القيام به لاختاروا عدم القيام به. ولاعترفوا بأن ما فعلوه في 7 ديسمبر عام 1941 لم يكن الخطوة الصحيحة.

وما زال 11 سبتمبر سؤالاً ملحاً، لأن ذلك الحدث أصاب عافية وصحة السيكولوجية الأمريكية في صميمها. ولأن الفرد الأمريكي العادي، من وجهة نظري، لا يفكر في نفسه أنه مكروه ومبغض في الدول الأخرى. ويعتقد أنه لو أبغضه أحد فإن ذلك إما نتيجة لمكائد القادة السياسيين في تلك الدول، أو نتيجة الحسد والغيرة من التفوق الأمريكي. وكان الشعور السائد لدى الغالبية العظمة من الشعب الأمريكي هو أننا في أمريكا على أحسن حال، وأننا بلد مبارك من الرب. ثم جاء 11 سبتمبر كهزة مزلزلة من الاضطراب والتوتر، فانفلت كل شيء لم يكن مثبتاً في النفسية الأمريكية. ولم يقتصر أثر هذا الحدث على بعث الرعب الداخلي وحسب، بل أصبح كابوساً جاثماً على الحياة الأمريكية. وما حالة الذعر من جرثومة الجمرة الخبيثة التي أعقبت 11 سبتمبر إلا مثالاً واحداً على ذلك. وهذا الحادث يبدو سخيفاً الآن عندما ننظر إليه بعد أن بات شيئاً من الماضي. إلا أن الجميع كانوا في حالة ذعر وخوف عندما وقع. ومع ذلك، نجد أن كل شخص في البلاد شعر بالذنب، بدرجة أو بأخرى، وبدأ الناس يقولون في دخيلة انفسهم "أنا مذنب، يا إلهي، سأصاب أو أقتل في هجوم آخر".

إن حكومة الحزب الجمهوري تتألف من مجموعة من الأشخاص على درجة من الدهاء واللامبالاة. إنهم يعرفون أمريكا جيداً. ويفهم جورج بوش الشخصَ الأمريكي العادي تمام الفهم والمعرفة، لأن مستوى ذكائه لا يتجاوز مستوى ذكاء الفرد الأمريكي العادي. وهذه ميزة مثل ما هي مسؤولية. فالغباء يعتبر قوة، لأن الأذكياء في النهاية يضعفون أمام الأغبياء، ولا يستطيعون اختراق الغباء. وجورج بوش سعيد بغبائه من هذا المنظور. لذلك فهو يفهم فهماً عميقاً كيف يعمل

الأمريكان وكيف يفكرون، ويعلم أن نصف السكان، من الناحية السيكولوجية على الأقل، مـصـمـمـون كلوحـة الأزرار. ومـا عليك إلا أن تضـغط الزر المناسب لكي تحصل على التجاوب المطلوب. وهو يتقن استخدام كلمات مثل الرب، أمريكا، الحرية، الديمقراطية، العطف والحنان، المحافظة، ويستخدمها كثيراً.

واعتقد انه يدرك غريزياً أن 11 سبتمبر كان فرصة ذهبية بالنسبة له. فرصة على غير العادة. لقد قدم 11 سبتمبر له رخصة لفعل كل ما لم يستطع فعله من قبل. ومسألة ما إذا كان هذا الحدث بدأ من عنده أم لا، هي مسألة لا ادعي معرفة الجواب عنها. إلا أن الأشخاص المحيطين به كانوا- ومنذ وقت طويل، وتحديداً بعد انتهاء الحرب الباردة مع روسيا- يتشوقون ويتطلعون إلى القيام بخطوة كبيرة نحو الهيمنة على العالم. وكانت العولمة التي بدأت قبل سنتين من ذلك التاريخ في عهد كلينتون، والتي هي جزء من هذا المشروع، عملية سلمية بعض الشيء، ولقيت معارضة لأسباب وجيهة وأسباب غير وجيهة.

ولا ادعي الإحاطة بمسائل العولمة. إلا أنني أعتقد أن هناك نوعين من الحب تجاه أمريكا. فهناك من يحب أمريكا، مثلي، بسبب الحرية فيها، لأن الحرية أعطتني الفرصة لإنجاز أعمال عظيمة بالنظر إلى ما أعاني منه من كسل وتقاعس، ومكنتني من قول أشياء لا أملك أن أقولها في دول أخرى. وبالطبع هناك ثمن يدفعه المرء على ما يقول، إلا أنك لا تدفع ثمناً باهظاً هنا. وهذا الثمن لا يصل إلى حد تجميد شجاعتك. ومن هذا المعنى فإنني أحب أمريكا على ما تقدمه لي، وعلى الحرية الموجودة فيها.

ومن جهة أخرى، هناك أشخاص يحبون أمريكا حباً عن عقيدة، ويعتقدون بشكل أساسي بأن مولد أمريكا كان إلهاماً من الرب، وأن الرب يريد من العالم أن يكون على شاكلة أمريكا. هذه النظرة بالنسبة لي هي نظرة مرعبة. لأنك لو جعلت العالم كله مثل أمريكا فلن يتبقى مكان جيد يمكنك التفكير فيه. سنكون

أمام ناطحات السحاب، والتلوث، وزيادة الإنتاج، وسيطغى على العالم حماقة جمع المال من أجل المال. كما أننا لا نملك القدرة على نشر الديمقراطية في العالم لأننا في غاية الجهالة، وفي غاية الغباء، وفي غاية الرضا والقناعة بأنفسنا، وفي غاية الغرور. ولدينا نموذج مشكوك فيه من الديمقراطية، بالنظر إلى الدور الكبير الذي يلعبه المال في ديمقراطيتنا. فما بلك بدولة يكسب فيها الغني 500 ضعف ما يكسبه الفقير! وكأننا رجعنا إلى عصر الفراعنة. ولدينا مجموعة من المعتقدات تقول بأن من واجبنا أن ندعم الأثرياء والأغنياء، وان الأغنياء يعانون من مشاكل كثيرة، وأننا إذا لم نولهم الرعاية فإن مصائب أخرى ستحل بالمجتمع. ورايي الشخصي هو ان الأغنياء بإمكانهم دائماً أن يعتنوا بأنفسهم. ولهذا السبب هم أغنياء: فهم يتمتعون بمهارات عالية تمكنهم من كسب المال، وهم ليسوا بحاجة إلى دعم الحكومة. بل أحوج إلى أن تقف الحكومة في طريقهم لأن ذلك سيصقل مهاراتهم وسيجعل ميدان المنافسة متعادلاً بعض الشيء أمام أفراد المجتمع.

وبالعودة إلى ما قلته آنفاً، فإن الشخصي الغني غناءً فاحشاً، وتجنباً للشعور بالذنب، يلجأ إلى الاعتقاد بأن أمريكا هي إرادة الرب ويجب أن تكون فوق العالم كله، ويجب أن توضّح للعالم، وأن تهيمن على باقي دول العالم. والدافع الذي يقبع خلف ما نفعله في العراق، هو الفكرة القائلة بأننا بحاجة إلى احتلال العراق لأنه الخطوة الأولى في طريق الإمبراطورية الأمريكية. ومنذ انتهاء الحرب الباردة كانت هناك مجموعة من الأشخاص في اليمين يشتعلون حنقاً لاعتقادهم أن أمام الولايات المتحدة الآن فرصة ذهبية للسيطرة على العالم بعد خروج السوفييت من الحلبة، وأننا لم نفعل شيئاً لاستغلال هذه الفرصة، ولا يحول بيننا وبين تحقيق مهمتنا الربانية سوى هؤلاء الليبراليين الملاعين ذوي العقول اللينة والنفوس الخائرة. لذلك وجد بوش وجماعته في 11 سبتمبر منصة قفز كبيرة نحو تحقيق تلك الرؤية.

وقد تحدثت قبل قليل عن مدى ذكاء، أو عدم ذكاء جورج بوش، ولكن ماذا عن دهائه في التعامل مع الشعب الأمريكي، وبخاصة مع أسوأ عناصر هذا المجتمع. إنه يعرف ذلك تمام المعرفة، ولكنه لا يعرف شيئاً عن العالم الخارجي. وهو محاط بأشخاص يجيدون استغلال هذه الثغرة. وبعضهم لديه بعض العلم عما يمكن أن تصل إليه الأمور في العراق، ولذلك كانوا في أشد السعادة والغبطة بهذه الحرب، واثقين بالآلة العسكرية الأمريكية المتطورة. وكانوا يعتقدون بأنهم سينتصرون في هذه الحرب مجاناً وبدون ثمن او مجهود أو خسارة في الأرواح. لم يكن لديهم أي فكرة مطلقاً حول الصعوبات الجمة أو ما يتطلبه إدخال الديمقراطية إلى بلد كان يخضع للحكم الدكتاتوري على مدى أكثر من ثلاثين عاماً، وفوق ذلك كله لم يكن يشكل أمة بالمعنى الدقيق، بل تم إنشاؤه بإرادة بريطانيا وبعض قوى الحرب العالمية الأولى. وبالنظر إلى أن العراق كان بلداً شبه فقير- نعم، فيه ثروات طبيعية ولكنه ليس بلداً مزدهراً- فقد كان في أمس الحاجة إلى دكتاتور. لأن ظروفه تشكل معادلة الحكم الاستبدادي. وهي أن توجد دولة ليس فيها ما يكفي من المال، ويعاني من انقسامات عميقة بين أفراد الشعب، فإن السبيل الوحيد الذي يضمن قيام مثل هذه الدولة بوظيفتها هو الحكم الدكتاتوري. وتطبيق الديمقراطية في مثل هذه الحالة سينتج عنه حرب أهلية. إذن، فإن الديمقراطية لا تصلح لكل الدول. فهي حالة متقدمة من الوجود ولا تتحقق إلا بوجود شعور بالتضحية لدى الذين يأخذون على عاتقهم إقامتها منذ البداية. وقد كان لدى مؤسسي الديمقراطية الأمريكية استعداد للموت في سبيل أفكارهم. وهناك مقولة مشهورة وأعتقد أنها لبنجامين فرانكلن حين قال لرفاقه: "إن لم نتساند جميعاً، أيها السادة، فسنشنق فرادى".

إن الفكرة القائلة بأن الديمقراطية هي دواء رائع، وأن بإمكانك أن تتوجه إلى أي دولة، فتحتلها، ثم تحقنها بالديمقراطية، هي فكرة قائمة على مغالطة

عميقة. لأن الديمقراطية يجب ان تكتسب اكتساباً. وفوق ذلك كله، أن تأتي إلى دولة عاش سكانها ثلاثين عاماً في ظل دكتاتورية حاكم فردي متسلط، تحت حكم هذا الوحش إن شئت، فإن كل شخص من هؤلاء السكان كان عليه أن يقبل بتسوية مذلة حفاظاً على حياته وحياة أسرته. وقد يلجأ الإنسان إلى فعل أشياء تؤنب الضمير وتوخز الوجدان. لماذا؟ للبقاء على قيد الحياة، وحماية لأسرته. ومن هذا الباب فإن الشعب العراقي كان منقاداً بوجدان سيء شنيع.

ثم أن نأتي الآن ونحتل بلادهم من الخارج، دون أن نتيح لهم فرصة خلع الحاكم المستبد ليشعروا بالتحرر، وهو أمر ضروري- فإن ذلك لن يفلح. إذا ابتلي بلد ما بحاكم مستبد، فإن خلع هذا الحاكم هو شأن يعود إلى البلد نفسه، والقاعدة التي تنطبق على الأفراد تنطبق على الدول: إذا كانت حياتك تعاني من المشاكل والتعقيدات، فإن العلاج يجب أن يأتي من ذاتك ومنك شخصياً. ويجب أن يكون لديك إرادة ورغبة في علاج نفسك. وهذه الدول ذات الأوضاع الفظيعة هي حقاً فظيعة، إلا أن هذه الدول لها تاريخها الخاص، ولها منطقها الخاص، ولها كبرياؤها. وإذا كنا نعتقد أن الديمقراطية هي أفضل نظام للحكم على وجه الأرض- وأنا أؤمن أنها كذلك بالنسبة للدول الغنية- فإن الدول غير الديمقراطية ستجد طريقها إلى الديمقراطية في النهاية، وإلا فسوف تبقى محكومة بالدكتاتورية والاستبداد. ولكن ليس من وظيفتنا، ولا من مسؤوليتنا أن نحل مشاكل الدول الأخرى، لأننا، واكرر ما قلته آنفاً، في غاية الجهالة، وفي غاية الغرور، وفي غاية العجرفة، ونفتقر إلى التجربة والخبرة لفعل ذلك. ولا يوجد لدينا حتى تشكك الفرنسيين الذين يدركون صعوبة ذلك، لا، ولا حتى فكاهة البريطانيين الغريبة الذين يعرفون مدى صعوبة ذلك. فتوجهنا إلى العراق وكلنا ثقة وإعجاب بأنفسنا بأننا سنسيطر على هذا البلد وسنحوله إلى بلد مدهش يتلألأ روعة.

ولهذا السبب وجدنا أنفسنا نواجه كل هذه المصاعب الكبيرة هناك. وأنا لا أتحدث عما حصل بعد وقوعه. فقد تنبأت بهذه الأشياء قبل أن تحدث، وأنا خبير في هذا المجال، ويعني أنني أصيب بنسبة 50٪ من توقعاتي. ومن بين توقعاتي الصحيحة ما يحدث في العراق اليوم. لقد كنت أعلم أن هذه الحملة ستكون كارثة. والمصيبة هي أن ديمقراطية حقيقية في العراق تعني واحداً من امرين- إما حرباً اهلية او حكومة دينية. ولن نسمح بحدوث ذلك طبعاً. وبما انه لا يمكننا أن نسمح بذلك، وبما أننا حولنا العراق إلى أفضل نقطة لتجمع الإرهابيين من حول العالم، فإن الفوضى ستستمر عاماً تلو عام تلو عام مادمنا نرفض مغادرة المكان. وفي الوقت ذاته، فإن المبلغ الذي أنفقناه على تلك الحملة العسكرية والبالغ 87 مليار دولار كان يمكن أن يوفر راتباً سنوياً بقيمة 25 ألف دولار لثلاثة ملايين ونصف المليون عاطل عن العمل. وهذا رقم كبير لو تأملت فيه. وستتمكن برامج العمل الحكومية من توفير وظائف لم تكن متوفرة من قبل.

ولكننا بدلاً من ذلك، أنفقنا تلك الأموال تحت تأثير الفكرة القائلة بأننا بدأنا حملة نحو تحقيق الإمبراطورية. لأن التفسير الوحيد الذي يقبله العقل لاحتلال العراق ليس أننا نهتم بجلب الديمقراطية إلى العراق، أو أننا نرغب بالتخلص من حاكم مستبد، بل لأن احتلال العراق هو الخطوة الأولى نحو السيطرة على الشرق الأوسط. ومتى ما أحكمت السيطرة على الشرق الأوسط، يصبح بالإمكان السيطرة على بقية العالم. وبإمكاننا أن نتوصل إلى ترتيبات للتعامل مع الصين، بحيث تكون العلاقة بيننا وبينهم كالعلاقة بين اليونان والرومان في الإمبراطورية الرومانية. لأنهم سيكونون أفضل منا بكثير في مجالات علم الحاسوب. وإذا ألقيت نظرة على جامعاتنا اليوم فستجد أن الطلبة ذوي الأصول الآسيوية أكثر تفوقاً من الأمريكان في مجالات العلوم والهندسة والاقتصاد.

جيرمي إيرب: لنتحول الآن إلى ما ذكرته في مقالة نشرت في موقع نيويورك ريفيو أوف بوكس، بعنوان "الرجل الأبيض بدون أعباء" وتحدثت فيها عن الحرب، وعن الدفع نحو الحرب بالنسبة للرجل الأمريكي، وتحديداً بالنسبة للرجل الأمريكي الأبيض من الطبقة الكادحة. ونسمع الآن عن ظاهرة آباء الناسكار(*) الذين صوتوا ككتلة واحدة لصالح الحزب الجمهوري وجورج بوش في الانتخابات السابقة. وما زال بوش يحافظ على دعم سياسي من جانب الرجل في الفجوة بين الذكور والإناث فيما يخص طريقة التصويت. وأنا أتساءل عن رأيك في إستراتيجية كارل روف والفريق المشرف على حملة بوش في الانتخابات القادمة القائمة على تصوير جورج بوش بأنه رجل حازم شديد لا يعرف الهوادة ولا المهادنة.

لقد كتبت تلك المقالة أولاً، ثم لاحظت بعدها الاتجاهات الديموغرافية التي كشف عنها مستطلعو الرأي من الحزب الديمقراطي، والتي عززت حقيقة أن الذكور من الطبقة الوسطى العاملة من الجنس الأبيض صوتوا في الانتخابات لصالح جورج بوش بعكس ما كان يحدث في الانتخابات السابقة. وقد يحدث ذلك لعدة أسباب. وبإمكانك أن تعزو فوز آرنولد شوارتزنيفر(*) في كاليفورنيا إلى

(*) يطلق على هذه الفئة آباء (ناسكار) وناسكار هو اسم لسباق سيارات يقام في الولايات المتحدة والكلمة مكونة من الحروف الأولى من اسم الجهة المنظمة له وهي الجمعية الوطنية لسباق السيارات (National Association of Stock Car Auto Racing). ولوحظ أن الغالبية العظمى من مشجعي هذه الرياضة الترفيهية هم من أرباب الأسر في هذه الطبقة ولذلك استخدم للتعريف بهم. وفي المقابل يطلق على الأمهات من هذه الأسر (أمهات السوكر) والسوكر هو التسمية الأمريكية للعبة كرة القدم المعروفة في العالم وهي غير كرة القدم الامريكية. وجاءت هذه التسمية لأن الأمهات من هذه الطبقة يصحبن أولادهن في عطلة نهاية الأسبوع إلى ملعب كرة القدم وينتظرن على المدرج حتى انتهاء اللعبة.

(*) ممثل مشهور في أفلام المغامرة والإثارة. ولد في النمسا عام 1947 وانتقل إلى الولايات المتحدة =

تلك الأسباب ذاتها. وبدا الأمر أن تصويت الرجال وتأييدهم له يزداد بازدياد تحرشاته الجنسية واعتداءاته على النساء. لماذا؟ لأن تحرير المرأة وما تحقق معه من إنجازات صاحبه من الشرور والأمراض الاجتماعية الشيء الكثير، سواء أحببنا ذلك أم كرهناه. ومن أبرز هذه النتائج السلبية انحطاط قيمة الرجل الأمريكي. لم يعد الرجل الأمريكي العادي يشعر بالسعادة والثقة بالنفس التي كان يتمتع بها-بحق أو بدون حق- قبل عشرين أو اربعين سنة. واذكر أن الواحد منا كان يشعر بالاعتزاز لأنه ولد ذكراً. وكان ذلك من المسلمات الاجتماعية أيام صباي، وكانت نظرتنا للمرأة بأنها شيء رائع وتشكل الدعامة الأساسية لنا. كل هذه الأمور تعرضت للتغيير. وفي أثناء عملية التغيير هذه جرى تصوير الرجل بأبشع صورة، وجرى وصفنا بانعدام القيمة والحقارة. وقد أدى ذلك إلى انتشار شعور بالغضب والامتعاض لدى رجال الطبقة الكادحة، لذلك كانوا سعداء لأن شوارتزنيغر اعتدى على من اعتدى عليهن من النساء. وكانوا مبتهجين جداً بذلك. وقالوا في أنفسهم:هذا جيد، ليس أمام مناصرات حقوق المرأة سوى الرضوخ والقبول بذلك. وسواء أعجبهن ذلك أم لم يعجبهن، فسوف نوصل بطلنا إلى الفوز في هذه الانتخابات.

وهذا يوازي ويشابه إدراك جورج بوش لحقيقة أنه سيلقى القبول لدى فئة الرجال ما دام أنه شخص شديد مفتول العضلات (ماتشو) ويتحدث بقوة. ولست ممن يزدري كلمة (ماتشو)، بل هي كلمة مهمة بالنسبة لي. ولكن بوش أساء استخدامها. وهناك فرق بين أن تكون شخصاً من نوع الماتشو وبين أن تسيء إلى هذا المفهوم. وبوش بأقواله وأفعاله يسيء إلى هذا المفهوم. فعلى سبيل المثال،

= وعمل في حقل السينما، ثم دخل المعترك السياسي وفاز بمنصب حاكم ولاية كاليفورنيا عام 2003 عن الحزب الجمهوري. اثيرت في حملته الانتخابية قضايا اعتداءاته الجنسية على النساء خلال عمله في التمثيل.

وقف ذات مرة إلى جانب آرنولد شوارتزنيغر بعد فوز هذا الأخير في كاليفورنيا وقال معلقاً أمام الجمهور: ".. كلانا متزوج وسعيد في حياته الزوجية، وكلانا متهم بالتحدث بلغة إنجليزية ركيكة، وكلانا نملك عضلات سواعد كبيرة." وإني لأستغرب وأتساءل عن المدى الذي يمكن أن يصل إليه هذا الشخص من الصفاقة والجهل والغباء والانحطاط ليقارن عضلات ساعده - مهما كانت حالتها- بعضلات ساعد شوارتزنيغر الذي أمضى حياته في ممارسة الرياضة وحمل الأثقال.

جيرمي إيرب: هل لك أن تحدثنا عن سبب نجاح مثل هذه الدعاية لدى الرجال؟

لقد تعرضت كلمة (ماتشو) إلى كثير من الإساءة وسوء الاستخدام. وقامت حركات تحرير المرأة بهجوم كاسح ومدمر على مدلول ومفهوم هذه الكلمة لدرجة أصبح الرجل العادي يخشى معها استخدام هذه الكلمة في حديثه. وأصبح التلفظ بها مساوياً للتلفظ بأي كلمة نابية مخلة بالأخلاق. لقد وصلت إلى هذا الحد من الشناعة. والحقيقة التي تختلط على كثير من الناس، هي أن الأشخاص الذين يعيشون حياة (الماتشو) الحقيقية هم أكثر عرضة للمخاطر في حياتهم من الأشخاص الآخرين. لأن رجولتهم هي دائماً في وضع المواجهة والتحدي. والواقع أن هناك ما يشبه المعادلة الرياضية تقول بأن زيادة درجة الماتشو في حياة الشخص، تزداد معها احتمالات موته المبكر. لأن الماتشو يقابل ويواجه كل خطر وتحد يفرض على كبريائه. وعاجلاً أم آجلاً سوف يتحطم. وهناك شعور ضمني لدى كل رجل، وهو شعور أساسي وبدائي يقول بأن الرجل الذي يعدم الشجاعة ليس برجل. والسؤال هو كم نحتاج من هذه الشجاعة، وبخاصة في هذا العالم الحديث. لذلك، فإن اطمئنان المرء برجولته، وتقرير كم بلغ من الماتشو، كل هذه الأمور مهمة بالنسبة لعالم الرجولة.

والآن يتعرض هذا المفهوم إلى الإساءة الشديدة على يد الأشخاص الذين يسيئون إلى مفهوم الرجولة، كما يفعل بوش. ولا يملك بوش الحق في اعتبار نفسه من نوع (الماتشو) لأنه لم يتعرض لأي اختبار جسمي للتحقق من صحة ذلك. كما أنه تجنب الخدمة في الجيش وقت الحرب في فيتنام. وتخلف عن تدريباته في الحرس الجوي الوطني. ولم يسبق أن شوهد في ساحة المعركة. ولم يسبق له أن كان من بناة الأجسام. بل كان ضمن فريق المشجعين على ما أذكر في جامعة ييل. وكان ينتمي إلى "جمعية أخوية"(*) أيام دراسته الجامعية. فهو ابن المحافل السرية مع كل ما يحمله ذلك من مناقب ومثالب- وتتمثل المثالب في العجرفة والفراغ الروحي وهي متطلب أساسي للعمل في ذلك الموقع. لذلك فهو ليس مؤهلاً لأن يتحدث عن نفسه بلغة الماتشو، ولكنه يملك الدهاء الكافي لمعرفة أن ذكور الطبقة الكادحة يعيشون حالة من الغضب، وأنه إذا قدم نفسه في قالب الماتشو -كما فعل في ذلك المشهد السخيف وهو لابس الزي العسكري الكامل في الكرسي الخلفي للطائرة الحربية التي هبطت على متن حاملة الطائرات- فإن ذلك سينطلي عليهم. وستنطلي هذه الخدعة عليهم لأنهم بحاجة إليها.

بروكلين، نيويورك

29 اكتوبر، 2003

(*) اعترف بوش شخصياً في مذكرات حياته وفي مقابلة تلفزيونية بانتمائه إلى جمعية "الجمجمة والعظام" (Skull and Bones) او "طائفة الموت" وهي جمعية سرية مقرها في جامعة ييل وتعتبر فرعاً من فروع الماسونية وتستهدف بعضويتها أبناء كبار الشخصيات وعلية القوم في البلاد. وكان ابوه وجده اعضاء في هذه الجمعية السرية.

زيا ميان

السيد زيا ميان عالم فيزياء وباحث في برنامج العلم والأمن العالمي التابع لجامعة برنستون. وتتركز اعماله على الأسلحة النووية وقضايا القوة النووية، وبخاصة في منطقة جنوب آسيا. ومن بين مؤلفاته كتاب القنبلة النووية الباكستانية والبحث عن الأمن (غواتام ببلشرز، لاهور، 1995)، وكتاب صنع الأعداء، وخلق النزاع: الأزمات الباكستانية، والأمن الدولي (اكسفورد بونيفيرستي برس، 2003). وبالإضافة إلى كتاباته، يعد السيد زيا من الناشطين في عدد من الجمعيات المدنية التي تعمل في جهود نزع الأسلحة النووية وحركات السلام.

جيرمي إيرب: هل لك أن تضع احتلال العراق في سياقه التاريخي، وبخاصة فيما يتعلق بمسألة إعادة ترتيب المنطقة بعد انتهاء الحرب الباردة؟

هذه هي المرة الثالثة التي تحاول فيها النخبة الأمريكية الحاكمة خلال القرن العشرين أن تبحث عن سبل لتعزيز وبلورة قوتها في العالم. المرة الأولى كانت بعد الحرب العالمية الأولى في عهد وودرو ويلسون(*) ونقاطه الست

(*) (توماس) وودرو ويلسون (1856-1924) الرئيس الثامن والعشرون للولايات المتحدة في الفترة ما بين (1913-1921) درس القانون وحصل على درجة الدكتوراه فيه. درّس العلوم السياسية في جامعة برنستون. وترأس تلك الجامعة لثماني سنوات. ثم انتقل إلى السياسة وانتخب حاكما لولاية نيوجيرسي. حصل على ترشيح الحزب الديمقراطي للرئاسة عام 1912 واستطاع التغلب على كل من ثيودور روزفلت و وليام تافت ويفوز بالرئاسة. عمل خلال رئاسته على تخفيض التعرفة الجمركية وانشأ نظام الاحتياط الفدرالي، وحافظ على حياد الولايات المتحدة في الحرب العالمية الأولى. أعيد انتخابه عام 1916. وطلب من الكونغرس عام 1917 إعلان الحرب على ألمانيا بسبب=

عشرة(*) وعصبة الأمم. وكان الهدف في ذلك الوقت - بعد أن دمرت الإمبراطوريات الأوروبية بفعل الحرب وخروج الولايات المتحدة كقوة اقتصادية وعسكرية - هو وضع ترتيبات دولية جديدة تأسيساً على نظرة الولايات المتحدة في إعادة تشكيل العالم. ولم يكتمل ذلك المشروع بسبب حالة الركود الاقتصادي العظيم التي ألمّت بالولايات المتحدة.

وبعد الحرب العالمية الثانية، خرجت الولايات المتحدة من تلك الحرب أكثر قوة في مختلف المجالات بالمقارنة بالقوى الأوروبية، وحاولت مرة أخرى استئناف وتفعيل مشروعها القديم. وفي هذه المرة قاموا بإنشاء هيئة الأمم المتحدة، والبنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، وحلف الناتو كتحالف عسكري لترسيخ وإدامة الوجود العسكري الأمريكي في أوروبا. وباختصار، نجدهم يحاولون استغلال فترة التأثير التي تهيأت لهم عقب الحرب العالمية الثانية لضمان عدم وجود منافس لهم.

وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي عام 1990، عادوا يتساءلون، ماذا نفعل الآن في ظل ما استجمع لنا من قوة وتأثير غير مسبوقين. وهذه هي المرة الثالثة خلال فترة زمنية امتدت 100 عام أعادوا فيها طرح السؤال نفسه: كيف يمكننا إعادة تشكيل العالم وفق هوانا؟ لذلك فإن ما نشاهده الآن هو لمحة مكررة من تلك الديناميكية المتواصلة. وإذا استمعت إلى المسئولين الحكوميين من مثل كونداليزا رايس، وأمعنت النظر فيما يقولون، فإنك تجدهم يعقدون مقارنات واضحة وصريحة مع التجارب السابقة. وقد كتبت كونداليزا رايس حول رؤيتها

= تعرضها للسفن المدنية الأمريكية. وفي سعيه نحو إحلال السلام بين القوى المتصارعة اقترح مبادرة مكونة من 14 نقطة عام 1918. وترأس وفد بلاده إلى مؤتمر باريس الذي انبثقت عنه معاهدة فرساي وعصبة الأمم. حصل على جائزة نوبل للسلام عام 1919. (الموسوعة البريطانية بتصرف).

(*) هكذا في الأصل والصواب أن ويلسون اقترح 14 نقطة للسلام.

للعالم الآن مقارنة بما كانت عليه الحال عام 1946 و1947. بعبارة أخرى، عندما كانت الولايات المتحدة القوة المهيمنة في العالم واستخدمت القنبلة النووية في هيروشيما وناكازاكي، وكانت الدولة الوحيدة في العالم التي تملك سلاحاً نووياً. وكان الهدف هو ترويع بقية العالم لقبول النظام العالمي الجديد الذي تقترحه الولايات المتحدة.

وكان لظهور الاتحاد السوفييتي، وبخاصة بعد نجاحه في اختبار السلاح النووي عام 1949، وما تلاه من حرب باردة، وما أظهره السوفييت من قدرة على المنافسة في هذا النوع الجديد من أدوات الإبادة المتبادلة، أثر كبير في تقييد كل من الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة. وأدت إستراتيجية الاحتواء التي اتبعتها الولايات المتحدة إلى إيجاد توازن قائم على الردع المتبادل بين الطرفين، فكان كل طرف يشكل رادعاً وعاقلاً للطرف الآخر. أما اليوم، وفي ظل غياب الرادع السوفييتي فقد أصبحت الولايات المتحدة حرة طليقة، على الأقل من وجهة نظر صناع السياسة الأمريكية، لكي نحاول مرة أخرى. ويرى بعض المحللين أن الهدف ليس مجرد تعزيز وترسيخ السلطة والهيمنة الأمريكية باستخدام المؤسسات الدولية القائمة، بل ربما إعادة هيكلة وتشكيل منظومة جديدة من المؤسسات الدولية لا يعود فيها مكان للمؤسسات القائمة في الوقت الحالي (كهيئة الأمم المتحدة وغيرها) وهي مؤسسات لم يعد لها أي قيمة في نظر أصحاب القرار في الولايات المتحدة اليوم. إننا على أعتاب مرحلة جديدة من إعادة تشكيل العالم كما نعرفه اليوم.

جيرمي إيرب: ولكن أليس العالم اليوم في خطر، ويشهد بداية مرحلة من التغيير المدفوع من العولمة، ولذلك فهو بحاجة إلى إعادة الاستقرار؟

المسألة تتحدد من أين تنظر إليها. لأن أحد نتائج استخدام القوة هو أنها سلاح ذو حدين: فالولايات المتحدة تستخدم القوة لإيجاد الاستقرار، إلا أن

الشعوب التي تستخدم هذه القوة ضدهم سيشعرون بالظلم والقهر، وسيبدأون بالمقاومة. ومحصلة ذلك أن هذه العملية التي تحاول تهدئة العالم وتسييره بحسب رغبات الولايات المتحدة تعمل على إفراز المقاومة التي تحاول الولايات المتحدة إخمادها أصلاً. ويدرك المخططون العسكريون والمفكرون الإستراتيجيون هذا جيداً، وقد أشار أحدهم مؤخراً إلى أن إرسال المزيد من الجنود لا يشكل حلاً للأزمة القائمة في العراق لأن ذلك سيعمل على تكثير عدد الأهداف بالنسبة للمقاومة. وهذا التصريح يشكل اعترافاً بديناميكية الوضع هناك: كلما زادت الولايات المتحدة من فرض نفسها على العالم، ازدادت الأماكن وأعداد الذين سيشعرون بسطوة القوة الأمريكية، وازداد معها مشاعر المقاومة وعدم الخنوع. لذلك فإن زيادة أعداد الجنود لن تخرجنا من هذا الوضع الذي وجدنا انفسنا فيه، بل ستجعله أسوأ مما هو عليه.

جيرمي إيرب: لاحظت انك تكثر في كتاباتك الحديث عن مسألة الانتشار النووي. كيف تؤثر سياسات بوش على ديناميكية انتشار الأسلحة النووية؟

برزت قضية انتشار الأسلحة النووية كقضية ذات أهمية بالنسبة لصناع السياسية في الولايات المتحدة في الخمس عشرة سنة الماضية. ومن وجهة نظري أنه فاتهم ملاحظة عنصر جوهري فيما كان يحدث. وهو أنهم لم يسألوا أنفسهم إذا كانت دولة ما من دول العالم الثالث تحاول بناء قنبلة نووية، فما الذي يدفع قادتها إلى الاعتقاد بأن السلاح النووي هو الحل للمشاكل التي يواجهونها؟ ما الذي يدفع النخب الحاكمة في دول العالم الثالث مثل كوريا الشمالية والعراق وإيران وباكستان والهند وغيرها، إلى الاعتقاد بأن امتلاك السلاح النووي سيحل أي مشكلة؟ والجواب هو أن الولايات المتحدة هي التي علمتهم التفكير بالأسلحة النووية بطريقة محددة. ولو سلموا بهذه الحقيقة لأدركوا أن الولايات المتحدة هي

التي أوجدت هذه المشكلة. فعندما تصر الولايات المتحدة أن العشرة آلاف سلاح نووي التي تمتلكها تشكل حجر الزاوية لدفاعها وأمنها، فمن الطبيعي أن يقول الآخرون إذا كان السلاح النووي هو الرصاصة السحرية التي تضمن الأمن لأقوى دولة في العالم، فلماذا لا نسعى نحن إلى الحصول عليه. إننا نصدّر طريقة تفكيرنا لأن في العالم اليوم قدر من الشفافية. ومع أننا نستخدم حججاً محلية في المناقشات الدائرة حول السياسة لدعم القرارات المحلية، إلا أن هناك من يستمع إلى النقاش الدائر من خارج البلاد، وتولي النخب الحاكمة في العالم الثالث أذناً صاغية لما نقول ويشاهدون ما نفعل. ومن سوء الطالع أنهم يستقون دروساً غير صحيحة وهي أن الطريقة الوحيدة لحل مشاكل الأمن الوطني تكمن في امتلاك السلاح النووي. ولكن، مرة أخرى، تعود المسألة في أصلها إلى أن الولايات المتحدة هي صاحبة هذه الطريقة في التفكير والتصرف في العالم، وهي طريقة يقلدها الآخرون لأنهم يعتقدون أنها هي الطريقة المثلى لممارسة القوة في العالم. وعندما يفعلون ذلك، فإنهم يستنسخون أنفسهم باستخدام النموذج الأمريكي، إذن، فانتشار الأسلحة النووية مدفوع بقيام الولايات المتحدة بحيازة الولايات المتحدة وتكديسها الأسلحة النووية.

واليوم تسعى إدارة بوش تحديداً إلى حيازة السلاح النووي وتأمين فعاليته لمائة عام قادمة. وتعمل على وضع برامج جديدة لتصميم وصنع أنواع جديدة من الأسلحة النووية. فمصانع وتجهيزات الأسلحة النووية القائمة والتي انشئت مع بداية الحرب الباردة أصبحت قديمة وحان وقت استبدالها بمعدات أحدث وأكثر تطوراً وتعقيداً للمحافظة على التفوق النووي على بقية دول العالم. وحكومة بوش ملتزمة بهذه البرامج. لذلك فإننا لن نضمن قرناً امريكياً جديداً وحسب، كما يأمل بعضهم، بل قرناً أمريكياً نووياً جديداً.

جيرمي إيرب: اين موقع 11 سبتمبر من هذا كله؟

يمثل 11 سبتمبر عدة أمور. أولها، بالطبع، أنه عمل إرهابي في غاية الفظاعة. إلا أن إدراك خلفية ذلك العمل يجعل من الأمور أكثر تعقيداً. وأول هذه التعقيدات هو أن استخدام العنف على نطاق واسع ضد المدنيين كأسلوب للضغط على الحكومات هو في حقيقة الأمر ابتكار تم على يد الولايات المتحدة وبريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية حين قاموا بضرب المدن الألمانية بالقنابل ثم تلاها ضرب اليابان بالقنبلة النووية لإجبار تلك الحكومات على الاستسلام والإقرار بالهزيمة. ومنذ ذلك الوقت أصبح هذا الفعل جزءاً من الإستراتيجية العسكرية المتاحة أمام الدول. واليوم نشاهد أن هذه الإستراتيجية قد أصبحت متاحة، بسبب التقدم التقني، أمام جماعات وتنظيمات فردية كالقاعدة التي لا تشكل دولة. إذن، ومن هذا المنطلق فإننا نحن أنفسنا المسئولون، ضمن مستوى معين، عن 11 سبتمبر، لأننا قدمنا للعالم طريقة في التفكير حول كيفية عمل الأشياء، أو كيف يجب أن تكون، مسوغين ذلك لأنفسنا بالقول "آه، لا ضير، فنحن في حالة حرب".

جيرمي إيرب: ما رايك بطريقة فهم المواطن الأمريكي العادي لما يجري حوله من امور واحداث؟

تعتبر استطلاعات الرأي من الأدوات التي يمكن أن تكشف لنا عن تفكير الشعب الأمريكي في فهم أو إساءة فهم ما كان يجري في العالم الماضي بخصوص الحرب على العراق. واستخدمت استطلاعات الرأي لمعرفة موقف الناس من الحرب، وكشفت هذه الاستطلاعات عن أن 60 من الشعب الأمريكي يشتركون في واحد أو أكثر من القناعات الخاطئة حول ما جرى في العام الماضي.

وأول هذه المعتقدات المغلوطة هو أن الولايات المتحدة لديها أدلة واضحة على ضلوع صدام حسين في هجمات 11 سبتمبر. والاعتقاد الثاني هو أننا عثرنا

على أسلحة دمار شامل في العراق، وليس هذا وحسب، بل إن العراق استخدم تلك الأسلحة ضد الولايات المتحدة في الحرب. أما الاعتقاد الخاطئ الثالث فهو أن بقية العالم تدعم الولايات المتحدة في حربها ضد العراق. وتشير استطلاعات الراي أن 60٪ من الأمريكان يؤمنون بواحد أو أكثر من هذه الأفكار الخاطئة. وإذا نظرت إلى من يحمل هذه المعتقدات فستجد أن الأشخاص الذين يتابعون محطة فوكس نيوز يشكلون أكبر نسبة بينهم. وفي الواقع أن هذا الاتجاه يتوازى مع مصدر الأخبار.

هذه الحقائق تكشف لنا عن شيء مهم جداً: لأن هذه الاعتقادات الخاطئة هي التي تشكل الطريقة التي يتفاعل فيها الناس مع ما يجري. وعلى الرغم من عدم صحة أي من هذه الأفكار، إلا أن قطاعاً عريضا من الشعب يؤمن بصحتها. لذلك علينا أن نسأل لماذا يصدقون هذه الأشياء التي تبثها محطة فوكس؟ وعندما يتعمق الناس في هذه المسألة فسيكتشفون أن هذه القضية لا تتصل بأي هوية سياسية - فلا يهم إن كنت من انصار الحزب الجمهوري أم من انصار الحزب الديمقراطي أم كنت مستقلاً. والشيء الجوهري الذي يتصل بهذه القضية هو: هل تؤيد الرئيس؟ فالأشخاص الذين يؤيدون الرئيس بغض النظر عن انتماءاتهم السياسية سيغلب عليهم الاعتقاد بمثل هذه الأفكار والمعتقدات الخاطئة. ويبدو أننا في وضع تؤثر فيه فكرة الثقة بالسلطة والرئيس على صحة وسلامة قناعاتنا وحكمنا على القضايا المهمة. ولم يعد الناس يشككون في كل ما يقال لهم. ولا يسألون هل هذا صحيح؟ ولماذا عليّ أن أصدق ذلك؟ فهم يشاهدون الرئيس يقول كذا وكذا، فيعتقدون أن ما قاله هو الحق والحقيقة. ومن الأمور الجوهرية في الفترة القادمة أن نعمل على إعادة إحياء الحساسيات النقدية، وأن نفعّل من جديد مذهب الشك، ونعيد طرح السؤال حول ما إذا كان ينبغي اتباع السلطة والقيادة السياسية اتباعاً أعمى ودون نقاش.

والحقيقة أن السؤال الأساسي الذي يجب ان نطرحه على أنفسنا الآن هو: لماذا يجب أن نصدق ما يقوله لنا الأشخاص الموجودون في السلطة؟ ولم يعد يقتصر طرح مثل هذا السؤال على مفكري اليسار، بل إن هذا القلق والشك بدأ يظهر لدى أشخاص في القيادة السياسية والعسكرية في هذا البلد. فعلى سبيل المثال، عبّر الجنرال آنتوني زيني الذي كان يتولى القيادة المركزية لقواتنا المسلحة في الشرق الأوسط حتى عام 2000، عبر عن قلقه الشديد وتشككه حول ما حدث بعد 11 سبتمبر، وكيف قام الأشخاص الموجودون في الحكومة اليوم والذين كان لديهم أجندة سياسية سابقة، باستخدام أحداث 11 سبتمبر كذريعة ومحفز لتطبيق خططهم التي أعدّوها منذ وقت طويل. وعقد زيني مقارنة مع ما كان يحدث في فيتنام. لذلك، فإن قيام أشخاص مثل زيني بالتعبير عن شكوكه حول العلاقة بين ما تقوله الحكومة وما تفعله، ثم نشاهد هذه الأكاذيب تظهر في الرأي العام، فإننا حقاً نكون أمام أزمة خطيرة في الديمقراطية. لأن الديمقراطية تتطلب الشك في السلطة، وإلا فلن يكون بوسعك أن تحاسب أحداً من المسئولين. والمحاسبة لا تأتي إلا إذا كنت تؤمن أن ما تفعله السلطة قد يكون خطأً. وإذا كنت تكتفي بالثقة في أنهم سيقومون بعمل ما هو صحيح، فإنه لن يخطر في بالك احتمال محاسبة أي أحد في السلطة على أخطائه.

جيرمي إيرب هل أنت واثق من أن الولايات المتحدة لديها الهيكل المؤسسي القائم لتشجيع هذا الشك الديمقراطي الذي تحدثت عنه؟

أعتقد أن ما رأيناه على مدى الأعوام القليلة الماضية قد بدأ يأخذنا إلى أماكن مخيفة، لأن الديمقراطية نفسها هي علاقة بين أناس نظموا أنفسهم وفق طريقة تضبط المؤسسات التي عهدوا إليها بممارسة السلطة نيابة عنهم. إلا أن المقدرة على ضبط هذه المؤسسات التي تحوز السلطة تتطلب وسائل محددة لفهم وإدراك ما تفعله هذه المؤسسات. وهذا يقوم على افتراض أن هذه المؤسسات

تتمتع بالنزاهة، وأنها لا تقوم بتضليل أو تشويه أو تحريف الحقائق عن عمد. ومن الأشياء التي رأيناها في العام الماضي هو الاستخدام المتعمد والمقصود لأدوات التضليل الإعلامي من قبل إدارة بوش بهدف تعمية الرأي العام الأمريكي وتوجيهه في اتجاه محدد. وهبوط الرئيس بطائرته على متن حاملة الطائرات هو مثال تقليدي على ذلك، حيث قدم الرئيس نفسه بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة الأمريكية، وعلى أنه بطل، وهذه التظاهرة تولد شعوراً عاماً بأن على الشعب أن يقف خلف الجنود وخلف الرئيس. وهذه محاولة لخلق كتلة شعبية واحدة ذات نظرة واحدة وذات موقف واحد، ويصاحبها في العادة سمة قمعية لأي معارضة تطرح الأسئلة، لأنك بذلك لا تبدي تحدياً للرئيس وحسب، بل تتحدى الجنود. وتتحدى الدولة. وتتحول المعارضة كلها إلى مشكلة عندما تحاول وضع الناس كلهم في خط واحد وفي مكان واحد.

ومن الضروري أن نتذكر دائماً أن الحكومات تتعلم كيفية الحكم والإدارة من الحكومات التي تسبقها. ويوجد في حكومة بوش عدد كبير من المحنكين الذين عاينوا حرب تحرير الكويت، وعاينوا فترة حكم كلينتون في التسعينيات، ثم قالوا: "ما هي الدروس التي يمكننا الاستفادة منها في الطريقة التي استخدموا فيها وسائل الإعلام؟ وما هي الطرق التي لم تنجح؟" لكي نتجنب الأخطاء الإعلامية التي وقعوا فيها ونكون أكثر تأثيراً في إيصال رسالتنا إلى الناس، كما يقولون. وأعتقد أن قيام مؤسسات السلطة بتعلم كيف تحكم، وكيف تكون أكثر فعالية في إدارتها وتصريفها شؤون الدولة لتحقيق علاقة مستقرة ومتوازنة بين الشعب والحكومة هو أمر مفيد. وعلينا نحن أيضاً أن نتعلم كيف تتعلم الحكومة لكي نفهم وندرك ما تحاول الحكومة فعله معنا. وإلا فإننا نكون في لعبة خاسرة. وتصبح الحكومة أكثر فعالية في إدارة الرأي العام، وفي تصنيع الرأي العام، وفي القضاء على الرأي العام الذي لا ترغب بسماعه. وهدف الحكومة هو أن تحكم

من دون معارضة وأن ينصاع الجميع لخياراتها طواعية. وثمة أهمية كبيرة معلقة على تعلم النظر إلى وسائل الإعلام بعين ناقدة، وتعلم السماع لما يقوله لنا المسئولون في الحكومة بأذن ناقدة. ومن دون هذا النقد، وبدون التأمل المتواصل والموازنة بين ما نعلم وما تحاول الحكومة فعله، فإننا لن نتمكن من التحرر من الوضع الذي نكون فيه جمهوراً مسخراً، بدلاً من ان نكون جمهوراً مشاكساً. والمشاكسة عنصر جوهري في الديمقراطية.

جيرمي إيرب: تحدث كثيراً حول المؤسسات، وانا اتساءل عن مدى صلة تلك التحليلات بالأمريكان الذين يقولون بأنهم ادلوا بأصواتهم "للرجل" وليس للحزب، وسيقوم الفريق المشرف على حملة جورج بوش في الانتخابات القادمة بتصوير جورج بوش بصورة الرجل الشديد الحازم الذي لا يهاب والذي نحن في أمس الحاجة إليه ليقودنا خلال هذه الأوقات العصيبة. ماذا تقول للناس لتوضيح القوى المؤسسية التي تقف خلف هذه الحجة السطحية ولكنها مع ذلك تبدو مقنعة؟

هذا سؤال مثير حقاً لدرجة عجيبة لأنني أعتقد اننا شهدنا تحولاً في دور القائد في السياسات الوطنية في العقود القليلة الماضية. وهذا التحول لا يقتصر على الولايات المتحدة وحسب، بل يشمل مختلف الدول الديمقراطية حول العالم. على سبيل المثال، تتشابه علاقة توني بلير بالسياسة والشعب في بريطانيا إلى حد كبير بعلاقة جورج بوش بالسياسة والشعب في الولايات المتحدة. وتتكرر هذه الظاهرة مرة بعد أخرى إذا نظرنا إلى السياسات المحلية في الديمقراطيات المختلفة حول العالم.

ومن الأشياء التي تؤثر في هذا المجال هو أننا في هذا العصر الذي تتوفر فيه وسائل الإعلام على نطاق واسع، فإن المؤسسات فقدت جزءاً من جاذبيتها. ويصعب توضيحها وتمثيلها للناس. أما القادة فهم أصلح للعرض على شاشات

التلفاز: وأكثر قابلية لإسباغ مختلف أنواع المعاني عليهم. ويعرف الناس شأن المؤسسات جيداً، وهم أخبر وأقدم عهداً بها لأنهم يعملون فيها. وهناك قول دارج في الولايات المتحدة يستخدم في التذمر والشكوى في العمل، وهو: "إنه النظام." والتوجه العام في إدارة الديمقراطية الآن هو تحويل الاهتمام بعيداً عن "النظام" وتركيزه على "الشخص." فالناس يعرفون النظام جيداً؛ ويعلمون أن هناك هياكل للقوة. ولكنك إذا حوّلت الأنظار عن هذه الهياكل وقدمت لهم الفرد فسيجدون أكثر من طريق للمشاركة الذهنية والوجدانية معه. وبهذه الطريقة نكون قد عدنا إلى الوراء وانحرفنا، بسبب وسائل الإعلام، عن الديمقراطية إلى الملكية، حيث تتجسد كل القيم والعلاقات ومسائل الثقة في شخص القائد كما كانت تتجسد في شخص الملك، الذي هو رمز بعيد ولكنه رمز إنساني. فهو أكبر من الحياة، ولكنه مع ذلك شخص يمكنك أن تشاركه وجدانياً. وقد جعلت وسائل الإعلام اليوم كل ذلك ممكناً: وبإمكان الرئيس أن يظهر على شاشة التلفاز ويخاطب الناس في بيوتهم وينظرون إلى وجه إنسان عبر تلك الشاشة. ويشاهدون سيرة شخص. يشاهدون شخصاً هو في مستوى معين، مثلهم، على الرغم من وجود علاقات ونطاقات شاسعة ومختلفة تماماً بينهم وبينه فيما يخص السلطة. ولكنها علاقة بدأت تظهر في العالم اليوم، حيث تلعب وسائل الإعلام دوراً مشوّهاً للديمقراطية بتحويلها الاهتمام عن المؤسسات وتجسيده في الأشخاص بطرق لم يكن بوسع أحد القيام بها في الماضي سوى الملوك والأباطرة.

جيرمي إيرب: من الحجج التي سيقت في تسويغ الحرب على العراق هو أنها تهدف إلى جلب الديمقراطية للشعب العراق، ما هو تقويمك لهذه الحجة؟

لم يكن لدى الولايات المتحدة أي التزام محسوس نحو الديمقراطية. ولو نظرنا إلى سجل الحكومات الأمريكية المتعاقبة على مدى نصف القرن الماضي،

وليس فقط إلى سجل حكومة بوش، لوجدنا صعوبة في العثور على حكومة أمريكية واحدة تلتزم التزاماً مبدئياً نحو الديمقراطية. ومن المفارقة أن عام 2003 يصادف الذكرى الخمسين لحدث تاريخي هو الإطاحة بالحكومة الإيرانية على يد وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية. وجاء الانقلاب حين حاول رئيس الوزراء الإيراني في ذلك الوقت محمد مصدق تأميم صناعة النفط الإيرانية لكي تتمكن إيران وشعبها من الاستفادة من نفطهم. وقامت الوكالة بتنفيذ أول انقلاب حكومي في تاريخها. وتمت الإطاحة برئيس الوزراء المنتخب وحكومته، مستبدلة إياه بالشاه الذي كان على أتم الاستعداد لتنفيذ كل ما تأمره به واشنطن.

وفي السنة اللاحقة، وبعد عام من النجاح الذي حققوه في انقلابهم الأول، قامت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية بدعم انقلاب ثان في غواتيمالا بعد أن أتقنوا كيفية فعل ذلك دون حساب أو مساءلة. وواصلت الوكالة العمل بهذه الآلية. وقد اتضح مؤخرا تورط الولايات المتحدة في محاولة الانقلاب على الرئيس الفنزويلي هوغو شافيز. لذلك لم يتغير شيء في هذا المجال.

والخيار الأول للولايات المتحدة ليس القيام بالانقلاب، بل دعم الأشخاص الموجودين في الحكم ممن لديهم الاستعداد لتنفيذ رغبات الولايات المتحدة. وهذا هو الوضع المثالي لأنه يعفيهم من المسؤولية. وباكستان مشهورة بهذا الأسلوب. فقد حدث أول انقلاب في باكستان في الخمسينيات من القرن الماضي، وسُرّت الولايات المتحدة بنجاح ذلك الانقلاب. وحدث الانقلاب الثاني في السبعينيات وكانت الولايات المتحدة أيضاً مسرورة بنتيجته لأن المؤسسة العسكرية التي قامت بكلا الانقلابين كانت على أتم الاستعداد لأن تكون جزءاً من الخطة الإستراتيجية العسكرية الأمريكية. وجاء الانقلاب الأول ضمن الجهود الأمريكية في الحرب الباردة، والثاني كان لمقاتلة السوفييت في أفغانستان. والآن لدينا الجنرال مشرف الذي قاد الانقلاب العسكري عام 1999 مبدياً كامل الاستعداد ليكون حليفاً

للولايات المتحدة في الحرب على الإرهاب. ولم تتزعج الإدارة الأمريكية من حقيقة أنه أطاح برئيس وزراء منتخب من الشعب.

جيرمي ايرب: تحدثت حول الإمبراطورية الأمريكية بوصفها إمبراطورية تختلف عن بقية الإمبراطوريات السالفة. هل تصدق هذه المقولة على الإمبراطورية في عهد بل كلينتون كما هي في عهد بوش؟ هل هناك فروق ذات شأن بينهما، ام انك ترى انها استمرار لشيء واحد؟

هناك فوارق مهمة بين إدارة كلينتون وإدارة بوش، وهي فوارق تتكرر بين الحكومات الأمريكية المتعاقبة. وربما يصدق الحال على حكومات معظم الدول لأن الدول تحتاج دائماً إلى هذا الضغط والتوتر بين توافق الرأي والإكراه في ممارسة السلطة ومحاولة الحصول على ما تريد في العالم. ولهذا يوجد داخل الحكومات أناس يقولون بوجوب استخدام مزيد من القوة للحصول على ما نريد. وفي المقابل يوجد من يقول هناك ثمن يكون الطرف الآخر دائماً مستعداً لقبوله، لذلك قدموا لهم المساعدة، أعطوهم شيئاً، وسوف يبرمون صفقة معنا. لذلك فإن هذا التوازن في إقناع شخص ما بقبول التعاون، إقناع الشخص لقول "نعم" بدلاً من إجباره على قول "نعم"، هو أمر كان دائماً يشكل جزءاً من الحسابات السياسية والمنازعات السياسية داخل الحكومات وفيما بينها. وخلال الحرب ضد العراق شاهدنا أشخاصاً مثل كولن باول وغيره في وزارة الخارجية يقولون "دعونا نذهب إلى الأمم المتحدة"، وما يقصدونه هو الحصول على إجازة أو رخصة لشن تلك الحرب. وفي المقابل كان هناك أشخاص داخل الحكومة يقولون لسنا بحاجة إلى أحد ليقول لنا ما نفعل وما لا نفعل: فلنقم بهذه المهمة على أية حال. إذن، فالمسألة هي كيف تحصل على ما تريد.

ولكن لم يسأل أحد من كلا الطرفين نفسه هل الهدف الذي يسعى إليه حق أم باطل، هل يمكنك أن تريد ذلك؟ وهذا ينطبق على موقف إدارة كلينتون وموقف إدارة بوش. وعلينا أن لا ننسى أن إدارة كلينتون هي التي أحكمت الحصار الاقتصادي الذي فرض على العراق والذي حصد أرواح مئات الآلاف من أطفال العراق. إنها فقط طرق مختلفة في الحصول على ما تريد. وهذا الفارق على قدر من الأهمية لأنني أعتقد أن إدارة كلينتون كانت ستحتاج إلى ضغط كبير كي تقوم بما قامت به إدارة بوش وهو إرسال اكثر من مائة ألف جندي أمريكي لاحتلال واجتياح العراق، وقيام الجنود الأمريكان بإطلاق النار على المتظاهرين العراقيين في عاصمتهم. لذلك أعتقد أن هذه التفرقة مهمة، ولكن علينا أن لا نغفل عن حقيقة أن هذه الفوارق تبقى ضيقة نسبياً في كيفية حصولك على ما تريد. فكلا الحزبين الديمقراطي والجمهوري، وكل من كلينتون وبوش لديهم هدف واحد وهو الإطاحة بنظام صدام حسين. وكلينتون هو الذي اقر قانون تحرير العراق والذي خصص بموجبه مبلغ 100 مليون دولار سنوياً لتزويد المعارضة العراقية بالسلاح للإطاحة بحكومة صدام حسين. فالمسألة مسألة اختلاف في الوسائل، وكلهم متفقون على الهدف، ولكن بعض الوسائل مستساغة أكثر من الأخرى بالنسبة لهم.

والأمر الآخر الذي يشترك فيه كلينتون وبوش ويظهر أهمية الفارق الذي نتحدث عنه هو مسألة الأسلحة النووية. فقد كان كلينتون مستعداً للتوقيع على معاهدة شاملة لحظر التجارب النووية. كان مستعداً لتقديم تنازلات لمختبرات تجارب الأسلحة النووية الأمريكية كي يؤمن دعمها للتوقيع على تلك المعاهدة. وكانت الحكومات الأمريكية المتعاقبة تنفق المليارات على مختبرات الأسلحة بغية الاستمرار في عمليات البحث وتطوير الأسلحة النووية، إلا أن الرئيس كلينتون وقع على معاهدة تقول بأننا لن نقوم بأي تجارب نووية بعد اليوم. أما بوش فلديه

نظرة مختلفة: فهو يريد من هذه المختبرات إجراء المزيد من الأبحاث والتجارب، ويسعى إلى تطوير جيل جديد من الأسلحة النووية. وهناك قلق حقيقي من أن ولاية ثانية من حكم بوش الثاني ربما تسفر عن انسحاب الولايات المتحدة من معاهدة حظر التجارب النووية لكي تستأنف التجارب النووية وتفسح المجال أمام إضافة جيل جديد من الأسلحة النووية إلى الترسانة الأمريكية التي تضم عشرة آلاف رأس نووي. وهذا فارق مهم لأن الولايات المتحدة لديها موقف وسياسة معلنة تلتزم فيها باستخدام الأسلحة النووية حتى ضد الدول التي لا تملك سلاحاً نووياً.

ومن أكبر القضايا التي تشغل بال الكثيرين منا هي أن مقاومة الإمبراطورية الأمريكية تتزايد يوماً بعد يوم في دولة تلو الأخرى، ومن المؤسف أن مزيداً من الدول أصبحت تفكر بامتلاك السلاح النووي كرد على السلاح النووية الأمريكي. وبذلك نكون قد مهدنا السبيل لزيادة المواجهة النووية. وبما أننا لسنا في وضع يشبه وضع الحرب الباردة من وجود هذا التوازن بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي التي تمتلك كل واحدة منهما آلاف الرؤوس النووية المثبتة على صواريخ عابرة للقارات وقادرة على تدمير الطرفين تدميراً تاماً ومعهما بقية العالم، فسوف ينتهي بنا الأمر إلى وضع مشابه لما يحدث مع كوريا الشمالية. فكوريا الشمالية ربما لديها بضعة رؤوس نووية وصواريخ قد يصل مداها إلى اليابان أو المحيط الهادي. ولكنها لا تشكل تهديداً كاسحاً بحجم التهديد والخطر الذي كان يشكله الاتحاد السوفييتي على الولايات المتحدة. وهذا من شأنه أن يسمح للمخططين العسكريين في البنتاغون بالتفكير باستخدام السلاح النووي في الحرب. ومتى ما أصبح هذا الخيار مفتوحاً كما حدث في التقنيات السابقة، فإن الدول الأخرى ستجد وسائل أخرى للدفاع عن نفسها. لقد بدأنا بإدخال احتمالات استخدام الأسلحة النووية في كل أنواع الأوضاع والظروف كجزء من

الصراع على السلطة والصراع من أجل الإمبراطورية، الأمر الذي يمهد الطريق أمام انتشار الأسلحة النووية، وزيادة احتمالات استخدامها كطريقة لمواجهة القوة الأمريكية. ويترتب على هذا نتائج وخيمة لأن ذلك سيذهب بحياة الملايين من البشر.

جيرمي إيرب: هل لك ان تحدثنا عن مشروع القرن الأمريكي الجديد، وعن تبعات مبادئه الأساسية على مستقبل الإمبراطورية الأمريكية؟

للإمبراطورية الأمريكية علاقة غريبة بالزمن، وهي تختلف عن الإمبراطوريات السابقة. وقد كتب هنري لويس مقالة شهيرة نشرت في مطلع الأربعينيات بعنوان "القرن الأمريكي". وفي التسعينيات أطل علينا "مشروع القرن الأمريكي الجديد" والحقيقة أن هذه الفكرة غريبة- وهي أن أمريكا لا تعرف الحدود الجغرافية وحسب، بل إن الزمن نفسه يعود لأمريكا- إنه قرن أمريكي. الا يعيش الصينيون في الزمن الذي يعيش فيه الأمريكان؟ ما الذي يعنيه أن تعيش في القرن الأمريكي، أو أن تكون أمريكياً في القرن الأمريكي أو أن لا تكون أمريكياً في القرن الأمريكي؟ ومن بين الأشخاص المسئولين عن هذه المنظمة نائب الرئيس دك تشيني وبول ولفوويتس وأشخاص آخرون يحتلون مناصب حساسة في حكومة بوش. لذلك فإن من الأهمية بمكان أن تسأل عن وجهتهم في العالم. وأعتقد أن هناك ثلاثة أمور تعمل معاً. فمن جانب، تعتبر هذه العصبة عصبة ثورية. فهم يسعون إلى إعادة تشكيل العالم وفق هواهم، لأن هذا العالم "غير مرتب" ولا يستقيم مع تصورهم لما يجب أن تكون عليه الأمور. وعندما ننظر إلى الشرق الأوسط تحديداً، فبإمكانك أن ترى لماذا يعتقدون أن العالم غير مرتب. لأن معظم دول الشرق الأوسط أنشئت في الفترة الواقعة بين الحرب العالمية الأولى والثانية على يد الإنجليز بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية. إنه "غير مرتب" لأن تلك الأنظمة لا تفعل ما ينبغي فعله، وهي أنظمة غير مستقرة وتعمل

على تعقيد المسائل الخاصة بأسعار النفط ومن يسيطر عليه..الخ. لذلك نحن بحاجة إلى ترتيب الأمور كي يعمل كل شيء بالشكل الصحيح. وهذا عنصر منهم وراء هذه التوجهات والسياسات- إنها حلول إدارية. فالعالم الذي ورثه المحافظون الجدد ليس بالكفاءة المطلوبة.

والأمر الآخر، هو انهم يسعون إلى وضع مؤسسات وافكار تضمن قبول الناس وانصياعهم للقوة الأمريكية في ظل عدم وجود منافس للولايات المتحدة. والخطوة الأولى في ذلك هو إقناع الناس بأن القوة الأمريكية جاءت لتبقى. لا تفكر أبداً بمقاومتها، ولا تفكر أبداً بتحديها، لأن العالم سيكون في أفضل ما يمكن أن يكون عليه، وسيكون لك مكان فيه. لذلك من الأفضل لك أن تنصاع.

والأمر الثالث لا علاقة له بما يرغبون فعله في العالم بل بما يريدون تحقيقه في الولايات المتحدة نفسها. فهذا الجيل من الأشخاص: ولفوويتس وتشيني ورمسفيلد، وغيرهم ممن يحمل أفكاراً مشابهة، يعتقدون أن الحركات التي ظهرت في الستينيات - على سبيل المثال، الحركات المناهضة لحرب فيتنام، وحركات تحرير المرأة، وحماية البيئة، وغير ذلك- هي حركات زعزعت الهيكل التقليدي للسلطة. وبدأ الناس إثرها يناقشون ماهية النظام الطبيعي للمجتمع، وما يجب أن يكون عليه. ويرى المحافظون الجدد في ذلك تحدياً ومشكلة لأنهم يعتقدون أن كل ينبغي على الناس معرفته هو من هو صاحب الأمر والحل والربط. لذلك فإن الناس بحاجة إلى إعادة انضباط. وهذا أمر يتحتم على الأمريكان أن يفكروا فيه جيداً: هل نحن على استعداد للسماح لهؤلاء بنقض كل ما تم تحقيقه من تقدم في الثلاثينيات والأربعينيات في مجالات الحقوق المدنية والديمقراطية والهوية. هل سنمسح لهم بتغيير ذلك لأنه لا ينسجم مع أفكارهم الخاصة. وعليه فإن مشروع القرن الأمريكي الجديد لا يتعلق بتغيير العالم وحسب بل وبتغيير أمريكا نفسها أيضاً.

جيرمي إيرب: هل هناك فرق بين الإمبراطورية الأمريكية وغيرها من الإمبراطوريات السالفة يبعث على التفاؤل بالمستقبل؟

تختلف الولايات المتحدة أساساً عن كل الإمبراطوريات السابقة في أكثر من جانب. أولها هو أن كل شخص في الولايات المتحدة وعلى خلاف مواطني الإمبراطوريات السابقة، يملك القدرة على القراءة والكتابة، وعليه فإن المعلومات متاحة أمام عموم الشعب حول ما تفعله إمبراطوريتهم حول العالم. ولو نظرنا مثلاً إلى الإمبراطورية البريطانية في أوج قوتها لوجدنا أن معظم البريطانيين لا يجيدون القراءة أو الكتابة. والجانب الثاني هو أن المؤسسات الديمقراطية والأحزاب السياسية والمنظمات غير الحكومية والمؤسسات الاجتماعية كانت تعاني وتناضل من أجل الظهور كأفكار جديدة في المجتمع. أما في الولايات المتحدة اليوم فلدينا كل هذا، لذلك فإن هذه الإمبراطورية هي الأولى في التاريخ التي يوجد فيها مؤسسات ديمقراطية. لذلك فإن اجتماع هذه الأمور - القدرة على معرفة ما تفعله أمريكا حول العالم، والمؤسسات التي يمكن للأفراد من خلالها التحكم والسيطرة على الحكومة فيما تفعله باسمهم، هو جانب جديد. والسؤال هو، هل يوجد لدينا استعداد في ممارسة وتفعيل هاتين المكنتين المتوفرتين بين أيدينا لكي نجعل من هذه الإمبراطورية إمبراطورية تختلف عما سبقها من إمبراطوريات. لأن الإمبراطوريات السابقة كان لها دائماً نهايات مأساوية. إن مستقبل الإمبراطورية الأمريكية سوف يتحدد أساساً بالخيار الذي يمارسه الشعب الأمريكي تجاهها.

نورثمبتون، ماسيتشيوستس

13 اكتوبر، 2003

مارك كرسبن ملر

يعمل مارك كرسبن ملر استاذاً في الدراسات الإعلامية في جامعة نيويورك، حيث يراس مشروع ملكية وسائل الإعلام ويشتهر بكتاباته حول مختلف موضوعات الإعلام، وبنشاطه في الإصلاح الإعلامي الديمقراطي. وله عدد من الكتب ابرزها: الانحباس داخل الصندوق: ثقافة التلفاز (مطبوعات جامعة نورث ويسترن، 1988)، وكتاب: الرؤية من خلال الأفلام (بانثيون، 1990) وكتاب: لعثمة بوش (نورتون، 2001)، وكتاب: وحشي وغريب: نظام بوش/تشيني العالمي الجديد (نورتون، 2004)

جيرمي إيرب: تحدثت في كتابك لعثمة بوش، حول التراجع السياسي المتدهور الذي كان يعاني منه بوش قبل 11 سبتمبر. هل لك ان تستعرض معنا تلك الفترة الزمنية حتى 11 سبتمبر؟

لم يكن بوش في يوم من الأيام رئيساً محبوباً من الجماهير. ولم يكن يحظى بشعبية عندما كان مرشحاً. ويصعب علينا أحياناً تذكر أنه يفتقد إلى الشرعية الشعبية لأنه خسر الأصوات العامة بفارق نصف مليون صوت(*) وكما كانت حال

(*) تتبع الولايات المتحدة نظام التصويت على مرحلتين في الانتخابات الرئاسية لكي لا تنفرد بعض الولايات ذات النسبة السكانية العالية بتقرير نتيجة الانتخابات على حساب الولايات الصغيرة. لذلك جرى تقسيم الولايات إلى دوائر انتخابية ويجري التصويت في هذه الدوائر لانتخاب هيئة انتخابية (Electoral College) لتقوم بانتخاب الرئيس ونائبه. ولكل ولاية عدد من المقاعد في هذه الهيئة يساوي عدد المقاعد المخصصة لها في الكونغرس. ولا تطبق قاعدة التمثيل النسبي، وإنما تطبق قاعدة التمثيل المطلق اي ان الفائز يحصد كل المقاعد. ولو افترضنا ان ولاية ما لها 20 مقعداً في الهيئة الانتخابية، وحصل فيها ممثلو الحزب الجمهوري على 51٪ من الأصوات فإنهم يحصدون العشرين مقعداً وليس 11 مقعداً. ويحتاج المرشح إلى الفوز بـ 270 صوتاً من مجموع =

أبيه من قبل، برغم كل الفوارق السطحية بينهما، فإنه ليس قريباً من الجماهير. وحتى مع تحدثه بلهجة سكان تكساس، وأميته، وروتينه التكساسي الأحمق، فإنه يبقى شخصاً من الطبقة الأرستقراطية.

لقد نجح بوش وفريقه في تنصيب أنفسهم في الحكومة رغم أنف الناخبين، إلا أن أمرهم بدأ يفتضح برغم حرص وسائل الإعلام على عدم إحراجهم وفضح عوراتهم. وباتت سياساتهم الاقتصادية، وسياساتهم البيئية، وموقفهم من الإجهاض، هذه الأمور كلها التي حاولوا إخفاء نواياهم الحقيقية تجاهها أثناء الحملة الانتخابية، باتت الآن واضحة للجميع. ومع أن وسائل الإعلام كانت مشغولة طيلة الستة شهور الأولى من حكم بوش بقضية العفو عن مارك ريتش، إلا أن الناس استيقظوا على ما يحدث. ومع نهاية صيف عام 2001، كان بوش يهوي إلى الحضيض. لم يكن محبوباً لدى الصحافة ليس لسوء وفظاظة تعامله معهم وحسب، بل لعدم ثقة الناس به. فقد كان الاقتصاد الأمريكي يمر في أزمة. وفي محاولة لتحسين صورته، قام مستشاروه بإرساله إلى أوروبا، وجاءت تلك الزيارة بنتائج عكسية. فقد استقبل بوش بالمظاهرات الاحتجاجية في أوروبا كلها، مدينة تلو مدينة. ومثل هذه الأخبار لا يمكن تزيينها ووضع وجه حسن عليها.

وفجأة، وبما يشبه عمل السحر، جاء 11 سبتمبر. ولم يقتصر أثر هذا الحدث على حل مشكلات غاري كوندت(*) لأن اسمه كان يتردد في وسائل الإعلام أكثر من اسم جورج بوش على خلفية التهمة الموجهة ضده بقتل تشاندرا

= 538 عدد أعضاء هيئة الناخبين. ومن هنا فإنه يمكن لمرشح ما أن يفوز بغالبية أصوات الهيئة الانتخابية دون أن يحصل على غالبية أصوات جمهور الناخبين. وهو ما حدث مع جورج بوش عام 2000.

(*) غاري كوندت (1948-) عضو مجلس النواب الأمريكي من الحزب الديمقراطي عن ولاية كاليفورنيا من عام 1989 حتى عام 2003. تضررت حياته بعد اختفاء فتاة تدعى تشاندرا ليفي =

ليفي- بل كان بوش هو المستفيد الوحيد من هذه الكارثة المأساوية لأسباب يسهل فهمها. ففي أوقات الشدائد والأزمات يصبح الناس كالأطفال الذين يتوسلون طلباً للحماية. ولقد فهم مؤسسو الدولة الأمريكية هذه النزعة لدى بني البشر. فكانوا يجادلون باستمرار ضد الخضوع والانزلاق وراء هذا الميل الغريزي نحو الأمان والسلامة. لذلك، فنحن أمام مشكلة قديمة، وحل قديم قديم. وكان هذا الحل دواءً سحرياً لمشاكل بوش السياسية. ولم يكن ذاك لأن الشعب كان يتطلع إليه ليكون قائداً للأمة شامخ الهامة ورمز الأب الوطني في تلك اللحظة العصيبة من تاريخ الأمة وحسب، بل لأن الإعلام كان مفتوناً إلى أبعد الحدود بتحوله من شخص معتوه إلى وينستون تشرشل أمريكا.

وفعلاً ظهر بوش شخصاً مختلفاً في حديثه بعد أيام من وقوع الكارثة. ولنتذكر أن أداءه في اليوم الذي وقعت فيه المأساة كان أداءً ضعيفاً. وفي حقيقة الأمر أنه تصرف بطريقة مشينة مهما حاول البيت الأبيض أن يلفق ويحوِّر تلك القصة. وحتى كبار أعضاء الحزب الجمهوري اشتكوا من اختبائه عند بروز أول علامات الخطر. ولا أحد يعرف أين ذهب، وكان ذلك أمراً سيئاً بالنسبة له. إلا أنه تجاوز كل ذلك مع حلول اليوم الثالث عشر من سبتمبر. وكانت نقطة التحول عندما أجرى بوش مكالمة هاتفية تم إعدادها إعداداً جيداً مع كل من عمدة نيويورك جولياني، وحاكم الولاية باتاكي. وفيها أفاض العمدة على الرئيس بعضاً من جاذبيته بما كاله من ثناء ومديح على سرعة تجاوب الرئيس وبراعة تعامله مع الأزمة. واختلق جولياني الأكاذيب حول قيام بوش بالاتصال به مباشرة لمتابعة الموقف. كان جولياني رجل الساعة، ولديه من المزايا القيادية ما يفتقر إليها بوش

= والتي كانت تحت التدريب في وظيفة حكومية في مكتبه، ثم وجدت مقتولة فيما بعد. انكر كوندت وجود أي علاقة رومانسية مع تشاندرا. إلا أنه عاد واعترف أمام المحققين بتلك العلاقة. وتشوهت سمعته في الإعلام وخسر تأييد الحزب الديمقراطي لترشيحه عن دائرته الانتخابية لولاية نيابية ثانية في الكونغرس عام 2002. (إنكارنا 2005).

أشد الافتقار. لذلك، لم يكتف بوش بالحصول على مباركة جولياني عبر هذه المكالمة وحسب، بل توج يومه بأداء ارتجالي غير معهود منه في مكتبه في البيت الأبيض أمام الصحافة. وكانت دموعه تتلألأ في عينيه والأمة تتهيّأ لإعلان الحرب على الإرهاب. وأعتقد أن بإمكانك أن ترى، لو نظرت نظرة موضوعية، أن الرجل كان يتحدث من أعماق قلبه. لقد بدا مقتنعاً بقدسية خطته.

والنقطة المهمة التي نلاحظها من هذا الاستعراض للأحداث، ودون التكهن حول التزامه الديني، هي أن بوش عندما يتحدث الآن فإنه يتحدث بدرجة من الثقة بالنفس بدءاً من 13 سبتمبر وما بعده، حتى في الأوقات التي يتحدث فيها ارتجالاً، وأصبح مقنعاً كقائد تقي عازم على الثأر. ولم يكن هذا بالضرورة تحولاً في شخصيته. إذ لم يوجد فرق بين بوش ما قبل 11 سبتمبر وبوش ما بعد 11 سبتمبر. لأن بوش كان دائماً يتحدث بوضوح وتناسق نوعاً ما إذا كان الحديث يتعلق بالثأر، أو الإعدام، أو الحرب. هذه هي الموضوعات التي تستهويه. لذلك فهو عندما يتحدث عنها يبدو مقنعاً؛ وتكون جمله قصيرة وواضحة. ولا يبدأ بارتكاب أكثر الأخطاء المضحكة إلا عندما يحاول التحدث في الموضوعات المملة أو المؤذية بالنسبة له كالديمقراطية، أو التعليم، أو السلام، أو العطف والحنان. وليس هذا بسبب الحماقة: بل لعدم وجود الإخلاص، فها هو الآن يتحدث بطلاقة حول مواضيعه المفضلة أمام جمهور منقاد له بفعل الخوف والإرهاب. لقد كان من المستحيل أن يفوّت هذه الفرصة. ومرة أخرى، أصبح في نظر الجماهير كالإله، وفي نظر الإعلام أكثر من ذلك. واحتاج الشعب إلى أكثر من سنة للإفاقة من تلك السكرة، قبل أن يعاودوا النظر إليه كرئيس عادي.

وحتى لحظة تسجيل هذه المقابلة، فإني لا أعتقد أن وسائل الإعلام أفاقت من سكرتها بعد. وعلينا أن لا ننسى أن وسائل الإعلام كانت تقف موقفاً جباناً ومتخاذلاً تجاه بوش وتشيني منذ البداية. فهم لم يوجهوا أي نقد لحملته

الانتخابية، ثم تجنبوا فيما بعد توجيه أي نقد لإدارته خلال الأشهر التي سبقت 11 سبتمبر. وما أحدثته كارثة 11 سبتمبر هو انها صيّرت وضعاً سيئاً أصلاً إلى وضع أسوأ. فبعد أن كان هناك بعض النقد الخافت، وبعد أن بدأت تظهر بعض علامات النقد الموجه إلى بوش، أصبحنا لا نسمع شيئاً سوى الإعجاب والافتتان بهذا القائد الفذ. وجرى تمجيد بوش على ذكائه وبراعته في التعامل مع الأزمة، في حين أن الحقيقة، وعلى الرغم من حيله المقنعة، وسلوكه المقنع، هي أن تعامله مع الأزمة كان تعاملاً مشئوما منذ البداية. هذه هي وجهة نظري.

وخرج يوم 11 سبتمبر يقول بأن الإرهابيين هاجمونا لأنهم كانوا يحسبون أننا ليّنون، وهذا في منتهى السخف. فلا يوجد أحد في العالم يظن أننا لينون. لقد هاجمونا لأنهم يعتقدون بأننا سنثأر منهم. واستمر بوش في منح الإسلاميين هدية الرد العنيف. ثم عمدت الحكومة إلى القيام بالشيء الذي كانت تخطط له منذ وقت طويل مدعية أن ما تفعله هو جزء من الحرب على الإرهاب. لذلك، فإن تعامل بوش مع الأزمة كان تعاملاً كارثياً، ولكننا نعيش ضمن ثقافة التلفاز، حيث لا تركز الصحافة اهتمامها إلا على الأداء التلفازي. وفي اللحظ التي كان يتشوف فيها كل شخص إلى "الأب الكبير الحاني" أحسن بوش أداء هذا الدور إلى الحد الذي أثار إعجاب الصحافة برباطة جأشه، وبمكانته وثقته بنفسه. وأصبحت القضية كنوع من النبوءة ذاتية التحقق.

جيرمي إيرب: هل لك أن تحدثنا عن ظهور بوش في موقع ركام برج التجارة العالمي وتحديداً عندما تحدث من خلال مكبر الصوت؟

كسب بوش من ظهوره في موقع ركام برج التجارة العالمي كثيراً من النقاط لصالحه، وبالمناسبة، كان يشير إلى ذلك الموقع في حديثه في اليوم التالي بموقع البناء. وفي زيارته للموقع مرة ثانية بعد عدة أيام من وقوع الكارثة، أخذ بيده مكبّر الصوت ووقف إلى جانب بعض عمال الإنقاذ وأخذ يستعرض الشيء

الوحيد الذي يتقنه جيداً وهو الهتاف والتشجيع. فقد كان بوش يتولى قيادة فريق المشجعين في أكاديمية فيليبس آندرو في مرحلة دراسته الثانوية، وكان بارعاً في ذلك. وفي تلك الزيارة قام بتشجيع عمال الإنقاذ المنهكين والغاضبين والخائفين حوله أمام جمهور من سكان نيويورك المحطمين نفسياً، وعاهد الحضور، بطريقة تبعث على الرضا وجبران الخاطر، على أن المسئولين عن هذه الفعلة سيسمعون منا قريباً. وكان يتحدث بلهجة حادة وشديدة- وكانت تلك اللحظة من اللحظات التي أحس فيها الناس ببلاغة غير معهودة فيه، في حين أن مستوى خطابه كان مقبولاً. ولكن تلك الزيارة حققت هدفه في دمج تلك الكارثة في مشهده السياسي.

جيرمي إيرب: ما تعليقك على اختيار الحزب الجمهوري إقامة مؤتمره العام هنا في نيويورك للإعلان عن مرشح الحزب لانتخابات الرئاسة، مع ما يصاحبه ذلك من ميثولوجيا بسبب ما حدث في 11 سبتمبر؟

إن قرار الحزب الجمهوري المجيء إلى نيويورك وإقامة مؤتمره العام هو قرار مسيء للمشاعر العامة، وأعتقد أن هذا الراي يمثل راي غالبية الناس هنا. وكل شخص من سكان نيويورك تحدثت إليه حول هذا الموضوع كان في غاية الاستياء من استخدام البيت الأبيض لكارثة 11 سبتمبر كخلفية لمؤتمره العام لاختيار مرشحه للرئاسة، هذا عدا عن أن ذلك سيزيد من احتمالات حدوث هجوم إرهابي آخر في مدينة نيويورك. وكما ترى، فإن فريق بوش كان دائماً يستغل وبكل صفاقة هذه الكارثة لتسجيل أهداف سياسية وبأبشع طريقة. وتقوم الآن اللجنة الانتخابية في الحزب الجمهوري ببيع صور جورج بوش وهو على متن الطائرة الرئاسية يوم 11 سبتمبر وتبدو عليه ملامح الحزم والأنفة، مقابل 150 دولار للصورة الواحدة. إنهم يستخدمون الصور التي التقطت لهذا الرجل يوم الكارثة التي مات فيها من مات كأداة لجمع التبرعات. وهو اليوم الذي فرّ فيه من وجه الأحداث. ولكن ماذا بوسعك أن تفعل حيال ذلك؟

جيرمي ايرب: ذكرت كلمة "كارثة" عدة مرات. وقد لاحظت ان هذه الكلمة يكثر استخدامها في كتابات كثير من مفكري المحافظين الجدد. كيف تفسر هذا القلق- أو بالأحرى هذا الشغف - بالكوارث التي تلوح في الأفق؟

من العجيب أن هؤلاء الناس على درجة عالية من الشفافية. فعلى سبيل المثال، بوش نفسه، تجده أحياناً وفي لحظة من لحظات الغفلة يصرح بأشياء في معرض كلامه تعكس أفكاره الحقيقية، كما كان يفعل ابوه من قبل عندما كان رئيساً. ومجرد الاكتفاء بالضحك على زلة لسانه يفوت أهمية ما قاله. ويصدق الشيء نفسه على الأشخاص المحيطين به. إذ يوجد لديهم نزعة مريبة نحو استخدام كلمة "كارثة". فهم يعشقون التفكير بالكوارث. وأنا أقصد هنا المحافظين الجدد. وهذه القضية تشبه الاعتقاد الموجود لدى النصارى المؤمنين بنهاية العالم نهاية مدمرة (بحسب نبوءات سفر الرؤيا)، والإنجيليين المتحمسين لنهاية العالم وعودة المسيح- مثل توم ديلي، وجون آشكروفت. وما أعنيه هو أن هؤلاء الناس يؤمنون حقاً بقرب نهاية العالم، ويفعلون كل ما بوسعهم من أجل تهيئة المكان لعودة المسيح. هذا الإيمان بالنهاية الكارثية للعالم هو عقيدة مشتركة لدى هؤلاء جميعاً. وهي عقيدة مؤسسة في جانب منها على حالة مرضية مزمنة، وإلى حد ما على حسابات سياسية.

وتخويف الناس كان وما يزال من الحيل القديمة المستخدمة ضد الديمقراطية أو الحكم الجمهوري، ويتحقق ذلك باختلاق أزمة أو افتعال حرب ما. وفي تلك اللحظة، مع شديد الأسف، يفقد الناس قدرتهم على التفكير العقلي السليم، ويفقدون قدرتهم على حكم انفسهم. يصبحون كالأطفال المحتاجين إلى من يرعاهم. وهم على أتم الاستعداد لفعل ما يقوله لهم "بابا" من أجل حمايتهم وسلامتهم. وقد عبر عن هذه الظاهرة جيمس ماديسون في مقالة رائعة كتبها

اثناء الأزمة التي ظهرت حول تشريع قانون الأجانب والفتنة لعام 1799، عندما كان جون آدمز والاتحاديون يحاولون فعل شيء مشابه لما يحاول بوش وتشيني فعله الآن بهذا البلد. في ذلك الوقت كان الخطر قادماً من فرنسا. وفرنسا لم تكن تشكل خطراً مباشراً، ولكنها كانت عدواً. فقال ماديسون، بما معناه، بأن الخطر القادم من الخارج سواء أكان هذا الخطر حقيقياً أم مفترضاً، أم من وحي الخيال، يتم استخدامه دائماً لوضع قيود على الحرية في الداخل. فهم ماديسون هذه القضية تمام الفهم، لأنه درس تاريخ أثينا، ودرس تاريخ روما. وفي الوقت الذي كتب فيه ماديسون هذه المقالة، كان واحداً من بين الذين راقبوا عن كثب ما يجري في فرنسا خلال الثورة الفرنسية، التي تخلت عن كونها جمهورية، وعادت إلى ما يشبه الدكتاتورية العسكرية في عهد نابليون. وعلى غرار جفرسون وتوم بين، فهم ماديسون أبعاد التوتر والتنافر بين النظام العسكري والجمهورية المدنية. فهما شيئان متنافران ومختلفان اختلافاً كلياً. ولا سبيل إلى إمكانية وجودهما معاً. وهذا هو سبب إصرار مؤسسي الدولة على التعديل الثاني للدستور. لم تكن المسألة أنهم أرادوا من كل مواطن أن يحمل في معطفه بندقية. لم تكن تلك هي القضية. كانوا يحرصون على المادة الثانية من التعديل لأنه لم يكن لديهم ثقة بالجيش النظامي. وقد ذكر ماديسون بأن الدولة التي تحتفظ بجيش نظامي لا يمكنها أن تبقى دولة حرة.

وعندما نقرأ اليوم ما كتبه ماديسون نصاب بصدمة الإفاقة والشعور بالامتنان لأنه كان واحداً من الآباء المؤسسين لهذه الجمهورية ولأن كلماته ما زالت نبراساً نستنير به. إنها تجربة تختلف عن تجربة قراءة جزء من رواية يوميات نورمبيرغ للكاتب جي إم غيلبرت حيث ينقل لنا حديثه مع غيرنغ وهما يتحدثان حول الفوارق بين الدكتاتوريات والديمقراطيات، فيقول غيرنغ: "إن من السهل ترويع وإرهاب الناس لإذعانهم". وعندما قال له غيلبرت: "حسناً، ولكن

الحال في الديمقراطية مختلف لأن الناس لديهم مصادر مستقلة للمعلومات ولا يمكنك السيطرة على الرسالة بتلك الطريقة." فرد غيرنغ قائلاً: "لا يهم ما هو نوع نظام الحكم. ولا أثر لذلك البتة: سواء كان نظام الحكم شيوعياً، أم فاشياً، أم ديمقراطياً، فكل ما هنالك أن تقول للناس بأنهم معرضون لهجوم وسيفعلون كل ما تطلبه منهم."

إن هذه الحكومة لم تدرس كيف تعامل ماديسون مع هذه المشكلة- فقد كان مثالياً في تعاطيه: لأنه كان يؤمن بالديمقراطية. وكان يؤمن بالعقل. أما هذه العصبة فهم تلاميذ أسلوب غيرنغ: الانتهازية. كيف يمكننا حمل الناس على فعل ما نريد؟ إن استخدامهم للكارثة يتوازى مع تعاون وسائل الإعلام معهم، وممارساتهم غير القانونية والاحتيالية في الانتخابات، وفي كل ما اقترفوه لطمس إرادة الشعب. إنهم لا يؤمنون بالديمقراطية. ولست مبالغاً عندما أقول ذلك. إنهم يعارضون الديمقراطية ويعملون بكل جهد ضدها. لذلك كانت هجمات 11 سبتمبر أمراً مرحباً به عندهم. ونحن لا نعلم إن كانوا هم الذين خططوا وأعدوا لتلك الهجمات. ربما أن ذلك لم يحدث. وربما أنهم ليسوا على هذه الدرجة من الكفاءة لعمل شيء كهذا. إلا أنه يصعب المجادلة بأنه لم يكن لديهم علم مسبق بالعملية. كما أن من المستحيل المجادلة بأنهم لا يحاولون طمس الحقائق حول ذلك، لأنه لم يصدر عنهم سوى عرقلة عمل لجنة 11 سبتمبر، بعد أن أبدوا معارضة لتشكيلها. إنها عصابة تريد من الناس أن يبقوا في حالة خوف. إنها عصابة لا يمكنها تحقيق أي نجاح سياسي مهما كان في حالة من الطمأنينة وراحة البال.

جيرمي إيرب: تحدثت لتوّك عن ماديسون، ومن الواضح أن من نصفهم بالمحافظين الجدد- ولفوويتس، وبيرل، والبقية- لديهم نظرتهم الخاصة للتاريخ. فقد برعوا في صياغة حجج هي في نظرهم تقوم على مستند تاريخي. هل لك ان تحدثنا عن نظرتهم للتاريخ؟

لا شك أن الأشخاص الذين يحيطون بجورج بوش هم على دراية بالتاريخ، وهذا لا يقتصر على بيرل وولفوويتس وحسب، بل وعلى كارل روف الذي يعد قارئاً نهماً للتاريخ. لذلك فهم ليسوا مجموعة جاهلة بحسب أدنى المقاييس. إلا أن قراءتهم للتاريخ، ومعذرة إن كانت ملاحظتي هذه فيها بعض الاستفزاز، هي شبيهة بقراءة هتلر للتاريخ من جانب واحد، وهو أنها قراءة تتم من خلال منظار جنون العظمة. لقد درسوا التاريخ ليس لتعلم دروسه المريرة، وبالتأكيد ليس للاهتداء إلى كيفية إقامة حكومة أكثر عدلاً وأكثر حرية. لا، لقد درسوا التاريخ لكي يهتدوا إلى أفضل السبل لضمان استمرار الإمبراطورية إلى الأبد. فهم لا يكتفون بجعل الولايات المتحدة قوة إمبريالية، بل يسعون إلى تفوقها على كل الإمبراطوريات التي سبقتها لا من حيث العمر، بل من حيث الثبات والدوام، وهو مشروع مجنون، رغم كل ما تعلموه في الجامعة وكل ما قرأوه. فما علاقة هذا المشروع بالدستور؟ وما علاقته بالديمقراطية؟ وما علاقته بالسعي نحو السعادة؟ والجواب لا شيء. إنه من أجل القوة والسلطة. من أجل الهيمنة. إنه للسيطرة على الموارد المتناقصة. لذلك فإن دراستهم للتاريخ متفرعة عن انتهازيتهم. إنهم ليسوا من الذين يقراون التاريخ بحياد وموضوعية، بل بصفتهم أصحاب مذهب ودعاة إمبراطورية غير معهودة.

جيرمي إيرب: هل تعتبر هذه الإدارة- في نظرك- استمراراً للحزب الجمهوري الذي كان موجوداً زمن اجدادنا، ولكن بنزعة اكثر عدوانية؟ ام ان هؤلاء الأشخاص، كما اقترح بعض المراقبين، هم راديكاليون حقيقة، اشخاص من غلاة المتطرفين من الحزب الجمهوري؟

يخطئ بعض الناس حين يعتقدون أن هذه الحكومة حكومة محافظة: وأن هذه الحكومة أبعد عن الجمهوريين القدماء بخطوة أو خطوتين. وهذا هو ما يظنه الديمقراطيون: أنهم يتعاملون مع حكومة طبيعية. وهذا ما يظنه اليساريون

أيضاً. فهم يعتقدون أن هذه الحكومة تمثل الراسمالية في طريقة عملها. وربما أن هناك بعض الحقيقة في ذلك. ومن الواضح أن الرغبة في الربح وتحقيق المكاسب المادية تعلب دوراً كبيراً في هذه الحرب وفي الحرب على الإرهاب، إلا أنها ليست الراسمالية بعينها المستفيدة من هذه الأجندة. إنها فقط لخدمة أنفسهم. إنها الرأسمالية الشللية. إنها ذلك النوع من الراسمالية التي تحيّد المستثمرين والنخب في الدول الأخرى وبعض النخب في هذا البلد.

والحقيقة هي أن هذه الحكومة ليست محافظة على الإطلاق. إنها لا تمثل الحزب الجمهوري الذي كان في عهد أجدادنا، وهو حزب يؤمن بالحكومة الفدرالية المحدودة، وبالمحافظة على حقوق الولايات، وبالمسؤولية الفردية، ويرفض التدخل في شؤون الدول الأخرى. هذه أبرز المزايا التي يمكن أن نصف بها الحزب الجمهوري. على الأقل هذا هو فهمي للنهج المحافظ. وكان هذا الحزب في قديم الزمان يستوجب قدراً معيّناً من الذوق والمناقشة العامة. وكان الجمهوريون يفتخرون بالحشمة واستقامة السلوك و الخ، وكانت الممارسات الغوغائية وسوء الأدب من عمل الغوغاء ورعاع الناس. أما اليوم فنحن أمام وضع مختلف تماماً. مختلف كل الاختلاف.

لقد عملت هذه الحكومة على توسيع صلاحيات الأجهزة الأمنية والحكومة الفدرالية إلى حد غير مسبوق في تاريخ البلاد. ويوجد إلى جانب هذه الحكومة حكومة ظل قائمة بسبب الإرهاب. ويملك نائب الرئيس في هذه الحكومة، وهو من الناحية الفعلية يتصرف وكأنه رئيس وزراء النظام(*)، ووضع تحت يده اكبر طاقم موظفين في التاريخ الأمريكي. لقد قامت هذه الحكومة، بإلغاء أقسام جوهرية في وثيقة الحقوق. وعطلوا من خلال قانون الوطني كافة الضمانات

(*) يعد منصب نائب الرئيس الأمريكي من الناحية التاريخية ومن حيث الصلاحيات الدستورية المحدودة منصباً تشريفياً يقتصر على المراسيم ولا يتمتع بأي سلطات فعلية.

الدستورية في المحاكمة العادلة وعدم اعتقال الأشخاص بدون محاكمة. وجعلوا من الاعتقال المؤبد من دون محاكمة أمراً ممكناً. وتجاهلوا اتفاقيات جنيف بالكامل. وهم يتصرفون بكل حصانة أينما ذهبوا. ولا أجد شيئاً واحداً محافظاً فيما يقومون به. لا شيء. وبدلاً من الامتناع عن التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، فقد جعلوا الحروب المستمرة غايتهم وسبب وجودهم. فهذا هو هدفهم: مهاجمة هذا البلد أو ذاك. والقضية أبعد من الشرق الأوسط. وأبعد من التأثيرات الصهيونية، التي تعمل عملها في هذا المجال، لأنهم يركزون أنظارهم الآن على الصين. إنهم أشخاص يريدون الحرب إلى الأبد. وهذا يجعلهم حركة فاشية أكثر منها حركة محافظة. ليس للمسؤولية الفردية أي معنى لدى هؤلاء الناس، بسبب وجود هذه النزعة المتطرفة في التغاضي عن الآثار التي تتركها تصرفاتهم على الناس الآخرين. فهم الأخيار، وبقية الناس هم الأشرار. إنهم أشخاص مضطربون عقلياً واجتماعياً. هذه هي نظرتهم للعالم. وسرعان ما ينقمون على أي شخص يعترض أو يقاوم ضراوتهم ولصوصيتهم. ولا تنتمي هذه الأمور لا إلى نهج ديمقراطي ولا إلى نهج جمهوري. بل إنها لا تنتمي إلى العملية السياسية كما نعرفها.

إن هذه العصبة من الناس ليست من النوع الذي يمكن أن يتسامح تجاه الخلاف في الرأي بل ولا يمكنها تصوره. ويرون في فيه هجوماً شخصياً عليهم. فإذا اختلفت معهم حول نقطة ما، فأنت عدوهم. إن عقلية نحن ضدهم، هذا التفكير المانوي، والنزعة نحو وضع المعارضة في صف الشيطان- شاهدناه من قبل. رأيناه في النازيين. ورأيناه في الستالينيين. ونشاهده في القاعدة. إنه نظرة متعصبة ومغالية إلى الحياة السياسية. وثمة نزعة موروثة من التعصب المسيحي في هذه الحالة تحديداً، ولكن في النهاية لا يهم نوعية الثوب الديني الذي ترتديه. إننا نتحدث عن شيء يختلف عن المسيحية التي جاء بها

عيسى، وأبعد ما يكون عن الديمقراطية التي ناضلنا من أجل تحقيقها طيلة أكثر من 200 عام.

جيرمي إيرب: كما أشرت في كتابك، خاض بوش حملته الانتخابية للرئاسة عام 2000 على برنامج مناهض لكلينتون. وكان يردد في خطاباته عبارات مثل وجوب استعادة "شرف وكرامة البيت الأبيض. ولو قال لك أحد الآن "إنني أحد مؤيدي بوش، وعلى الرغم من كل مشاكله، فإنه على الأقل استعاد شرف وهيبة البيت الأبيض. وأوفى بوعده ذاك، ما ردك على هذا القول؟

لو جاءني شخص وقال لي "على الأقل أعاد بوش الشرف والهيبة إلى البيت الأبيض، وعليك أن تعترف له بذلك." أولاً وقبل كل شيء، ربما سأحتاج إلى دقيقتين لكي أفيق من صدمتي. ولكن ذلك ليس بالأمر غير المعتاد بالنسبة لي، فأنا اتعرض لمثل هذه الأمور باستمرار. سأحول أن أوضح لهذا الشخص بأن ما قاله صحيح فقط إذا حصرنا الشرف والهيبة بعدم التحرش الجنسي في البيت الأبيض. إن هؤلاء اللصوص الموجودين في البيت الأبيض اليوم ليس لديهم أي شرف، وليس لديهم أي كرامة. لقد كذبوا باستمرار وبفظاعة، وسخّروا مناصبهم لتأمين صفقات مجزية لمصالحهم الشخصية ومصالح المقربين منهم إلى الحد الذي يجعل من "قضية قبة إبريق الشاي" تبدو لا شيء. هليبرتن، بتشل، وغيرها. لقد قاموا بقلب الحقائق عما يفعلوه على الطريقة الأورويلينية(*)، وحاولوا ونجحوا إلى حد بعيد، في طعن أعدائهم وأحياناً أصدقائهم من الخلف. لقد جعلوا من الولايات المتحدة دولة مكروهة حول العالم. وقدموا وقوداً لا ينضب لنار الحركات المتشددة التي تبغض الولايات المتحدة. لقد داسوا على الحقوق

(*) نسبة إلى الكاتب الإنجليزي المشهور جورج أورويل مؤلف رواية 1984. وهي رواية خيالية ساخرة تدور حول الممارسات الاستبدادية في ظل نظام حكم دكتاتوري.

الدستورية للمواطنين والأجانب في هذا البلد إلى حد لم يكن متصوراً من قبل. فأين الشرف والكرامة والهيبة في هذا كله؟

إلا أن من المهم ملاحظة أنهم نجحوا في وضع أنفسهم في قالب الشرف والهيبة. ويعود السبب في معظمه إلى التدين لدى مؤيدي بوش. ومن الحقائق الثابتة أن الغالبية العظمى من الأشخاص شديدي التدين لا يميزون بين الأخلاق العامة والأخلاق الخاصة. لذلك فعندما تسمع الناس يقولون بأن ريتشارد نيكسون كان أفضل من بل كلينتون، فإنهم يحصرون معيار حكمهم في المخالفات الجنسية، لأن نيكسون لم يكن يتعرض للنساء، بينما شاع عن كلينتون شبقه الجنسي وكثرة تحرشه بالنساء. وهذا مبالغ فيه. إلا أن ما أظهره كلينتون من نزواته الجنسية كان كافياً لجعل هؤلاء الناس يقولون بأنه كان أسوأ من نيكسون على الرغم من ارتكاب هذا الأخير جرائم أضرت بالصالح العام وكانت أخطر بكثير من أي شيء قام به كلينتون في حياته. فالجرم الذي قام به كلينتون لم يكن جرماً عاماً يطال المجتمع. إلا أننا أمام عقلية لا تفهم معنى الأخلاق العامة. ليس لها معنى بالنسبة لهم. وهم يشخصنون كل شيء ويتحدثون بلغة الخطيئة. ولذلك فإن الجهود الرامية إلى تعطيل الدستور، وهو ما فعله نيكسون، وما فعله الذين تورطوا في فضيحة إيران - كونترا، وهو ما تفعله إدارة بوش الحالية من مبادرات هدامة لتقويض الحكم الديمقراطي وحرمان الناس من حقوقهم- ولا أكاد أن اتصور شيئاً أسوأ واخطر من ذلك على الديمقراطية- فإن هذا كله لا يعتبر في نظرهم مخلاً بالكرامة أو بالشرف. وما داموا مقتنعين بأن سحاب سروالك محكم طول الوقت فإنك في نظرهم إنسان ورع ومستقيم تماماً. واسمح لي أن أضيف بأننا لا نعلم ما هو نوع الماضي الجنسي لجورج بوش. ويمكن لأي شخص عاقل أن يستنتج من سجل بوش الشخصي أن ماضيه الجنسي كان أسوأ وأفظع بكثير من سجل كلينتون. وما أعنيه هو أن بوش لم يكن شخصاً جاداً ولا مركزاً

في حياته. كان دائماً يستمتع بالملذات ولديه هذه النزعة الإباحية الموجودة لدى معظم أبناء الأثرياء. إلا أن ذلك لا يهم. فالحقيقة الرسمية، والحقيقة المسموح لنا بقبولها هي أنه وزوجته لورا يتمتعان بزواج سعيد. وأنه لم يسبق له أن ضل أو غوى. ولم يعد مدمناً على الكحول، على الرغم من عدم وجود أي دليل على ذلك كله.

جيرمي إيرب: هل قرأت المقالة التي نشرتها صحيفة نيويوركر حول كارل رووف؟ وتحدثت عن أول لقاء بين روف وبوش، وكيف أن روف أعجب بجاذبية وشخصية بوش بعد أن رأى علبة التبغ في حقيبة بوش. هل لك أن تحدثنا عن الفروق التي تشاهدها بين ما ذكرت عن بوش كأحد أبناء طبقة النخبة الأرستقراطية الثرية، والصورة المحددة التي صنعها له روف وبقية مستشاريه؟

برع فريق بوش الإعلامي في صنع صورة محددة له في أذهان الناس، صورة تستند في معظمها على جوانب ضعفه. فعلى سبيل المثال، بوش لا يجيد التحدث بكلام متناسق ومفهوم في المواضيع التي تخالف قناعاته مثل الحديث حول السلام، دون أن يستعين بنص مكتوب أمامه. وقد يفهم من ذلك فوراً بأنه علامة على الأمية والجهالة. وفي ذلك بعض الحقيقة. فهذا الشخص هو أقل الرؤساء فضولاً في التاريخ الأمريكي. ليس لديه أي فضول فكري، ولا يستطيع مراعاة قواعد اللغة إذا حاول التكلم في المواضيع التي تخرج عن دائرة اهتمامه. ومع ذلك فهذا ليس دليلا على الحماقة أو البساطة: لأن إدارته سعيدة كل السعادة حين يهزأ الناس من أخطائه في قواعد اللغة لأنهم سيقولون، وقد فعلوا ذلك، بأن تحدثه بهذه الطريقة ما هو إلا دليلاً على أنه شخص عادي من عموم الناس، وليس متعجرفاً من أبناء النخبة الأرستقراطية مثل آل غور -الذي يلقبونه بالأمير ألبيرت- الذي نشأ في فندق. وهذه الصورة تتناقض كلياً مع خلفية بوش. وكأنهم

يقولون بأن بوش لم يولد في ولاية كناكيتكت، ولم يدرس في أكاديمية فيليبس آندروفـر، ولم يحظ بمنحـة دراسـيـة في جـامـعـة ييل وهـي واحـدة من أرقى الجامعات الأمـريكيـة، وهو ليس شـخـصـاً يتصل نسبه بملكة بريطانيـا، وإنه ليس شـخـصـاً ينحـدر من أسـرة ذات ثـراء فاحش، وكان جـده من ممولي النـازية. ليس هذا هو جـورج بوش، إنه شـخص أمـريكي من عـمـوم الناس. وعندما يخطئ في اللغة فذلك دليل على أنه شخص عادي مثلي ومثلك. إن هذا التلفيق هو في غاية الدهاء: أن تجعل من بوش شخصاً من عامة الناس، وقائداً طبيعياً جاء من البرية على غـرار هنري جاكسـون. إلا أن الحـقيـقـة هي أن بوش كـان دائمـاً شـخـصـيـة أرستقراطيـة. والحقيقة أنه يمثل كل ما ينتقده في حقبة الستينيات. فهو يتحدث دائمـا عن تلك الفتـرة بأنها كانت حـول الاستـمتـاع بالحيـاة والملذات، وأن حقـبـة الستينيـات كانت فتـرة فظيـعـة- لأنها كانت تمثل شـعـار إذا خطـر في بالك شيء وشعـرت بالارتيـاح نحوه فافعله. إلا أن ذاك الوصف ينطبق على بوش نفسه. إنها تعكس بوش في أوضح صورة. أعني أننا قد نكون أمـام فيلم "منزل الحيـوانات" بدلاً من مهرجان "وودستوك"، ومع ذلك فإن بوش يبقى بوش.

ولا شك أن تحويل نقاط الضعف هذه إلى نقاط قوة يتطلب مهـارة عالية من كارل روف وبقية أعضاء فريقه. وقد استنفدوا في ذلك كل الحيل. وحولوا سجله في الإدمـان على الكحـول والمخـدرات إلى قـصـة حـول التـوبة وتخليص الذات من الخطايا، وذلك على الرغم من وجود دليل في سجـلات الشـرطة يشيـر إلى أنه لم يتـوقف عن الشـرب عـام 1986. ويوجـد شـريط فـيـديو يعـود لعـام 1992 ويمكن مـشـاهدته على مـوقع (thesmokingun.com) ويظهـر فـيـه بوش وهو سكران ومضحك بأسلوب عفوي يفصح عن طبيعة الولد المدلل. إلا أن الحـقيقـة هي أنه لم يظهـر في هذا الشـريط وهو يشـرب الليمونادة، ولـم يكن متزناً بل كـان سكراناً. ومع ذلك فإن هذه الصورة التي أخرجت للناس عبـر وسـائل الإعـلام تبدو وكأنها

منقوشة على الصخر. وهذا ليس بسبب مهارة فريقه الإعلامي بقدر ما هي بسبب تواطؤ وجبن وسائل الإعلام. فهم لم يكتفوا بتصوير كلينتون بأنه أسوأ شخصية مناهضة للثقافة السائدة، الشخص الكذاب الذي تملص من الخدمة العسكرية. في حين أن الحقيقة هي أن كل تهمة وجهت إلى كلينتون نجد أن بوش مذنب بها. بوش تهرب من الخدمة العسكرية، وليس مجرد تهرب بل فرّ من الخدمة العسكرية في وقت الحرب. لأن من تغيب عن وظيفته لأكثر من ثلاثين يوماً بدون عذر يعتبر في نظر القانون بحكم الفار من الخدمة. ولو فعل كلينتون ذلك لصلبوه أمام البيت الأبيض. وما فعله كلينتون هو أنه التحق ببرنامج التدريب العسكري لطلبة الجامعات تجنباً للخدمة العسكرية الإجبارية، وهذا ليس فراراً من الخدمة، بعكس بوش الذي تغيب عن الخدمة بدون عذر أثناء الحرب. وهم يطلقون على كلينتون وصف المحتال. لقد كان سجل كلينتون نظيفاً عندما كان حاكماً لولاية آركانسا، وهذا ما أثبتته لجنة ستار التي كلفت بالتحقيق في تعاملاته المالية. ولست هنا بمقام المدافع عن كلينتون لأن لي تحفظات على سياساته ولست من مؤيديه. ولكن المهم هنا أنهم نجحوا في تشويه سمعته وقوضوا برامجه وأعاقوا تنفيذها باستخدام التضليل والتلفيق الإعلامي وترويج الأكاذيب حول حياته الشخصية وحياة زوجته. وأبرز ما يتكشف لنا من هذا كله، وهو ما لا يخطر في بالهم، هو أن كل تهمة وجهوها إلى كلينتون هي في الواقع تعود عليهم. وهذا بكل تأكيد أحد الخصائص المحددة من التضليل الإعلامي الخبيث في كل نظام.

ولو عاينت، على سبيل المثال، صورة اليهودي في العقلية النازية، لوجدتها تعكس كل ما يكرهه الألمان النازيين في أنفسهم، ولو عاينت الواقع الشخصي للأفراد الذين هاجموا كلينتون على ضعف قيمه الأسرية، فسترى متلازمة وليام بينيت تتكرر أمامك مرة تلو أخرى. فبينيت هذا كان يذهب إلى لاس فيغاس

لإنفاق الملايين فيما لا يعلمه إلا الله، في الوقت الذي كان يدعو فيه إلى الفضيلة؛ ولدينا أيضاً رش ليمبو الذي يتحدث بنبرة استعلائية ازدرائية حول الحوش من الناس الذين يتعاطون المخدرات، لنكتشف فيما بعد أنه هو شخصياً من المدمنين على المخدرات. وتتكرر هذه الظاهرة مرة بعد مرة.

وقد يبدو أن كلامي هذا هو هجوم شخصي على هؤلاء الأفراد، ولكنه ليس كذلك. فهناك ميول لدى الحركات السياسية والدينية المتطرفة، إن لم نقل كل الحركات المتطرفة، أن تمارس هذا النوع من الإسقاط التلقائي الخبيث. وتمارسه القاعدة في نقدها للغرب المنحل، ومارسه الستالينيون ضد الغرب، ويمارسه النصارى المتعصبون ضد العصاة، وغيرهم. ودائماً يكون "الآخر" كتلة متحركة تضم كل الصفات والمثالب التي يكرهونها في انفسهم. ويمكنك أن تسميها مرض روي كوهين(*)، أو مرض جو إدغر هوفر(*). إلا أن ذلك هو أحد أبرز ما في هذه المجموعة. وهو من ابرز الأشياء التي تجعلها حركة غير أمريكية، وحركة مريضة في غالبيتها.

جيرمي إيرب: لنتحول الآن إلى العراق. هل لك أن تحدثنا عن التغطية الإعلامية التي سبقت الحرب، وبالتحديد عن الأسلوب الذي تم فيه إحلال صدام حسين محل اسامة بن لادن في التغطية الإعلامية للحرب على الإرهاب؟

(*) كبير مستشاري اللجنة الدائمة الفرعية للتحقيق في النشاطات الشيوعية برئاسة السيناتور جوزيف مكارثي. تورط في فضيحة على مساعيه لإعفاء أحد أعوانه وأصدقائه واسمه ديفيد شاين من الخدمة العسكرية في حرب فيتنام. (إنكارتا).

(*) جون إدغر هووفر (1895-1972) المدير السابق لمكتب التحقيقات الفدرالي. بدأ عمله في المكتب عام 1917 كمراقب ملفات؛ وبعد عامين عين مساعداً خاصاً للمدعي العام الفدرالي. وعين عام 1924 مديراً لمكتب التحقيقات الفدرالي. توسعت نشاطات وصلاحيات المكتب في عهده واشتهر بتعقب البلشفيين والعصابات الإجرامية ومختلف التنظيمات إلا أنه لم يكن يتعرض لعصابات المافيا. كان يجمع المعلومات حول السياسيين ويستخدمها في ابتزازهم والضغط عليهم بمن فيهم =

لقد عـودنا البيت الأبيض في عهد بوش على إصدار الوعود وعـدم الوفاء بهـا. فـقـد عـاهدونا على البـحث عن أسـامـة بن لادن وتقديمه إلى العـدالة، ولم يفـعلوا ذلك. ومن الواضح أنهم حـولوا اهتـمـامـهم إلى صـدام حـسين. واخـتلقـوا المقولة المناقضة للعقل بأن من المرجح أن صـدم حسين زود الإسلاميين بأسلحة دمار شامل. وبالطبع لو حصل الإسلاميون على هذه الأسلحة لاستخدموها ضده أولاً. إلا أن تلك الحـقـيـقـة غـابت عن أذهان هؤلاء. لذلك فـإن وجـود 76٪ من الشعب الأمريكي يعتقدون بوجود علاقة بين صدام حسين وهجمات 11 سبتمبر له صلة بهـذا الموضـوع. كمـا قيل لنا بأن الإرهابي الذي أرسل الرسـائل المحـتـوية على جرثومة الجمرة الخبيثة سيتم القبض عليه، ولم يحدث هذا مطلقاً. وعندما سـرب شـخـص من الحكومـة اسم فـاليـري بليم التي كـانت تعـمل مـع وكـالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، قالوا بأنهم لن يعثروا على ذلك الشخص لأنهم يعرفونه ولا يرغبون بالتخلي عنه.

ومـا كـان لأي شيء من هذا ليـحـدث، وأنا أعني لا شيء منه- سـواء كنا نتحدث عن الحرب في العراق، أو تعطيل الحقوق المدنية، أو إحلال صدام حسين محل أسامة بن لادن- لو أن وسائل الإعلام أدركت التزامها الدستوري في إطلاع الشعب على ما يحدث لكي يتمكن من قول كلمته. وهذا هو سبب وضع التعديل الأول من الدستور. ولو قرأت ما كتبه المؤسسون الأوائل حول هذه المادة لوجده في غاية الوضوح. فوظيفة الإعلام في رأيهم هي لمساعدة الشعب على مراقبة حكومـتـه: وإطلاع الشـعب على حـقـائق الأمـور لضـمـان الحـد الكافي من الديمقراطية الجمهورية. لم يضعوا هذه المادة لأنهم كانوا يتوقعون أن يأتي يوم يعرض فيه فيديو لموسيقى الراب وتظهر فيه مناظر عارية فأردوا أن يضمنوا له

= الرؤساء الأمريكيين. بقي في منصبة 48 عاماً (الموسوعة البريطانية) وينمى عليه النقاد تعسفه في استعمال سلطته وتجاوز حدود صلاحياته. وكان ماسونياً معروفاً. ومن الشواذ جنسياً على حد وصف الرئيس الأمريكي السابق نيكسون.

الحماية. لم يكونوا مهتمين بذلك. لم يخطر في بالهم حيل وتكتيكات الصدمة السيكولوجية. إنهم لم يقدموا الحماية والحصانة للصحافة لأنهم علموا أن روبرت مرداخ سيحتاج إلى جمع الملايين. لم يكن لهذه الأمور علاقة بالتعديل الأول من الدستور. بل كانت تهدف حصراً إلى إتاحة المجال أمام الشعب للإطلاع على كامل المعلومات الممكنة حول ما تفعله الحكومة، وإلا فإن الدولة لن تكون حرة. ولهذا يمكن تفهم أن غالبية الناس في هذا البلد تعتقد بأن العراق كان وراء هجمات 11 سبتمبر لأنه لا أحد سمع شيئاً يناقض ما قاله بوش. لم يفعل ذلك أحد. فقد كان صحافيو التلفاز، وصحيفة نيويورك تايمز، وصحيفة واشنطن بوست، وصحيفة يو أس إيه تودي، كانوا في غاية اللباقة في عدم إظهار الحقيقة عندما أطلق بوش هذه الأكاذيب الكبيرة.

وبهذه الطريقة، ولأن إعلامنا اتخذ موقفاً سلبياً وتخلى عن مسؤولياته الدستورية، فقد أصبحنا لا نختلف بشيء عن أي مجتمع مغلق حيث يصدق الناس الأمور المناقضة للواقع والعقل. إننا لم نعد نختلف عن صربيا ميلوسوفيتش، حيث كان الناس في تلك الدولة يعتقدون أنهم تحت هجوم مستمر من كرواتيا والبوسنة. وأعني أنك إذا كنت تسمع رواية واحدة ولا يوجد ما يناقض تلك الرواية، ولست مفكراً ولا ناقداً إعلامياً، فلماذا يتوقع منك أن تتصور أن الحقيقة هي شيء آخر؟ فهذا ليس خطأ الشعب.

جيرمي إيرب: هل تتوقع اي يتغير ذلك في الدورة الانتخابية لعام 2004؟ وما هي توقعاتك حول ما ستكون عليه إستراتيجية كارل روف الإعلامية مع اقتراب موعد الانتخابات؟

إذا أرادت هذه المجموعة أن يعاد انتخابها، فإنها ستحتاج إلى كارثة ثانية لتحقيق ذلك. وقد لا تكون هذه الكارثة عملاً سرياً على شكل تفجيرات مدمرة كما حدث في برج التجارة العالمي والبنتاغون. بل ربما تكون كارثة مدنية خفيه

كالتلاعب بالحواسيب المستخدمة في عملية التصويت وإحصاء الأصوات لوضع بوش في البيت الأبيض. إلا أننا نشهد تصاعداً في الغضب الشعبي من موت الجنود في العراق، وهناك تزايد في غضب الجنود أنفسهم بسبب تمديد فترة خدمتهم في أرض المواجهة وتعرضهم للمخاطر هناك. كما أن الاقتصاد في حالة من الفوضى خصوصاً في بعض القضايا كالبيئة حيث تقف غالبية الناس موقفاً تقدمياً. وأصبحت غالبية الناس اليوم تدرك ما تفعله هذه الإدارة على الرغم من تغاضي الصحافة عن كثير من أخطائهم وتساهلها تجاههم. وإذا رغب بوش وجماعته في إعادة انتخابهم فإنهم سيحتاجون إلى توظيف خدعة ما لأنني لا أعتقد أن أقل الديمقراطيين كفاءة يمكن أن يخسر هذا الرهان. وقد ادعى بعض المعلقين بأن آل غور كان أقل الديمقراطيين كفاءة للترشيح للرئاسة، ومع ذلك لم يخسر الانتخابات وحصل على غالبية أصوات الشعب. واعتقادي هو أن جورج بوش كان سيستولي على البيت الأبيض حتى وإن لم يوجد رالف نادر لأن هذه المجموعة ليس لديها أية نية في التخلي عن السلطة بعد أن ذاقت طعمها. وقد بدأت الصحافة فجأة تبدي بعض الشجاعة في طرح المسائل المتعلقة بالبيت الأبيض. إلا أنهم وضعوا لأنفسهم أدنى المعايير المهنية. فقد فشلوا في نظري في التركيز على قضية الكشف عن هوية فاليري بليم التي كانت تعمل مع وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية. وهذا الكشف يشكل جريمة صارخة من دون شك. إنها جريمة خطيرة تهدد الأمن القومي. لقد كانت فاليري مكلفة بمهمة مراقبة أسلحة الدمار الشامل سراً، وقام هؤلاء الأشخاص بالكشف عن هويتها وتقويض تلك المهمة. ومع ذلك لا تقوم وسائل الإعلام بالتحدث عن هذه الفضيحة كل يوم. هل هذا هو ما وصلنا إليه؟ ولو كان الإعلام مسئولاً، لما اكتفى بأن تكون هذه الفضيحة مجرد حدث إعلامي يتصدر الأخبار ليوم واحد ثم يتوارى بعدها عن الأنظار والأسماع، بل لعمل على تكرار هذه القصة يوماً بعد يوم إلى أن يتم اتخاذ الإجراء اللازم بشأنها. لقد فعلوا ذلك مع فضيحة مونيكا

لوينسكي، وهي قضية ليست على قدر من الأهمية بحال، ولكنهم لم يفعلوا ذلك مع جريمة واضحة كل الوضوح كهذه الجريمة.

والآن، من الممكن، بل وحتى من الراجح، أنه ومع استمرار تدهور شعبية بوش لدى عموم الناس بشكل عام، أن تصبح وسائل الإعلام أكثر تحركاً. ومن المؤكد أن تصبح أكثر تهكماً وأقل احتراماً لشخص الرئيس، فهذا هو مبدأ عملهم. ولكن هل كانوا سيفعلون شيئاً أكثر من مجرد السخرية من أخطاء بوش اللغوية، وهل كانوا سيقولون: "إن هذه جريمة، وهذا غير دستوري" فلا أملك القدرة على التكهن بذلك، لأن ما حدث في السنتين الماضيتين كان إجهاضاً فاضحاً للعدالة وخرقاً فظيعاً للإجراءات الديمقراطية. وكانت وسائل الإعلام شريكة في ذلك. وربما أن الأمر سيتطلب في النهاية شيئاً طوبائياً كإصلاح شامل للإعلام وجهوداً مشابهة لما نقوم به كي نبقي التركيز على هذه القضايا إلى أن تنال التغطية الإعلامية المناسبة.

جيرمي إيرب: بمناسبة الحديث عن السخرية، ما رايك بالصورة التي يظهر فيها بوش بعد أن حطت طائرته على متن حاملة الطائرات؟ وهذه الصورة هي على طرف النقيض مما فعله اتواتر وبوش الأب بمايكل دوكاكس عندما ظهر على متن دبابة. هل لك أن تحدثنا عن تطور هذه الصورة، وكيف تم التقاطها، وما موقف وسائل الإعلام منها، وكيف ينظر الناس إلى هذه الصورة الآن؟

للتوجيه الإعلامي حدود ضيقة لأن التاريخ سيعمل دائماً على تعديل المعاني. والآن، وفي غمرة عجرفتهم، قام البيت الأبيض بالإعداد لهذا الحدث الكبير على متن حاملة الطائرات التي تحمل اسم أبراهام لينكن ويظهر فيها بوش وكأنه توم كروز(*) وخلفه لافتة كبيرة تقول "لقد أنجزت المهمة." في حين أن الحرب كانت

(*) ممثل امريكي مشهور لعب دور طيار حربي في فيلم توب غن.

في بدايتها. وقد كان رد فعل الصحافة على هذا الحدث مدهشاً، فقد كانوا في غاية الذهول والإعجاب بالمظهر الرجولي لبوش، بل ذهبوا إلى حد الإشادة بهتافات الجنود على متن السفينة، الجنود الذين تعرضت مكاسبهم للتخفيض على يد هذه الإدارة. لم يكن هناك أي شعور بالمسؤولية الديمقراطية لدى الصحافة. لذلك فإنهم لم يفعلوا شيئاً له صلة بفضح تلك الصورة، بل تم ذلك بمرور الزمن، وبالخسائر البشرية في مستنقع العراق. واليوم لم يعد لتك الصورة أي استخدام مفيد إلا في يد خصوم بوش. وأعتقد أن في ذلك درساً يمكن أن يقدم لنا بعض الأمل، وهو أنّ هذا التمادي الهائل الذي يمارسه هؤلاء الأشخاص ومحاولاتهم تزوير الحقائق لتغطية أخطائهم وفضائحهم لن يكتب له النجاح، ولأن الحقيقة والتاريخ هما أكبر من جهود أي عصابة، وحتى في ظل غياب أي معارضة سياسية.

مدينة نيويورك

6 نوفمبر، 2003

* *

سكوت رتر

سكوت رتر خبير في تقنية الصواريخ الموجهة (البالستية). عمل في الاستخبارات العسكرية اثناء خدمته في الجيش الأمريكي مدة 12 سنة. كان برتبة رائد في قوات مشاة البحرية، وامضى عدة اشهر في حرب الخليج تحت قيادة نورمان شوارسكوبف في مقر القيادة الرئيس لمشاة البحرية في المملكة العربية السعودية. كما انه قاد فريق الأمم المتحدة المكلف بالتفتيش عن أسلحة الدمار الشامل في العراق منذ عام 1991 وحتى عام 1998. شارك وليام رفرز يت في تأليف كتاب الحرب على العراق (كونتكس بوكس، 2002) وكتاب عدالة التخوم، أسلحة الدمار الشامل، وإيقاع امريكا في الفخ. (كونتكس بوكس، 2003).

جيرمي إيرب: كنت من بين القلائل الذين كانوا في العراق، على الأرض هناك تبحث عن أسلحة الدمار الشامل. ما الذي يحتاج الناس إلى معرفته حول ما وجدته هناك، وماذا يعني ذلك في ضوء ما حدث منذ 11 سبتمبر 2001؟

اول شيء أود التأكيد عليه هو أن العراق كان لديه -فعلاً- أسلحة دمار شامل. ولسنا نناقش ما إذا كانت هذه الأسلحة موجودة أم لا، فنحن نعلم أن العراق كان يمتلك كميات كبيرة منها. ونعلم أن العراق كان مسئولا عن التخلص من تلك الأسلحة بموجب القرارات التي أصدرها مجلس الأمن. وهذا هو سبب وجود مفتشي الأسلحة في العراق: ولكن العراق عمل على إخفاء تلك الأسلحة وأعاق عمل المفتشين، الأمر الذي جعل من عمل المفتشين مهمة عسيرة وشاقة امتدت من عام 1991 وحتى عام 1998.

ولتسهيل فهم ما حدث، فسوف أقسم تلك الفترة إلى ثلاث مراحل. الأولى من عام 1991 إلى عام 1993 . وفي هذه الفترة حاولت الحكومة العراقية إخفاء تلك الأسلحة عن المفتشين. وأول شيء حاولوا إخفاءه هو المعدات؛ ونفوا امتلاكهم لأي برامج للأسلحة البيولوجية، ونفوا امتلاكهم برامج أسلحة نووية، وكشفوا عن 50٪ فقط من قدراتهم الكيماوية والصاروخية. وبحلول عام 1993، وبعد جهود مضنية وتحقيقات حاذقة، تمكن المفتشون من وضع أيديهم على تلك البرامج. وقام العراقيون بالتخلص من تلك البرامج والمعدات، إما أمام المحققين، وإما سراً لإخفاء دليل تحايلهم على المفتشين، تماماً كما يفعل مروج المخدرات عندما تداهمه الشرطة، فيعمد إلى التخلص مما بحوزته من مخدرات بإلقائها في المرحاض. إلا أننا اكتشفنا أن العراقيين تخلصوا من تلك الأسلحة وتمكنا من العثور عليها، وقام العراقيون بمرافقتنا إلى تلك الأماكن التي كانوا قد فجروا فيها تلك الذخائر بأنفسهم دون رقابة الأمم المتحدة.

ومنذ عام 1993 إلى عام 1995، واصل العراقيون مراوغاتهم. وهذه المرة كانوا يخفون البرامج. وهذا لا يعني المعدات التي يمكنها إنتاج الأسلحة، فهذه تم التخلص منها سابقاً. ولكنهم كانوا يتشبثون بالممتلكات الفكرية: الوثائق، والمخططات، والرسومات، والتي يمكن بواسطتها إعادة تشغيل برامج الأسلحة. وبحلول عام 1995، وبفضل جهود المفتشين، استطعنا إجبار العراقيين على الاعتراف بكل برامجهم، بما فيها المجموع الحقيقي لبرامجهم البيولوجية وبرامج الأسلحة النووية. وكافة برامج أسلحتهم الكيماوية. وتم الإقرار بكل ذلك. وفي أعقاب هروب حسين كامل، صهر الرئيس العراقي الذي كان يتولى المسؤولية عن برامج التسليح، أواخر التسعينيات، وجدت الحكومة العراقية نفسها مجبرة على إظهار الملفات السرية التي كانوا يخفونها عن المفتشين، وهي ملايين الصفحات والوثائق والمخططات وبعض المواد.

وقد يظن أحدٌ أن المسألة قد انتهت عند هذا الحد، وأن القضية أقفلت. ولكن بقيت أمامنا الآن قضية جديدة وهي قضية الإخفاء. فكما ترى، كنا نعلم أن العراقيين كانوا يخفون عنا شيئاً ما. وفي البداية أنكر العراقيون إخفاء أي شيء. ثم عادوا و اعترفوا أنهم أخفوا عنا تلك الوثائق. ولكن ذلك كان بمبادرة فردية من العلماء العراقيين. كنا نعلم ذلك بين خصوصاً بين أعوام 1991 و1993، وكانت عمليات الإخفاء تتم بإشراف قوات الحرس الخاص للرئيس العراقي. وكان من المهم أن لا نكتفي بالعثور على الأسلحة، بل كان علينا أن نتأكد من اعتراف العراق بالوسائل التي استخدمها لإخفاء هذه الأسلحة وإعاقة عمل المفتشين، والكشف عنها أمام للمفتشين ومن ثم التأكد من تفكيكها وعدم إمكانية استخدامها ثانية. كيف يمكنك أن تعطيهم صكاً نظيفاً بإبراء ذمتهم إذا كان لديهم آلية الإخفاء هذه. لذلك كان علينا التعامل مع قضية الإخفاء هذه. أنكر العراقيون وجود أي علاقة بين قوات الحرس الخاص للرئيس بهذا الشأن، وهو ما زاد من حدة الشك لدى المفتشين. لذلك، ومنذ بداية عام 1996 بدأنا بالتحرك ليس بحثاً عن أسلحة، فقد عثرنا على كل شيء، بل عن أدلة تشير إلى أن العراق لديه برنامج متواصل لإخفاء المعلومات عن المفتشين. وكان تركيزنا على قوات الحرس الخاص للرئيس العراقي. وكلما زاد تركيزنا على قوات الحرس الخاص ازداد توتر وقلق الحكومة العراقية، وزادت إعاقتهم لنا وإخفاءهم الأشياء عنا. وبازدياد إخفائهم تزداد قناعتنا بأن ما يخفونه له علاقة بأسلحة الدمار الشامل. في حين أن هذا الإخفاء كان يتعلق بأمن وحماية الرئيس العراقي. والآن عليك أن تضع عاملاً آخر في الاعتبار. كل ما تحدثت عنه حتى الآن يتصل بنزع الأسلحة، وهو موضوع قرارات مجلس الأمن. والعراق ليس له أن يعوّق عمل المفتشين. وعندما يفعل ذلك فإنه يرتكب مخالفة لقرارات مجلس الأمن. إلا أن هذه القرارات تقول بأن وجود المفتشين في العراق هو بهدف نزع الأسلحة ليس غير.

ومنذ عام 1991، كانت سياسية رؤساء الحكومات الأمريكية تقضي بإزالة صدام حسين من السلطة وقلب نظام الحكم في العراق. وأعطيت هذه المسألة الأولوية على مسألة نزع السلاح. وكانت الولايات المتحدة تعتبر عملية التفتيش عن الأسلحة وسيلة لتسهيل مهمة إزالة النظام، وليس لإزالة أسلحة الدمار الشامل. وقامت الولايات المتحدة، وتحديداً وكالة الاستخبارات المركزية، باستخدام عملية التفتيش عن الأسلحة في التجسس على صدام حسين وملاحقة أجهزته الأمنية. ولهذا السبب فإن العراقيين كانوا محقين في قلقهم من فضول المفتشين، فقد كان فريق المفتشين يضم ممثلين عن وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، وكانوا يجمعون معلومات لا علاقة لها بنزع السلاح وتتصل كل الاتصال بعملية تغيير النظام. لذلك فإن العراقيين بمنعهم بعض عناصر فريق التفتيش من الاقتراب من الرئيس كانوا يمارسون حق السيادة الخاصة بالأمن القومي. ولكنهم بذلك كانوا يزيدون من مخاوف المفتشين الذين حملوا ذلك المنع على أن له صلة بالأسلحة.

وبذلك نشأت هذه الحلقة المفرغة من الأحداث التي أدت إلى مواجهة بعد مواجهة بعد مواجهة. وأدت هذه المواجهات إلى إصدار قرارات عن مجلس الأمن يدين تصرفات الحكومة العراقية، وهي الإدانات التي استشهد بها بوش بقوله بأن العراق خرق عدداً من قرارات مجلس الأمن التي تدعوه لنزع أسلحته. إلا أن الحقيقة هي أن العراق نزع أسلحته منذ عام 1995 . وكل ما تبقى هو مسألة حساب بعض جوانب تلك البرامج. ونحن الآن نعلم بعدم وجود تلك الأسلحة، وبعد حرب الخليج أصبح معلوماً لدينا عدم وجود تلك الأسلحة وعدم وجود برامج مستمرة لتصنيع تلك الأسلحة. فقد قضي عليها جميعاً بحلول عام 1995. وكل الإعاقات العراقية بين أعوام 1996 و1998 ليس لها أي علاقة بأسلحة الدمار الشامل، ولها كل العلاقة بحماية أنفسهم من وكالة الاستخبارات المركزية

الأمريكية التي كانت تستخدم آلية التفتيش عن الأسلحة للتجسس على صدام حسين.

إن ما يحتاج الشعب الأمريكي أن يعرفه هو أن هذا الأمر لم يكن له علاقة بالأسلحة. لقد كانت القضية من البداية تتعلق بالإطاحة بصدام حسين. وحتى في التلفيق الإعلامي الأخير حول أسلحة الدمار الشامل، فإن حكومة بوش تعلم بعدم وجود أسلحة دمار شامل في العراق. ومع ذلك واصلوا استخدام عملية التفتيش كأداة لتحقيق هدفهم الأكبر وهو الإطاحة بنظام الحكم في العراق.

جيرمي إيرب: بدأنا نسمع الآن، من أعضاء حكومة بوش ومن المدافعين عن سياساتها، انه حتى وإن لم يوجد في العراق أسلحة دمار شامل، فإننا على الأقل تخلصنا من دكتاتور مستبد، ومن غرف الاغتصاب، ومن المقابر الجماعية. ما رايك بهذا التسبيب الذي ظهر على السطح الآن بأن احتلال العراق لم يكن سدى؟

هذه الحجة تقول بأن الغاية تبرر الوسيلة. وعندما نتحدث عن الولايات المتحدة ومبدأ التمثيل الديمقراطي فإن أحد الجوانب المهمة فيها هي الإجماع الشعبي الواعي. فإذا كنت تريد أن تشن حرباً فإنه ينبغي أن تعدد أسباب ومسوغات شن تلك الحرب. ثم يبدأ النقاش والحوار بين الممثلين المنتخبين وبين أفراد الشعب نفسه، وبعد أن تتمخض الموافقة الشعبية عن تلك المناقشات يمكن لصناع السياسات المضي قدماً في شن الحرب.

لقد كانت هذه الحرب حول أسلحة الدمار الشامل: وعلى هذا الأساس دارت المناقشات والمناظرات، وهي الحجة التي اعتمد عليها الرئيس في شن الحرب. أما أن تأتي الآن وتتراجع قائلاً، لا، إنها بسبب أن صدام حسين شخص سيئ. الكل يعلم أن صدام كان دكتاتوراً مستبداً. ونعلم عن غرف الاغتصاب،

وهذا ليس مستغرباً، واكتشاف مقابر جماعية ليس أمراً مفاجئاً في العراق. فقد كنا نعلم أن هذه المقابر موجودة، وكنا نعلم من كان يذهب إلى تلك المقابر. وعندما وضعوا فيها في الثمانينيات وبداية التسعينيات لم نفعل شيئاً لوقف ذلك. أما أن تأتي الآن وتقول بأسلوب تصحيحي بأن هذا هو سبب شن تلك الحرب فغير مقبول لأن ذلك لم يكن محل المناقشات التي جرت هنا، وليست هي الحجة التي ساقها الرئيس أمام الشعب الأمريكي لإقناعهم بضرورة تلك الحرب. وإذا كان لدينا استعداد لقبول تعديل مسوغات الحرب بهذه الطريقة فكأننا نقول بأن الديمقراطية ليس لها علاقة في أمريكا، وأن هذه الأمة والمبادئ والقيم التي بنيت عليها ليست مهمة، وأن الرئيس هو دكتاتور يملك أن يفعل ما يشاء بغض النظر عن إرادة الشعب. وهذا مرفوض. إن الموافقة الشعبية المبنية على معرفة الحقائق هي مطلب إجباري للعمل باسم الشعب.

جيرمي إيرب: بدات كتابك بالتحدث عن الوطنية والأشكال المختلفة للتعبير عن الوطنية. ما رايك بموجات الوطنية التي تنامت بشدة بعد 11 سبتمبر وخلال الحرب في العراق وافغانستان؟

الوطنية هي حب الوطن والأمة. ولكنني أعتقد أننا وفي عصر مجتمع التلفاز، نميل إلى تبسيط الأمور. ويجري تحديد نظرة المجتمع لحب الوطن والتعبير الأسمى عن حب الأمة بصورة مبسطة تعكس الجنود، ورجال البحرية، والطيارين، ومشاة البحرية، بزيهم العسكري، وهم يجتاحون الشواطئ مضحين بأنفسهم بعيداً عن الوطن. أو بقوات الأمن. وفي حقبة ما بعد 11 سبتمبر، جرى تمجيد قوات الأمن ورجال الإطفاء على أنهم رمز الوطنية والتضحية. وهم حقاً كذلك. إن الرجال والنساء الذين يخدمون في القوات المسلحة بشرف، وكذلك أفراد الأمن ورجال الإطفاء هم وطنيون حقيقيون. إلا أن هذا ليس هو التعبير الوحيد عن الوطنية. والحقيقة أنها تعبير ضيق عن الوطنية فيما يخص الجيش.

لأن من يلتحق بالجيش ينفصل عن الدستور، ويخرج عن نطاق المفاهيم والقوانين الطبيعية التي تحكم التعامل بين الناس. فالجنود والبحارة والطيارون ومشاة البحرية يخضعون للقانون الموحد للعدالة العسكرية ولا يتمتعون بنفس الحقوق والوجبات التي يتمتع بها المدنيون بسبب طبيعة عملهم. لأنهم قد يؤمرون بفعل أشياء فظيعة كالقتل والاحتلال، أو وضع أنفسهم في أماكن تعرضهم للخطر. وقد يتلقون أوامر يواجهون في تنفيذها موتاً محققاً. وهذا هو واجبهم، ونحن نقدر لهم خدمتهم. ولكن هذا ليس هو التعبير الأسمى عن حب الوطن. وبإمكاني القول بصفتي جندي سابق من جنود مشاة البحرية بأنني عندما أذهب في مهمة عسكرية لخدمة وطني، فإني آمل وأتوقع أن يقف الشعب الأمريكي خلفي، وأن يكون مطلعاً على الحقائق وموافقاً على ما كلفت بعمله. ووقت النقاش الدستوري حول صواب أو خطأ ما أقوم به ليس بعد أن أتخطى نقطة المغادرة، بل ينبغي أن يتم ذلك قبل أن أتلقى الأوامر بعبور خط المغادرة.

إن الوطني الحقيقي هو المواطن الذي يقرأ الدستور ويعرف مدى أهمية هذه الوثيقة في تحديدنا كشعب، إنه الشخص الذي يعيش هذا الدستور في أفعاله ومواقفه. هذه هي الوطنية الصادقة: أن تستثمر نفسك في مفهوم المواطنة وأن تحاسب الذين انتخبتهم لمناصب عليا على ما يفعلونه باسمك.

لقد عجبت من قيام الإعلام خلال الحشد للحرب بتصوير الوطني المثالي بأنه إما الشخص الذي يخدم في الجيش بعيداً عن الوطن أو الشخص الذي يقف على زاوية الشارع ملوحاً بالعلم الأمريكي ويهتف "إننا ندعم الجنود." إن بإمكاني أن أدرب قرداً على التلويح بالعلم، وهذا لا يجعل القرد وطنياً. ولكنني لا أستطيع تعليم القرد فهم الدستور ولا أن يعيش نصوصه. وفي الزاوية المقابلة من الشارع كانت هناك مجموعة أخرى من الأمريكان يلوحون بالعلم الأمريكي ويهتفون "ادعم الجنود، أعدهم إلى الوطن سالمين." وهؤلاء هم وطنيون أيضاً،

وعلينا الا نسمح لمجموعة لها أجندة أيديولوجية محدودة أن تختطف تعريف الوطنية وتقصره على التلويح بالعلم الأمريكي والتأييد الأعمى للرئيس. إلا أنني أقول بأن وطنية أمثال هؤلاء هي وطنية محدودة لأنهم لا يفهمون مغزى ومفهوم الديمقراطية التمثيلية. إذا كنت ستهز رأسك بالموافقة على كل كلمة يلفظها الرئيس فإنك لست وطنياً صادقاً في نظري. وهناك الذين عاينوا القضية من كافة أبعادها وقارنوا وعرضوا مواقف الحكومة على الدستور فوجدوا أن سياسات الحكومة غير دستورية، وكان لديهم الشجاعة الكافية للتعبير عن معارضتهم لهذه السياسات حتى يتحقق توافق واع في رأي الشعب قبل إرسال الوطنيين الآخرين من القوات المسلحة من أبناء وبنات هذه الأمة خارج البلاد للقتال والموت في سبيل قضايانا. إن من صميم الوطنية أن تكون القضية التي نطلب منهم أن يضحوا بأرواحهم في سبيلها تستحق منهم ثمن الموت الذي سيدفعونه بأرواحهم.

جيرمي إيرب: لنتحول الآن إلى الأسس الأيديولوجية والفلسفية التي تستند عليها السياسة الخارجية الأمريكية في اعقاب 11 سبتمبر، وتأثير المحافظين الجدد على الحكومة. هل لديك فكرة عن المنظمة المسماة مشروع القرن الأمريكي الجديد، مركز الدراسات التابع للمحافظين الجدد الذي كان ينادي بكل وضوح وبعبارات صارخة قبل 11 سبتمبر إلى زيادة نفقات التسليح وإلى استخدام جديد تدخلي للقوة العسكرية الأمريكية حول العالم؟

يضم مشروع القرن الأمريكي الجديد عدداً من الأشخاص الذين خدموا في حكومة رونالد ريغان. ومن المبادئ التي ينادون بها: الحكومة الصغيرة، والدور المحدود للحكومة، وأمريكا قوية. ويشعرون بأن الولايات المتحدة تضطلع بواجب أخلاقي لمواجهة الاتحاد السوفييتي إمبراطورية الشر. وأن واجبها الأخلاقي أن

تقاوم الشيوعية والإصلاحات التي وضعها الرئيس السابق روزفلت فيما يعرف بالصفقة الجديدة. إذن نحن أمام حرب يشنها المحافظون الجدد على جبهتين: حرب في الداخل على أنظمة الإعانات والبرامج الاجتماعية الحكومية، وحرب في الخارج لنشر الأخلاق والمثل الأمريكية.

وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي، حدث فراغ هائل يصعب ملؤه. وخشي المحافظون الجدد حدوث فائض في الميزانية العسكرية لأن الحكومة ستحول هذا الفائض من الأموال إلى برامج الرعاية الاجتماعية وهو ما يعارضه هؤلاء أساساً لأنهم يسعون إلى إلغاء هذه البرامج أصلاً. لذلك توجب البحث عن مصدر جديد للخطر. شيء يستهلك الميزانية والنفقات العسكرية وينشر الذعر بين السكان ويجعل الناس يقولون إن دور الحكومة أن تدافع عنا في الخارج. لذلك يجب أن نستقطع من نفقات البرامج الحكومية الاجتماعية لصالح الدفاع. هذه هي الأيديولوجية الأساسية للمحافظين الجدد. لقد كانوا يبحثون عن خطر جديد. كانوا يبحثون عن عدو جديد منذ انهيار الاتحاد السوفييتي لأن فلول الأنظمة الشيوعية لم تصل إلى المستوى المطلوب من هذا الخطر الجديد.

وجاء الإرهاب ليؤدي هذا الدور. فالإرهاب لا يلزم فيه أن يكون ضخماً بضخامة الجيش السوفييتي، لأنه ضخم في أذهان الجهلة والخائفين. وقد يكون العمل الإرهابي عملاً صغيراً، إلا أنه يمكن تضخيمه بشكل كبير جداً عن طريق الاستغلال الفعال لوسائل الإعلام وما تقوله للناس. ويعمل هؤلاء المحافظون الجدد الذين اختطفوا حكومة بوش على تخفيض النفقات الحكومية للبرامج الاجتماعية كالضمان الاجتماعي والمعونة والتأمين الصحي وغيرها. وفي الوقت نفسه يجدون طرقاً كثيرة لزيادة النفقات العسكرية زيادات هائلة. وكانوا بحاجة إلى مناسبة تمكنهم من عمل ذلك. وقد تنبأ مشروع القرن الأمريكي الجديد بهذه المناسبة في الوثيقة التي صدرت عنه وعبرت عن نظرتهم فيما يخص الآلة

العسكرية الأمريكية. وذكروا الحاجة إلى وقوع حدث يكون شرارة الاشتعال، بيرل هاربر جديدة. (الحدث الذي أدخل الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية).

وقد حصلوا على "بيرل هاربر الجديدة" التي كانوا يتمنون حدوثها في 11 سبتمبر 2001. وماذا شاهدنا بعد 11 سبتمبر، 2001؟ تحركات فورية على كافة الجبهات. شرع قانون الوطني هنا في الولايات المتحدة دون أي مناقشة في الكونغرس: ودخل حيز النفاذ بسهولة. وهو قانون يشكل هجوماً سافراً على الدستور. وهو بشكل أساسي يعطي الأجهزة الأمنية أدوات مكافحة الجريمة التي كانوا يحاولون الحصول عليها طيلة العقود الماضية لكن دون جدوى لأننا ديمقراطية تؤمن بالدستور ونؤمن أنه ليس من الحكمة إعطاء قوات الأمن سلطات خاصة دون رقابة كافية. هكذا كانت أمريكا. ولكن في أعقاب 11 سبتمبر، وبسبب الحرب على الإرهاب، وبسبب التهديد، قيل لنا فجأة بأنه يجب أن نتنازل عن حرياتنا وحقوقنا لكي نكون آمنين. وهكذا شرع قانون الوطني. وبعد ذلك، وبالطريقة نفسها، وفي الوقت الذي كان الدخان ما يزال يتصاعد من بقايا برج التجارة ومبنى البنتاغون، خرجت الحكومة تقول وتردد: العراق، الشرق الأوسط، محور الشر. إن هذا الأمر يتجاوز إلى حد بعيد مجرد قيام تسعة عشر شخصاً اختطفوا أربع طائرات: لقد تحول الأمر إلى مؤامرة عالمية ضد الولايات المتحدة ويجب مجابهتها بالقوة العسكرية. ويجب علينا أن نتصرف بمفردنا: وينبغي أن نعتق أنفسنا من قيود الأمم المتحدة. وبذلك أوجدنا هذه الحرب غير المتناهية على الإرهاب. وهي حرب مستمرة، وليس لها نهاية قريبة.

من هم الإرهابيون؟ وأين هم؟ إنهم هناك، إنهم أشخاص أشرار. إنهم سيئون. وهكذا تتلاعب هذه الإدارة بعواطف ومشاعر الخوف وتستغل جهل الشعب الأمريكي. ومما يزيد الطين بلة قيام وزارة الأمن الوطني بوضع حلقة متدرجة الألوان لمستوى الخوف الذي يجب أن نشعر به. ويمكن للحكومة أن

تتلاعب بهذه المشاعر في أي وقت. أحمر، أصفر، برتقالي- نحن خائفون، عليكم أن تخافوا. وبإمكان الحكومة أن تبرمج ذلك المستوى من الخوف دون إعطاء أي مسببات. فهي تقول لدينا تقارير استخبارية مفادها أن الإرهابيين على وشك القيام بهجوم إرهابي. من هم هؤلاء الإرهابيين؟ لا نعلم. أين هم؟ لا ندري. ماذا؟ لا ندري. ولكن قولوا لنا ونحن الآن خائفون. وكلما ازداد خوفنا، ازدادت معه طلبات المزيد من السلطة وتناقصت معه الحقوق والضمانات. فجاء قانون الوطني رقم (2) وفيه إضافات وتحسينات على ما جاء في قانون الوطني (1). وبدأت الميزانية بالإفلاس- بلايين الدولارات تذهب خارج البلاد لتغطية تكاليف الحرب على الإرهاب ومصاريف الدفاع. والآن لم يعد لدينا في الميزانية ما يكفي من المال لتغطية نفقات التعليم والرعاية الصحية والبنية التحتية. وكل هذه البرامج بدأت تتقلص إلى الأسوأ.

هذا ما يريده مشروع القرن الأمريكي الجديد. إنهم أشخاص استخدموا الأحداث المأساوية للحادي عشر من سبتمبر لتحقيق أهدافهم السياسية. ومفتاح هذا كله هو الإصغاء إلى كلمات كونداليزا رايس، على سبيل المثال، عندما سئلت عن أحداث 11 سبتمبر، فهي لم تقل بأن ذلك كان مصيبة على الوطن، وأحد أسوأ الأيام التي مرت على الولايات المتحدة، بل قالت إنها "فرصة تاريخية." ولكن فرصة تاريخية لمن؟

جيرمي إيرب: بإمكان أشخاص مثل ريتشارد بيرل أو كونداليزا رايس أن يردوا على ما ذكرته للتو بالقول: هناك فرق بين أن ننظر إلى تقرير مشروع القرن الأمريكي الجديد ونقول: "انظروا، لقد كنا بحاجة إلى 'حادث كارثي محفز' لتحقيق ما نريد، وحصلنا عليه فعلاً". وبين أن ننظر إلى ما حدث في 11 سبتمبر على انه مثال على ما سيحدث، وهو ما حدث فعلاً، عندما نفشل في تطبيق ما اقترحنا عمله قبل 11

سبتمبر. بمعنى آخر، هم يقولون بأنهم لم يستغلوا احداث 11 سبتمبر، إلا أن 11 سبتمبر كان مؤشراً على الحاجة إلى سياساتهم- من اجل تفادي وقوع هجمات اخرى مشابهة، وهي على حد وصفهم "سحب نووية" فوق المدن الأمريكية. ما هو ردك على هذه الحجة؟

هذه حجة سخيفة للغاية. إن القول بأن التهديد الذي نتج عما حدث في 11 سبتمبر يعادل التهديد الذي شكلته الشيوعية بعد الحرب العالمية الثانية هو في منتهى الإسفاف. لقد عاشت هذه البلاد ردحاً من الزمن تحت ظل التهديد بالإبادة النووية. كانت هناك صواريخ نووية روسية موجهة علينا، وصواريخ نووية صينية موجهة نحونا. وكان طلبة المدارس يتلقون تدريبات على سبل التعامل في حالة حدوث هجوم نووي. كانت تلك الأوقات أوقاتا عصيبة بالنسبة لأمريكا، وبالنسبة للعالم أجمع، ومع ذلك شهدت الولايات المتحدة إنجازات رائعة في الخمسينيات والستينيات في مجالات الحقوق المدنية. لم نشهد تعطيلاً للدستور لأن الروس كانوا يوجهون صواريخهم النووية نحونا. إذا كانوا يتحدثون عن السحب النووية، فقد كانت هناك احتمالات حدوث سلسلة من التفجيرات النووية في طول البلاد وعرضها، إلا أن البلاد كانت تعيش كفاحاً أساسياً حول ما يعنيه أن تكون أمريكياً: الحقوق المدنية، حقوق المرأة، حقوق الإنسان. كنا في فيتنام، وكان الجنود يقتلون كل يوم، وعلى الرغم من ذلك واصلنا مسيرتنا عبر هذا النضال كأمة لنتحدث عن هويتنا ومبادئنا كشعب امريكي. لقد أظهر الخطر الذي يهددنا من الخارج مدى أهمية أن نكون شعباً امريكياً خيّراً، واهمية وجود منظومة قانونية متناسقة ومطردة. إن ما حدث في 11 سبتمبر لم يغيّر شيئاً. 11 سبتمبر لم يغير الدستور. لقد ولد الدستور بعد مخاض حرب ثورية كانت أكثر خطراً على البلاد من 11 سبتمبر بأضعاف مضاعفة. وأرجوا ألا يساء فهمي فيما اقول. لقد كان ما حدث يوم 11 سبتمبر فاجعة على الولايات المتحدة، وموت

الثلاثة آلاف شخص في ذلك الحادث يشكل مأساة كبيرة. كما أدت بلايين الدولارات التي خسرناها نتيجة تلك الهجمات إلى فاجعة اقتصادية. ولكنها مع ذلك لا تغير شيئاً. إنها لا تغير طبيعة وجوهر هذا البلد. وإذا كان لذلك الحدث من أثر، فإنه يكشف لنا أن أمامنا المزيد لفعله من أجل التحرك إلى الأمام كشعب.

لقد كان الأولى بما حدث في 11 سبتمبر أن يدفع الشعب الأمريكي إلى مراجعة أنفسهم وطرح السؤال الآتي، "لماذا حدث ذلك؟" فما وقع في ذلك اليوم لم يكن حادثاً عرضياً. لم يكن ذلك نزوة من نزوات الطبيعة. فلماذا وقع؟ وأنا اقول لك لماذا حدث ذلك. إنه بسبب وجود أشخاص من أمثال ريتشارد بيرل وكونداليزا رايس وغيرهم من المحافظين الجدد الذين لا يرعون أدنى اعتبار لبقية العالم. إنهم يتصرفون وكأن العالم بأسره فناء خلفي لمنزلهم، وأن الولايات المتحدة لديها حق طبيعي في الحصول على ثروات العالم بأسعار مفيدة للاقتصاد الأمريكي، ولكن ليس بالضرورة أن تكون مفيداً بالنسبة لشعوب الدول التي تمتلك تلك الموارد. فربما أننا ندوس حقوقهم الإنسانية، وربما أننا نتعدى على مجتمعاتهم، وعلى طموحاتهم وآمالهم بتحقيق عيش أفضل وحياة كريمة. وفجأة يستيقظ الناس الذين نشؤوا في تلك الدول ليسائل الواحد منهم نفسه، "لماذا لا أتزحزح عن مكاني؟ لماذا يوجد هذا الحاجز الذي يبقيني في الأسفل؟ من هو المسئول؟ فيجد أن الأصابع كلها تشير إلى الولايات المتحدة. فنصبح أعداءً لهم. وينطلقون لمهاجمتنا. إنني لا أتغاضى عما حدث في 11 سبتمبر، ولكنني اقول لك الآن بأننا لسنا بحاجة إلى أن نعيد تحديد انفسنا كشعب رداً على ما حدث في 11 سبتمبر. علينا أن نعيد النظر في وجهتنا، فربما أن مجتمعنا انحرف عن جادة الطريق. وأننا بحاجة إلى العودة إلى التمسك بالمبادئ والمثل القيم التي تحددنا كشعب: محبة الإنسانية "نحن شعب الولايات المتحدة

الأمريكية. الحياة، الحرية، والسعي نحو السعادة للجميع." ليس فقط للأمريكيين بل للجميع. ويجب علينا أن نطبق هذه المبادئ على المستوى العالمي. وإذا فعلنا ذلك، فإننا سنخفض من تهديد الإرهاب. وأؤكد لك أن ما فعلناه بعد 11 سبتمبر زاد الأمور تعقيداً. إننا لم نحسن من موقف الولايات المتحدة في العالم، بل جعلناه أسوأ بعشرة أضعاف، وسوف تتردى الأحوال إلى أسوأ من ذلك في طريق الهاوية، ما لم نقم، نحن الشعب، باستعادة السيطرة على ما يحدث باسمنا على يد الذين انتخبناهم في المناصب العليا في الدولة.

جيرمي إيرب: عنوان الكتاب الأخير الذي نشر لكم مؤخراً هو عدالة التخوم: أسلحة الدمار الشامل وإيقاع أمريكا في الفخ. وتحدثت فيه بإسهاب حول معنى التخوم وتصوير بوش بصورة الكاوبوي. هل لك أن توضح ما الذي تعنيه بذلك؟

تضمن هذا الكتاب فكرتين أساسيتين تتعلقان بالمفاهيم المتصلة بالمنطقة الغربية من القارة الأمريكية]موطن رعاة البقر .[وأحد أسباب اختياري للغرب الأمريكي القديم هو أن الرئيس جورج بوش يهوى تشبيه نفسه بشخصية الكاوبوي القديمة. أسامة بن لادن هاجم الولايات المتحدة، وبوش يتحدث عن ملصقة تحمل صورة ابن لادن وتحتها عبارة مطلوب حياً أو ميتاً.

والتخوم هي المكان الذي كان يفصل بين المجتمع المتمدن والبيداء. وفيما يخص تجربتنا الخاصة كأمة أمريكية، فإن هذه البيداء كانت تمتد غرب الولايات المتحدة. وكانت منطقة بعيدة عن السلطة وخارجة على القانون، وكان فيها همج متوحشون بحاجة إلى ترويض كي يمتد المجتمع المتمدن إليها. وفي كثير من الأحيان، كانت البلدات والمدن التي تقع على حافة التخوم تطبق نظاماً للعدالة لا يتفق مع القانون الدستوري. وكان يتولى تنفيذ العدالة رجل شهم يحمل على خصره مسدساً ويطارد الأشرار خارج المدينة. وكان ذلك يتم من دون وجود

محكمة ولا هيئة محلفين. هناك شخص يتحتم عليه أن يتخذ قراراً فوراً: عليه أن يسحب مسدسه ويطلق النار لقتل الشخص الشرير. هذه هي عدالة التخوم. وهي ليست قانونية، ولكنها أحياناً الشيء الصحيح الذي يجب فعله. وفي كثير من الأحيان تحتم الظروف تطبيق مثل هذا النوع من العدالة. وبالطبع، أخذنا هذا المفهوم وأضفنا عليه عناصر الدراما في الأفلام، كما حدث في فيلم هاي نون وبطله غاري كوبر. وفي هذا الفيلم، يتوجه غاري كوبر الذي يضع مسدسه على خصره إلى وسط الشارع. إنه لا يحب فعل ذلك، ولكن يجب عليه أن يقضي على الأشرار في اشتباك كبير يقع وسط المدينة، فيقتل العناصر الرديئة لكي تعيش البلدة بأمان في المجتمع المدني.

وهاهو جورج بوش يشبه نفسه بشخصية غاري كوبر. وعدالة التخوم. وهذا هو ما يحدث في وقتنا الحاضر. فهو يدعى أن الأمم المتحدة، والقانوني الدولي، "المجتمع المتحضر" عاجزة عن أو غير راغبة في مجابهة العناصر الشريرة: صدام حسين وأسلحة الدمار الشامل التي بحوزته، وأسامة بن لادن وإرهابه. فهذا العالم المتمدن لا يستطيع أن يفعل شيئاً تجاههما، لذلك كان على الولايات المتحدة أن تتقدم إلى التخوم لتحقيق العدالة، ولكي تصبح تلك المناطق متمدنة مرة أخرى. ولهذا السبب تحدثت عن النصف الآخر من المعادلة في الكتاب. إنها ليست عدالة التخوم: إنها نصب الشرك وإيقاع أمريكا في الفخ.

لقد كان نصب الشرك يعد أجبن أنواع القتال في المقاطعات الغربية القديمة لرعاة البقر، لأن نصب الفخاخ ليس فيه مواجهة الشخص وجهاً لوجه والاعتماد على سرعتك ومهارتك ودقة إصابتك في استخدام مسدسك. إنها إطلاق النار على الخصم من الخلف، وقتله دون إعطائه فرصة للمواجهة. وهذا هو ما فعله بوش. فهو ليس كغاري كوبر. إنه جبان نصب الشرك للشعب الأمريكي عن طريق استغلال الخوف والجهل الذي نتج بعد 11 سبتمبر لإظهار أن العراق يشكل خطراً

على الأمن القومي الأمريكي وأن صدام حسين هو شخص يمتلك أسلحة دمار شامل يمكنها أن تدمر المجتمع الذي نعيش فيه. ولذلك فإن هناك حاجة إلى تطبيق عدالة التخوم لكي نمنع ظهور السحب النووية فوق المدن الأمريكية. لقد كذب بوش علينا. ونصب لنا الفخ. وشن هذه الحرب مستنداً إلى مسوغات كاذبة ومضللة. لقد مزق القانون الدولي، ليس لوجود خطر يهددنا، بل لأن هذا القانون يشكل عائقاً أمام أهدافه وغاياته الأنانية. كنا قد أودعنا هذا الرجل في السجن، هذا الشخص الشرير المسمى صدام حسين. وحاصرناه في سجنه. كانت العقوبات الاقتصادية سارية المفعول. لم يكن باستطاعته أن يذهب إلى أي مكان، وتحيط به القوات الأمريكية من جميع الجهات لاحتوائه. وعلى الرغم من ذلك كله، قمنا بسحبه من السجن واتهمناه بسرقة المواشي والخيول، ووضعنا حبل المشنقة حول رقبته وشنقناه. وبينما كانت قدماه ما زالتا تنتفضان، راح بوش يحاول جاهداً العثور على الماشية المسروقة. إلا أنه اكتشف أن هذا الشخص لم يسرق أي ماشية، ولم يكن سارق خيول. ولم يكن هناك سبب لشنقه. ولكن ماذا فعل الشريف بوش؟ أخذ يصول ويجول قائلاً لقد كان ذلك الشخص سيئاً على كل حال ويستحق الشنق. هناك أسباب وجيهة وراء تخلي الولايات المتحدة عن عدالة التخوم قبل مائة عام، أهمها منع وقوع مثل هذا التعسف في ممارسة السلطة. إن جورج بوش ليس من ممارسي عدالة التخوم، بل من واضعي المصائد. وقد احتال على دستور الولايات المتحدة وعلى القيم والمبادئ التي نقف خلفها كأمة.

جيرمي إيرب: بدأ بل أورايلي وآخرون، يكثرون الحديث مؤخراً حول وجهات النظر المشابهة لما ذكرت واصفين إياها "بالدولية" والمغزى من هذا الوصف هو القول بأن من يؤمن بهذه الأفكار يقدم مصالح العالم على مصالح الولايات المتحدة، ويؤمن بالقانون الدولي، ويعتقد أن

اوروبا متحضرة، في حين أن مفكري المحافظين الجدد مثل روبرت كيغان لديهم وجهة نظر مختلفة. فهم يعتقدون انه يجب أن يعاد النظر في ذلك كله. إننا نعيش في عالم مختلف الآن ونحتاج إلى التفكير، أولاً وقبل كل شيء، من خلال القوة العسكرية للولايات المتحدة، إذا اردنا ان يكون هناك اي حضارة عالمية في المستقبل. ما رايك بهذه الشكوك؟

لا أنظر إلى الخدمة العسكرية باعتبارها المعيار الحاسم على صدق انتماء الشخص وولائه للجنسية الأمريكية، إلا أنني امضيت اثني عشر عاماً في قوات البحرية الأمريكية وليس في قوات دولية تابعة للأمم المتحدة. وكنت أرتدي العلم الأمريكي على كتفي أثناء المعركة عندما كنت أدافع عن وطني. وما زلت أخدم وطني بطرق متعددة، بما فيها ممارسة دوري كمواطن ناشط في مساءلة حكومتي عن أعمالها. والنظام الذي أستند إليه في مساءلة حكومة بلادي عن أعمالها ليس القانون الدولي بل دستور الولايات المتحدة الأمريكية. إنني أمريكي أولاً واخيراً. واحب وطني اكثر من اي شيء آخر. وأنا مستعد للموت في سبيل وطني. وعلى العكس من بل أورايلي، فقد خدمت في الجيش وكنت مستعداً للتضحية بنفسي في سبيل وطني. لذلك فإنني محصن من محاولة اي أحد التشكيك او الطعن في ولائي لأمريكا.

إلا أنني أؤمن أن الولايات المتحدة هي جزء من مجتمع عالمي وتتحمل نتيجة لذلك عدداً من المسؤوليات بوصفها عضواً في هذا المجتمع العالمي. ويحدد الدستور الأمريكي هذه المسؤوليات عندما يقول في المادة (6) بأننا نحن شعب الولايات المتحدة الأمريكية عندما ندخل في معاهدة دولية مع طرف أجنبي وتحظى هذه المعاهدة بموافقة ثلثي أعضاء مجلس الشيوخ، فإنها تصبح قانوناً ساري المفعول. إن هذا لا يعني أنني أريد من الآخرين أن تكون لهم الكلمة

الأخيرة فيما ينبغي أن نفعله. إلا أننا بحاجة إلى الاعتراف بأننا عندما نكون طرفاً في اتفاقية، أن تكون هذه المعاهدة ملزمة. لقد صادقنا على ميثاق هيئة الأمم المتحدة. ولم نفعل ذلك تحت الإكراه، ولم نجبر على ذلك لأننا خسرنا في الحرب ووقعنا وثيقة استسلام. لا، لقد انتصرنا في الحرب العالمية الثانية. وعن هذا النصر تولدت فكرة الأمم المتحدة. لقد وضعنا المبدأ الذي يقضي برفض استخدام الحرب كوسيلة لفض المنازعات بين الدول. ومبدأ استخدام الوسائل السلمية في فض المنازعات الدولية.

ومرة أخرى، إنني أدرك ما يعنيه أن ألبس الزي الموحد للجيش الأمريكي، وأعرف ما يعنيه التوجه إلى الحرب، وأعرف الشعور الذي ينتاب الشخص عندما يرى الموت أمام عينيه في وسط المعمعة. لذلك فإن هذا الأمر ليس بالأمر الهين. إنني أؤمن أننا كأمريكيين علينا واجب التأكد من استنفاد كافة السبل والجهود قبل أن نذهب إلى الحرب، وأن نتأكد قبل أن نطلب من أحد أن يضحي بنفسه في سبيل وطنه، أن الهدف الذي سيموتون من أجله يستحق تلك التضحية. إنني أقدر الأمم المتحدة وأحترم القانون الدولي لأنهما يوفران إطاراً للمناقشات والمفاوضات التي تمكننا من التوصل إلى وسائل غير الحرب لفض المنازعات. إنني لا أضع القانون الدولي فوق دستور الولايات المتحدة. إلا أنني أدرك أن الدستور الأمريكي يعترف بالقانون الدولي في المادة السادسة منه. ونحن ملزمون بحكم تلك المادة. لذلك فإنني لا أقدم أوروبا على الولايات المتحدة، ولا أقدم فرنسا وألمانيا على الولايات المتحدة، فأمريكا هي أولاً بالنسبة لي. إلا أنني احاسب أمريكا على مبادئها التي تقوم عليها، ولا يمكن لبل أورايلي أو أي شخص آخر أن يتجاوز ذلك وينفرد بإعادة تحديد القيم التي تقوم عليها البلاد. إن تعديل الدستور لا يتم إلا وفق آلية محددة. والمسألة تتطلب الدعوة إلى مؤتمر شعبي دستوري في مختلف الولايات. وعلى الشعب أن يصوت على التعديل المقترح.

وبعد تأمين النصاب المطلوب من الولايات التي تقر هذا التعديل، فإنه يصبح نافذاً. إلا ان أورايلي أو أي مقدم برامج آخر لا يملك أن يحدد فجأة القيم التي نستند عليها. وأعتقد أن هؤلاء الناس الذين يضعون سياسات تقول "أمريكا أولاً" بشكل أعمى مع تجاهل الالتزامات التي أخذناها على عاتقنا من خلال الدستور، ومن خلال القانون الدولي والمعاهدات والاتفاقيات الدولية، لا يعرفون معنى أن تكون أمريكياً.

جيرمي إيرب: فلنعاين الأبعاد السياسية لما ذكرته الآن. وواقع الحال هو انك إذا نظرت إلى استطلاعات الراي فستجد انها تشير إلى ان من يهين فرنسا تزداد شعبيته، ومن يهين ويحط من قدر الأمم المتحدة تزداد شعبيته، كما أننا نعلم من استطلاعات الراي التي اجريت مؤخراً حول هذه الظاهرة المسماة "ناسكار" والتي تعني الفئة الاجتماعية المكونة من الذكور البيض من الطبقة الكادحة والذين يتفقون مع سياسة بوش الخارجية ويؤيدون هذه الحرب. هل يمكنك أن تسلط الضوء على هذا البعد، وخصوصاً الفارق بين الجنسين (الذكور والإناث) في المواقف السياسية حيث ينحاز الذكور لصالح الحزب الجمهوري؟

إنني أتعامل مع رجال الطبقة العاملة كل الوقت. ومن الجوانب الممتعة في حياتي هذه الأيام هو أنني متطوع للعمل في الدفاع المدني، وكما تعلم فإنك عندما تذهب إلى دائرة مكافحة الحريق، فإنك تخالط الأشخاص الذين يشكلون عماد المجتمع. تجد من بينهم السباك، والكهربائي، وموظف خدمة التوصيل السريع، وتجد المحامي، والعامل في المصرف، والطبيب. شريحة تعكس معظم طبقات المجتمع. وهو مجتمع يغلب عليه الذكور. هناك بعض النساء. إلا أن السمة الغالبة عليه هي سمة الذكور. فهو مجتمع من الرجال. مجموعة من

الأشخاص الذين يفضلون رؤية انفسهم على انهم رجال حقيقيون يقومون بأعمال رجولية وبأسلوب رجولي. ومن الأشياء التي ادركتها هي أن الرجال عندما يواجهون القضايا الحقيقية فإنهم ينزعون إلى التصرف بواقعية. ولو سألت أحد هؤلاء الذين قبلوا الانخراط في مهنة تتطلب منهم إقحام انفسهم وسط النيران الملتهبة ما الذي يعنيه أن يخاطر المرء بنفسه، وستجد الجواب. وهو أن هذه المسألة ليست بالأمر الهين بالنسبة لهم. لذلك فإنهم لا يحملون الحرب محملاً هيناً. وعندما تتحدث معهم حول الحرب ومعنى أن تخاطر بحياتك فإنها مسألة ليست بسيطة. ويمكنني القول بأن الرجل الذي يعتبر نفسه رجلاً هو شخص اقل ميولاً نحو الإسراع إلى الحرب. أما هؤلاء الذين يقولون بأنه يجب علينا ان نذهب إلى الحرب لنبرهن شيئاً ما، هم حقاً أشخاص يعانون من فراغ في أنفسهم. إنهم بحاجة إلى إثبات شيء ما للناس. ولا أعرف ما هو ذلك الشيء - إنهم يعيشون حياتهم من خلال شيء خارجي آخر. فهم يتابعون ناسكار، وربما يتخيل الواحد منهم أنه السائق الذي يقود السيارة التي على وشك الفوز بالسباق إلا أن سيارته تتحطم قبل الوصول إلى الهدف. وهؤلاء يفتقرون إلى الشجاعة اللازمة لقيادة السيارة بأنفسهم. إنهم يتوجهون لمشاهدة المصارعة ويشاهدون اللاعبين المتخمين بهرمونات الستيرويد يكسرون الكراسي على بعضهم فيتخيلون أنهم يقومون بالشيء نفسه. في حين أن الحقيقة هي أنهم يجلسون على مقاعدهم وتتدلى أمامهم كروشهم الكبيرة نتيجة شرب البيرة وقلة الحركة، ويعانون من ارتفاع الكولسترول، ولأنهم يفتقرون إلى ما يتطلبه الوقوف على تلك الحلبة وفعل ما يقوم به المصارعون. هناك إحباط كبير لدى هذه الفئة، وأعتقد أن هذا الإحباط يجري استغلاله بشدة.

إنني لا اقصد الإهانة والحط من قدر ناسكار. فهناك أعداد كبيرة من المواطنين الصادقين والمخلصين يحبون هذا السباق ويتابعونه. وانا أحب رياضة الغولف، وأحب كرة القدم الأمريكية، وأحب البيسبول، ولكن هذه الأشياء لا تحدد

من هو أنا. وإذا كنت من عشّاق ناسكار، فإن ذلك لا يحدد من هو أنت إلا إذا أردت أنت ذلك. وعندما نتحدث عن آباء الناسكار* فإن هذه العبارة فيها حط من قيمة ناسكار وتشويه لمعظم الرجال الذين يذهبون لمشاهدة ذلك السباق. إلا أن العنصر المحدد هو أن هناك شريحة من المجتمع معرضة لمثل هذا الاستغلال. ومن المفارقة أن الشخص الذي يقوم بهذا الاستغلال هو رمز القصور الرجولي: جورج دبليو بوش نفسه، زعيم صقور الدجاج. وهو الشخص الذي لم يكن لديه الشجاعة لأخذ فكرة عن طبيعة واجباته في الحرس الوطني. وربما أن قيادة طائرة من نوع إف 102 (إس) فوق هيوستن يعد مهمة خطرة في نظره، فهرب إلى ولاية آلاباما في الوقت الذي توجه فيه ملايين الشباب الأمريكان إلى مراكز التجنيد للالتحاق بفيتنام. وتعج إدارته الحالية بالأبطال المزعومين، أشخاص لم يكن لديهم الشجاعة لتلبية النداء للدفاع عن وطنهم في وقت حرب لم تكن تحظى بتأييد شعبي. وها هم اليوم قد أوقعونا في حرب ثانية لا تحظى بتأييد شعبي، وهم يطلبون من الآخرين أن يخوضوا هذه الحرب في سبيل أجندتهم.

نورثمبتون، ماسيتشيوستس

22 اكتوبر، 2003

* *

فاندانا شيفا

الدكتورة فاندانا شيفا متخصصة في حقول الفيزياء والبيئة. وهي أيضاً محررة وكاتبة وناشطة في قضايا البيئة، ولها عدة كتب. أسست في الهند حركة نافدانيا، وهي حركة تهتم بحماية تنوع الأصناف البيولوجية وحقوق المزارعين. وعملت على إدارة مؤسسة أبحاث سياسة العلوم والتقنية والمصادر الطبيعية. ومن بين كتبها: القرصنة البيولوجية: نهب الطبيعة والمعرفة (ساوث إند برس، 1996)، وكتاب: محاصيل مسروقة: اختطاف موارد الغذاء العالمي (ساوث إند برس، 1999) وكتاب حروب الماء: الخصخصة والتلوث والأرباح (ساوث إند برس، 2002).

جيرمي إيرب: ذكرت أن العولمة هي نوع من أنواع الحرب التي تستخدم سلاحاً وأدوات مختلفة. ما هو الدور الذي تلعبه الآلة العسكرية الأمريكية في حركة العولمة؟

بدأ تأثير ذلك على دول مثل الهند منذ عام 1988. في بداية هذه المرحلة من إعادة ترتيب النظام العالمي عندما قامت الولايات المتحدة بإحداث تغيرات على قوانين التجارة الخارجية فيها- إذ جرى إضافة بعض البنود على القانون تحت اسم المادة 301- وسمحت هذه المادة للولايات المتحدة أن تستهدف، من خلال أدوات السياسة الخارجية والعقوبات الاقتصادية. الدول التي ترفض فتح أسواقها أمام الشركات الأمريكية. وحدث هذا قبل دخول منظمة التجارة العالمية حيز العمل، وقبل اعتماد الاتفاقية العامة للتجارة والتعرفة (الغات) بوقت طويل، وقبل دخولنا في هذه المرحة الجديدة من النزعة العسكرية. وقد سبق أن

استخدم هذا النوع من التهديدات العسكرية في حروب التجارة لفتح أسواق الجنوب أمام الشركات الأمريكية العاملة في قطاعات الزراعة، والصناعات الدوائية، وصناعة الترفيه من سينما وأفلام وموسيقى. لذلك، لم يكن هناك انفكاك بين السياسية الخارجية والتجارة واستخدام القوة العسكرية. وجرت العادة أن يسافر وزير التجارة الأمريكي على متن طائرة تابعة لسلاح الجو الأمريكي، كما فعل رون براون(*) عندما سافر إلى الهند وأصدر تهديده باتخاذ إجراءات صارمة إذا لم تسمح الهند لشركة إنرون بإنشاء محطة ضخمة - مضرة بالبيئة- لتوليد الكهرباء. ومع كل خطوة، تتناقص ديمقراطيتنا وأماننا، ويصل تأثير هذه الممارسات إلى قاع السلم الاجتماعي على شكل اضمحلال الحقوق الدستورية التي كفلها الدستور. ومنذ الوقت الذي بدأ فيه كل هذا، تلاشت معه كل عناصر الحماية الدستورية للحقوق والحريات الأساسية. وهو ما يعني تمزيق النسيج الاجتماعي واستقطابه تحت تأثير ضغوط العولمة والانتهازية المنبثقة عن التوجهات الفاشية في المجتمعات حول العالم. ويمكنني أن أسمي تكالب هذه القوى التي نشاهدها بالإيدز العالمي. وباء نقص المناعة المكتسبة في المجتمعات والدول.

جيرمي إيرب: من الإدعاءات التي تحتج بها حكومة بوش هي أنهم جلبوا "الديمقراطية" للشعب العراقي. ما ردك على تلك المقولة؟

يفترض في الديمقراطية أن تكون من الشعب وإلى الشعب لأجل الشعب. أما الديمقراطية التي تقام تحت تهديد القنابل والبنادق فهي ديمقراطية من

(*) رونالد براون (1941-1996) رجل أعمال امريكي من اصل إفريقي، كان من الناشطين في الحزب الديمقراطي. عينه الرئيس الأمريكي بل كلينتون وزيراً للتجارة. كان كشهر الأسفار في الخارج لترويج التجارة والأعمال الأمريكية. وبينما كان في زيارة عمل مع وفد من وزارته إلى البلقان تحطمت الطائرة التي كانت تقله مع 34 من أفراد الوفد بالقرب من مدينة دوبروفنك في كرواتيا بسبب سوء الأحوال الجوية. ولقي حتفه في ذلك الحادث. (إنكارتا بتصرف).

الشركات وإلى الشركات لأجل الشركات. ولا ادل على صحة ذلك من حقيقة أنه بدلاً من إعادة بناء العراق لصالح الشعب العراقي، فإنه جاء لخلق الفرص أمام الشركات الأمريكية مثل شركة بتشل التي حصلت على 680 مليون دولار من الدعم الحكومي (من جيب دافع الضريبة الأمريكي) للاستيلاء على الموجودات، والخدمات، والموارد في العراق، بينما يترك الشعب العراقي بلا ماء ولا كهرباء، ومن دون مدارس أو أمن.

إن ما نشاهده من التفجيرات التي تقع يوماً بعد يوم، وحقيقة أن عدد الجنود الذي قتلوا الآن هو أكثر من الذين قتلوا أثناء الحرب، يظهر بكل وضوح أن العراقيين لا يشعرون بأنهم شعب محرر: وإلا لما كانت أعمال المقاومة والعنف التي تقع كل يوم، ولشاهدنا بدلاً من ذلك استتباب الأمن، واستئناف المدارس فتح أبوابها، وعودة خدمات الكهرباء والماء كما كانت. إلا أن العراق ما يزال في حالة حرب. وهذه الحرب هي أعمق مما كانت عليه من قبل. واليوم يقف العراقيون ضد الاحتلال، وانقلب العراقي على العراقي، وهذه ليست من مظاهر الديمقراطية في شيء.

جيرمي إيرب: ثمة لغز كبير بالنسبة لمعظم الأمريكان حول قضية لماذا "يكرهوننا". هل لك أن تحدثينا عن اخطار هذا الاستقطاب، ليس فقط بين الدول، بل داخل المجتمع الواحد؟

بداية، أعتقد أن تقسيم العالم إلى معسكرين "نحن" و "هم" هو تقسيم غير موجود أصلاً. إن مجرد تأسيس القضية بين طرفين "نحن" و "هم" هو تأسيس خاطئ. وأعتقد أن معظم شعوب العالم تنظر إلى الشعب الأمريكي على أنه من البشر. وهم حقاً يشعرون بالأسف والأسى من هذا المشروع العنيف جداً والذي يجري تنفيذه باسم الشعب الأمريكي. ولا أحد يحب أن يرى حريته تختطف بهذه الطريقة، ثم يقال له بأن الأفغان لا يمكنهم تحرير أنفسهم، وأنهم بحاجة إلى أن

تحتل بلادهم. وأن العراقيين لا يمكنهم تحرير أنفسهم؛ وأنهم بحاجة إلى أن تحتل بلادهم لتحقيق ذلك. والمشكلة الأهم في هذا الاستقطاب هو أن هذا العنف الذي ارتكب ضد هذه المجتمعات، وهذا الاستعمار الجديد الذي يحدث اليوم، يؤدي إلى إثارة مشاعر الغضب والاستياء. لأن المؤسسات التي تسمح للناس بممارسة حياتهم اليومية الاعتيادية آخذة بالانهيار. ولا يقتصر الأمر على انهيار هذه المؤسسات، بل انهارت معه أيضاً مقدرة الناس على التعايش بسلام وأمان وتناغم مع بعضهم بعضاً. وقد بدأ هذا الاستقطاب يفرز هذا التمايز بين "نحن" و "هم" في كل مكان. فعلى سبيل المثال، بدأت هذه المظاهر تأخذ مكانها وتتفشى في المجتمع العراقي بين مختلف الفئات والطوائف الإسلامية في العراق.

وبعد أن استطاعت الهند أن تتعافى من جرح التقسيم- وهو آخر ميراث تركه لنا البريطانيون عندما حاولوا الاستمرار في حكمنا عن طريق القوة. ولما فشلت القوة في تحقيق ذلك، عمدوا إلى استخدام إستراتيجية "فرق تسد" عن طريق تأليب المسلمين والهندوس ضد بعضهم بعضاً مما أدى إلى تشكيل دولة باكستان. وما زالت الهند تشكل مجتمعاً يشكل فيه المسلمون والهندوس والنصارى والبريطانيون وآلاف القبائل المحلية نسيجاً واحداً متعدد الألوان والأطياف. إلا أنه في السنوات الأخيرة، ومع التغييرات التي بدأت تحدثها العولمة في الهيكل الداخلي للبلاد، وفقدان الوظائف، أصبح من السهل على العاطلين عن العمل التفكير بأنهم خسروا وظائفهم بسبب كثرة المسلمين- بدلاً من التفكير بأن بالإمكان توفير المزيد من الوظائف لو توقفت قوى تدمير الوظائف في البلاد. ولو كان لدينا سياسية حمائية في مركز السياسة الاقتصادية، لانفتحت فرص العمل أمام كثير من العاطلين عن العمل.

لذلك فإن استهداف الآخرين عن طريق إذكاء الهوية الإثنية المعادية للآخر قد بدأ يظهر وكأنه تفرع طبيعي للعولمة. إنه أثر جانبي حتمي للسياسات

الاقتصادية والعولمة، والمصممة أصلاً للقضاء على الوظائف، وأسباب عيش المواطنين من أجل زيادة أرباح الشركات. وهي الأجندة الوحيدة للعولمة: زيادة فرص الشركات في القضاء على سيادة الشعب وتدمير موقع الشعب في الاقتصاد. إنها ترتيبات اقتصادية من دون الشعب. إنها ترتيبات اقتصادية لمصلحة الشركات.

إننا محصورون في هذا النموذج المؤلف من ثلاث طبقات متنافرة كلياً: عولمة اقتصادية مع ما يسمى بالتجارة الحرة، وهي تجارة قسرية مدفوعة بمصالح الشركات الكبرى: آلة عسكرية تحمي العولمة التي لا يريدها الناس: وعلى المستوى الكلي، لدينا ما يسمى بالديمقراطية التمثيلية التي تجري على مسرح الانتخابات كل عدة أعوام. لكن وبالنظر إلى فقدان الأمن لدى الناس، فإن المطاف سينتهي بالديمقراطية النيابية لأن تكون المسرح النهائي للأصولية والفاشية. إذ لم يعد بمقدور المرشحين تقديم مدرسة لمجتمعهم المحلي، ولا يستطيعون تزويد مجتمعاتهم المحلية بالماء، أو خلق فرص العمل والوظائف لأن ذلك لم يعد من اختصاصهم بعد أن أصبح من اختصاص قواعد التجارة لمنظمة التجارة العالمية، أي بيد الشركات. لقد أسقطت هذه الوظائف من مهام البرلمانات الوطنية، وحذفت من اختصاصات المجالس التشريعية المحلية. لذلك لن يستطيع المرشح بعد الآن أن يجوب دائرته الانتخابية قائلاً: "سأنشئ مدرسة في المنطقة الفلانية، وسأعمل على تأمين أعداد كافية من المعلمين فيها." لن يحدث ذلك. وسيقال له: "إن سبب الأداء السيئ للمدارس هو وجود هذه الأعداد الكبيرة من المهاجرين. والسبب وراء انهيار النظام والمؤسسات العامة هو وجود أعداد كبيرة من أتباع الديانة الأخرى، أو وجود أناس من العرق أو الفصيلة الأخرى، أو إلى ما هنالك من ذرائع أخرى.." وبذلك تصبح الأصولية والفاشية الوصفة الوحيدة للسياسة النيابية في ظل النزعة العسكرية العالمية والتجارة العالمية الحرة.

جيرمي إيرب: تحدثت عن بروز الأصولية اليمينية المتطرفة حول العالم. اين تقع حكومة بوش ضمن هذه الظاهرة؟

لقد شاهدنا بروز اليمين المتطرف في الهند بعد استحكام العولمة. واليمين يتغذى على الكراهية، ويترعرع على التعصب، وعلى نقض وتبديل كل ترتيب ينظم حياتنا. ويرتبط بهذا ظاهرة عدم التسامح والتعصب الأعمى التي ظهرت في الولايات المتحدة: لأن التعصب لا يظهر إلا في مجتمع توقف أن يكون مجتمعاً تأملياً، في مجتمع لم يعد مجتمعاً ينظر إلى الداخل، وإلى تجربته، وإلى أحواله المتغيرة بشيء من التعمق. والتعصب هو انعكاس لانغلاق التفكير في المجتمع. وعندما يصبح التعصب هو الأساس، فإنه يعمل على تغذية اتجاهات المجتمع نحو حجب الناس عن المشاركة في حكم أنفسهم عن طريق اقتيادهم في درب إسكات ولجم أي تأمل ذكي، وأي مساهمة شعبية في القضايا العالمية والوطنية والمحلية. لقد كان التعصب والفاشية دائماً مثاراً للقلق. لأن الحوار غير ممكن إلا مع شخص يفكر. ولم يكن الاختلاف في المواقف في يوم من الأيام يشكل مشكلة في المجتمع. واختلاف المواقف داخل المجتمع الواحد كان يحل دائماً عبر الحوار والنقاش. أما التعصب فإنه يغلق كل احتمالات الحوار والتفاعل. لديك اعتقاد محدد، وهذا الاعتقاد لا ينسجم مع الحقيقة والواقع، وأمامك احتمالات تقويم ذلك عبر النقد وتبادل الآراء. والتعصب يغلق الطريق أمام ذلك. لذلك فإنك تعيش ضمن نبوءات ذاتية التحقق. وتتحول المشكلة إلى "صراع بين الحضارات" ومن ثم تعمل على تغذية صراع الحضارات. والمشكلة هي "أن الناس يغلب عليهم الكسل، وإلا فإن بإمكاننا الحصول على مزيد من فرص التوظيف" فتقوم بإخراج المزيد من الأيدي العاملة إلى البطالة. وبذلك تعمل على إيجاد السيناريو الذي يعزز الافتراضات التي افترضتها ابتداءً.

لقد كانت العولمة وما تزال على أجندة الحكومات الأمريكية سواء أكان الحكم بيد الجمهوريين أم بيد الديمقراطيين. والحقيقة أننا إذا نظرنا إلى

الولايات المتحدة من جانب السياسة الاقتصادية فإننا لا نكاد نلحظ فرقاً بين الحزبين فيما يخص دعم إنرون، وتعزيز نونسانتو، كل هذا الدعم للشركات الكبرى تم في ظل حكم الحزب الديمقراطي. والفارق الوحيد هو أن إمكانية التصحيح داخل المجتمع الأمريكي اصبحت اقل احتمالاً في ظل الفاشية السائدة في هذا المجتمع. ومن جانب آخر، فإن التوجهات الفاشية هنا تدعم ظهور الفاشية في المجتمعات الأخرى. وهذا هو سر وجود الفارق الكبير في النطاق السياسي. أما جوانبه الاقتصادية فهي تتشابه تشابهاً كبيراً بين الحزبين الديمقراطي والجمهوري. ولهذا السبب تبرز الحاجة إلى ضرورة التحول الديمقراطي عن طريق استعادة الديمقراطية الاقتصادية حول العالم. وأنا أسمي ذلك ديمقراطية الكرة الأرضية. لأننا بحاجة إلى إعادة ربط الاقتصاد والسياسة من جديد. إعادة الارتباط بالشعب وفك الارتباط بالشركات. إننا بحاجة إلى فك ذلك التزاوج المدهش بين العمليات الانتخابية والعمليات الاقتصادية من أيدي الشركات، والتي أدت بدورها إلى الحرمان الاقتصادي والسياسي لأفراد الشعب، وعملت على إفراز كل هذه التوجهات والميول نحو العنف والنزعة العسكرية والفاشية لكي تصبح الأمر الطبيعي في كل مكان، حيث تغذي كل فاشية أختها. هذا هو الجانب المقلق الذي نحتاج إلى التحوّل عنه.

جيرمي إيرب: بالنظر إلى هذه الاستمرارية في السياسات بين الحزبين الرئيسين، هل تعتقدين بوجود فارق كبير بالنسبة لبقية العالم، بين من سينجح في الانتخابات الرئاسية الأمريكية المقبلة؟

بكل تأكيد هناك فارق كبير بالنسبة لبقية العالم في نتائج الانتخابات الرئاسية المقبلة. لأن حكم الشركات ودكتاتورية الشركات هي امر مبين اصلاً. إلا أن حكم الشركات ودكتاتورية الشركات المدعومة من الفاشية تشكل خليطاً ساماً وخطيراً. وباعتقادي أن المظاهرات التي عمت مدينة سياتل أظهرت لنا أن

مواطني الأرض هم على درجة من التنظيم مكنتهم من مقاومة حكم الشركات وحدهم. إنها الميول والتوجهات الفاشية التي تخلق الأوضاع الخطرة لأنها لا تسمح بأي معارضة ديمقراطية، ولا مجال في ظل الفاشية للمقاومة السياسية، ويبقى العنف هو المخرج الوحيد، ولهذا السبب فإن من الضروري وقف هذه التوجهات الفاشية التي بدأت تظهر في الولايات المتحدة.

جيرمي إيرب: يتردد كثيراً أن الحرب على العراق هي بهدف السيطرة على نفط الشرق الأوسط؟ هل تعتقدين بصحة هذه المقولة؟

من الواضح جداً أن الحرب على العراق هي من أجل النفط. وكذلك احتلال أفغانستان. إن أفضل وسيلة لتأمين خط النفط الذي تم التخطيط له ولكنه لم ينفذ هو احتلال أفغانستان. وتشير كل التوقعات إلى أن أكبر مستهلكي النفط في المستقبل القريب هم الدول الآسيوية. لأنها المكان الذي انتقلت إليه عجلة الإنتاج. الإنتاج الذي يعتمد اعتماداً شديداً على الموارد والإنتاج الذي يعتمد على اليد العاملة، هو الآخر آخذ بالتحول إلى تلك المنطقة. وترتبط الحرب على العراق ارتباطاً وثيقاً بمنع أي منافس من السيطرة على تجارة النفط لأن النفط العراقي كان يتحول إلى اليورو. وبات من الواضح جداً أنه عاجلاً أم آجلاً سيؤدي إلى تهميش الاقتصاد الأمريكي القائم على الدولار. وشكل صدام حسين ذريعة جيدة، إلا أن القضية المهمة هي السيطرة على موارد العالم. وفي الغد يمكن أن تجد زعيماً ديمقراطياً في دولة ما، ولكن إذا وجد في تلك الدولة مورد حيوي ورأت دكتاتورية الاقتصاد العالمية ضرورة السيطرة عليه، فإن ما حدث للعراق يمكن أن يحدث لتلك الدولة. ولهذا السبب تراني أخصص جل اهتمامي ووقتي في العمل على المحافظة على إبقاء تنوع الموارد الحيوية والماء في نطاق الملك العام. لأننا إذا لم ننتبه لهذه القضية، وجرى تحويل هذا التنوع الغذائي إلى مصدر للطاقة (النفط الأخضر) في المستقبل، فلا نريد أن تكون بذور هذه

المحاصيل محصورة بيد خمس شركات عملاقة تحتكر ملكية براءة حبوب تلك المحاصيل. أو أن تسيطر بضع شركات كبيرة على الماء في العالم ويتحول إلى سلعة تباع وتشترى. إذا حدث ذلك فسنشهد اندلاع حروب طاحنة للسيطرة على هذه الموارد.

جيرمي إيرب: هل لك أن تحدثينا عن استخدام الخوف ودوره في خدمة التعصب؟

المجتمعات الجيدة تنشر الطمأنينة والأمل في نفوس مواطنيها. والسياسة الجيدة كانت دائماً متعلقة بالشجاعة الحقيقية وعدم الخوف. خذ على سبيل المثال غاندي، فقد كان عدم الخوف سلاحه الأقوى ضد بريطانيا التي كانت أسوأ إمبراطورية في العصر الحديث. وفكرة عدم التعاون مع تلك الإمبراطورية قائمة على عدم الخوف. وعندما سار مارتن لوثر كينغ على النهج الغاندي سار بلا خوف. وكل قائد يستحق وصف القائد، عليه أن يشجع عدم الخوف، ويشجع القدرة على مساءلة السلطة غير الشرعية، وتحدي الظلم، وإيجاد حرية حقيقية للناس. الخوف يأتي من الجهل، لذلك فإن من ينشر الخوف ينشر الجهل بين الناس ويعمل على تضليلهم وخداعهم لكي يسلب حرياتهم، ويصبح الخوف قرين الاستعباد.

جيرمي إيرب: ستعمل حكومة بوش على إغراق وسائل الإعلام الأمريكية بصور تظهر جورج بوش بمظهر الشخص القوي الذي لا يهاب، صورة راعي البقر الحازم. كيف ينسجم هذا مع تحليلاتك؟

ثمة نوعان من عدم الخوف. الأول هو عدم الخوف النابع من الذات، من النفس الإنسانية- قوة الشخص - القوة الإنسانية في وضوح الرؤية، ووضوح التجربة، ووضوح التمييز بين القبيح والحسن، بين الخير والشر، بين العدل

والظلم. ولكن عندما تقوم وسائل الإعلام بهذا الاستعراض المبالغ فيه بعرضها صورا لجورج بوش وهو لابس زي الطيار العسكري و على وشك ركوب طائرة مقاتلة، فإن ذلك لا يعكس عدم الخوف في نفس جورج بوش، بل يعكس عدواناً يتجسم بالعتاد العسكري. وهذا يشكل جزءاً من الأزمة التي تعاني منها الولايات المتحدة الأمريكية - وهي أن العنف القادم من الأسلحة وقاذفات القنابل والصواريخ يعكس عدم الخوف والجسارة. في حين أنها في واقع الأمر أدوات لبث الخوف والرعب في "الآخر". هذا هو دورها الوحيد. إن عدم الخوف عندي وعندك لا تتحقق من بث الرعب والخوف في الآخرين عن طريق استخدام أدوات العنف والآلة العسكرية. عدم الخوف هو أن تملك القدرة على أن تقول: "إنني لن أسمح لك بالاعتداء علي، ولن أسمح لك بانتهاك حقوقي الأساسية." أن تقول ذلك دون الحاجة إلى استخدام السلاح أو شيء آخر. هذه هو عدم الخوف. هل جورج بوش كائن بشري يستطيع التعامل مع البشر الآخرين من دون خوذة الطيار، ومن دون الطائرة المقاتلة، ومن دون حاملة الطائرات؟ هذه هو جوهر عدم الخوف. أن يأتي من داخل النفس وليس من خلال المظاهر العسكرية واستعراض العضلات.

جيرمي ايرب: لجأت الولايات المتحدة مؤخراً إلى هيئة الأمم المتحدة في محاولة لإنقاذ نفسها من الورطة التي أوقعت نفسها فيها في العراق، ما هو تفسيرك لهذا التحول؟

الالتجاء إلى الأمم المتحدة هو في الحقيقة اعتراف بفشل سياسة العمل الفردي التي اتبعتها الولايات المتحدة. وكانت الفكرة الأصلية تقول: "لسنا بحاجة إلى مساعدة أي طرف آخر". إننا من الذكاء والقوة بمكان بما يمكننا من تدمير أي شيء أو أي شخص كان". إلا أن إسقاط القنابل على الناس، على المواطنين الضعفاء في العراق دفع الجماهير إلى التنظيم -وليس بمساعدة صدام حسين-

ولكن لأنهم أناس غاضبون لا يحبون الاحتلال وبخاصة بعد أن اكتشفوا زيف الخدعة التي منّتهم بمجتمع ديمقراطي مزدهر. وهذا يعني أن هناك أزمة يجب أن تحل، وحلها يتطلب أكثر من الشوكة العسكرية للولايات المتحدة. وليس لدى بقية دول العالم استعداد للانضواء تحت لواء الجيش الأمريكي. لقد طلب من بلدي]الهند [المساهمة بقوة عسكرية في العراق. وأبدت الحكومة موافقتها، إلا أن البرلمان الهندي رفضت الفكرة رفضاً قاطعاً. وكان الشرط الذي اشترطته معظم الدول هو أنه إذا أردتم المساعدة في إعادة بناء العراق فيجب أن يحدث ذلك تحت رعاية هيئة الأمم المتحدة، وليس تحت رعاية الجيش الأمريكي. وهذا هو سبب عودة الولايات المتحدة إلى هيئة الأمم المتحدة، لأنهم أوجدوا هذا المأزق، وتورطوا فيه، وأصبحت قواتهم مستهدفة. والحرب مستمرة بطرق مختلفة، وهم الآن بحاجة إلى وقفها. وجرى إحضار الأمم المتحدة كما تأتي الأم لتنظيف ما أحدثه صغيرها من أوساخ.

جيرمي إيرب: هل أنت متفائلة باستطاعة المظاهرات الحاشدة التي خرجت حول العالم في الخامس عشر من فبراير، 2003 ان تشكل بداية لحركة تستطيع عكس هذا التوجه نحو الفاشية والتعصب؟

عندما بدأت مظاهرات السلام وبلغت ذروتها في هذا التعبير المتناسق والمنظم الذي شاهدناه في 15 فبراير، اتضح أمران بجلاء: الأول، أن المواطنين حول العالم جاهزون لأخذ مواقعهم كبديل عن حكم الشركات. ثانياً، أنهم منظمون على مستوى عالمي، وأن هناك تنظيما خارج نطاق الشركات يسيطر على السوق العالمي، وهو تنظيم المجتمع المدني حول قضايا العدالة والسلام. ولم تكن حركة السلام منفكة عن الحركة المناهضة للعولمة. لقد اتحدت الأجندة المضادة للعولمة بحركة السلام لتكوين حركة واحدة. وبالطبع أوجد هذا التنظيم والتوحد أملاً كبيراً في رؤية ذلك يتحقق. وأعتقد أن ما نحتاجه نحن في الحركة المناهضة للعولمة هو أن نشيّد ونبني فوق هذا التحرك الواسع نحو السلام.

لقد كنت جزءاً من الحركة المعارضة لمنظمة التجارة العالمية في الهند قبل أن تدخل المنظمة حيز العمل عام 1993 . وعملت هناك على تنظيم نصف مليون مزارع للتظاهر والخروج إلى الشوارع ليقولوا لحكومتهم بأن هذه المعاهدات ستدمر حياتنا. والطريقة التي يمكن لهذه الحكومات أن تتجاهل فيها شعوبها وفرض هذه المعاهدات عليهم، هي الطريقة نفسها التي يستخدمها السيد بلير والسيد بوش في التقليل من أهمية التعبير الديمقراطي والإرادة الديمقراطية للشعب. ويفترض في الديمقراطية أن تعكس إرادة الشعب. واللحظة التي يتم فيها تجاهل تلك الإرادة هي بداية الدكتاتورية. والتجربة الديمقراطية هي أن تكون أفعال القادة مرآة لرغبات الشعوب، وأي قائد يتعسف في هذا لا يمكن أن يوصف بأنه قائد مجتمع ديمقراطي، بل يمكن أن نسميهم مختطفي السلطة باسم الديمقراطية.

نورثمبتون، ماسيتشيوستس

23 سبتمبر، 2003

❋ ❋

نورمان سولمون

نورمان سولمون هو المدير التنفيذي والمؤسس لمعهد الدقة في المعلومات المتعلقة بالقضايا العامة. وهي عبارة عن ملتقى لمجموعة من الباحثين والصحفيين والمحللين في قضايا السياسة والإعلام. له عشرة كتب، آخرها كتاب استهدف العراق: ما لم تسمعه من وسائل الإعلام، وهو بالاشتراك مع مراسل الشؤون الخارجية ريس إرليتش (كونتكست بوكس، 2003).

جيرمي ايرب: هل لك أن تحدثنا حول المناخ الإعلامي عقب 11 سبتمبر، وما إذا كانت وسائل الإعلام متورطة في الدفع نحو الإسراع بشن الحرب على العراق؟ وهل لاحظت وجود نمط إعلامي يساعد على تعزيز الدعم الشعبي للحرب ولقدرة حكومة بوش على إدارة الحرب؟

لقد كانت أحداث 11 سبتمبر أداة لإسكات الناس، وإثارة قدر عظيم من الخوف. والحقيقة هي أنه وبعد 11 سبتمبر مباشرة، أسكتت وسائل الإعلام، وأسرع الصحافيون، باستثناء بعض الحالات البارزة، إلى الاختباء. ولذلك وجدنا أنفسنا وسط ديناميكية جديدة. وأصبح النقاش الذي هو أصلاً ضعيف في وسائل الإعلام الدارجة، أصبح أكثر تقييداً. فانتشر الخوف انتشار المرض المعدي في كل مكان. لم يطلب من أي أحد في وسائل الإعلام أن يخفف لهجة التهكم والسخرية من بوش. ولكنك عندما تفكر بما حدث، فستجد أن الرئيس بوش كان في الأشهر الأولى من حكمه محلاً للسخرية والاستهزاء في وسائل الإعلام. وكان الحديث يدور حول كونه شخصاً غير كفء، استطاع تجاوز حدود عدم كفاءته وفي غضون الأيام القلائل التي أعقبت 11 سبتمبر، قامت وسائل الإعلام بترقية

الرئيس بوش إلى مستوى الرئيس الأمريكي السابق فرانكلن ديلينو روزفلت. وفجأة، اصبح بإمكانه قراءة نص الخطاب المكتوب له والمعروض عبر جهاز التليبرومت أمام جلسة مشتركة للكونغرس. وأصبح لسان حال الأعلام يقول: لقد قللنا من شأن هذا الشخص! إنه حقاً شخصية فذّة! وانتقلت مكانته في الإعلام، بين العاشر والعشرين من سبتمبر، من الحضيض إلى أعلى القمة.

جيرمي إيرب: ما هو تقديركم لأداء وسائل الإعلام منذ بداية الحرب؟ كيف تقومون العمل الذي أدوه كصحافيين يعملون في دولة ديمقراطية؟

يكمن جوهر الديمقراطية فيما يحدث كل يوم، وليس فيما نقش على حجر أو دوّن في مخطوط حول حرية التعبير. وأعتقد أن التغطية الإعلامية للحرب في العراق عام 2003 كانت جزءاً من نمط شاهدناه مراراً وتكراراً، حيث نجد أن أشخاصاً مثل دان راذر، أو كريستيان آمانبور وغيرهم من رموز الإعلام الذين سايروا أجندة الحرب. لكن وبعد أن يتوقف القتال، ينتابهم شعور بالذنب والخزي، ويبدأون بالإفصاح عما يشبه الاعتراف بالذنب والخطيئة. وهذا أشبه ما يكون بما قاله مارك توين في وصف سهولة الإقلاع عن التدخين، حين قال: "إنه أمر سهل جداً، لقد فعلت ذلك آلاف المرات."

لقد تحول مراسلو شبكات الإعلام الرئيسية ومقدمو البرامج الإخبارية إلى مومسات لصناع الحرب. ويمارسون بغاءهم الإعلامي في الوقت الذي تتطاير فيه الصواريخ والقنابل على المدنيين، وبعد أن تضع الحرب أوزارها يكون من السهل عليهم القول: "يا إلهي، كان ينبغي أن نكون أكثر استقلالية في عملنا." ثم تأتي الحرب الثانية فيعيدوا الكرة، ويفعلوا الشيء نفسه.

جيرمي إيرب: كيف يمكن تفسير ذلك؟ دعنا نفترض ان هؤلاء الصحفيين ليسوا بالأشخاص السيئين، وأنهم يتمتعون بقدر من

المسؤولية والمهنية في العمل. من الممكن أن يبدو ذلك وكأنه مؤامرة في نظر كثير من الناس، وأنهم مومسات للحرب. كيف يمكنك أن تفسر سبب حدوث شيء كهذا؟ ما الذي يدفع كثيراً من هؤلاء الصحفيين المتميزين، الأذكياء، إلى الانخراط في مثل هذه المواقف؟

كم من الناس في أماكن عملهم، مهما كانت طبيعة وظائفهم، يملك الجرأة لأن يخالف رئيسه ويقول له اذهب إلى الجحيم، ويحدث القلقلة في مكان عمله، ويخاطر بوظيفته ومستقبله المهني؟ إن الصحفيين ليسوا بأكثر أو أقل شجاعة في وظائفهم وأعمالهم من الناس الآخرين. فهم لديهم التزامات مالية، وأقساط السكن، ومصاريف الأولاد وتأمين نفقات تعليمهم، ويرغبون في تأمين حياتهم في المستقبل. هذا هو ما يحدث. ولا يتطلب الأمر أن تكون عبقرياً أو مهندساً اجتماعياً لتدرك أنك لو كنت في مكان توم بروكو(*)، وتعمل لدى شبكة إن بي سي. وفي واقع الأمر أنت تعمل لدى شركة جنرال إليكتريك(*). وجنرال إليكتريك هي من الشركات التي ترتبط بعقود توريد ضخمة مع الجيش. وإذا رغبت بإعداد سلسلة من التقارير الإخبارية حول المستفيدين من الحرب في الولايات المتحدة فإن ذلك لن يكون مفيداً لارتقائك المهني في تلك الشركة، ولن ينال إعجاب وتقدير رؤسائك فيها. إلا أن بروكو ليس بأفضل مثال على ما نقول بالنظر لشهرته المرموقة وارتفاع دخله. فهناك أعداد كبيرة من الصحفيين والإعلاميين غير المشهورين، أو الذين يتقاضون رواتب متواضعة ويفتقرون إلى الأمن الوظيفي في عملهم. وعلى العموم، وباستثناء بعض الأشخاص، فإنهم لن يقولوا: "سأقف موقف الشرف والمبادئ في هذه القضية حتى وإن كان ذلك يعني فقدان وظيفتي أو عدم الارتقاء في السلم الوظيفي أو الدخل المادي."

(*) مقدم نشرة الأخبار المسائية في محطة إن بي سي الأمريكية.

(*) تملك شركة جنرال إلكتريك شبكة إن بي سي.

جيرمي إيرب: حول هذه النقطة، ذكرت في كتابك استهدف العراق أن حرب الخليج الأولى (حرب تحرير الكويت عام 1991) مهدت الطريق أمام بروز ظاهرة "الصحفيين المدمجين" في الوحدات العسكرية. وقد تكون فكرة الصحفي المرفق بالجيش أمراً محموداً بالنسبة للناس الذين يقولون بأنه أخيراً أصبح بالإمكان مشاهدة الأمور كما تحدث على أرض المعركة. لقد استفدنا من قيام البنتاغون باصطحاب الصحفيين في الحملة العسكرية الأولى في الخليج، وكان الصحافيون على أرض المعركة ينقلون إلينا الأحداث كما تقع بطريقة لم نشاهدها من قبل". هل لكم أن تحدثونا بالمزيد عن حرب الخليج ودورها في ظاهرة الصحافيين المدمجين؟

إن القيام بإبدال شيء مكان شيء أو إعادة ترتيب الأشياء لا تعني بالضرورة إحداث تغيير أساسي. كما أن التغطية الإعلامية لحرب العراق عام 2003 تختلف عن التغطية الإعلامية لحرب الخليج الأولى عام 1991 من حيث الأسلوب. إلا أن إدماج الصحفيين يهدف في حقيقة الأمر إلى وضع الصحفيين والمؤسسة العسكرية في صف واحد(*). هذا هو ما فعله الصحافيون في واقع الأمر. فهم ينتقلون برفقة كتائب الجيش التي يعتمدون عليها في المطعم والمشرب والمسكن والرعاية الصحية والحماية والبقاء طيلة فترة بقائهم وإلى حين انتهاء مهمتهم. وقد لاحظت من خلال مشاهدة برامج محطات سي إن إن، وإم إس إن بي سي، وفوكس وجود نوع من المودة والألفة بين المراسلين الصحفيين الذين يغطون الأحداث وبين وحدات الجيش التي يرافقونها. وقد سمعت أحد

(*) جاء تعبير المتحدث مستخدماً عبارة وضع الصحفيين والمؤسسة العسكرية في "فراش واحد" (in bed) وهي عبارة تجانس في لفظها وبنائها كلمة (embed) التي تعني المدمج. وهو ما ينسجم مع وصفه للصحافيين بالمومسات في تغطيتهم الحرب في العراق.

الصحفيين يقول: "... هؤلاء الجنود، إنني أعرفهم جيداً ويعرفونني جيداً. وهم يثقون بي." وفي الواقع أن هذه العلاقة الحميمة لا تفيد في العمل الصحافي، فعندما يثق بك الأشخاص الذين تقوم بنقل أخبارهم إلى العالم الخارجي أنك لن تنقل ما لا يرغبون بنقله، فإن ذلك يشكل علامة تحذير كبيرة تشير إلى وجود شيء غير سوي في هذه الترتيبات. وإذا عاينا التغطية الإخبارية لأحداث حرب العراق عام 2003، فسنجد، مع بعض الاستثناءات القليلة، أن الصحفيين الذين كانوا يرافقون الجنود قاموا بنقل الأخبار بطريقة ترضي البنتاغون. أما التغطية الأفضل فجاءت من المراسلين غير المدمجين في الوحدات العسكرية وغير المرتبطين بالمؤسسة العسكرية. وكما أشار أحد مراسلي شبكة إي بي سي فإن الصحفيين غير المدمجين بإمكانهم تغطية ما يحدث بعد مغادرة الجنود- أي المعاناة والدمار وجنائز الضحايا والغضب، والإصابات، والأطفال المشوهين بفعل القصف. أما الصحفيون المدمجون فهم كالمحاربين من الداخل، فقد كانوا شخصيات مهمة تتحرك مع الجيوش المنتصرة: إن الحرب لا تقتصر على النصر وحسب: بل تتعلق بالمأساة والمعاناة أيضاً.

جيرمي ايرب هل لكم ان تحدثونا عن التغطية الإعلامية للخسائر في هذه الحرب هنا في الولايات المتحدة بالمقارنة بالمصادر الأخرى للأخبار- ولا اقصد بالمصادر الأخرى محطة الجزيرة فقط، بل الإعلام الأوروبي؟

إذا كنت ستضع الصحفيين الأمريكان ضمن الجيوش الأمريكية، فإن المنطق يقضي أن تضع صحفيين ضمن المدنيين العراقيين. ولو كان هناك صحافيون أمريكيون مدمجون مع الأسر العراقية التي كانت تنهال عليها قنابل زنة 2000 رطل وصواريخ كروز، لكان بالإمكان نقل صورة متوازنة في الإعلام المرئي والمسموع والمقروء لما يجري هناك. وقد قامت الصحافة البريطانية بتغطية

أفضل للجوانب الإنسانية في هذه الحرب. فنقلوا لنا صورة ما يعنيه أن تكون تحت هذه القنابل؟ ما ذا يحدث في غرف الطوارئ في المستشفيات؟ وأنا أتحدث بشكل عام، لأنه ظهر في الإعلام الأمريكي بعض التقارير المتميزة، آن غاريل لم تكن ضمن الصحفيين المدمجين، كانت في بغداد خلال الحرب، وقدمت بعض التقارير المؤثرة لحساب محطة إن بي آر (محطة الراديو الوطني العام)، إلا أن الاستثناء لا يشكل جوهر التضليل الإعلامي، لأن جوهر التضليل الإعلامي يكمن في التكرار كما هو معلوم لدى أي متخصص في الدعاية والإعلام. وهذا لا يقتصر على استخدام الكلمات والعبارات التي تجلب الانتباه والتي يجري تكرارها، ولكنه يشمل الصور التي ترافقها. فما الذي يعرض أمام المشاهد وما الذي يحذف. ولهذا السبب لم ينزعج البنتاغون من التغطية الإعلامية التي كان فيها بعض الإنصاف. وباستثناء بعض الحالات كانت محطة الراديو الوطني العام (إن بي آر) تبدو وكأنها محطة الراديو الرسمية للبنتاغون. فقد كانت النبرة العامة لما يبث عبر موجات الأثير تعكس صراحة وتلميحاً أن حياة بعض الناس لها قيمة وأن حياة أناس آخرين ليس لها اي قيمة أو اعتبار، وأن هناك ضحايا أهل للشفقة والرحمة، وضحايا لا يستحقون الشفقة والرحمة. ومعيار التمييز في هذا تستقى من البنتاغون. نحزن ونأسف على الأمريكان الذين يموتون. أما الموتى العراقيين، فمن سوء الحظ، هذه هي الحرب.

جيرمي إيرب: هل لك أن تحدثنا عن العبارات الملفتة للانتباه والأنماط الإعلامية التي كثر تكرارها في وسائل الإعلام التي ذكرتها؟

لقد زرت بغداد في سبتمبر من عام 2002، وديسمبر من عام 2002. ويناير من عام 2003، وكنت أسير في الشارع وأتصور ماذا سيحدث بعد سقوط صاروخ كروز على المنطقة. زرت مستشفى الأطفال في بغداد. ذهبت إلى هناك مرتين، وأذكر أنني ذهبت في المرة الثانية برفقة شان بن وتمشينا خلال أقسام

المستشفى، وشاهدنا الأطفال الذين يعانون من اللوكيميا والسرطان. كان المشهد فظيعاً في ظل نقص الدواء نتيجة الحصار الذي تزعمته الولايات المتحدة على العراق. وكان العلاج الكيماوي للسرطان غير متوفر أو متوفر على فترات متقطعة نتيجة للعقوبات. وقال لي شان بن شيئاً كان له أثر حاد في نفسي. قال لي عندما خرجنا من المستشفى: "لو كنت في مكان هؤلاء الأطفال، فإنك لا تحب أن تسمع الباب يغلق بشدة، فكيف بك إذا سمعت سقوط القنابل". وتصورت كيف ستكون حال هؤلاء الأطفال أو حال آبائهم الذين يعتنون بهم في المستشفى، أو أي شخص آخر في تلك المنطقة، عندما تبدأ الحرب. ويمكن القول أن وصف "إرهاب" هو وصف ينطبق على هذه الحالة.

إذن نحن في عالم تمارس فيه الولايات المتحدة الإرهاب وتقترفه بحق المدنيين على نطاق واسع باسم محاربة الإرهاب. ويمكنك القول أيضاً أن إرهاب الولايات المتحدة إرهاب مستمر لأن صاروخ كروز وغيره من الأسلحة التي تستخدم في هذه الحرب هي جزء مما حدث. وهناك القنابل العنقودية التي استخدمها سلاح الجو في أفغانستان، واستخدمها الجيش الأمريكي في العراق ربيع 2003. وبقيت أعداد كبيرة من هذه القنابل التي لم تنفجر منتشرة حول ضواحي بغداد وبقية المدن العراقية وفي متناول أيدي الأطفال والصبية الذين يلعبون في الشوارع. وعندما تنفجر هذه القنابل تتطاير الشظايا المعدنية ممزقة أجساد هؤلاء الأطفال الصغار ومتسببة في تشويههم أو قتلهم على الفور. وهذا أيضاً من باب إرهاب وترويع الناس. ولذلك فإن عبارة الحرب على الإرهاب، عكس هذا النوع من الإسقاط بأن الشر كله هو في الطرف الآخر وأن كل شيء يفعله البنتاغون أو يأمر به البيت الأبيض ويوافق عليه الكونغرس يدخل في باب تحدي الإرهاب، في حين أن الحقيقة هي أنها تسبب الإرهاب لكثير من الناس.

جيرمي إيرب: وماذا عن عبارة "الصدمة والترويع"؟

هذا الشعار الذي أطلق على الحملة الأمريكية على العراق كان من قبيل الشعارات البراقة، وجرى استخدامه ليصف بشكل بارز الاستعراض الكبير للقوة النارية الأمريكية التي تعني القصف المكثف وغير المسبوق بالقنابل والصواريخ على بغداد. وجرى الحديث عنها لأسابيع وأسابيع قبل الحرب. وأول ما رايت هذه العبارة في الصحافة البريطانية، كما جرى الحديث عنه في الصحافة الأمريكية قبل العشرين من مارس من عام 2003، ثم أصبحت هذه العبارة ترنيمة الحرب التي تتردد في وسائل الإعلام. ولعل استخدام مثل هذه الشعارات هو من قبيل الحرب النفسية الموجهة ضد نظام صدام حسين، إلا أن هذا المصطلح شاع استخدامه وأصبح "موضة" إعلامية. وهذا الشعار تحديداً هو النافذة الزجاجية التي نشاهد من خلالها الفساد الذي لحق باللغة، والفساد الذي لحق بالمواطنة والأخلاق العامة والخطاب الديمقراطي. والهدف منه هو تخديرنا وتبليد أحاسيسنا باستخدام الكلمات والصور. لا تفكر، لا تشعر، وسر مع التيار. وإذا فكر صانعو الحرب أنه حان الوقت لشن الحرب، فلا تفكر كثيراً ولا تتعمق بالتفكير بآثار ذلك على بني البشر.

وتبدو التناقضات بالنسبة لكثير من الناس الآن أكثر تطرفاً ونحن ننظر إلى الحرب في العراق، لأن هذه الحرب قامت على أفظع واشنع الأكاذيب منذ البداية وحتى النهاية. لذلك، وبغض النظر عما إن كان المرء مسالماً أم عدوانياً، فإن حقيقة أن هذه الحرب تأسست على الأكاذيب تدفع التناقضات إلى ابعد الحدود. وما تبقى لدينا هو أن الوسائل الاعتيادية التي تستخدمها وسائل الإعلام لتشجيع الناس هو أن يشعروا بالمتعة من هذه الحرب. وهذه النقطة هي في غاية الأهمية لأن الرسالة الحقيقية من صانعي الحرب في واشنطن والإعلام لا تقتصر على وجوب أن نتقبل هذه الحرب، بل يجب أن ندرك أنها ضرورية. لذلك يجب أن نتقبلها بصدر رحب، وأن نشعر بالفخر والاعتزاز بها- وهي حرب تشوه الأطفال

وتقتل الأبرياء- وعندما تبنى الحرب على الأكاذيب، فإنه يجري تقديمها على أنها شيء جدير بالافتخار: ويجب أن تغذي بك الشعور بالفخر بأنك أمريكي.

لقد شهدنا في الفترة التي سبقت الحرب نوعاً من الترويج الإعلامي لتقديس وعبادة الأسلحة، وفي ذلك الوقت لم يكن أمام وسائل الإعلام حرب لتغطيتها، لذلك لم تكن هذه الأسلحة مستخدمة. وكنا نشاهد على صفحات جريدة يو أس إيه تودي وعلى شاشات محطات التلفاز الرئيسة وغيرها صوراً متقنة من التصاميم والرسومات المصممة بواسطة برامج الحاسوب لمختلف أنواع الأسلحة والعتاد: الطائرات المقاتلة الحديثة، أسلحة الجيش ومعداته، والسفن الحربية والطوافات وغيرها من الأسلحة ذات التصاميم الجذابة ويصاحبها شرح مفصل لمواصفاتها ومزاياها. في عرض أشبه ما يكون بعبادة وثنية لهذه المعدات العسكرية. ولم يكن كافياً أن يقال لنا عليكم أن تقبلوا بهذه الحرب، بل كان يفترض فينا أن نشعر من خلالها بالمتعة التبعية.

جيرمي إيرب: قبل لحظات ذكرت أن التصور الذهني يقود نظرتنا إلى الأشياء ولغة الخطاب، وتحدثت في إحدى مقالاتك عن سوزان سونتاغ(*) وكيف أن نظرتنا إلى الصور تتأثر بذاتنا وماضينا..الخ. هل لك أن تحدثنا حول الرسالة التي قصدتها من تعليقك على سوزان سونتاغ وكيف يعمل التصور، وكيف ينظر أناس مختلفون إلى الصورة الواحدة فيرى كل واحد منهم شيئاً يختلف عما يراه الآخرون؟

عندما ننظر إلى الصورة فإننا نشاهدها ضمن سياقنا الخاص، وهناك ميل، حتى لدى المعارضين للحرب نحو إسقاط ردود فعلنا على الناس الآخرين الذين

(*) سوزان سونتاغ، اسمها الأصلي سوزان روزنبلات، كاتبة أمريكية (1933-2004) تلقت تعليمها في جامعتي شيكاغو وهارفارد، ودرّست الفلسفة في عدد من المؤسسات. تركزت كتاباتها حول المقاربة الفلسفية لجوانب الثقافة المعاصرة كالأفلام والموسيقى والصور ولها عدد من المؤلفات والروايات في هذا الحقل. (الموسوعة البريطانية، بتصرف).

قد يكون لديهم شعور مختلف لسياق الحرب أو سياق صورة ملتقطة من الحرب. هناك ميل، حقاً، لإسقاط معاني الصورة. وكما تذكر سوزان سونتاغ، فإن شخصاً ما يمكن أن ينظر إلى صورة جندي في وسط المعركة فيقول إن الحرب شيء فظيع، هذه الحرب خاطئة. ويمكن لشخص آخر أن ينظر إلى الصورة نفسها فيقول، إن هذا الجندي يستحق كل الإعجاب على تحمله كل هذه المخاطر والمصاعب. إن هؤلاء الجنود لديهم الاستعداد للقتال من أجل ما هو صحيح. وفي الحقيقة هناك دائما استمتاع بالتبعية يشعر به كثير من الناس الذين يرون قيمة الحرب من التغطية الإخبارية التي قد تعكس بعضاً مما يحدث. وفي نوع خاص من قلب الحقيقة، ينظر بعض الناس إلى التغطية التلفازية للحرب قائلاً: "إن هذا حقيقي، ويبدو وكأنه فيلم شاهدته على ساينبلكس، فما هو المرجع إذن؟

أعتقد أن مارك كرسبن ملر قال ذات مرة" يبدو انه لا أحد يموت حقيقة في التلفاز لأنه لا احد يعيش اصلاً فيه" ويشير ملر هنا إلى نقطة هي في غاية الأهمية حول أسطورة أن التلفاز جلب الحرب إلى غرف المعيشة في منازلنا. ويضيف ملر، هل يمكننا أن نفكر في أي شيء آخر غير الحرب عدا عن مشاهدة هذه القطعة من الأثاث في الغرفة؟ فأنت تستيقظ في الصباح، وتذهب إلى المطبخ، ثم إلى الحمام، ولكن لا ينفجر حولك شيء، ولم يسقط السقف فوق رأسك. وهذا نوع من الغرور الذي نعاني منه منذ حرب فيتنام. تلك المقولة الدراجة بأن التلفاز نقل ساحة المعركة إلى غرف الجلوس. فهذا محض هراء. ومرة أخرى يعتمد ذلك كله على التفسير والتأويل الذي نضعه على ما نشاهده، إلا أن أجهزة التلفاز لا تنفجر وهي محصورة ومحددة، ولا تقدم في الغالب أي شيء عدا عن الترفيه والتسلية، وتأكيد التصورات الخاطئة لدى الناس.

جيرمي إيرب: وماذا عن التغطية الإعلامية لهجمات 11 سبتمبر ضمن هذا السياق؟

كانت التغطية الإعلامية للحادي عشر من سبتمبر كانت وضيعة وخطيرة إلى حد بعيد. وكانت الخرافة السائدة عن الولايات المتحدة بأنها الدولة التي تصلح كل ما هو عاطل. فالعم سام هو الشخص الذي سيذهب إلى فيتنام ويصلح الأمور هناك ويجعلها صحيحة. كانت تلك الأسطورة هي التي أفرزت المسوغات كثير من الحروب في العقود الأخيرة. ولكن ومنذ البداية أضاف 11 سبتمبر عنصراً آخراً في هذه المفاهيم وفي التغطية الإعلامية والخطاب السياسي، كما كانت في نطاق الانقسام الأيديولوجي في الولايات المتحدة- وهذا العنصر هو أن الولايات المتحدة أصبحت ضحية: فالآن لسنا فقط القوة العسكرية الرائدة في العالم، ولسنا فقط القوة العظمى الوحيدة، بل أصبح الشعب الأمريكي في مقدمة الشعوب "الضحية" في العالم.

واعتقد أن هذا هو ما كان يقصده نعوم تشومسكي. ونجد أن أشخاصاً انتهازيين مثل كريستوفر هيتشنز وغيره من اليمينيين الذين يهاجمون تشومسكي على فكرة هي في غاية البساطة تقول بأن قيمة حياة البشر كلهم متساوية، وأنك إذا أردت وضع معيار لحقوق الإنسان وكان لديك التزام أصيل نحو الحياة البشرية كما تدعي، فإنه لا يجوز لك أن ترفع من شأن موت بعض الناس وتجعلهم أكثر أهمية من موت الآخرين. وكتب إد هيرمان ونعوم تشومسكي حول ما أطلقوا عليه "الضحايا ذوو القيمة" و "الضحايا عديمي القيمة". وهم يتحدثون عن مقدرة الرئيس ووسائل الإعلام في التعبير صراحة وضمناً بأن هؤلاء الضحايا يستحقون أن نبكي عليهم، في حين أن الضحايا الآخرين لا يستحقون أن نذرف عليهم دمعة واحدة. ليس هذا وحسب، بل يجب أن نفتخر لأننا صيرناهم ضحايا، فنحن بعد كل شيء نقوم بمهمة مقدسة. وهذه الأضرار الجانبية التي تحدث أثناء ذلك هي من سوء الطالع، إلا أنها جزء من جهود نبيلة وعظيمة.

وحالما نقرر أن هناك ضحايا لهم قيمة وضحايا ليس لهم قيمة، وأنه عندما يموت الأمريكي، او حتى غير الأمريكي على الأرض الأمريكية، فإن موته يكون أكثر أهمية من موت الآخرين وبخاصة إذا كنا نحن الذين تسببنا في موتهم. ونحن كشعب في الولايات المتحدة ومن خلال سكوتنا وما ندفعه من أموال الضرائب والتي تمكن البنتاغون من فعل ما يفعل. وأنا أشير إلى هذا عادة بالسؤال لمصلحة من يقرع الجرس. وعندما تسأل عمن يقرع له الجرس، فأنت تسأل عن تفسير عقلاني للفظائع.

قمت مؤخراً بإجراء بحث في قاعدة بيانات نيكسس ميديا في الأشهر الأولى من عام 2003 عن كلمة "نورمبيرغ". وبحثت ضمن قاعدة بيانات برامج الراديو الوطني العام عن أي نقاش حول محاكمات نورمبيرغ في ذلك الكم الهائل من البرامج التي غطت التحضير للحرب والبرامج التي غطت الحرب. فهل كان هناك أي ذكر لمحاكمات نورمبيرغ أو المبادئ التي قامت عليها؟ لقد جاء ذكر الكلمة اربع مرات في الأشهر الأولى من عام 2003 ولم يأت ذكرها في سياق المحاكمات نفسها أو القلق حول الحرب في العراق. وهي حرب عدوانية بلا شك. لقد أوضح القاضي روبرت جاكسون من المحكمة الأمريكية العليا والذي توجه إلى نورمبيرغ عام 1945 بأن محاكمة زعماء النازية لم تكن لأنهم خسروا الحرب، بل لأنهم شنوا حرباً عدوانية. ووصفها بأنها تشكل جرائم ضد الإنسانية ليس لها أي مسّوغ. لذلك فإن من المنطقي أن نسأل: أليس جورج بوش مذنباً بالجرائم نفسها التي أدين بها الأشخاص الذين قدموا إلى المحاكمة في نورمبيرغ؟ وماذا عن دك تشيني؟ كولن باول؟ دونالد رمسفيلد؟

باختصار، عندما تكون بعض الأفكار خارج نطاق النقاش، وعندما لا يتم الحديث بعمق عن النفاق الصارخ والتناقضات في وسائل الإعلام فإننا نكون أمام بيئة إعلامية سفيهة. وفي الواقع العملي هناك مسخ فكري للرأي العام الأمريكي

ويجري التعامل معه إعلامياً على مستوى الأطفال غير المميزين، وبخاصة في أوقات الحرب. وليس من المفروض فينا أن نلاحظ ذلك. وقد جرى الحديث بعد 11 سبتمبر عن نهاية المفارقة، ولكن طبعاً لا يمكن القضاء على المفارقة بسهولة. والناس يلاحظون المفارقات، ولكن هناك ما يشبه تحريم المفارقات غير المسموح بها في وسائل الإعلام في هذا البلد. فعندما تتحدث عن جورج بوش والحرب في العراق، فإنه لا يمكنك أن تتحدث عن نورمبيرغ.

جيرمي إيرب: فيما يتعلق بهاذ التفاعل بين الموقف الدفاعي والموقف الهجومي العدواني، فإن من غير المرجح أن يدعم الشعب الأمريكي حرباً عدوانية. ولهذا السبب ظهرت الحاجة إلى إيجاد ذريعة: كنا بحاجة إلى أسلحة دمار شامل. وفي الوقت نفسه وبعد أن ذهبنا إلى العراق. فإنه يبدو أن الأمريكان يحبون حربهم. وهناك كثير من الناس يعشقون كل ما يتعلق بالكاوبوي وما يتعلق برامبو. ويبدو أن الناس لا ينظرون إلى ما يحدث على أنه تسلط وسطوة على الرغم من أن هذا ما يظهر لمعظم الناس في بقية العالم. هذا التفاعل بين الدفاع والعدوان، الدفاع عن نفسك كذريعة للاعتداء. هل أن لك تعلق على ذلك؟

تم الترويج للحرب على العراق في الولايات المتحدة على اعتبار أنها حرب دفاعية. وهذه الفكرة تنتشر في لغة خطاب إدارة بوش ومؤيديهم في وسائل الإعلام. إننا ندافع عن أنفسنا، وقد يكون هناك أسلحة نووية، إلى ما هنالك من الادعاءات التي لا تصمد أمام التمحيص. ولست بحاجة إلى أن أكون أكثر ذكاءً لكي أرى أكثر مما يمكن للشخص العادي أن يراه. لقد نظرت في تلك المسألة، وبدا لي أن من غير المعقول أن يمتلك العراق برنامجاً للأسلحة النووية. وقد طبعت كتابي "استهدف العراق" قبل أشهر من بدء الحرب، وذكرت في الكتاب أنه

لا يوجد في العراق برامج أسلحة نووية. لأن ذلك يخالف المنطق. ومع ذلك كانت إدارة بوش تقول أشياء أخرى تخالف العقل والمنطق. واقتنعت وسائل الإعلام بالفكرة القائلة بأن هذه الحرب حرب دفاعية. وطالما أن غالبية الناس مقتنعة بأنها حرب دفاعية فإنهم سيؤيدونها. وفي هذه الحالة، وكما في كثير من الحالات الأخرى، كان الإدعاء محالاً. وفي العادة عندما يدعي شخص شيئاً فإنه يحتاج إلى تقديم دليل على ادعائه قبل أن يقتنع أحد بذلك الإدعاء، إلا أن هذا كان وضعاً مختلفاً تماماً؛ وكما جاء في رواية "النظر من خلال الزجاج": الحكم أولاً ثم الدليل لاحقاً. هذه هي الطريقة التي تصرفت بها إدارة بوش، وكان باستطاعتهم مع مساعدة وسائل الإعلام إقناع الناس بها. وقالوا لنا إن هذه الحرب هي حرب دفاعية. وإذا لم نهاجم العراق فإن السحب النووية سترتفع فوق المدن الأمريكية. وكانت وسيلة ناجحة. ولكن ذلك هو باعتقادي شهادة على أثر وقوة الإعلام في تضليل الشعوب وإقناعها بأمور ليس لها أساس من الصحة.

جيرمي إيرب: الخوف، الدفاع، جنون الارتياب، الارتعاب، هذه الصفات ليست من السمات الأمريكية، ولا تتوازى مع الأسطورة الأمريكية والكيفية التي نرى فيها انفسنا كأمريكان، وهي تبدو اكثر صلة بما يقوله روبرت كيغان وغيره من مفكري المحافظين الجدد عن "اوروبا العجوز"، وكيف ان اوروبا لا تملك قوة ومنعة امريكا. هل يمكنك ان تتوقع كيف سيضع كارل روف وخبراؤه الإعلاميون جورج بوش في صورة القائد القوي مع التشكيك في الوقت نفسه برجولة وقوة اي مرشح ديمقراطي بغض النظر عمن سيكون هذا المرشح؟

في أكتوبر من عام 2003 ذكر جورج بوش بأن وسائل الإعلام كانت تحجب بعض الأخبار المعينة عن الوصول إلى الجمهور، فاضطر إلى التوجه إلى المحطات

المحلية لتوصيل رسالته. وهذا القول ينطوي على مفارقة لأن إدارة بوش كانت هي الطرف المستفيد من عمليات التنقية الإعلامية للأخبار والتي تسمح ببث نوع محدد من الأخبار. وفيما عدا بعض الاستثناءات، كانت تحجب الأخبار التي تناقض الرواية الرسمية للأحداث. ولو قارنا المقولة المشهورة عن الرئيس الأمريكي السابق فرانكلن ديلينو روزفلت من أن "الشيء الوحيد الذي يجب أن نخاف منه هو الخوف نفسه"، فإن رد بوش على هذه المقولة هو "إن الشيء الوحيد الذي يجب أن نخاف منه هو عدم وجود ما يكفي من الخوف". لأن الخوف هو الأداة الوحيدة التي قدمت لمؤيدي الحرب المسوغات لزيادة نفقات البنتاغون - والتي تجاوزت الآن مليار دولار في اليوم- والانخراط فيما يسميه جون ستوكويل العميل السابق لوكالة الاستخبارات المركزية، عمليات بحث عن أعداء.

ولدى هذه المجموعة قائمة طويلة من الأعداء من الدول الأخرى. والخوف هو الأسلوب الوحيد الناجع لتحقيق أهدافهم. لأن معظم الناس في الولايات المتحدة لا يريدون الحرب. فمعظم الناس لديهم أبناء وبنات وأصدقاء في الجيش، وهؤلاء إما انهم سيقتلون أو يقتلون إذا ما قامت الحرب. كما أن الحرب استنزاف للاقتصاد الوطني. ولكن يمكن للمحللين الإعلاميين أن يقنعوا الشعب بهذه الحرب عن طريق استخدام الخوف: إذا لم نقم بعمل الشيء الفلاني فإن الولايات المتحدة ستعاني من كذا وكذا من الفظائع. وهذا هو ما يرجع كفة التأييد الشعبي. كما أن 11 سبتمبر كان مصادفة سعيدة لسياسات الخوف. وكل ما كان يردده باول وبوش وتشيني هو: "لا تقلقوا بشأن التفاصيل، إننا بحاجة إلى توجيه الضربة الأولى، وسوف نهتم بتفاصيل الدليل فيما بعد" أو كما تقول العبارة المشهورة: "اقتلهم جميعاً، واترك مهمة تصنيفهم للرب".

جيرمي إيرب: لنتحول الأن إلى موضوع آخر وهو العملية الإعلامية

التي جرى من خلالها استبدال أسامة بن لادن بصدام حسين كوجه للإرهاب بعد 11 سبتمبر؟

لدينا ما يشبه الدمج بين انتهاكات حقوق الإنسان- انتهاكاتنا نحن لها- بالأعداء اللدودين للحكومة الأمريكية. ويتمثل ذلك بقدرة، أو سلطة، الرئيس أو وزير الخارجية، أو وزير الدفاع في بالاحتجاج بتقرير صادر عن جهة ما قائلاً إن انتهاكات حقوق الإنسان الواردة هنا هي أمر فظيع لا يمكن السكوت عليه لأننا نهتم كثيراً بهؤلاء الناس خاصة، ولأن هذا الزعيم الأجنبي سيء ويجب أن نتخلص منه عن طريق القيام بعمل عسكري ضده. وهذه سلطة كبيرة وخطيرة. إن تحديد ما يُقدم للناس على أنه الحقيقة وما يُترك جانباً، وما يهم وما لا يهم يتطلب ممارسة سلطة هائلة. ووضع مثل هذه السلطة في يد المسئولين في الحكومة يعني أن الصحافيين الذين يغطون واشنطن وقضايا ما يسمى الأمن القومي سيُقتادون من أنوفهم.

وقد حددت الحكومات المتعاقبة في واشنطن سلسلة من الأشرار: بدءاً من هوتشي من(*) إلى القذافي في ليبيا، و مانيويل نورييغا في بنما، وموريس بشب في غرينادا، تلك الجزيرة الصغيرة القابعة في الكاريبي والتي لا يتجاوز تعداد سكانها 200 الف نسمة، من كان يصدق أن هذه الدولة كانت تشكل خطراً على الولايات المتحدة؟ وبالنظر إلى الوراء فإن هذا الإدعاء يبدو من المحال، إلا ذلك كان هو العدو المحدد في تلك السنة، أو الشهر. ثم بعد ذلك، يتم إعادة ترتيب القائمة ليخرجوا علينا بشخص جديد يكون عدو الساعة.

لم نكن نسمع بصدام حسين قبل أن يقلب ظهر المجن لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية -صاحبة الفضل في وصوله إلى سدة الحكم- باحتلاله

(*) هو تشي من (1890-1969) مؤسس الحزب الشيوعي في الهند الصينية عام 1930. ورئيس فيتنام خلال معظم الحرب الفيتنامية الأمريكية.

الكويت. فتحول بعدها إلى شخصية شريرة. إن هذه الصلاحية في تصنيف الناس إلى أشرار وأخيار هي من الصلاحيات القوية في يد المسئولين في واشنطن. وأجد لزاماً عليّ القول بأنه وعلى المستوى السيكولوجي فإننا أمام حالة من الإسقاط هنا. خذ على سبيل المثال، مانيويل نورييغا عام 1989. فبعد أن تقلد كولن باول رئاسة هيئة الأركان المشتركة، أخذ ينادي بفكرة أن بنما بقيادة نورييغا تشكل تهديداً على أمن الولايات المتحدة، وأنه يجب احتلال ذلك البلد. مع العلم أن نورييغا كان من بين العملاء المدرجين على سلّم رواتب وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية في ذلك الوقت، وكان صدام حسين أيضاً من الزعماء المفضلين لدى تلك الوكالة لبعض الوقت إلى أن قام باحتلال الكويت في أغسطس من عام 1990. لذلك، فنحن أمام هذه الديناميكية المتقلبة: إنه الشخص الخيّر، إنه الشخص الشرير. وكان صدام حسين يرتكب الفظائع حين كان ضمن تصنيف الأشخاص الأخيار، وهو ما يزال يرتكب الفظائع حين انتقل إلى قائمة الأشرار. ولسنا ندري ما يدور في خلد شخص مثل كولن باول أو دونالد رمسفيلد، إلا أننا نجد هذا الإسقاط الشاسع على المستوى السياسي.

في يناير من عام 2003، كنت في بغداد في اجتماع مع طارق عزيز – الرجل الثاني في الحكومة العراقية بعد صدام حسين- وكان يرافقني دنس هاليدي، المدير السابق لبرنامج النفط مقابل الغذاء في بغداد، وحدث أنه كان يحمل نسخة من مجلة تايم ويظهر على غلافها صورة لدونالد رمسفيلد. فتناول طارق عزيز المجلة وقال:"آه، نعم، إنني مهتم بما هو مكتوب في هذه المجلة". ثم تمعّن في الغلاف الذي تظهر عليه صورة رمسفيلد وقال، "نعم، رمسفيلد، يا له من داعية حرب، لم يكن بهذه العدوانية والشراسة عندما جاء لزيارتنا عام 1983 للاجتماع بصدام حسين في بغداد. لقد جاء إلى هنا وفي جعبته الكثير للحديث حوله. وكان بينهما]صدام ورمسفيلد [مصالح مشتركة كثيرة لمناقشتها". وجلست

هناك أنظر إلى طارق عـزيز بـبـذلتـه الأنيـقـة، ولغتـه الرصـينة، ورحت أفكر في وصف "الشـر الدمث." لقد كان هذا الشـخص دمثـاً كيسـاً وقـادراً على الانخـراط في خطاب بارع وبمنتـهى الصـراحـة. إنه شـخـص من النوع الذي تحب أن تتناول بمعيـتـه طعـام العـشـاء. ومع ذلك، كـانت الرسـالة التي تبـثـهـا وسـائل الإعـلام الأمريكية عنه تقول بـأنه حيوان يختلف تماماً عن القادة الأمريكيين. شـخص من طينة مـخـتلفة كلياً. إنه شـخـص سيء شـرير، ونحن الأخـيـار. ولا يمكن أن يكون هناك قاسم مشترك بين الخير والشر.

لقـد وجـد "الشـر الدمث" فـي بغـداد في ظل حكم صـدام حـسين، كـمـا هو مـوجود في واشـنطن تحت حكم جـورج بوش. وفي الحـقـيـقـة أن المكائد المـرتبطة بالشر والقتل لدوافع سياسية يمكن تفهمها أكثر في ظل حكم صدام حسين منها في ظل حكم جورج بوش، ولاحظ أنني أقول "تفهمها" وليس تبـريرهـا. ولكن لو أن طارق عـزيـز تعـدى حـدوده في هذه الظـروف، فـإن عليـه أن يفكر بأقـاربـه الذين سيـتـعـرضـون للتـعـذيب أو القـتل على يد صـدام حـسين إذا شـعـر بأن طارق عـزيز خـانه. ولكن مـا الذي يخـشـاه أعـضـاء مـجلس الشـيـوخ، أو أعـضـاء الكونغـرس وغيرهم من المسئولين في واشنطن؟ ربما أنهم يخشـون عدم إعـادة انتـخـابهم أو فقدان وظائفهم. أو عدم إعادة تعيينهم في مـراكـزهم الحكومية؟ وهـم بالتأكيد على درجة عالية من الدماثة، ولكن سواء كنا نتحدث عن قصف هانوي بالقنابل أو قصف بغداد، فإن أعداداً كبيرة من المدنيين سيلقون حتفهم نتيجة تقاعس بعض الأفراد عن اتخاذ أبسط المواقف الأخلاقية.

جيـرمي إيرب: مـا رايك بالصورة التـي اسبـغهـا جـورج بوش على اجندة المحافظين الجدد؟

إننا نتحدث عن راعي البقر الذي تحول إلى فرانكلن روزفلت. وما أعنيه هو أن هذا الشـخـص، وبكل وضـوح، أبله فـارغ. ولو ألقـيـت نظرة على تاريخ رونـالد

ريغان، وجورج دبليو بوش، وآرنولد شوارتزنيغر. وهذا الأخير هو رونالد ريغان لكن على المنشطات. فإن من غير المتصور ومن النظرة الأولى أن يكون شخص مثل هذا حاكماً لولاية كاليفورنيا ناهيك عن أن يكون رئيساً للولايات المتحدة. إلا أننا رُوِّضنا ثقافياً على تقبل ذلك. وما من شك أن هؤلاء الأشخاص ما هم إلا واجهة شخصية. رموز شخصية تلعب دوراً محدداً. إنهم يقومون بوظيفة مرسومة. وثمة تفاعل بين هذه الشخصيات والأدوار التي يؤدونها. إنهم كالمنتجات حقيقة، وهم يخدمون أجندة شركاتية ضخمة. لذلك، فإن من المدهش أن نتحدث عن جورج بوش كفرد وعنه كواجهة شخصية. ومع ذلك، فإننا بعد أن نجد أنفسنا وسط وضع مريع، فإننا في واقع الأمر نتحدث عن نظام كامل موجه بقوة نحو الحرب والأرباح الفاحشة. والتحدي الذي نواجهه هو أن نتخطى هذه الشخصنة لكي نشاهد الريغانية بدون رونالد ريغان، والبوشية بدون جورج بوش بعد أن يذهب كل واحد من هؤلاء في طريقه. إنها مسألة وضع صورة شخص سعيد على آلة الموت، أو وضع ملصقات الوجه المبتسم على الصواريخ والقنابل المتوجهة لترويع الآمنين. كما أن العلم الأمريكي هو الآخر جرى استخدامه واستغلاله بهذه الطريقة.

ما هي الصور المرئية الكبيرة الإيجابية التي وضعت بعد هجمات 11 سبتمبر؟ إنها صور جورج بوش والعلم الأمريكي. إننا أمام حالة هي أشبه ما تكون بعملية استدراج وتحايل لإيقاع الضحية في المصيدة. فلدينا بوش الذي جرى تصويره في وسائل الإعلام بصورة حامي العلم، ولكن هذا العلم نفسه جرى استغلاله. وقام كثير من الناس وبإخلاص شديد، بوضع هذا العلم على نوافذهم وأمام منازلهم ومتاجرهم بدوافع وطنية. ثم، وفي غضون أسابيع، وبدلاً من التكاتف والتعاطف مع ضحايا 11 سبتمبر، جرى إلصاق العلم الأمريكي على الصواريخ التي توجهت لقتل المدنيين في أفغانستان والذين لا يختلفون في

برامتهم عن ضحايا 11 سبتمبر. لذلك فإنني أنظر إلى بوش بوصفه رمزاً يمثل وضع صورة إنسانية على سياسة إجرامية.

جيرمي إيرب: هناك اشخاص في التيار اليساري وفي الوسط، يقولون بأنه لا يوجد فرق بين مرشحي الحزبين الديمقراطي والجمهوري. فهم جميعاً سواء. ما مدى اهمية هذه الانتخابات من وجهة نظرك؟

لسنا أمام أشكال متنوعة من حكومات الحزب الجمهوري. إننا أمام رئاسة تمثل أقصى الجناح اليميني المتطرف. والمساواة بين نظام الحزب الجمهوري الحاكم الآن بالحزب الديمقراطي هو خطأ في إصدار الأحكام. إن إدارة بوش تحتوي على عناصر قريبة جداً من الفاشية، وبعض السياسات التي تبنتها مثل قانون الوطني، وتعطيل مبدأ احتجاز الأفراد بدون توجيه تهمة إليهم، وتعاظم شأن الجيش والتسلح والشركاتية والعنجهية الوطنية، وتلاشي الحقوق والحريات المدنية وغير ذلك، وفكرة أن من المقبول أن نهاجم أي دولة في العالم بحسب هوى الرئيس، هذه السياسيات تقف على حدود الفاشية. ولا أعتقد أنه يجب علينا أن ننتظر لكي نشاهد إلى أي مدى ستصل الفاشية في الولاية الثانية لحكم بوش. وقد يقول بعض الناس بأن هذه مخاطرة يجب علينا تقبلها. وأنا أتساءل على من يعود الضمير "نا" في علينا. هل يعود إلى جموع الناس في الولايات المتحدة وحول العالم والذين سيتحملون الآثار المباشرة للأولويات الاقتصادية والأعمال العسكرية لإدارة بوش. إن من السهل أن يجلس أحدنا هنا ويقول بأن الحزب الديمقراطي هو على نفس الدرجة من السوء، وقد يكون الجمهوريون أسوأ منهم، ولكن ليس هناك فارق كبير. إنني أعتقد أن هناك فوارق مهمة، وأعتقد أن مسؤولية مكافحة اليمين تقع على عاتق التقدميين. وإذا لم نقم بذلك نحن، فسيكون أمامنا خسائر أكبر في المستقبل.

نيو هيفين، كنكيتكت

22 اكتوبر، 2003

غريغ سبيتر

يعمل غريغ سبيتر مديراً تنفيذياً لمشروع الأولويات الوطنية. وقام بتأسيسه عام 1982 كوسيلة لتمكين الجمهور والمؤسسات الاجتماعية من فهم القرارات المهمة المتعلقة بالميزانية الفدرالية ومن المشاركة في النقاش الدائر حولها. وهو من المتحدثين البارزين في الاجتماعات والمؤتمرات المتعلقة بالسياسات الحكومية، وفي الدورات التدريبية التي تنظمها الجمعيات والمؤسسات الاجتماعية، وشارك في مخاطبة الكونغرس في جلسات الاستماع التي يعقدها الكونغرس في معرض مناقشاته حول الميزانية قبل إقرارها. وله ظهور بارز في وسائل الإعلام التي تسعى إلى عرض تحليلاته حول سياسات الميزانية. وعمل السيد سبيتر قبل تأسيسه مشروع الأولويات الوطنية، لمدة ستة أشهر في مشروع تدريب تفاعل ومشاركة المواطنين، في مدينة أمهرست في ولاية ماسيتشيوستس. وله عدد من الكتب حول التنظيم الاجتماعي والانخراط في العملية السياسية.

جيرمي إيرب: ما الذي كشفت عنه أبحاثك حول الاحتياطات الاقتصادية للبلاد في مقابل أولوياتها في الإنفاق؟

إننا نواجه احتياجات اقتصادية جسيمة. وهذه الاحتياجات لا تلقى الاهتمام اللازم من الحكومة الفدرالية. لقد خسرنا ثلاثة ملايين وظيفة في السنوات الثلاث الفائتة. ولدينا 43 مليون شخص بدون تأمين صحي. هناك مدرسة واحدة من بين كل ثلاث مدارس بحاجة إما إلى ترميم شامل أو إعادة بناء. ولدينا حوالي 31 مليون شخص لا يستطيعون تأمين احتياجاتهم الأساسية. ويصل معدل

فقر الأطفال إلى 20 ٪. وعلى الرغم من هذا كله، إذا ألقيت نظرة على كيفية إنفاق أموال الضرائب، فستجد أن ما تجمعه الخزينة من أموال الشعب لا يتم إنفاقه على هذه الاحتياجات. وفي السنة الماضية وحدها، تم إنفاق 49 سنتاً من كل دولار أي [49٪] من حصيلة الضرائب إما على المؤسسة العسكرية أو لتسديد فوائد الدين العام، وهي نتيجة لتخفيضات الضرائب التي شرعت في الأعوام القليلة الماضيــة. وتنفق الحكومــة 3 سنتــات من كل دولار [3%] على التعليم، وسنتين ونصف [2.5%] على برامج توفيـر المواد الغذائيـة الأساسيـة للأسـر الفــقــيــرة، وسنتين [2%] على الإسكان، وأقل من نصف سنت [0.5%] على التدريب المهني. ولهذا فإنك إذا نظرت إلى الاحتياجات التي نفتقر إليها في هذا البلد، فإننا بحاجة إلى مزيد من الإنفاق لتلبيتها. وعندما تنظر إلى أين تذهب أموال الضرائب فإنها بالتأكيد تذهب في الاتجاه الآخر.

جيرمي إيرب: عندما يتحدث الناس عن أولويات الميزانية الفدرالية، فإنهم في الغالب يستخدمون عبارة "البنادق والزبدة". هل لك أن توضح لنا المقصود بذلك بالضبط، وما علاقة ذلك بما قلته الآن، حول علاقة الدين بالإنفاق العسكري؟

ثمة صراع قائم عبر التاريخ حول الموازنة بين ما تنفقه الدول على البرامج الاجتماعية وما تنفقه على الجيش. لذلك يعتبر النقاش التقليدي بين البنادق والزبدة واحداً من أكبر المناقشات في عملية صنع السياسات الاقتصادية والاجتماعية، وهي بكل تأكيد تشكل قضية جوهرية بالنسبة لنا منذ الثلاثين إلى الأربعين عاماً الماضية. ففي الستينيات، أدت حرب فيتنام إلى تقليص ما يمكن أن تنفقه الحكومة على حملة "الحرب على الفقر". وفي الثمانينيات أدى الإنفاق العسكري السخي لحكومة ريغان إلى تقليص كبير في البرامج الاجتماعية. وإذا نظرت إلى الأرقام، فستجد أننا في العشرين عاماً الماضية خفضنا ما قيمته

ترليـون دولار من مـخـصـصـات الإسكان والتـعليم والتـدريب المهني ومن بـرامج أخـرى. وظن الناس أنه مع انتهـاء الحـرب البـاردة فـإننا سنتـمكن من تـخصـيص المزيد من الأموال نحو "الزيدة"، نحـو الخدمات والبـرامج الاجتـماعية. والواقع أن رؤسـاء البلديات في طول البـلاد وعـرضهـا طالبـوا بخطة اقـتصـادية على غـرار خطة مارشال، وباستحقاقات السلام لتلبيـة الاحتياجات الاقتصادية للمجتمع. إلا أن ذلك لم يحـدث. لقـد قمنـا بتخفـيض بسيط في الإنفـاق العسكري، وتم تـوجيـه فارق التخفيض نحو تسديد المديونية العامة. ثم جاءت ميزانية بوش التي شهدت زيادة في النفقات العسكرية من 312 مليار دولار إلى 400 مليار دولار في غضون ثلاثة أعوام، وهو الأمر الذي جعل تخصيص أي مبالغ للبرامج الاجتمـاعيـة أمراً عسـيـراً لأن تلك الأمـوال تحـولت إلى البنتـاغـون والتـحضـيـر للحـرب. لذلك فـإن النقاش كان دائماً حول البندقية والزيدة. وفي الوقت الحاضر، وبالنظر إلى حجم المخصصات التي ينوي بوش إنفاقها على الجيش، فإنه لن يتبقى ما يكفي لتغطية احتياجـاتنا الماسـة. خذ على سبيل المثال التأمين الصحي، ففي التسعينيـات كان الحديث يدور حول تقديم مظلة تأمين صحي شـامل للجميع. أمـا الآن فلدينا 43 مليـون شـخص غيـر مـشـمـولين بأي تأمين صـحي، وقد ارتفع هذا العدد من 41 مليون إلى 43 مليون خلال السنتين الأخيـرتين. وفي الوقت نفسـه، ازدادت نسبة الفقر، وخرج الحديث عن تأمين احتياجات الرعاية الصحيـة والتعليم من دائرة الاهتمام، وأصبح الناس يتحدثون الآن عن الإرهاب والحرب.

جيـرمي ايرب: من القـضايا التي اعتـمدت عليها حـملة بوش الانتـخابيـة مسـألة تخفيض الضرائب، وقد راينا شعارات مثل "وضع مزيد من الأموال في جيـوب النـاس"، و "إعـادة امـوالكم إليكم". هل لك ان تحـدثنا عن هذا المنطق ضمـن سيـاق افكار غـروفـر نوركست احـد دعـاة تخـفـيض الضـرائب المؤثرين من المحافظين الجدد، وضمن الإطار الأكبر لنظرة المحافظين الجدد تجاه الإنفاق على البرامج الاجتماعية؟

إن ما يحدث في تخفيض الضرائب هو أن نسبة قليلة من الناس هم الذين يحصلون على التخفيضات الضريبية الكبيرة، بينما يطال الغالبية العظمى منهم نزر يسير منها. ويدعي بوش أن هذا التخفيض مفيد لهم، إلا أنهم لا ينظرون إلى الصورة الأكبر التي يظهر فيها المستفيد الحقيقي من هذه التخفيضات. ومن المهم أن نعود خطوة إلى الوراء لكي نفهم ما حدث للثروة ومعدلات الدخل الفردي في العشرين عاماً الماضية. إذ لم تشهد غالبية الناس ارتفاعاً يذكر في معدلات دخلهم السنوي. والواقع أن الطبقة الفقيرة شهدت تراجعاً في دخلها السنوي من 12 الف دولار إلى 10 آلاف دولار على مدى العشرين سنة الماضية. وشهدت معدلات دخل الطبقة المتوسطة ارتفاعاً طفيفاً من 53 الف دولار إلى 55 الف دولار في العام. أما أغنى 1٪ من السكان في سلم الدخل المرتفع فقد ارتفع دخلهم من 400 الف دولار في العام إلى مليون دولار في العام في العشرين عاماً الماضية. وإذا نظرت إلى آخر تخفيض ضريبي سنته الحكومة في مايو من عام 2003، فستجد أن ادنى 60٪ من السكان في سلم الدخل حصلوا على أقل من 100 دولار سنوياً من هذا الإعفاء. أما أغنى 1٪ فقد حصلوا على 25 الف دولار سنوياً من هذا التخفيض الضريبي. لذلك فإن هذه السياسات الضريبية مصممة لزيادة واستفحال هذا التحول في معدلات الدخل وتوزيع الثروة. والأمر الآخر الذي يحدث مع تخفيض الضرائب هو أن الدولة ستجد صعوبة في تأمين الاحتياجات الاجتماعية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن غروفر نوركست، وهو أحد أبرز المحافظين الجدد المتخصصين بالضرائب، قد ذكر ذات مرة أنه يطمح إلى رؤية الحكومة الفدرالية تتقلص إلى حجم يسهل معه التخلص منها بشطفها في بالوعة المرحاض. والواقع أن ذلك هو ما يحدث الآن. فالحكومة الفدرالية عاجزة في الوقت الحاضر عن التصدي لقضايا الرعاية الصحية والتعليم. إننا عاجزون عن مواجهة كثير من الاحتياجات الاجتماعية لعدم وجود الأموال الكافية لتغطيتها. ويتزايد عجز الميزانية التي هي في الأصل خارج نطاق السيطرة، مع

أننا نجحنا في السيطرة عليها في التسعينيات، لتصل إلى معدلات لم يسبق أن وصلت إليها في تاريخ البلاد. ويدرك الجميع عواقب ذلك. فالحكومة الفدرالية ستقول لنا إننا لا نملك الأموال الكافية لتغطية الاحتياجات الأساسية.

جيرمي إيرب: كيف ترد على الحجة التي تقول بأن تخفيض الضرائب يساعد على تقليص الحجم الضخم للحكومة الفدرالية التي هي في امس الحاجة إلى تخفيض دراماتيكي؟ هل تعتقد بأن تركيز لغة خطاب الحكومة على مسألة حجم الحكومة يقصد من ورائه تشتيت الانتباه عن النتائج السلبية لتلك السياسات؟

إننا نواجه في بلدنا هذا، كما ذكرت سالفاً، احتياجات اقتصادية جمة. ولم تعد المدن والبلديات تملك المال الذي كانت تملكه في السابق. وأعلنت البلديات والحكومات المحلية بأنها تعاني من أسوأ أزمة مالية مرت عليها منذ خمسين عاماً. وعلى هذا فإن الجهات التي تلقت صدمة هذه السياسات الاقتصادية هي المجتمعات الصغيرة. وقد اضطرت هذه البلديات والمجالس المحلية إلى تقليص نفقات الدفاع المدني والشرطة والاحتياجات الأمنية الأساسية، وتخفيض مخصصات التعليم وغيرها من الاحتياجات الضرورية التي كانت تعتبر من قبل من المسلمات. إن الحكومة الضخمة الحقيقية هي الجيش. وانظر إلى أين تذهب الضرائب، 49 سنتاً من كل دولار من الضرائب تذهب إما إلى البنتاغون أو لتسديد فوائد الدين العام. هناك نسبة بسيطة تعود إلى الشعب، وهي أقل بكثير مما كان ينفق في الستينيات والسبعينيات.

جيرمي إيرب: لنتحول الآن إلى مركز الأبحاث التابع للمحافظين الجدد والمسمى مشروع القرن الأمريكي الجديد، لأنه يعرض بكل وضوح الفلسفات والتوجهات التي تطبقها الحكومة الحالية. وعندما ينظر الناس إلى هذه المجموعة، فإنهم يشاهدونها فقط من خلال أجندتها العدوانية الريغانية

الجديدة التي تنادي بها في مجال السياسة الخارجية. هل لك ان تحدثنا عن التبعات والنتائج المحلية لأجندة السياسية الخارجية الموسومة بوسم المحافظين الجدد، والتي يجري تطبيقها على يد هذه الحكومة؟

ينصب تركيز مشروع القرن الأمريكي الجديد على الإنفاق العسكري والسياسة الخارجية كما هو واضح. إلا أن ذلك هو جانب واحد فقط من جهود المحافظين الجدد للسيطرة على الحكومة، ومحاولة إلغاء دور الحكومة بالنسبة لقطاع عريض من الشعب. وهناك آثار حقيقية ومباشرة لزيادة الإنفاق العسكري، وهو بالضبط ما كانوا يروجون له قبل 11 سبتمبر. وزيادة الإنفاق العسكري تعني أن الميزانية لن يتبقى فيها من المخصصات ما يغطي الاحتياجات الأخرى. إن من المهم أن يدرك الناس عظم حجم الميزانية العسكرية لكي نفهم مطالبة المحافظين الجدد بزيادتها. ومن مؤشرات حجم الميزانية العسكرية هو مقارنتها بما تنفقه الدول الأخرى. فالولايات المتحدة أنفقت 400 مليار دولار على الدفاع هذا العام. وهذا المبلغ يساوي ما أنفقته بقية دول العالم مجتمعة على الدفاع. وما من شك في أننا نملك أكبر قوة عسكرية في العالم. وجنودنا هم الأفضل تجهيزاً وتدريباً وإعداداً وعتاداً. ومعداتنا العسكرية هي الأكثر تقدماً وتعقيداً من غيرها في العالم. وهذا الوصف كان صحيحاً عام 2000 عندما دعا مشروع القرن الأمريكي الجديد إلى زيادة الإنفاق العسكري بمقدار 20 مليار دولار في العام. وقد حدث ذلك فعلاً، بل وأكثر من ذلك. ونجحوا في زيادة مخصصات الميزانية العسكرية بمقدار 100 مليار دولار في السنوات الثلاث الماضية. ولكن من المهم كذلك أن نقارن بين ما ينفق على المؤسسة العسكرية وبين ما ينفق على الأمور الأخرى. والواقع أنك لو جمعت ما تنفقه الحكومة الفدرالية على التعليم والتدريب المهني وبرامج التغذية ومجموعة أخرى من البرامج المهمة للمجتمع وتضرب حاصل المجموعة باثنين فإن المجموعة سيساوي ما ننفقه على البنتاغون. وبالإضافة إلى

ذلك هناك الحرب. وقد كلف مجهود الحرب الميزانية 141 مليار دولار في عام 2003 وحده. وهذا الرقم لا يدخل ضمن الميزانية العسكرية بل هو زيادة عليها. وحتى الآن قام الكونغرس بتخصيص دفعتين لمجهود الحرب بقيمة 141 مليار دولار. وهذا مبلغ ضخم بكل المعايير. وبإمكاننا أن نوفر بهذا المبلغ تأميناً صحياً لكل طفل من الأطفال الذين يفتقرون إلى التأمين الصحي في الولايات المتحدة والبالغ عددهم 12 مليون طفل، ولمدة سبع سنوات. ويمكننا إنشاء 104 مليون وحدة سكنية جديدة بأسعار تكون في متناول ذوي الدخل المتدني والمحدود للقضاء على أزمة السكن. وبإمكاننا توفير 3 ملايين وظيفة بتلك الأموال، وإعادة بناء كل مدرسة بحاجة إلى ترميم أو إعادة بناء، وتأمين 60 الف وظيفة جديدة في قطاع التعليم لأربع سنين قادمة.

إذن، فنحن أمام مبالغ ضخمة وتكاليف باهظة. وما نحاول فعله في مشروع الأولويات الوطنية هو توعية الناس بهذه الأرقام لكي يدركوا دلالاتها. وقمنا بتسهيل هذه الأرقام ليطلع الناس على كيفية إنفاق الضرائب التي تجمع من جيوبهم. وعلى سبيل المثال، بلغ نصيب سكان مدينة نيويورك من تكاليف الحرب 4.4 مليار دولار، ودفعت مدينة سينسيناتي 11 مليون دولار، ونصيب مدينة دالاس 550 مليون دولار.

وهناك مدينة صغيرة كنا نعمل فيها، وهي مدينة غالبية سكانها من الطبقة الفقيرة وذات الدخل المتدني، ومعدل الفقر بين الأطفال فيها 41٪. وبلغ نصيب هذه المدينة من تكاليف الحرب في العام الماضي 15 مليون دولار. وإذا أضفنا الأموال التي تدفعها المدينة من ضرائب فدرالية تذهب إلى ميزانية البنتاغون فإن الرقم يصل إلى 60 مليون دولار. وهذا في مدينة صغيرة يسكنها 35 الف نسمة، وتدار بميزانية تبلغ 110 مليون دولار. أي أن سكانها ينفقون على هذه الحرب وعلى البنتاغون نصف ما ينفقونه على تسيير شؤون المدينة بكاملها.

جيرمي إيرب: تأسيساً على الأرقام التي ذكرتها والتي تعكس التوجه السائد في السنوات الثلاث السالفة، كيف تصف موقف هذه الحكومة من إصلاحات الصفقة الجديدة والمجتمع العظيم؟

تتخذ حركة المحافظين الجدد موقفاً متطرفاً من دور الحكومة الفدرالية. وهي تحاول جاهدة تقليص قدرة الحكومة الفدرالية في تلبية الاحتياجات الاجتماعية عن طريق زيادة الميزانية العسكرية. وعندما نعاين السياسات التي يدعون إلى تطبيقها فإنه يبدو من الواضح أنهم يسعون إلى تقليص وإلغاء الإصلاحات الإيجابية التي شاهدناها منذ الثلاثينيات ومنذ مبادرة الرئيس السابق إف دي آر (فرانكلن روزفلت) بتطبيق برامج الصفقة الجديدة والمجتمع العظيم. ومن خلال تجربتي في العمل الاجتماعي في مبادرة الحرب على الفقر، رأيت الفوائد التي تتحقق من ما تقدمه الحكومة من برامج التدريب المهني ومن مساعدة الفقراء في تمويل شراء مساكن لهم. إن هذه البرامج، وهي بالمناسبة برامج ذات شعبية واسعة، تعرضت للتقليص في الثمانينيات وبقيت على تلك الحال. وفي الواقع أن معظم المدن خسرت مبالغ كبيرة لتغطية برامج مماثلة لتعويض التخفيضات الفدرالية.

والآن، يسعى المحافظون الجدد إلى تقليص هذه البرامج إلى أدنى من ذلك. فهم يريدون تخفيض مخصصات التدريب المهني، والاقتطاع من مخصصات البرامج الأخرى المتعلقة بالرعاية الصحية والإسكان. وفي الوقت نفسه، نشاهد هذه المعركة الكبيرة حول الميديكير(*). ولو سارت الأمور كما يريدون، فإن الذي سيستفيد من مقترحاتهم ليسوا كبار السن، بل شركات الدواء التي ستضمن دخلاً سنوياً ثابتاً لها. وهناك عدد كبير من أعضاء الكونغرس المحافظين الذين يحلو لهم التحدث حول المشاكل الناجمة عن الإنفاق على البرامج الاجتماعية، إلا

(*) برنامج المساعدة الطبية الفدرالي لكبار السن في الولايات المتحدة.

أن هناك من يتحدث عن النتائج الإيجابية التي تتحقق عندما تقدم الحكومة الفدرالية الاحتياجات الأساسية للناس. لقد نجحت المخصصات الفدرالية في تقليص معدلات الفقر في البلاد إلى النصف في الستينيات والسبعينيات. والفضل في ذلك يعود في جزء منه إلى الفوائد الإيجابية للمديكير والمديكيد(*)، وغيرها من البرامج الاجتماعية الأخرى. ولا أعتقد أن كثيراً من الناس يدركون مدى أهمية هذه البرامج في تبديل وتحسين الأحوال والظروف المعيشية لقطاع كبير من المجتمع. وعندما تم تقليص برامج الإسكان إلى ثلث ما كانت عليه في الثمانينيات، شاهدنا ارتفاعاً كبيراً في أعداد المشردين في الشوارع. وهذه نتيجة مباشرة لتخفيض المعونات المقدمة لذوي الدخل المتدني. وشاهدنا في الوقت نفسه، وعلى الرغم من ذلك كله، زيادة في الامتيازات والإعفاءات لملاك البيوت وللأثرياء من ملاك البيوت. وقامت الحكومة بتقديم إعفاءات ضريبية لأغنى شريحة في المجتمع، وعملت في الوقت نفسه على سحق مقدرة ذوي الدخل المحدود على مواجهة احتياجاتهم الأساسية.

جيرمي إيرب: قد يُردّ على ما تقول بأننا بحاجة إلى تقديم بعض التضحيات الآن. إننا نعيش في عالم خطر، وشاهدنا هذه الخطورة في 11 سبتمبر. لذلك، نحن بحاجة إلى التضحية من اجل بناء دفاعاتنا وتحصينها حتى وإن ادى ذلك إلى عجز في الموازنة وتخفيض الإنفاق في جوانب اخرى.

أولاً، هناك شريحة من الشعب لم تقدم أي تضحيات. فالذين تلقوا 25 ألف دولار في العام على شكل إعفاءات ضريبية لم يضحوا بأي شيء، وهم بحاجة إلى الشعور ببعض المعاناة. ومن المهم أن نبدأ بإعادة تحديد مفهوم الأمن الوطني. فنحن الدولة الصناعية الوحيدة في العالم التي لا توفر التأمين الصحي لشعبها.

(*) برنامج المساعدة الطبية الفدرالي لذوي الدخل المحدود والفقراء في الولايات المتحدة.

ويوجد لدينا 43 مليون شخص بدون تأمين صحي، ونتخلف عن الدول الصناعية الأخرى في مجال التعليم. إننا بحاجة إلى إعادة بناء مدارسنا، وبحاجة إلى تأمين وظائف للباحثين عن العمل. وفي الأعوام الثلاثة الماضية خسرنا 3 ملايين وظيفة. وإذا كان الناس لا يستطيعون الحصول على الوظيفة، ولا يقدرون توفير التعليم لأبنائهم، وليس لديهم تأمين صحي، ويشعرون بالجوع، فإنهم يفتقرون إلى الأمن. إننا بحاجة إلى توجيه اهتمامنا نحو هذا المستوى من انعدام الأمن في المجتمع. والحكومة الفدرالية لا تهتم بهذه الاحتياجات لأنها تنفق كل هذه الأموال على حرب انفرادية، وتسخو على الأثرياء بإعفاءات ضريبية كبيرة.

جيرمي إيرب: ما هي توقعاتك في حالة فوز بوش بفترة حكم ثانية؟

إذا نجح المحافظون الجدد في تطبيق سياساتهم المعلنة، فإننا سنشهد في الأعوام القادمة زيادة في ميزانية البنتاغون، وزيادة في الإعفاءات الضريبية للأثرياء، وانحساراً في النفقات المخصصة للتعليم والإسكان والرعاية الصحية وغيرها من الاحتياجات الأساسية.

جيرمي إيرب: ماذا تقول للفقراء والناس الذين حرموا من حقوقهم ومكتسباتهم ويشعرون بالإحباط -بحق- من النظام السياسي القائم في البلاد، وبلغت ريبتهم بالنظام وعدم ثقتهم بالساسة حداً جعلهم يعتقدون ان المشاركة في الانتخابات الرئاسية هي عملية غير مجدية ولا تعني شيئاً؟

أقول لهم بأن الناخبين بحاجة إلى التوجه إلى صناديق الاقتراع والمشاركة بالتصويت، وأن مشاركتهم يمكن أن تحدث تغييراً حقيقياً. لقد شاهدنا عام 2000 تقارب النتائج. ومع ذلك، أحجم 100 مليون ناخب عن التصويت. ومن المهم أن يركز النواب والقادة على هذه الشريحة من الناس. ومن المهم أن يدرك الناس أن السياسات الفدرالية تؤثر في حياتهم، فهم يدفعون الضرائب، وهذه

السياسات التي تحدد كيفية إنفاق هذه الضرائب تؤثر عليهم وعلى مجتمعاتهم. إننا نتحدث عن الرعاية الصحية، وعن توفير التعليم العالي، وإذا رغب الناس بإحداث تغيير والتأثير على هذه السياسات فإن عليهم أن يدركوا أن الحكومة الفدرالية تلعب دوراً في حياتهم. ومن الضروري أيضاً أن يوجه الناخبون بعض هذه الأسئلة للمرشحين. اعتقد أنه يجب أن يُسأل المرشحون لماذا ننفق هذا القدر من الأموال على حرب قمنا بها بمفردنا واستعدينا بها بقية دول العالم. علينا أن نسأل بكل تحديد وصراحة لماذا نعجز عن تقديم رعاية صحية للمواطنين في حين أن كل دولة من الدول الصناعية الأخرى تقدر على ذلك. علينا أن نسأل لماذا يصل معدل فقر الأطفال لدينا 20٪ في حين أن هذا المعدل في الدول الصناعية الأخرى لا يتجاوز ربع هذا الرقم. أعتقد أنه قد حان الوقت لكي نتوقف عن لعب دور شرطي العالم ونبدأ بالموازنة بين تأمين احتياجاتنا حول العالم، وتشجيع الدول الأخرى في مساعدتنا في محاربة الإرهاب، وأن نعمل في الوقت نفسه على تأمين المال الكافي لتلبية احتياجات مجتمعنا المحلي.

جيرمي إيرب: تحدثت خلال هذه المقابلة عن نسبة الأموال التي تجمع من الضرائب وتنفق على ميزانية الدفاع، اين تذهب هذا الأموال بالتحديد؟ هل يذهب معظمها إلى افراد الجيش؟ الا يمكن لشخص ان يجادل بأن تخفيض ميزانية الدفاع يعني عدم دعم الجنود؟

إذا نظرت إلى أين تصرف معظم المليارات الأربعمائة فستجد أن 100 مليار فقط تذهب إلى الأفراد، وحوالي 75 مليار لشراء أسلحة جديدة، وما بين 30 إلى 40 مليار لغايات الأبحاث و تطوير تقنيات الأسلحة. وتدعي الحكومة بأنها مهتمة بأمر الجنود، مع أن ما تقدمه لتوفير المساكن للأسر هو 4 مليارات أي 1٪ فقط من الميزانية العسكرية. وهذا المبلغ يجري تقليصه وفق جدول زمني على مدى السنين القادمة. لذلك هناك أشياء كثيرة بإمكاننا أن نفعلها لحماية جنودنا، ولكن

إذا نظرنا إلى مصروفات الميزانية فإن الزيادة التي طرأت على الميزانية العسكرية منذ مجيء بوش إلى السلطة خصصت بشكل رئيس لشراء مزيد من الأسلحة والعتاد الحربي ولمزيد من أبحاث تطوير الأسلحة. هذا هو ما تلتزم به الحكومة: شراء مزيد من السلاح وتطوير مزيد من الأسلحة المتطورة.

جيرمي ايرب: ما رايك بالإطار الذي وضعه بوش حول دعوته لزيادة الميزانية العسكرية وهو انها شكل من اشكال دعم الجنود بوصفهم الفئة الوحيدة من المؤسسة العسكرية التي تخوض القتال؟

إن غالبية الجنود المقاتلين في هذه الحرب هم من أبناء وبنات الطبقة الفقيرة من غير البيض. والأشخاص الذين يضعون ويخططون ويستفيدون من الحرب هم الجنرالات والأشخاص الأعلى منهم في الجيش وبعض الشركات التي تجني أرباحاً خيالية من وراء هذه الحرب. والمدهش في الأمر أن الذين يجري تجنيدهم لهذه الحرب، والذين يقاتلون في ساحة المعركة هم من الفئات الاجتماعية التي عانت من تخفيضات برامج التدريب المهني والبرامج الاجتماعية الأخرى. لقد جاءوا من مدارس تفتقر إلى الصيانة والترميم، ومن أسر تفتقر إلى التأمين الصحي ويعمل أربابها في وظيفة أو وظيفتين لتأمين حاجاتهم الأساسية. هذه هي القضية الاقتصادية.

جيرمي إيرب: ما هو اكثر شيء يقلقك من احتمالات إعادة انتخاب بوش لفترة حكم ثانية؟

إن المحك الذي يظهر أهمية هذه الانتخابات هو أن نسأل انفسنا بعض الأسئلة الأساسية حول الاتجاه الذي تسلكه الحكومة الفدرالية الحالية. هل نريد أن نستمر في رؤية مجتمعاتنا تتهاوى وتتفكك. هل نريد أن نبقى الدولة الصناعية الوحيدة في العالم التي لا تقدم الرعاية الصحية لمواطنيها؟ إن هذا

الرئيس لا يكن أدنى اعتبار لما يحتاجه المواطن العادي وما نستحقه في هذا البلد. لا يهتم بتوفير مدارس محترمة ورعاية صحية لأبناء البلد. وليس لديه أي اعتبار لدورنا ومركزنا في العالم. ولو كان يحاول جمع الجهود لمحاربة الإرهاب لما عمل على استثارة غضب العالم علينا بممارساته الانفرادية. لذلك فإن خلاصة القول هي أنني قلق من الطريقة التي نمارس فيها قيادتنا في العالم، وقلق حول ما يعنيه هذا بالنسبة للمواطن العادي في الولايات المتحدة.

نورثمبتون، ماسيتشيوستس

9 ديسمبر، 2003

* *

عمانوئيل وولرستاين

عمانوئيل وولرستاين باحث أول في جامعة ييل، وممن يشار إليهم بالبنان في تطوير تحليل الأنظمة العالمية. ومن بين ابرز مؤلفاته كتاب النظام العالمي الحديث (اكاديميك برس، 1980)، وكتاب طوبائية ام خيارات تاريخية للقرن الحادي والعشرين (نيو برس، 1990)، وكتاب غفلة علم الاجتماع: قصور وقيود نموذج القرن التاسع عشر، واخر كتبه كتاب انحسار القوة الأمريكية: الولايات المتحدة في عالم ما يزال في طور التكوين (نورتون، 2003).

جيرمي إيرب: أود ان ابدا بشيء تحدثت عنه في كتاب النسر يهبط هبوطاً اضطرارياً، حيث ذكرت بأن العوامل الاقتصادية والسياسية والعسكرية التي ساهمت في تحقيق الهيمنة الأمريكية هي العوامل ذاتها التي ستحقق الانحسار المقبل للولايات المتحدة، هل لك أن تحدثنا عن هذا التناقض؟

بكل تأكيد. ولكن القضية ليست "الانحسار المقبل للولايات المتحدة" لأن الولايات المتحدة دخلت فعلاً مرحلة الانحسار والتراجع منذ ثلاثين عاماً. خذ مثلاً العوامل الثلاثة التي ذكرتها. فقد كان الاقتصاد يشكل القاعدة الكبرى للهيمنة الأمريكية منذ بداية عام 1945، وكانت الولايات المتحدة القوة الوحيدة التي خرجت من الحرب العاليمة الثانية دون أي يصيبها أي تدمير أو خراب، وكانت في حالة جيدة قبل ذلك. وفي عام 1945 كان باستطاعتها أن تنافس أي أحد في أي مكان وفي الأسواق كلها. وتأسيساً على ذلك كان باستطاعتها القيام

بسلسلة من الأمور. فقامت بإنشاء مجموعة من التحالفات العسكرية خلال سنتين مع أوروبا واليابان، الأمر الذي جعل من هذه الدول دولاً تابعة تدور في فلك الولايات المتحدة. وعقدت الولايات المتحدة صفقة مع الاتحاد السوفييتي كانت بحكم الهدنة على الوضع القائم في العالم آنذاك. وبالطبع، كانت تمتلك الأسلحة النووية، وبلغت من القوة مبلغاً يمكنها من فرض إرادتها على أي شيء ذي بال على مدى 25 عاماً. وهذا هو ما نسميه الهيمنة.

ثم بدأت تلك الحالة بالانحسار مع نهاية الستينيات وبداية السبعينيات. أولاً وقبل كل شيء على الصعيد الاقتصادي، بدأت أوروبا واليابان بالتعافي الاقتصادي، وهو ما دعمته الولايات المتحدة عن طيب خاطر لأنها كانت بحاجة إلى من يستطيع شراء منتجاتها. وقد أدى هذا الدعم إلى تحويل هذه الدول إلى قوى اقتصادية منافسة للولايات المتحدة. ومع نهاية السبعينيات، كان هناك فارق بسيط بين فعالية وجودة الانتاج بين أوروبا الغربية واليابان من جهة والولايات المتحدة من جهة أخرى. وبذلك تلاشت معظم المزايا التي تمتعت بها الولايات المتحدة فوق هذه الدول. وكان من أثر ذلك أن فقدت الولايات المتحدة من قدرتها على التأثير على أوروبا الغربية واليابان في عمل ما تريده، إلا انها استطاعت المحافظة على موقعها لبعض الوقت مستخدمة التهديد بالخطر السوفييتي وبالمصالح المشتركة بينها وبين هذه الدول فيما يخص العالم الثالث. إلا أن الولايات المتحدة فقدت هذا السلاح السياسي الذي كان أداة فعالة في السيطرة على أوروبا واليابان بسقوط الاتحاد السوفييتي الذي شكل من هذا المنظور كارثة على الولايات المتحدة.

ومن الواضح أن الولايات المتحدة هذه الأيام تتمتع بميزة عسكرية لا مثيل لها في العالم. إلا أن أي شخص يملك قنبلتين نوويتين بإمكانه أن يحجم الولايات المتحدة كما هو ظاهر في مسألة كوريا الشمالية. وعلى الرغم من استخدام

الولايات المتحدة لكل الوسائل للحد من انتشار الأسلحة النووية في الماضي والحاضر، إلا أن عدد الدول الحائزة على هذا السلاح ارتفع من دولة واحدة إلى ثماني دول تعلن رسمياً عن امتلاكها السلاح النووي، بالإضافة إلى خمس أو ست دول بإمكانها حيازته بسرعة فائقة، وهناك ما بين خمس عشرة إلى عشرين دولة أخرى على وشك امتلاك القنبلة النووية. إن عظمة القوة العسكرية الأمريكية تمكنها من تحطيم أي جيش في العالم، إلا أنها لا تمكنها من منع إصابتها بالسلاح النووي. وهذا بدوره يفرض علينا قيوداً كبيرة كما يتضح لنا في العالم الحاضر.

وتواجه الولايات المتحدة اليوم صعوبة في التصدي لحركة المقاومة في العراق. والسبب في ذلك يعود في جزء منه إلى عدم توفر العدد الكافي من الجنود على الأرض للسيطرة على الموقف، وهذا يرجع في جزء منه لعدم استعداد الشعب الأمريكي تحمل الخسائر البشرية. وفي جزء منه أيضاً، لعدم التأييد الشعبي للاحتلال الأمريكي للعراق حتى بعد إزالة صدام حسين. وهذا بالتأكيد يقيد الحكومة من التحرك تجاه إيران وكوريا الشمالية. إذن فالولايات المتحدة متفوقة عسكرياً بمعنى أنه لا أحد يستطيع احتلالها ومواجهتها في معركة مفتوحة، ولكن لا يمكن ترجمة تلك القوة إلى سياسية فعالة. وهو ما نكتشفه الآن في الشرق الأوسط.

جيرمي إيرب: ذكرت أن سقوط الشيوعية كان كارثة على السياسة الأمريكية.

كارثة سياسية- ليس بالنسبة لشعوب الاتحاد السوفييتي، بل بالنسبة للولايات المتحدة.

جيرمي إيرب: نعم، واعتقد أن ذلك له علاقة بما نتحدث عنه هنا، ومن المسائل التي سنسلط عليها الضوء هي مشروع القرن الأمريكي الجديد

ومـذهب ولفـوويتـس- وهذا هو مـا قـالوه بالضبط، فـقـد ذكـروا بـأنهم بحـاجة إلى "حـدث كارثي مـدمر" من اجل بنـاء وتعزيـز القـوة العسكرية الأمـريكيـة. هل لك ان توضح لنا مـا تراه من الافـتـراضـات التي تقـود تفكيرهم؟

المحافظون الجـدد هم الوحيدون الذين يتـفـقـون معي بأن الولايات المتحدة تشهد حـالة من التراجع والانحسار: وهم يعتقدون أن بيدهم الحل والعلاج. فمنذ عـام 1970، كانت الولايات المتحـدة تنتهـج سيـاسـة خـارجـيـة واحـدة سـار عليـهـا الرؤسـاء الأمـريكان من نيكسـون إلى كلينتـون، ومن ضـمنهم ريغـان وحـتى بوش الثـاني في السنة الأولى من حكمـه. ويمكنني وصف هذه السـيـاسـة بالعـمل الجمـاعي اللّين، وهذا العمل الجمـاعي لا يعني العمل الجمـاعي بالمعنى الحـرفي للكلمـة، لأنهـا تعني أن تأتي الحكومـة الأمـريكيـة وتقـول "عليكم أن تقـفـوا مـعنا وتشـاركـونا في هذا العـمل وإلا سنقـوم به وحـدنا". ومع ذلك كـانت هنـاك جهـود متواصلة لمحـاولة إقناع حلفـائنا وإبقـائهم في صفنا: وكان هذا هو العنصـر الأول في السياسـة الجمـاعية اللينة. والعنصـر الثاني هو محـاولة إقنـاع، وإن لم يتـسير فـبـشبـه الإقنـاع، أو شـبـه تهـديد الدول بعدم نـشـر الأسلحـة النووية. وكـانت هذه السـيـاسـة سـيـاسـة ناجـحـة إلى حـد مـا. والحكم على نجـاح هذه السـيـاسـيـة هو كالقـول بأن الكأس نصفهـا مليئ أو القول بأن نصـفهـا فارغ. وأعتقد بأن الولايات المتحـدة فعلت كل مـا بوسـعهـا ضـمن الإمكانيـات المتاحـة أمـامهـا. أمـا الأشـخـاص الذين يقـفـون خلف مـشـروع القـرن الأمـريكي الجـديد - وولفـويتس وتشـيني وغيـرهم- فهم ينظرون إلى النصـف الفـارغ من الكأس. ويمـتقـدون بأن هـذا النوع من السيـاسـة سـمـح للأمور بالإنفلات من يد الولايات المتحدة، وانه كان بالإمكان منع ذلك باستخدام سياسة أمريكية مختلفة: سياسة تقوم على التصرف الأحادي العدواني. والعـمل الإنفـرادي من وجهـة نظرهم ليس خيـاراً ثانوياً نلجـأ إليه لأن

فرنسا وألمانيا وروسيا مثلاً لم تساير الولايات المتحدة فيما تريد. بل إنهم لا يريدون من هذه الدول أن توافق الولايات المتحدة أصلاً لأنهم يقصدون إظهار أن الولايات المتحدة قادرة على التصرف بمفردها دون الحاجة إلى أحد. وباعتقادهم أن ذلك سيحقق هدفين: أولهما أن أوروبا العجوز والدول المشابهة لها حول العالم ستنهار من الصدمة قائلة: "يا إلهي، لم يعد بأيدينا فعل أي شيء، فالأفضل لنا أن نخضع لأمريكا ونؤيدها". والثاني، أن دولاً أخرى مثل إيران وكوريا الشمالية وغيرها من الدول التي تسعى إلى امتلاك أسلحة نووية- ستشعر بالخوف وتخضع للإرادة الأمريكية.

هذه هي الأسباب التي ساقوها لدعم سياساتهم. وهي سياسة جاءت بعد تفكير ملي. وما فعلوه كان متعمداً. وهم مخطئون في ذلك. إنهم مخطئون في قراءتهم لأوروبا الغربية، وفي قراءتهم لشرق آسيا، وفي قراءتهم للشرق الأوسط. إنهم لا يفهمون كيف يفكر الناس هناك، ولا كيف ستكون ردة فعلهم. وكان نتيجة سياساتهم أن جعلوا الأمور أسوأ مما كانت عليه قبل ثلاثة أعوام فيما يخص الموقف العام تجاه الولايات المتحدة في تلك المناطق. ولم يكن ما فعلوا ناجماً عن سوء تقدير، بل كانوا يدركون ما هم مقبلون عليه وما ستسفر عنه تصرفاتهم من نتائج. لقد خرجوا على السياسة التي اتبعها كل الرؤساء الأمريكان من نيكسون إلى كلينتون وحتى بوش الثاني في السنة الأولى من حكمه. ولا أظن أن بإمكاننا العودة إلى السياسية القديمة. ويتساءل عدد من النقاد ألا يمكننا العودة إلى السياسة القديمة التي أطلقت عليها "سياسة العمل الجماعي اللينة". والناس مستاؤون وغاضبون من الممارسات التي تقوم بها الولايات المتحدة، ويدركون ما تفعله في هذه الدول، وسيرفضون هذه السياسة. لذلك فإن الحكومة الأمريكية قد أوقعت نفسها في مأزق عميق وستجد صعوبة في إخراج نفسها منه. وستفقد نتيجة لذلك من قدرتها على التأثير في الشؤون العالمية في ربع القرن القادم.

جيرمي إيرب ضمن هذا السياق، الاحظ التركيز على القوة العسكرية والعمل الانفرادي العدواني، ولكن أين موقع الإمبراطورية أو الإمبريالية في هذا كله؟

طبعاً هناك مصالح اقتصادية تدفع هؤلاء الأشخاص وتشكل منطلقاً لسياساتهم. فالولايات المتحدة في الوقت الحاضر اضعف اقتصادياً مما تحب أن تعترف، وهذا القول ليس لمجرد اختفاء المصانع وفقدان الوظائف، بل لأن الدولار نفسه في أزمة حقيقية. إن أساس القوة الاقتصادية الأمريكية يقوم على حقيقة أن الدولار هو العملة الاحتياطية في معظم دول العالم، وهذه ظاهرة سياسية تعكس استعداد الدول الأخرى لقبول الدولار عملة احتياطية نظراً لاعتقادها وثقتها بالقوة الاقتصادية للدولار. وهو ما مكّن حكومة بوش من إجراء تخفيضات كبيرة على الضرائب، وإنفاق الأموال الطائلة على المؤسسة العسكرية، والوصول بعجز الميزانية إلى نصف ترليون دولار، وفتح الباب أمام اليابان والصين (وأنا أشير إلى هاتين الدولتين بالتحديد، وهناك غيرها كثير) لشراء السندات المالية التي تصدرها الحكومة الأمريكية، وهو ما يبقي هذه الحكومة على قيد الحياة. والآن، لو قررت حكومات تلك الدول التي اشترت هذه السندات - واتوقع أن يحدث هذا في المستقبل القريب- أن هذه السندات غير مجدية لهم اقتصادياً- وهي أصلاً لم تكن مجدية سياساً- ولكنها لو بدأت تفقد قيمتها الاقتصادية فإن ذلك سيكون النهاية بالنسبة للولايات المتحدة؛ وأعني ذلك على وجه الحقيقة فيما يتعلق بمستوى المعيشة وغيره.

ويسعى المحافظون الجدد الموجودون في سدة الحكم إلى وقف هذا التدهور بالطبع؛ ويريدون المحافظة على مزايا الراسمالية الأمريكية التي تتمتع بها أمريكا في العالم اليوم. وإذا أردت أن تسمي ذلك إمبريالية، فإنها بالتأكيد إمبريالية، ولكنها ليست هدفهم المباشر. لذلك، عندما يقول الناس، على سبيل المثال، وهذا

يتردد كثيراً أن "المسألة كلها تتعلق بالنفط". بالطبع النفط ضروري، وبالطبع أنهم يسعون إلى السيطرة على منابعه، إلا أن ذلك وحده لا يكفي لتفسير الحرب على العراق. فمن جانب لم تكن أحوال سوق النفط سيئة قبل الحرب، ونحن الآن نخاطر بانهيار المملكة العربية السعودية ويمكن أن نخسر خسارة كبيرة في مصادر النفط. لذلك فإنني لا أنكر وجود مصالح نفطية، ولكن هذه المصالح هي مصالح متوسطة. والمصلحة العاجلة القصيرة من هذه الحملة هي إظهار "الشوكة" العسكرية واستعراض العضلات. وهذا من شأنه أن يعزز من قيمة الدولار: ويمكننا من وقف انتشار الأسلحة النووية وغير ذلك. إلا أن هذه الإستراتيجية غير ناجعة في تحقيق المراد. وعلى كل حال كانت تلك هي الأسباب التي ساقوها لحملتهم العسكرية.

جيرمي إيرب: تحدثت في إحدى مقالاتك عن غرور وكبرياء هذه الحكومة. هل لك ان توضح لنا ما عنيته عندما اشرت إلى نزعتهم في إظهار الرجولة و"الفتوة" في سياساتهم، وكيف أن هذا الأسلوب لا يحقق الأهداف السياسية المرجوة منه كما هو متوقع منها؟ هل هم على هذه الدرجة من السذاجة في عدم إدراك ذلك، أم ان هناك شيئاً ما وراء افتراضاتهم لا يظهر على السطح؟

هناك كلمة تصف ما يفعلونه وهي "الغطرسة". والمثل يقول: يأتي الاستعلاء قبل السقوط. وها نحن نحكم العالم منذ خمسين سنة. حكمناه بسهولة في ربع القرن الأول، ولكننا بدأنا نواجه المشاكل والعقبات في الربع الثاني. وقد تعودنا على ذلك الآن. وليست المسألة أن القائمين على الحكم داخل حكومة بوش لا يعرفون العالم من حولهم

بل إن كثيراً منهم على درجة عالية من المعرفة والعلم، فهم يسافرون ويتقنون التحدث بأكثر من لغة، وغير ذلك- ولكن ينقصهم فهم أن هناك من يخالفهم

الراي. فهم يعتقدون أن لديهم الكثير ليعلموه للناس، وأنه لا ينقصهم تعلم أي شيء من الآخرين. لا أحد منهم ينقصه تعلم أي شيء، ويصعب فهم ذلك من الناحية الثقافية وبخاصة إذا كان المرء يقبع على القمة. هذه هي القضية. فبعد الحرب العالمية الثانية كثر الحديث حول واجب الولايات المتحدة في أن تتعلم كيف تلطع بدورها الجديد في العالم، ولم يكن الأمر سهلاً لأننا خرجنا من تقليد انعزالي مغلق على نفسه. وفي الحقيقة أن هذا الوصف مناسب جداً، لأننا لو نظرنا إلى النخبة الأمريكية من منظور سيكولوجي، فإن ذلك هو ما حدث منذ عام 1945 إلى عام 1970. لقد تعلموا كيفية تحمل مسؤلياتهم في العالم. وما أن انتهوا من تعلم ذلك، حتى بدأت الهيمنة الأمريكية بالتراجع. وكان ينبغي عليهم تعلم كيفية التعايش في ظل امتلاك سلطات أقل.

إنني أصف الفترة الممتدة من عام 1972 إلى عام 2000 بالإعوام التي ضيعت سدى. وكان بالإمكان الاستفادة منها في إعادة تعلمنا لدورنا في العالم. والآن يتحتم علينا فعل ذاك، إلا ان هؤلاء الأشخاص في الحكومة يقولون: لا، لا، لا. إن آخر شيء نحتاج إلى تعلمه هو دورنا في العالم". ولكنك لا تكاد تجد رئيساً امريكياً واحداً، وبلا استثناء، لا يذكر في إحدى خطاباته بأن "امريكا هي أعظم دولة في العالم". وهذه مبالغة جيدة، وربما تدفع الجميع إلى التصفيق. ولكن هناك كثير من الشعوب في العالم تعتقد بأن دولتهم هي أفضل دولة في العالم: ويعتقدون بأنها حتى أفضل من الولايات المتحدة. لذلك يتحتم على الولايات المتحدة أن تحسن العيش في عالم لا يشاطرها الراي فيما تراه في نفسها. وعليها ان تتعلم كيف تعيش في عالم هي فيه دولة قوية، وقوة مهمينة ولها تقاليدها. ولكنها ليس الوحيدة فيه. وعليها أن تتعلم كيف تتحدث إلى الناس، وتتفاعل مع الشعوب وتحاورهم. وانهم ليسوا دائماً على خطأ: واننا لسنا دائماً على الحق.

وهذا الأمر صعب جداً من الناحية النفسية. وربما نحتاج الأمر إلى هزيمة مريرة لتهيئة الشعب الأمريكي لتقبله. فعندما ننسحب من العراق في ظروف لا تبعث على الاعتزاز، وعندما ينهار الدولار، كما أتوقع أن يحدث له، وعندما نصبح أمام عالم تهيمن عليه عدة عملات عالمية، فإن ذلك سيكون صدمة كبيرة. ويمكن لهذه الصدمة أن تقودنا إلى واحد من اتجاهين: إما أن تؤدي إلى ثوران غضب يميني متطرف منصب على الذات. أو أن يؤدي إلى فتح احتمالات جديدة، إلى عقلية جديدة. هذا هو الحوار الداخلي الكبير في الولايات المتحدة. وهو حوار بلغ درجة عالية من الحدة. إنني أجد العداوة الظاهرة بين طرفي الحياة السياسية الأمريكية أعمق وأقوى وأشد مما شاهدته في حياتي وأعتقد أن ذلك بسبب جسامة وأهمية القضية.

جيرمي إيرب: انت تقول بأن الأمر "ربما يحتاج إلى صدمة تهز النظام" وهناك كثير من الناس يقولون بأن احداث 11 سبتمبر كانت صدمة. هل لك ان تحدثنا عن دور 11 سبتمبر في هذا كله؟

لقد كانت صدمة كبيرة لأنها حطمت أسطورة قديمة. وهي الأسطورة التي تقول بأننا محصنون في بلدنا. والحقيقة أنها كانت أحداثاً مذهلة. فها نحن أمام مجموعة من الأشخاص - وليس دولة- فقط مجموعة من الأشخاص المتعصبين من خلفيات متنوعة، استطاعوا تنفيذ عملية معقدة أدت إلى إحداث أضرار جسيمة داخل الولايات المتحدة في مدينة نيويورك وفي البنتاغون. لقد كانت عملية مفاجئة أصابت الشعب الأمريكي بالذهول. وما فعله الرئيس بوش مباشرة بعد تلك الهجمات هو محاولة منع الشعب الأمريكي من التفكير بما حدث.

انظر كيف حولوا القضية إلى "فلنتعقب هؤلاء الأشرار للقضاء عليهم"؟ نعم بكل تأكيد لنخلص عليهم، ولكن لماذا استطاع هؤلاء الأشرار أن يقوموا بذلك؟ لماذا يتمتع هؤلاء الأشرار بكل هذا الدعم؟ ولماذا ضحى هؤلاء الأشرار بأنفسهم

لفعل ذلك؟ إننا لا نريد مناقشة هذه الأسئلة: بل على العكس، كان كل من يطرح هذه التساؤلات يصنف ضمن قائمة "عديمي الوطنية" ويقدح في ولائه للوطن، لذلك فقد تم تحويل هذه الصدمة إلى ردة فعل معاكسة مكنت الحكومة من القيام بهذه المغامرة الحمقاء في العراق.

إلا أن هذه العنجهية الوطنية آخذة بالتلاشي. فجثث الجنود بدأت بالعودة إلى ذويهم. وفي كل مرة تسقط فيها طوافة أمريكية يعرض التلفاز صور الصبيان الصغار حول حطامها وهم يلوحون بعلامة النصر. وقد شاهدت هذا المشهد قبل أيام. وما من شك أن بقية الشعب شاهدت ذلك. وقد بدءوا يتساءلون في أنفسهم حول ما يجري. وربما أن نصف الشعب الأمريكي بدأ يدرك حقيقة ما يحدث. أما النصف الآخر فما زال يعيش في صندوق ضيق. وهذا الصراع الداخلي هو حول هذه القضية.

جيرمي إيرب: ذكرت للتو ان جثث الجنود بدات بالوصول إلى ذويهم، واجريت عدة مقارنات على مستويات مختلفة مع فيتنام. وقبل بدء هذه الحرب كانت فيتنام تشكل إحدى الهواجس من اننا ربما على اعتاب فيتنام ثانية. وذكرت كيف أن فيتنام تسببت في خسارة إل بي جي في الانتخابات الرئاسية، وأن من الممكن ان تفعل هذه الحرب الشيء نفسه بجورج بوش. وانا هنا اتساءل عن مدى دقة هذه المقارنة التي سبقت الحرب؟

كان العدو الذي واجهناه في فيتنام - بكل تأكيد - اقوى عسكرياً من العراق. وفي المقابل، أدت فيتنام إلى إحياء الحس الوطني لدى الشعب الفيتنامي، كما أن المقاومة العراقية قد بدأت بإحياء الشعور الوطني العراقي ضد الولايات المتحدة. والفارق بين فيتنام والعراق بالنسبة لهذه الحكومة هو أن حرب فيتنام استلزمت فرض التجنيد الإجباري في البلاد. والتجنيد الإجباري يعني سحب كثير من

الناس إلى الخدمة العسكرية وهم غير راغبين في الخدمة العسكرية. وقد أدى ذلك إلى تنامي المشاعر الشعبية المعارضة لتلك الحرب على مدى عدة سنوات. وفي المقابل جاءت حرب فيتنام في أوج موجة المشاعر المعادية للشيوعية في البلاد، وخطر انتشار الشيوعية. وكانت تلك قوة دافعة كبيرة لمجهود الحرب؛ ولهذا السبب استغرقت الحركة المناهضة للحرب وقتاً طويلاً قبل أن تقف على رجليها. ولم يحتدم القتال في فيتنام إلا عام 1965؛ ولم نخرج منها حتى عام 1973. ويمكنني القول بأن تشكيل حركة معارضة الحرب استغرق ثلاث سنوات. ولم يظهر نشاط هذه الحركة على الساحة العامة بشكل يذكر إلا عام 1968، واستطاعت الإطاحة بالرئيس جونسون وإيقاف هجوم تت. وفي هذه الأيام نشاهد أن معارضة الحرب كانت أسرع في النشأة، إلا أن الخسائر البشرية في صفوف الجنود ليست بذات الحجم الذي شهدناه في فيتنام. ومع ذلك، هناك جندي يقتل بطريقة ما كل يوم؛ وهذا شيء منهك، وبخاصة إذا لم نشاهد أي تقدم إيجابي في الجوانب الأخرى. وهذا هو ما تشتكي منه الحكومة الأمريكية وتردده كل يوم من أنه لا أحد يرينا الجانب الإيجابي في كل الأشياء الحسنة التي نفعلها، إلا أننا لسنا متأكدين من هذه الأمور الإيجابية التي تتحدث عنها الحكومة. فالكهرباء ما تزال غير متوفرة بشكل كامل في بغداد. وأنا في غاية الذهول من هذه الحقيقية. فكيف نعجز عن إعادة التيار الكهربائي إلى المدينة بشكل كامل ولدينا كل هذه الإمكانيات الهندسية.

والحقيقة هي أننا لا نملك أعداداً كافية من الجنود على الأرض. ولا يمكننا إرسال المزيد من الجنود لأن ذلك سيقضي على التأييد الشعبي لبوش وعلى نحو سيء. ولا توجد دول أخرى على استعداد لتقديم مزيد من الجنود في هذه الحرب. لا أحد باستثناء بريطانيا، لديه استعداد لتقديم أعداد كافية من الجند. لذلك فليس هناك أمل في الحصول على العدد المطلوب من الجنود. وبحسب ما تقوله الصحافة، فإننا لا نستطيع المحافظة حتى على العدد الحالي من الجنود

دون اللجوء إلى دعوة الاحتياط، وهذا أمر لا يلقى القبول من الناس. فقد استدعينا من الاحتياط أعداداً أكثر مما يتحمله الشعب وأبقيناهم في الخدمة لفترات تجاوزت حدود رغبتهم. وأفراد الاحتياط دخلوا في الخدمة لمدة سنتين، وليس لديهم رغبة في التجديد، ومنهم أعداد كبيرة ستحجم عن التجديد لأنهم لم يسجلوا أنفسهم في الاحتياط للذهاب إلى العراق والتعرض لإطلاق النار بطرق فظيعة. لذلك فالحكومة الأمريكية مقيدة اليدين - فهي لا تستطيع الانسحاب لأن ذلك سيشكل خسارة سياسية لها. وأنا لا أقول بأن بوش سيخسر الانتخابات القادمة لأن هناك أشياء كثيرة يمكن أن تحدث من الآن وحتى تاريخ إجراء الانتخابات القادمة. إلا أنه لا يظهر في موقف يحسد عليه.

جيرمي إيرب: يتردد على ألسن الناس أن السياسيين جميعهم لا يختلفون عن بعضهم بعضاً، فماذا يعني، أو ماذا سيحدث في ظل أربع سنوات أخرى من حكم بوش إذا كانت الأمور على هذه الدرجة من السوء؟ فهل هذه القوى العالمية، الهيكلية التي وصفتها في حديثك، بهذا الحجم بحيث لم يعد هناك فرق إن كان سينجح أم لا؟

حسناً، ماذا يمكنني أن أقول؟ أعتقد أن بوش أفسد الولايات المتحدة، وأنه سيزيد في إفسادها. وبالتأكيد امتد إفساده إلى العالم. إننا نعيش في حالة من الفوضى تسود العلم كله. وهو يصب الزيت على النار. هذا باعتقادي ما ستكون عليه الحال لو فاز بوش بفترة حكم ثانية.

جيرمي إيرب: عندما ترشح بوش للرئاسة عام 2000، كان في كل خطاب انتخابي ألقاه يتحدث عن الجيش، وكيف أضعف كلينتون المؤسسة العسكرية، وأن كلينتون كان رئيساً مخنثاً، وأننا بحاجة إلى "رجل" لا ليستعيد "شرف" البيت الأبيض وحسب، بل ليستعيد القوة الأمريكية كذلك. هل لك أن تحدثنا عن لغة الخطاب هذه؟

لغـة الخطاب هـذه، كـمـا هو مـعلوم، هي لغـة الخطاب التـقليـدية للحـزب الجمهوري منذ الحـرب العالمية الثانية، وتبلورت بشكل أوضح منذ عهد نيكسون. فـلا جديد في ذلك. فكل مرشـح جمهوري يخوض انتخابات في مـواجهة مـرشح ديمقرطي يردد مقولة أن الديمقراطيين يضعفون الجيش. وأنهم ضعاف. وهناك شريحة من المجتمع تهوى سماع هذه المعزوفة، لذلك فهم يستخدمون هذا الكرت دائماً. ولا أظن أن ما قاله جورج بوش عن بل كلينتون يخرج عن هذا الإطار. فقد استخدم جورج بوش الأول هذا الادعاء ضد المرشح الديمقراطي مايكل دوكاكس، واسـتـخـدمـه ريغـان ضـد كـارتر، ونيكسـون ضـد مـاكـغـفـرن، وإلخ. وبالطبع مـا يقصدونه هو أن الرؤساء الجمهوريين يزيدون النفقات العسكرية.

وعندمـا أصبـح جورج بوش رئيسـاً للبلاد، كانت هذه الأمور غير محسومة. واعتقد أن الحكومة كانت تتشكل من فئتين. فئة ترغب بالاستمرار في نهج السياسة القديمة. وهذه الفئة يقودها كولن باول. وفي الجانب المقابل هناك عصبة مشروع القرن الأمريكي الجديد. وفي اللحظة التي تسلم فيها بوش زمام الحكم. لم تكن لأي من الفئتين الغلبة على الفئة الأخرى لأن بوش قام بتشكيل أعضاء حكومته من كلا الطرفين. ولما وقعت أول أزمة واجهتها الحكومة في السياسة الخارجية، وهي إسقاط طائرة استطلاع أمريكية فوق الأراضي الصينية، حدث صراع داخل الحكومة حول كيفية التعامل مع هذه الأزمة. وحسمت نتيجته لصالح معسكر كولن باول. وتم التعامل مع الأزمة بالطرق الدبلوماسية التقليدية. إلا أن هجمات 11 سبتمبر، عملت على ترجيح كفة المعسكر المتطرف(*) وتهميش كولن باول وجماعة بوش الأول.

(*) تعززت سيطرة المحافظين الجدد على الأجهزة الحكومية بعد فوز بوش بفترة حكم ثانية، وخرجت العناصر المعتدلة من تلك الحكومة بمن فيهم كولن باول.

والسبب الوحيد الذي دفع جورج بوش أخيراً إلى الاستعانة بالأمم المتحدة في العراق هو الانتقادات العلنية التي صدرت عن رفاق أبيه من مثل جيمس بيكر، وسكوكروفت، وغيرهم. وساد اعتقاد بأن لأبيه يد في ذلك، وأنا أتفق مع هذا الافتراض. لقد ضغطوا على جورج بوش لكي يبتعد عن السياسات الانفرادية على عكس ما يرغب به رمسفيلد. فاستجاب بوش لهذه الضغوط، ولكن ومن حسن الطالع بالنسبة لرمسفيلد، فشلت تلك السياسة. فطلع علينا المحافظون الجدد يقولون: "أرأيتم، إن من يذهب إلى الأمم المتحدة لا يجني إلا الخيبة والمشاكل". وكلامهم صحيح من جانب واحد، وهو أنهم (أي المحافظين الجدد) قد أوجدوا هذا الوضع بحيث لا يمكنهم النجاح في تلك البيئة. إنها نبوءة تحقق ذاتها: لأن التصرف وفق نهج المحافظين الجدد يعزز من صحة القول باستحالة التعامل مع المسألة بأي طريقة أخرى. وما لم يتم تغيير تلك الطريقة تغييراً جذرياً فإنه لا يمكنك العودة إلى السياسة القديمة وتتوقع أنها ستنجح. لذلك فإن سياسة بوش لن تنجح، كما أن السياسة القديمة لن تنجح كذلك في ظل الأوضاع التي أوجدوها. إننا بحاجة إلى تغيير جذري، تغيير جذري جديد.

نيو هيفين، كنكيتكت

5 نوفمبر، 2003

* *

جودي ويليامز

حصلت جودي ويليامز على جائزة نوبل للسلام عام 1997 تقديراً لأعمالها في مكافحة الألغام الأرضية. وقبل عملها في مجال تحريم الألغام الأرضية، عملت لأحد عشر عاماً في مجال زيادة الوعي الشعبي حول سياسات الولايات المتحدة في امريكا الوسطى. ومن عام 1986 وحتى عام 1992، قامت بتطوير وتولي مهمة إدارة مشاريع المساعدات الإنسانية بصفتها نائب مدير منظمة المساعدة الطبية في السلفادور ومقرها في لوس انجلوس. ومن عام 1984 وحتى عام 1986 تولت إدارة مشروع نيكاراغوا- هندوراس، وهي لجنة لتقصي الحقائق في المنطقة. وقبل ذلك، عملت في تدريس اللغة الإنجليزية كلغة ثانية في المكسيك، والمملكة المتحدة، وواشنطن العاصمة.

جيرمي إيرب: لماذا كنت من المعارضين لهذه الحرب قبل أن تبدأ؟ لماذا كنت واحدة من الذين شاركوا في المظاهرات المعارضة للحرب منذ البداية؟

إن حكومة بوش هي أخطر حكومة في تاريخ الولايات المتحدة. وقد صرحتُ بذلك عقب أحداث 11 سبتمبر مباشرة. ولم يتضح مدى تطرف وخطورة هذا الرجل إلا بعد 11 سبتمبر. وباعتقادي أن السؤال الذي يتردد في أذهاننا جميعاً هو أين ستكون هذه الحكومة اليوم لو لم يحدث ما حدث في 11 سبتمبر. وأظن أنك سمعت التعليق الذي يقول بأن بوش كان بحاجة إلى أسامة بن لادن بقدر حاجة أسامة بن لادن لبوش، لتحقيق مهمة هذه الحكومة. ولا أعرف ما ستكون حاله لو لم يعثر على الحرب على الإرهاب لتحديد نفسه. ومن وجهة نظري، فإن

أكثر اللحظات المرعبة كانت بعد أن نزل الرئيس من الطائرة الخاصة به. وأذكر مشاهدته على شاشة التلفاز وهو ينظر إلى الأعلى و يقول: "لقد وجدنا لحظتنا، لقد وجدنا مهمتنا". كانت تلك اللحظة تبعث على القشعريرة. لقد بدا وكأنه يفصح للأمة انه يؤمن أنه وقع عليه الاختيار من الرب لكي ينجينا جميعاً من الإرهاب. وأظن ان من سوء الطالع أن هذا الموقف يتلاحم مع الأجندة السياسية الخطيرة للعصبة التي تحيط به في البيت الأبيض. وأعتقد كما يعتقد الكثيرون، أن 11 سبتمبر قدمت له الفرصة لتنفيذ برنامج كانوا يخططون له منذ عقود.

جيرمي ايرب: تحدث ريتشارد بيرل قبل أيام بحديث يناقض ما تقولينه. وليس هو الوحيد الذي يقول ذلك. بل ترددت الفكرة على لسان كثيرين من المحافظين الجدد الذين يتمتعون بتأثير كبير في هذه الحكومة. وما قاله هو أن الفكرة القائلة بأن 11 سبتمبر قدمت لهم فرصة لتنفيذ اجندتهم هي فكرة ساذجة وماكرة. ويقولون بأنه ليس صحيحاً أنه كان لديهم اجندة وان 11 سبتمبر جاء ليمكنهم من الدفع باتجاه تطبيقها. بل إن 11 سبتمبر كان جرس الإنذار لليبراليين ودعاة السلام وانصار الواقعية في السياسة الخارجية والذين يعتقدون بأن إستراتيجية الاحتواء القديمة ستكون كافية لمنع حدوث هذه الكابوس مرة أخرى.

إنني أتفهم حرصهم على ترويج أن احتلال العراق كان رداً على ما حدث في 11 سبتمبر، ولكني أعتقد أن ما يقولونه كذب محض. وأعتقد أن هذه الحرب هي جزء من أجندة المحافظين الجدد في التشديد والتأكيد على تفوق الهيمنة الأمريكية. وقد بدأ هذا التفكير عقب انتهاء الحرب الباردة، وبعد انتهاء الحرب الباردة لصالح الولايات المتحدة في عهد رونالد ريغان. وكان دك تشيني في عهد حكومة بوش الأول يتحدى من حوله أن يفكروا بأفق أوسع وطموح أكبر. وكان

الشخصان الرئيسان في هذا التحدي على ما أذكر هما ولفوويتس وباول- لقد دعاهما إلى التفكير بمهابة حول عالم ما بعد الحرب الباردة تكون فيه الولايات المتحدة الأسمى منزلة. كيف يمكن للولايات المتحدة أن تستخدم قوتها، وثروتها، وجيشها، وتقنيتها..الخ والتي لا يضاهيها فيها أحد في العالم، كي تسيطر على العالم؟ ومن سوء الطالع، أن النموذج الولفوويتسي، والذي كان أكثر عدوانية وشراسة، هو النموذج الذي يعتقد تشيني ورفاقه بأنه هو المنهج الصحيح. وقدم 11 سبتمبر لهم الفرصة لوضع تلك الخطة التي اقترحوها في عهد بوش الأول موضع التنفيذ. إنني أعي التلفيق الذي يحاول بيرل أن يضفيه على المسألة، وهو تلفيق يوازي ما تردده حكومة بوش باستمرار وتدعي فيه أن لصدام حسين علاقة بما حدث في 11 سبتمبر. وهي كذبة سافرة. حتى إن بوش نفسه اعترف عندما سئل على حين غفلة في مؤتمر صحفي بأنه لا توجد صلة أكيده بين صدام حسين و11 سبتمبر. ومع ذلك، كم مرة تكرر ادعاؤهم بوجود هذه الصلة؟ إنها تلفيق إعلامي. إنها كذب صريح.

جيرمي إيرب: هل شاهدت المقابلة التلفازية التي اجرتها دايان سويار (مع بيرل) وضغطت عليه بخصوص هذه الصلة المزعومة بين صدام حسين و11 سبتمبر؟ وكان رده، بأن وجود هذه الصلة او عدم وجودها ليس له أهمية. وهي ليست القضية. ويبدو ان كثيراً من الأمريكان يفكرون بنفس الطريقة. كثير من الناس الذين باتوا يعلمون الآن انه لا يوجد أسلحة دمار شامل في العراق سيلوون رؤوسهم قائلين: "هذا لا يهم. لقد كان صدام دكتاتوراً وحشياً. ويكفي اننا تخلصنا من شخص سيء".

لا احد يناقش بأن صدام حسين كان حاكماً سيئاً. والسؤال الذي أطرحه على الطلبة في جامعة هيوستن في كل مرة أتحدث فيها إليهم، هو: إذا جاء

جورج دبليو بوش إلى الشعب الأمريكي وقال: "إنني أريد أن أحتل العراق لأن صدام حسين شخص سيء، وأريد أن أحتل العراق لأنني أعتقد أن الشعب العراقي أهل للديمقراطية وبإمكاننا أن نجلبها إليهم". ولو ذهب إلى الكونغرس وقال الشيء نفسه، فهل كان الشعب الأمريكي سيؤيد ذلك الموقف؟ لماذا لا نقوم باحتلال بورما؟ إنها دولة تسيطر عليها دكتاتورية عسكرية منذ الثمانينيات. لماذا لا نقلب نظام حكم مشرف الذي استولى على الحكم في باكستان بانقلاب عسكري، ويرفض إعادة الحكم الديمقراطي إلى البلاد كما قال بأنه سيفعل؟ لماذا نتعاون مع الجمهوريات السابقة للاتحاد السوفييتي في آسيا الوسطى- وطاجيكستان، وتركمانستان، أصدقائنا الجدد حديثي العهد، والتي تحكمها دكتاتوريات فظيعة تقمع المعارضة، وتمنع حرية التعبير وحرية الصحافة، وتنتهك حقوق الإنسان، و إلى غير ذلك من المخالفات والانتهاكات غير المقبولة المنتشرة في تلك البلاد؟

إننا ندعم الديمقراطية عندما تكون مواتية لمصالحنا. ربما أكون مثالية في اعتقادي بضرورة وجود معيار لتحديد سياساتنا الخارجية، إلا أنني أعتقد بوجوب أن يكون هناك معيار. إننا نبدو أمام العالم منافقين، وكذابين، إننا نظهر كقوة إمبريالية. ومن المؤسف حقاً أن معظم الشعب الأمريكي لا يدرك مدى كره العالم لأمريكا. إذا ذهبت خارج البلاد- ولا أعنى هنا المنتجعات السياحية في المكسيك- إذا ذهبت وتحدثت إلى الناس حول العالم فستجدهم مذعورين من تصرفات الحكومة الأمريكية. وهذا أمر محزن بالنسبة لي. وكان من دواعي سروري، وفرقي أيضاً، أن أتعامل مع مسئولين حكوميين وعسكريين في مختلف أنحاء العالم من دبلوماسيين أتراك إلى قادة عسكريين كنديين إلى تايلنديين، وقال لي معظم الذين تحدثت إليهم بأنهم خائفون من الحكومة الأمريكية بقيادة جورج بوش. وخائفون من الجيش الأمريكي تحت إمرة رمسفيلد. وهذا حقاً شيء مرعب.

جيرمي إيرب: كنت تناضلين من أجل حفز الولايات المتحدة على التجاوب مع قضية الألغام الأرضية في عهد حكومة كلينتون. وخالطت كثيراً من الناس في تلك الفترة. هل تشاهدين اي فارق في تصرف الأشخاص المسئولين في ذلك الوقت وبين ما تشاهدينه وتسمعينه الآن؟ هل هناك فرق في الطريقة التي يتحدثون بها عن الولايات المتحدة كقوة إمبريالية، ولكن بقيادة أشخاص مختلفين يروجون لها؟

يدرك الناس أن القوة العظمى لديها مصالح تخصصها تقع على رأس أولوياتها. عندما كنا في زمن الحرب الباردة، وعندما كان الصراع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، كان هذان المعسكران يضعان مصالحهما أولاً. ولكن ومن خلال تجربتي، فإن الناس يلاحظون تغيّراً جذرياً بين الحكومات الأمريكية السابقة وحكومة بوش. وهناك اعتقاد يقول بأنه وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة كانت حقاً تريد أن تثبت مكانتها وتعزز من هيمنتها الآن في ظل نظام القطب الأوحد، إلا أنه كان بإمكان المرء أن يتحدث إلى المسئولين في عهد حكومة كلينتون، وأن كلينتون كان ينظر إلى الأمور نظرة عالمية، وكان لديه تفهم أنه حتى وإن قامت الولايات المتحدة بتعزيز هيمنتها العالمية، فإنه يتحتم عليها أن تبقى ضمن هذه المعادلة المعقدة بطريقة أو بأخرى. قد يكون لها الوزن الأثقل في المعادلة إلا أنها مع ذلك يجب أن تتوازن مع العناصر الأخرى. ومن وجهة نظري فإن حكومة بوش، ومن خلال تجربتي في حملة مكافحة الألغام الأرضية ودعمي للمحكمة الجنائية الدولية، تتصرف ضمن إطار "طريقتي فقط وإلا فلا". وقد عبر الأشخاص الذين تحدثت معهم من الحكومات الأجنبية الأخرى عن هذه النظرة بكل وضوح، وهو أن الحكومة الأمريكية عندما ترسل مبعوثيها إليهم، لا يكون ذلك من أجل مناقشة كيف يمكن لتلك الدولة أن تتعاون مع الولايات المتحدة حول القضية الفلانية. بل تأتي الولايات المتحدة لتقول" هذا هو ما نريده، وعليكم أن تفعلوا كذا وكذا".

إن من السهل أن تختبئ خلف الخوف هنا في الولايات المتحدة وتقول بأنهم يكرهوننا بسبب حريتنا. "هم" هذا الضمير الهلامي. كنت ذات مرة في الطائرة وبجانبي امرأة، فنظرت إلي وقالت: "أليس فظيعاً أنهم يكرهوننا على حريتنا؟" فقلت لها "ومن هم هؤلاء؟" بالطبع، إنهم "هؤلاء" العرب المتطرفون. فقلت لها، "إذا نظرت إلى استطلاعات الرأي في الدول التي يوجد فيها حرية تعادل الحرية الموجودة لدينا أو أكثر، فإن الغالبية العظمى من السكان في تلك الدول لا تحبنا كذلك. فهل يكرهنا هؤلاء بسبب حريتنا أيضاً؟" إنهم لا يكرهوننا لأننا أحرار. إنهم يكرهوننا لأنهم يخافون من قوتنا العسكرية ومن استعدادنا لاستخدام تلك القوة بأي ثمن كان، وفي تجاهل صارخ لمشاعر المجتمع الدولي.

جيرمي إيرب: ما الذي تعنيه بقولك بأن هذه الحكومة هي أخطر حكومة في تاريخ الولايات المتحدة؟

أعتقد أنها كذلك. لقد دارت مناقشات حادة بيني وبين زوجي حول هذا الموضوع منذ 11 سبتمبر. وأعلنت وقتها أن هذه الحكومة هي أخطر حكومة مرت علينا في حياتنا. حتى أنني تمنيت ومن قبيل السخرية أن أرى رونالد ريغان يعود إلى الحكم ثانية بدلاً من هؤلاء. وأظن أنك قرأت ذلك في بعض الصحف. وربما يقال ذلك من باب التندر، ولكن على الأقل كان ريغان مقيداً بعض الشيء. لذلك ثار نزاع بيني وبين زوجي، وقال لي: "كيف تقولين ذلك؟ هناك عدد كبير من المسئولين في هذه الحكومة كانوا في حكومة ريغان وخدموا أيضاً في حكومة بوش الأول". فأجبته: هذا صحيح، وهو ما أعنيه بالضبط. فخلال تلك السنوات التي كانوا فيها داخل الحكم عكفوا على تصميم أجندتهم للمستقبل. ولما جاء كلينتون خفت نشاطهم داخل الحكومة لعدة سنوات، ولكنهم عادوا بقوة مع فوز جورج بوش دون وجود معارض لهم داخل الحكومة. وعندما كانوا في حكومة ريغان كانوا على الأقل مشغولين بمجابهة الاتحاد السوفييتي. وفي ظل حكم بوش

(الأول) كانت الرؤية مشوشة حول ما ستستقر عليه الأوضاع الدولية. أما الآن فليس هناك أي تشويش، فهذه الزمرة بيدها قوة لا تضاهيها قوة أخرى في العالم، وهم على أتم الاستعداد لاستخدامها بحسب ما يحلو لهم. وهذا الأمر مخيف طبعاً.

إنهم لا يكترثون براي العالم ولا يحسبون حساباً لأي احد. وهذا في نظري شيء مرعب. إنهم يتحدثون عن استخدام الأسلحة النووية. وهم يتحدثون عن تطوير أسلحة نووية صغيرة يمكن استخدامها كالأسلحة التقليدية. اليس هذا مرعباً بالنسبة لك؟ أعتقد أن هذا غير معقول. ثم نتساءل لماذا نشهد انتشاراً لأسلحة الدمار الشامل؟ إنه الجنون بعينه. هل سنقوم بالإطاحة بكل هذه الدول؟ هذه هي وجهة نظر ريتشارد بيرل. لقد نشرت صحيفة لندن ديلي تلغراف مقالة قبل أيام تتناول أجندة بيرل. فكما هو معلوم أن بيرل يطالب بالقضاء على سوريا وعلى إيران. وأن نذهب ونقضي على كوريا الشمالية أيضاً. فهل سنقوم بالقضاء على كل هؤلاء؟ ومتى نتوقف عن القضاء على هذه الأنظمة؟ وبالطبع سنحتاج إلى القضاء على باكستان إذا اغتيل مشرف... فهل سنقضي على ذلك البلد؟ هل سنطيح بالهند كذلك لأنها تمتلك سلاحاً نووياً؟ وما اعنيه هو ما هو الحد الذي سنقف عنده؟

والسؤال الآخر الذي يتردد في ذهني هو لماذا يعتقد الناس في الولايات المتحدة أن امتلاكنا أسلحة اكبر واكثر ستجعلنا اكثر امناً من الإرهاب؟ إننا نمتلك اكثر الأسلحة تطوراً في العالم. ولدينا من الأسلحة النووية ما يفوق ما لدى بقية العالم أجمع. فهل عمل ذلك على منع وقوع هجمات 11 سبتمبر؟ إنها لم توقفها. ولو امتلكنا مزيداً من الأسلحة النووية، ولو امتلكنا أسلحة نووية مصغرة، ولو امتلكنا هذا السلاح أو ذاك، أو غيره، فكيف سيحول ذلك دون وقوع هجوم إرهابي؟ إنها لن تمنعه.

جيرمي إيرب: هل تعتقدين ان التعبير عن الأراء التي تطرحينها الأن هو اسهل مما كانت عليه الحال بعد 11 سبتمبر مباشرة؟

إنني أعبر عن هذه الآراء دائماً. ولي كامل الحق في التعبير عما أعتقد. وهذا هو ما يمكننا من القول بأن لدينا بعض الديمقراطية في أمريكا. ويشعر الناس أن لهم الحق في التعبير عن آرائهم، وكانوا في البداية يخافون من إبداء رأيهم، وما زال هناك قسم عريض من الناس يخافون من التحدث عما في نفوسهم. وهو أمر مدهش بالنسبة لي. فعندما اتحدث عن جماعة بوش فإنني اتمنى أن انام واستيقظ لأجدهم قد اختفوا من الوجود. إلا أنهم لن يذهبوا بهذه السهولة.

ومنذ خريف عام 2003 عملت أستاذاً زائراً في جامعة هيوستن، وكنت اناقش مع طلبتي عدداً من القضايا العالمية، وكتبت إحدى الطالبات المشاركات في حلقات النقاش التي كانت تجري عبر الإنترنت، تقول بأنها تحدثت إلى عدد من الطلبة المشاركين فأبدوا مخاوفهم من التعبير عن آرائهم خشية أن يكونوا مراقبين من قبل جون آشكروفت. فما كان من تلك الفتاة إلا أن قالت: "يا للسخف! كيف وصل الحال ببعضنا في أن يفكر بأن كونه طالباً في جامعة هيوستن فإن آشكروفت قلق حول ما سيقول." ومع ذلك، فقد مارست تلك الفتاة الرقابة الذاتية لأنها خشيت أن هناك من يراقب ما تقول. وليس لي علم بتفكيرها حول ما ستفعله الحكومة بتلك المعلومات.

وبعد ذلك، كنت في مدينة دنفر في ولاية كالورادو، وكنت أتحدث أمام منظمة تدعى بيس جام، وهي منظمة تسعى إلى تثقيف الشباب بأن العمل من أجل السلام هو عمل شاق، وأنه ليس بالحلم الطوبائي. إنه عمل يتطلب وضع وتطوير خطة للعمل والقيام بنشاطات تساهم في بناء السلام. إنه ليس معجزة، وليس طوبائية. إنه عمل شاق. وجاءتني إحدى المعلمات المشاركات في هذا

البرنامج تقول: "لم اعد أجرؤ على التعبير عن رأيي في أمريكا بعد اليوم. ولا أجرؤ أن أتحدث عن معارضتي لبوش." وكانت هذه المعلمة قد سبق أن شاركت في مسيرة تعترض على الحرب تحت شعار "ليس باسمنا"، فحاول أحد الناس أن يصدمها هي وابنها الصغير بسيارته، ليس لدهسهم وإنما لترويعهم. وقالت لي بأن ذلك الحدث أرعبها، وأنها تشعر بالعزلة والخوف من التعبير عن رأيها في أمريكا هذه الأيام.

وبعد اسبوعين كنت في سان فرانسيسكو، وجاءت معلمة أخرى وقالت لي بأنها تدرس فن المناظرة، وأرادت من الطلاب والأستاذ أن يقيموا مناظرة حول القيم الأمريكية في عهد بوش، إلا أنها لا تجرؤ على ذلك. إنها تخشى عاقبة ما سيحدث لها، وما سيحدث لطلابها إذا أخبرتهم بما يجري في أمريكا إذا لم يوجد أمامهم طريق للتعبير. ولذلك مارست الرقابة الذاتية.

إن المواطن الذي يمارس الرقابة الذاتية يحمّل نفسه عبء القيام بأكثر من 90٪ من عمل الحكومة في هذا المجال. ومتى ما نجحت الحكومة في ذلك فليس عليها القيام بأي شيء. وإذا أخافوك إلى الحد الذي لا تجرؤ معه على التعبير عما يدور في خلدك، فهذه هي بداية الحكم الشمولي الدكتاتوري. وإني لأجد ذلك أمراً مفزعاً. ويدفعني إلى عقد العزم على عدم الوقوع في الرقابة الذاتية. ولا يهمني ما سيحث.

جيرمي إيرب: كيف تصفين نظرة اللاعبين الرئيسيين في هذا الحكومة للعالم؟

أجد المقالة التي تحدثت حول ولفوويتس مؤخراً من المضحكات. إنها تطلق عليه وصف الطوبائي الحالم. وتصفه بالمفكر الأكاديمي- وبصراحة، كدت أن أتقيأ إعياءً من تلك المقالة- إن ذلك هو ما يفعله الأشخاص الذين يخرجون من السلطة فهم إما أن يتوجهوا إلى الحقل الأكاديمي، أو إلى معاهد الفكر. وليس

ذلك لأن ولفوويتس كان ذلك المفكر العظيم الذي دعت الحاجة الملحة إلى انتزاعه من أبراجه العاجية من أجل المساعدة في بناء أيديولوجية حكومة بوش. فكم عدد الحكومات التي عمل فيها ولفوويتس. وها نحن أمام مقالة تصفه بالحالم العظيم الذي يسعى إلى إقامة الديمقراطية في العراق. وربما أن في تكوين هذا الرجل ما يجعله يؤمن بالديمقراطية، إلا أن الإدارة التي يعمل فيها هي بكل تأكيد تقمع الحريات والحقوق في أمريكا اليوم. إنني لا أعتقد أن بإمكانك أن تقيم الديمقراطية في دولة بالطريقة التي تتبعها هذه الإدارة، عن طريق الاحتلال والاجتياح العسكري، مع الجهل المطبق بالثقافة والأصول الإثنية والثقافة السياسية في ذلك البلد. إنني لا أصدق ما يحدث، إن هذه المجموعة مدفوعة بغرورها وبنظرتها الخاصة للعالم. لقد طوروا رؤيتهم الشخصية للعالم عن طريق الجلوس معاً في مجموعات صغيرة والتحدث مع بعضهم بعضاً. وهناك مقالة مثيرة حول جورج بوش تقول بأنه لا يعبأ بالأخبار والمستجدات التي تحدث في العالم لأنه يتلقى معلومات موضوعية من أشخاص مثل كونداليزا رايس و ولفوويتس وبيرل. وإذا كان مثل هؤلاء الثلاثة الذين تتطابق وجهات نظرهم هم مصدر معلوماتي فكيف سأحصل على معلومات موضوعية؟ ولكن يبدو من الواضح أن بوش غير مهتم بالحصول على معلومات موضوعية. إنه لا يرغب أن تهتز نظرته العالمية أو أن تتحطم. ولا الآخرون يريدون ذلك.

جيرمي إيرب: هل انت من المسالمين انصار اللاعنف؟

لا، وكوني فزت بجائزة نوبل للسلام لا يعني بالضرورة أنني من المسالمين، وهذا واضح حين ننظر إلى هنري كيسنجر الذي فاز بجائزة نوبل للسلام ولكنه في نظري مجرم حرب. إنني لست من المسالمين. بل من المؤمنين بضرورة وجود جهاز للأمن والقيام بأعمال عسكرية. وهذا من ضروريات الحياة. فإذا اقتحم شخص منزلك، فمن الطبيعي أن تتصل بالشرطة لكي يقبضوا على ذلك المجرم

ويودعوه السجن. وعندما يهاجم الإرهابيون الولايات المتحدة فإنني أدعم كامل الدعم العمل مع المجتمع الدولي والمشاركة في المعلومات الإستخبارية من أجل القبض عليهم وتقديمهم للعدالة، ووضعهم في الحبس مدى الحياة. ولكنك مع ذلك لا تقوم باحتلال دولة أخرى لأنك لا تحب حاكمها. فهذا خرق للقانون الدولي. إن بإمكان إدارة بوش أن تخرق القانون الدولي دون حساب أو مسؤولية، إلا أن التصرف بهذه الطريقة وعلى هذا المستوى سيترسب إلى كافة مستويات المجتمع. وإذا ساد الاعتقاد لدى الناس أن بإمكان أصحاب السلطة فعل ما يشاءون دون مساءلة، فإن هذا التفكير سينعكس على النسيج الاجتماعي. لقد عملت في أمريكا الوسطى خلال حروب الثمانينيات، والتي أحب أن أطلق عليها حروب ريغان- بوش، ولم أكن مسالمة وقتها، وقد رأيت بأم عيني ما حدث لنسيج تلك المجتمعات عندما قام الجيش والساسة بفرض إرادتهم بكل فظاظة ودون مسؤولية من قتل للأفراد، وسلب للممتلكات- إنها تدمر نسيج المجتمع. فكيف سيحترم الناس القانون بعد هذا كله؟ إنه أمر مفزع حقاً.

جيرمي إيرب: في المقابل، نجد هذه المجموعة من أصحاب التوجه الانفرادي في السياسية الخارجية، وكما ذكرت، يبدو أن أجندتهم بعيدة كثيراً عن الأمم المتحدة. ولديهم مشاكل مع فرنسا؛ ويسعون إلى إعادة تشكيل اوروبا، الخ. ولكن اليس صحيحاً أن هذه الأجندة ممكنة سياسياً؟ لأنهم في اللحظة التي يبداون فيها بالتهجم على فرنسا والأمم المتحدة تتوسع قاعدتهم الشعبية ويزداد تأييد الناس لهم. لذلك لم يكونوا بحاجة إلى إخفاء تلك الأجندة. وتأسيساً عليه، ما الذي يكشفه ذلك عن نظرة افراد الشعب الأمريكي إلى الأمم المتحدة وحلفائنا؟

إنني شخصياً لا أكن الكثير من الاحترام للأمم المتحدة. برغم أنني أدعم الحاجة إلى وجود هذه المنظمة. وأعتقد أنها بحاجة إلى عملية إصلاح شاملة،

ولكنني لا أعتقد أن هذا الإصلاح ينبغي أن يكون على طريقة بوش وإدارته. عليك أن تعمل من خلال الأمم المتحدة نفسها لتحقيق التغيير. لقد كان من المزعج أن نشاهد بوش يرجع إلى الأمم المتحدة لتغطية عورته بعد أن ظهرت بوادر الفشل في احتلال العراق. فهو لا يريد التعامل مع الأمم المتحدة إذا كان ذلك في صالحه، ولكن إذا كانت الاستعانة بالأمم المتحدة لصالحه فلا يتأخر في طلب تلك المساعدة. ومرة أخرى، أعتقد أن الشعب الأمريكي جاهل جهلاً مطبقاً بالأمور والقضايا التي تحدث خارج الولايات المتحدة، وأعتقد أننا بلد ابرشي محلي إلى حد لا يمكن تصوره. وقد اطلعت مؤخراً على إحصائية حول نسبة الذين يقرأون الصحف، ولا أذكر الأرقام على وجه التحديد، ولكن النسب كانت فظيعة، نسبة أفراد الشعب الذين يحملون جوازات سفر، أو نسبة الذين سافروا خارج البلاد. وما أقصده هو كيف يمكن أن يكون لديهم أدنى فكرة عما يدور في العالم إذا كانت هذه هي حالهم؟

إن من طبيعة البشر الميل نحو تصديق قادتهم، وتصديق ما تعلموه من أساطير. وأنا بصدد نشر كتاب هو حصيلة سنتين من الاستماع إلى الناس وهم يعبرون عن جهلهم بالسياسة الخارجية الأمريكية. وسأحاول أن أقدم للناس مدخلاً لفهم الفجوة الشاسعة بين أسطورة القيم الأمريكية والقيم الحقيقية التي تبنى عليها السياسة الخارجية. إن هذه الفجوة في السياسة الخارجية هي التي تجعل بقية العالم يكره أمريكا، وينظر إلينا باعتبار أننا منافقون إمبرياليون. إلا أن الشعب الأمريكي يجهل تاريخ هذا البلد، ولذلك فهم في غفلة تامة. إنهم يريدون تصديق أننا نقف مع الديمقراطية في كل مكان. وأننا نقف مع حرية التعبير وحرية الصحافة وحرية المعارضة بكل قوة. وقد نكون كذلك أحياناً، وفي معظم الحالات لسنا كذلك. ويجب على الناس أن يعوا ذلك لكي يفهموا لماذا يكره الناس هذا البلد. ومعرفة الحقيقة ليست دائماً أمراً مستساغاً. والجهل نعمة كبيرة، وأتمنى لو كنت جاهلة، ولكنني ولسوء الحظ لست كذلك.

جيرمي إيرب: هل ينبغي أن يكون الناس خائفين نتيجة لهجمات 11 سبتمبر؟

هل ينبغي أن يخافوا من هذه الحكومة أم من الإرهابيين، أم من كلا الطرفين؟ أعتقد أن عليهم أن يخافوا من كلا الطرفين. إنني أخاف من حكومة بوش. وأنا خائفة مما يفعلوه بالولايات المتحدة وبالعالم. إنني خائفة بسبب استعدائهم لعدد كبير من حكومات العالم. إنني أبغض استخدام عبارة "الحرب على الإرهاب" والتعامل مع تهديدات الإرهاب. واعتقد أن تهديد الإرهاب هو تهديد حقيقي. وما يدهشني حقاً هو أن الناس يتصرفون وكأن 11 سبتمبر هو الهجوم الإرهابي الأول من نوعه، لقد تعرض البرجان التوامان لمركز التجارة العالمي للتفجير عام 1993. وماذا عن تفجير سفاراتنا في إفريقية؟ ليست هذه المرة الأولى التي تتعرض فيها الولايات المتحدة أو المصالح الأمريكية لهجوم إرهابي. إنني اقدر أن 11 سبتمبر كان أضخم حجماً واوقع اثراً، ولكنه ليس ظاهرة جديدة. والفرق الوحيد هو أن هذا الحدث جرى استغلاله بشكل درامي.

جيرمي إيرب: هل توجد صلة بين ما قمت به من عمل، وتحديداً تجربتك في مجال مكافحة الألغام الأرضية، وبين ما تشاهدينه وتشعرين به تجاه هذه الإدارة؟

من الجوانب المشرقة في قضية مكافحة الألغام الأرضية هي الآلية التي جرى العمل فيها. فقد تضافرت الجهود العالمية لوضع الاتفاقية الخاصة بحظر الألغام الأرضية، وكانت أمراً راديكالياً ومختلفاً. لقد عملنا خارج نطاق الأمم المتحدة، وليس هذا لإهانة الأمم المتحدة بل لقناعتنا بأن جمود هيكلية المنظمة سوف لا يثمر ما نسعى إلى تحقيقه، وهو ببساطة وضع معاهدة تحرم تحريماً فورياً إنتاج وبيع وتخزين الألغام الأرضية لأن هذه الألغام تقتل وتشوّه كثيراً من الخلق حول العالم في أكثر من ثمانين دولة. وقد تمكنا من تحريك الرأي العام

في العالم إلى الحد الذي دفع الحكومات إلى المخاطرة، وأنا أقول مخاطرة لأن هذه الحكومات ارتكبت مخاطرة سياسية في تعاملها مع هذه المشكلة بطريقة تختلف عن تعاملها الاعتيادي مع المشاكل الدولية الأخرى. فقبلت بالعمل خارج إطار الأمم المتحدة: ووضعت نظاماً خاصاً للتفاوض حول معاهدة دولية تخضع لنظام الأغلبية. وفي ظل النظام الحالي للأمم المتحدة بإمكان دولة واحدة أن تعرقل المفاوضات، فقد تجتمع مائة دولة في قاعة واحدة للتفاوض بشأن معاهدة ما، وبمجرد اعتراض دولة واحدة فإن هذه المفاوضات تتوقف عن الحركة. هل هذه ديمقراطية؟ إنها دكتاتورية الحكم الفردي. وباعتقادي أن هذا النظام المعمول به الآن هو نظام شائن.

لقد تمكنا من وضع نظام مختلف للتفاوض حول معاهدة حظر الألغام الأرضية، وعملنا ضمن شراكة مفتوحة مع الحكومات ومنظمات المجتمع المدني، كما عبرت عنها الحملة الدولية لحظر الألغام الأرضية والمؤلفة من 1400 منظمة مختلفة من مختلف دول العالم والتي تضافرت جهودها في سبيل هذه القضية. واشتركت وكالات مختلفة تابعة للأمم المتحدة كالصليب الأحمر الدولي على سبيل المثال. كنا نعمل جميعاً نحو هدف واحد وهو البحث عن طريقة لحظر الألغام، وعملنا معاً لضمان التزام الأطراف بأحكام المعاهدة، وهو فارق كبير، وهذا هو سبب نجاحنا. لم نكتف بالتصفيق بعد الانتهاء من التفاوض على المعاهدة وعودة كل واحد منا إلى عمله المعتاد. كان لدينا قناعة بأن ذلك هو البداية فقط، بداية احتمال نهاية الألغام الأرضية. ولولا أننا تمكنا من إقناع الدول على التصديق على المعاهدة وتطبيق الالتزامات المترتبة عليها لكنا أمام شيء مختلف. فمن كان سيلقي بالاً لما سيحدث بعد ذلك؟ وماذا في ذلك؟ لدينا وثيقة رائعة. لقد كنا نرغب أن تكون تلك المعاهدة قابلة للحياة. وجعلناها كذلك. وأرينا العالم أن هناك طرقاً ووسائل مختلفة في التعامل مع المشكلة.

ومن القضايا التي أفرزها نموذج التعاون المنبثق عن حملة حظر الألغام الأرضية هو إنشاء المحكمة الجنائية الدولية. وهي تعكس تحالفاً قوياً في التعاون بين المنظمات غير الحكومية والحكومات لإنجاز تلك المحكمة على الرغم من معارضة الولايات المتحدة. وكانت معارضة الولايات المتحدة معارضة أشرس من المعارضة التي واجهناها في معاهدة حظر الألغام الأرضية. وباعتقادي أن العالم في وضع سيء، ولكنه أيضاً في وضع أصبحت تدرك فيه الحكومات أنها إن أرادت من العالم أن يكون شيئاً مختلفاً، فإن عليها أن تقف مع المبادئ وتحدث التغيير. ولا يمكنك أن تجلس مستريحاً وتقول:"يا إلهي، الولايات المتحدة فظيعة.." إذا كنت لا تحب أن تهيمن الولايات المتحدة على العالم، فبادر إلى العمل مع الآخرين لتغيير ذلك بطريقة إيجابية. وهذا ليس بالعمل السهل، ولكن ما هو البديل؟ الرضوخ للهيمنة؟ لا، فهذا ليس من شيمي.

جيرمي إيرب: من الانتقادات المفضلة لدى بل أورايلي التي يوجهها للمعارضين للحرب هي وصفهم "بالدوليين". ويقول بأنه يضع أمريكا اولاً. ثم يأتي شخص مثل روبرت كيغان وهو من المحافظين الجدد، ويقول بأن الفرنسيين ليس لهم حق في معارضة هذه الحرب لأنهم يتعامون عن حقيقة انه لولا القوة العسكرية الأمريكية التي تحميهم لما تمكنوا من الاستمتاع بترف الجلوس والتفلسف حول اعمالنا العسكرية؟

أنا أمريكية. وبإمكاني المراهنة على أن الفرنسيين لا يعتقدون أنهم محنيون بالأسلحة الأمريكية. وأنا لا أشعر أنني الأن أكثر أمناً منذ احتلالنا العراق دون أي استفزاز صادر عن ذلك البلد. ولا أظن أن بقية العالم تشعر بأنها أكثر أماناً لأن الولايات المتحدة قامت باحتلال العراق. فهل أدى ذلك إلى نشر الأمان في العالم؟ هل أدى ذلك إلى شعور العالم فجأة بأن الولايات المتحدة تصول وتجول

من أجل توفير الحماية لسكان الأرض جميعاً؟ لا، إنها جعلت العالم يشعر أن هذه الحكومة تتصرف بجنون وتهور. وهذه الصورة تختلف كثيراً عن الصورة الرائعة للولايات المتحدة التي تدخلت لدحر هتلر واليابان]في الحرب العالمية الثانية.[تلك الصورة تختلف عما نشاهده اليوم. إنهم يقلبون الحقائق ويحرفون التاريخ ليجعلوا الأمر يبدو واحداً. ولا تشابه بين الحالين. وأنا، بصفتي امريكية، لا اشعر بالأمان في ظل قيام هذه الحكومة بإرادتها المنفردة وعملها الأحادي باحتلال الدول. إنني لا أشعر بالأمن مع هؤلاء الناس. وليس هذا لأنني اجوب العالم معبراً عن محبتي لبقية العالم. إنني أشاهد كثيراً من السفاهات في الدول الأخرى. لقد تعاملت مع تلك الدول وحكوماتها. ولكنهم لا يحتلون دولاً أخرى لأتفه النزوات. لست قلقة مما يفعله الفرنسيون. إنني قلقة مما يحدث في هذا البلد. إنه بلدي وموطني، وقد قامت حكومتنا باحتلال دولة أخرى من دون استفزاز. ولي كل الحق أن أقف معلناً معارضتي لهذا العمل. إنني لا أشعر بالأمان في ظل هذه الحكومة. ولا أعتقد أن احتلال العراق جعلنا أكثر أماناً وسوف أقول ذلك بملء في.

جيرمي إيرب: ما الذي يمكنك ان تقوليه لأناس مثل عمي مثلاً، فهو شخص طيب، ذكي، ومن الطبقة العاملة، محافظ، ويؤيد جورج بوش والحرب؟

سأسأله عن اعتراف بوش في اكتوبر أو نوفمبر من عام 2003 بانه لا يوجد صلة بين صدام حسين و هجمات 11 سبتمبر التي وقعت في نيويورك وواشنطن. لقد اعترف بذلك أمام الملأ خلال مؤتمر صحفي. إذا لم يكن هناك أي صلة، فلماذا تواصل حكومته الكذب على الشعب الأمريكي والإيحاء لهم بوجود تلك الصلة؟ إذا كان السيد بوش يريدنا أن ندعم سياساته في احتلال العراق من أجل الإطاحة بصدام حسين، ولتطبيق الديمقراطية في العراق، في محاولة أشبه ما

تكون بنظرية الدومينو المعكوسة لنشر الديمقراطية في تلك المنطقة بكاملها، فلماذا لم يصرح للشعب بذلك للكونغرس والشعب الأمريكي علناً وبنزاهة من البداية؟

إن الرئيس الذي يكذب على الشعب الأمريكي وعلى الكونغرس من أجل تحقيق أهدافه وسياساته،هو في نظري، يستحق أن يخضع لتحقيق من الكونغرس على الأقل، إن لم نقل توجيه التهمة إليه. أعتقد أن على الرئيس أن يكون صادقاً فيما يقوله للشعب. لقد كذب هذا الرئيس على شعب أمريكا. لماذا غضب الناس من كذبة كلينتون؟ مع أن كذبة كلينتون لم تذهب بحياة أحد، وبالكاد أثرت في سمعته وعلاقته مع زوجه، أليس كذلك؟ لم تؤثر على أمن البلاد. أما بوش فقد كذب على الكونغرس وعلى الشعب الأمريكي ومع ذلك ينتظر منا أن نقبل بذلك دون اعتراض؟ هل يفترض فينا أن نصفق لهذه الحرب؟ إنها حرب بوش. وليست حرباً يمكن أن تحمينا من الإرهاب. ولا يعنيني كثرة ترديده تلك المقولة. إنها لا تحمينا من الإرهاب، وسنتعرض للهجوم مرة أخرى.

فريدركسبيرغ، فيرجينيا

6 يناير، 2004

* *

ماكس وولف

ماكس فراد وولف يحضر لدرجة الدكتوراه في الاقتصاد في جامعة ماسيتشيوستس، امهرست. وله عدد كبير من المقالات والأبحاث في حقول المالية والاقتصاد السياسي الدولي.

جيرمي إيرب: ما هي نظرتك إلى السجل الاقتصادي لحكومة بوش؟

أولاً وقبل كل شيء، سأقسم نقدي لسياسات هذه الحكومة إلى مسارين منفصلين. الأول هو أنني لا أحبذ الكثير من مسلماتهم الأيديولوجية ومبادئهم الموجهة. بمعنى آخر، أعتقد أن هناك قضايا خطيرة تتعلق بنظرتهم إلى العالم. وقد بلغ خطاب التعصب الأصولي للسوق إلى مستويات محمومة في الولايات المتحدة عموماً، وفي الجناح الشركاتي من الحزب الجمهوري تحديداً. أما الأمر الثاني فيتركز حول السياسات الفعلية التي طبقت. وينبغي الفصل بين هاتين المسألتين لأنه لا علاقة بينهما كلية. فالخطاب السياسي والسياسات المطبقة ليسا شيئاً واحداً. وقد عمدت هذه الحكومة على توسيع الهوة بينهما إلى نقطة الانهيار. ومن حسن حظهم أن معظم الأجهزة الإعلامية متواطئة معهم - باستثناء مؤسستكم. ويكشف لنا التحليل البسيط عن الفارق الشاسع بين الأقوال والأفعال. وإذا قبلت بنظرتهم إلى العالم، كما يفعل كثير من العاملين في حقل الاقتصاد السياسي، فإنك ستواجه فوراً مشكلة خطيرة في ممارسة الحكم. إذ تتناقض خطابات السوق الحرة تناقضاً مباشراً مع احتياجات الناخبين إلى الحماية الجمركية وتقييد التجارة في القطاعات الاقتصادية بدءاً من صناعة الصلب إلى صناعة النسيج وغيرها. أما سياسات الضبط المالي التي طالما

اشتهر بها الحزب الجمهوري فقد مزّقها جورج بوش وجعلها شيئاً من الماضي. وهكذا، يقال لنا كل يوم بأن نزدري هؤلاء الليبراليين الذين يفضلون فرض الضرائب وإنفاقها، وأن نحب بوش الذي يفضل تخفيض الضرائب وإنفاقها- ما دام أن الإنفاق يذهب لصالح الشركات الكبيرة والجيوش الأجنبية والوطنية ومعدات المراقبة. وأعتقد أن هذه هي الطريقة التي تم فيها تحويل الفائض في الميزانية الفدرالية إلى معدل قياسي في العجز في الوقت الذي يشهد فيه سوق العمل تحديداً تراجعاً اقتصادياً وتردياً مطرداً.

وحتى أكون منصفاً، لا بد أن أذكر بأن الاقتصاد كان سيئاً في السنوات الأولى التي تسلموا فيها السلطة. أما من حيث الواقع، فقد كانوا غير مسئولين وغير موفقين في تعاملهم مع المشاكل الاقتصادية. ففي ردهم على تدهور سوق الأسهم، قاموا بإيجاد طفرات من أسواق سندات الإسكان والأوراق المالية. وفي ردهم على تنامي عدم المساواة بين فئات المجتمع، عمدوا إلى تشريع عدد من التخفيضات الضريبية ذات الآثار المدمرة لصالح الأكثر ثراءً في المجتمع. وفي تعاملهم مع العجز في الميزان التجاري، أوجدوا ضغوطاً تنازلية لخفض الأجور ودعم الأرباح بحيث لم تترك أمام المواطن خياراً سوى ملاحقة أرخص البضائع المستوردة، بينما يستمتع الأثرياء الذين يزداد ثراؤهم بشراء البضائع الأجنبية الفاخرة. ولا عجب من أن يؤدي هذا إلى مزيد من عدم المساواة، وتفاقم العجز في الميزان التجاري، وعدم استقرار دائم. واليوم توشك فقاعة سوق الإسكان أن تنبجس. وكانت بعض الإجراءات الهادفة إلى تحرير السوق متناسقة أيديولوجياً، إلا أن عدداً كبيراً من السياسات الرئيسة تبدو وكأنها وضعت لمكافأة مؤازري الحزب وإثراء الأصدقاء واستخدام المال العام في تمكين الأصدقاء والحلفاء، وبعض جماعات الناخبين ذوي الأصوات الترجيحية في الولايات. إن هذا القصور الصارخ في الكفاءة، وعدم المقدرة على تحقيق تقدم بسيط وأساسي في

تطبيق رؤيتهم العالمية يعني أنهم يقومون بأعمال تفتقر إلى الحكمة والحصافة. وهم يقومون بذلك بشكل سيء للغاية، أنظر فقط إلى سجل سياساتهم الخارجية لتشاهد مدى فداحة إخفاقاتهم.

فالميزانية الفدرالية عبارة عن كارثة. والعجز في الميزان التجاري في حالة تضخم خارج حدود السيطرة. والدولار في حالة هبوط، ومعدلات الفقر في تصاعد. وتخطت الصين الولايات المتحدة بوصفها المحطة المفضلة للاستثمارات الأجنبية المباشرة. ونشهد الآن أعلى معدلات عدم المساواة في توزيع الثروة في العالم المتحضر، الأرقام في تصاعد مضطرد، وعشرات الملايين يفتقرون إلى التأمين الصحي. إنني لا أحب أسلوبهم في التعامل مع هذه القضايا، علاوة على أنهم لا يحسنون عمل ما يسعون إلى تحقيقه. فنحن أمام سياسات مريبة تنفذ بطريقة سيئة، هذا هو ملخص عمل هذه الحكومة. وأنا أوجه هذا السؤال إلى الناس الذين يقرأون أو يستمعون إلى هذه المقابلة. أن يسألوا أنفسهم إن كان هذا الأمر مقبولاً أم لا؟ هل هذا هو أفضل ما يمكن لأمريكا أن تفعله؟ أعتقد أن الجواب سيكون بالنفي. ولا أعتقد أن النظرية الاقتصادية أو التاريخ تدعم أو تنظر بعين الرضا عن أفعال هذه الحكومة ونتائجها.

جيرمي إيرب: ما الذي تراه في نظرتهم الاقتصادية العالمية؟

هناك النظرة العالمية المتبنّاة، ثم هناك السياسة الاقتصادية المتبعة. والفكرة هي أن القطاع الخاص أكثر فعالية في عمله وأقل كلفة. وأنه في النهاية أفضل من القطاع العام، ولذلك يجب تقليص القطاع العام ما أمكن، ويجب تحرير القطاع الخاص من الأنظمة والقيود الحكومية كي يتمكن من إيجاد حلول مربحة للمشاكل الاقتصادية. وهذه النظرة كانت وما تزال مبادرة تعتمد على النظرية الأيديولوجية. إلا أن الواقع - كما هي حاله دائماً- هو أكثر تعقيداً من النظرية. ولا توجد قوى خالصة من الخير والشر في الاقتصاد. والأسواق الحرة لا توجد

خارج نطاق كتب نظريات الاقتصاد. والأسواق الحقيقية، شأنها شأن غيرها من المؤسسات، لديها نقاط قوة حقيقية ونقاط ضعف فظيعة. والأسواق ما هي إلا وسيلة من بين وسائل متعددة طورتها المجتمعات البشرية لتوزيع الثروة من بضائع وخدمات. وتتحدد قوة وفعالية وعدالة هذه الأسواق بقوة وفعالية وعدالة المجتمعات التي أوجدتها، واحتضنتها، ودعمتها، وأثرت فيها. والأسواق ليست طبيعة حتمية. فأماكن التبادل أوجِدت ورعيت من قبل مجتمعات محددة، وهذه الأماكن تتعدّل وتتأثر بتلك المجتمعات. هذه العوامل كلها تنكرها حكمة الأسواق الفعالة التي تنشأ بشكل طبيعي وبمعزل عن الزمن وعن المجتمعات، والتي يحتفل بها ويقدسها كثير من أعضاء هذه الحكومة. وهذا ليس بأكثر من نموذج ودعاية علمية بهدف القضاء على إصلاحات الصفقة الجديدة ودولة الرفاه والتكافل الاجتماعي التي أعقبت فترة الكساد الاقتصادي العظيم الذي عانت منه البلاد في الثلاثينيات من القرن الماضي.

والمشكلة هي أن الطبقة الوسطى الأمريكية، وإلى حد ليس بالقليل، هي نتاج هذه السياسات التي يسعون إلى القضاء عليها. وهم بحاجة إلى الترويج لأيديولوجية جديدة لإقناع قطاع عريض من الطبقة الوسطى للتصويت على فنائها واحتقار أي شيء يقف في طريق هذا المشروع. وهذه النظرة العالمية هي خليط غريب من عبادة السوق وخطاب القيم التقليدية، وتتطلب مزيجاً غريباً من القيم الأسرية والشركاتية، والسياسات المناهضة للضرائب، واحترام التدخلات العسكرية الخارجية، وقوة وسطوة الأجهزة الأمنية. وسياسة بوش هي فرانكنستاين(*) تم ترقيعه وتجميعه بطريقة بدائية، وهي سياسة يحددها خليط

(*) هذا الاسم مأخوذ عن رواية بعنوان فرانكنستاين من تأليف ماري شيلي. وفرانكنستاين هو اسم العالم المهووس الذي يقوم - بحسب الرواية الخيالية- بصنع وحش مارد على شكل إنسان. وتكون نهاية هذا العالم على يد الوحش الذي صنعه.

مضطرب من الحقد على معارضيهم من الأيديولوجيات المغايرة، والميزة العسكرية، والقيم الأسرية الزائفة، والابتزاز الحر للسوق (الذي يطلقون عليه السوق الحرة). ولا أعتقد أن هناك الكثير من الحقائق الاقتصادية الصلبة تدعم مبادراتهم. لقد فشلت فشلاً ذريعاً في التطبيق العملي. وتظهر بين الحين والآخر أنباء هذا الفشل الاقتصادي في العناوين الرئيسية للأخبار على الرغم من الجهود التي يبذلها فريق بوش لطمسها. وعاجلاً أم آجلاً سيفيق المستهلك الأمريكي ليجد نفسه يغوص في الدين أكثر فأكثر. وأمام تراجع الأجور وكساد سوق العمل. في السابق، أدى فشل الأسواق الحرة الخاصة في تحقيق الوعود التي تبجحت بقدرتها على تحقيقها إلى تدخل الحكومة لتدارك وحل المشاكل التي أوجدتها الأسواق المثالية النظرية. وفي مثل هذه اللحظات من خطاب السوق الحرة تكون شعبية هذه الأسواق أشبه بشعبية هيربيرت(*) هووفر عام 1932.

جيرمي إيرب: إذا كانت هذه هي نظرتهم العالمية، فكيف حاولوا تطبيقها؟ ما هي أهم الخطوات الرئيسة التي اتخذوها بهذا الصدد؟

موجات متتابعة من تخفيضات جوهرية في ضريبة الدخل التصاعدية، وضريبة الإرث، وضريبة زيادات رأس المال. وتم سن اثنتين من هذه التخفيضات، وهناك تخفيض ثالث قادم لتأمين إعادة انتخابهم. تصوّر هذه التخفيضات الهائلة في الضرائب في وقت نعاني فيه من عجز قياسي في الموازنة يصل إلى 500 بليون دولار. بإمكانك أن تقرأ عن ذلك في الصحف. والأكثر استهدافاً هي ضريبة الدخل التصاعدية. وهذا النوع من الضرائب يتصاعد بارتفاع الدخل.

(*) هيربيرت هوفر (1874- 1964) الرئيس الحادي والثلاثين للولايات المتحدة (1929-1933) شهدت البلاد في عهده حالة انهيار اقتصادي هو الأسوأ في تاريخ الولايات المتحدة. خسر خسارة فادحة في الانتخابات الرئاسية أمام فرانكلين روزفلت عام 1932.

وفي هذا النوع من الضرائب لا تدفع ضرائب أكثر بل تدفع نسبة أكبر من دخلك. هذا النوع من الضرائب وغيرها من الضرائب التي تهدف إلى معادلة مستوى دخل الأفراد يجري استهدفها بالإلغاء. وهذا تخفيض متعمد للعدالة في النظام الضريبي. بمعنى آخر، أننا وعن طريق النموذج الضريبي، نكافئ أعلى الأفراد دخلاً في المجتمع أكثر من اي وقت مضى، على الأقل منذ العهد الذي بدأت فيها الرأسمالية المدارة في الثلاثينيات. وجرى تقليص التمويل الحكومي وتخفيض الخدمات، بمعنى نقل الثروة من الأكثرية إلى الأقلية. إن استهداف الفئة الأكثر دخلاً وأكثر ثراءً بتخفيضات ضريبية يكون لسببين: إما بسبب أنك فاسد وتحاول مكافأة الأشخاص الذي تبرعوا لحملتك الانتخابية، أو أنك تؤمن حقاً بأن اقتصاد "الترسب إلى الأسفل"(*) يعمل فعلاً. وعلى فرض انك لست فاسداً، وانك تسعى إلى إعادة توزيع القسم الأعظم من الثروة إلى الأثرياء على أمل أن يعيدوا إنفاقها، موجداً بذلك اقتصاداً يقوم على تلبية احتياجات ورغبات النخبة الغنية: قطاع خدمات واسع لسلع نزوات البذخ والترف، خدمات مهنية خاصة، بيوت الراحة والاستجمام، مناطق سياحية ومسابح، وقطاع طبي خاص مؤسس حول القرار الفردي الخاص بالإنفاق. هل يبدو هذا الوصف شيئاً معهوداً لدينا؟

إضافة إلى ذلك، فأنت بحاجة إلى الإطاحة بالنقابات العمالية، وتخفيف الرقابة على الشركات، وتقييد حرية الأفراد في رفع الدعاوى القضائية ضدها. وستحتاج إلى تخفيض المعايير البيئية، وتقييد سلطة الولايات في سن التنظيمات، وتخفيض الضرائب المفروضة على الشركات. ومعظم هذه الأمور تم تحقيقها بالفعل، لذلك سيتركز الاهتمام على تقديم الإعانات المالية الحكومية

(*) نظرية اقتصادية تقول بان ثراء الأثرياء سيعود بالفائدةفي النهاية، على الفقراء. اي انه كلما ازدادت الطبقة الغنية غنى استفادت الطبقة الفقيرة من هذا الغنى لأن الثروة ستترسب إلى الأسفل عن طريق ما ينفقه الأغنياء على انفسهم. وهذا هو سبب منح إعفاءات ضريبية للأغنياء الذي يتحدث عنه الباحث في هذه المقابلة.

من أموال الشعب إلى الشركات الخاصة. وستكون الأفضلية للخصخصة وللعقود المبنية على التكلفة زائد الربح. والحروب هي طريقة شائعة في نقل الثروة وإسكات المعارضة والنقد للسياسات الحكومية. وفي ضوء هذا كله يمكن الافتراض أنهم يؤمنون حقاً بنظرية ترشّح الثروة إلى الأسفل، أو أن المسألة هي حطّم وانتزع على طريقة عصابات قطاع الطرق.

جيرمي ايرب: هل يمكنك أن تضع لنا هذه التخفيضات الضريبية في إطارها التاريخي؟

من الأشياء التي توضح مدى تطرف هذه الحكومة هي أنهم خفضوا الضرائب مرتين، على طريقة رونالد ريغان. وهم يسعون إلى سن المزيد من التخفيضات الضريبية. وعليك أن تتذكر أن سياسات ريغان وبوش الأول قد أصبحت الآن قوانين مفروضة. لذلك فقد أخذوا حظهم من الخصخصة، وزيادة عجز الموازنة عن طريق الإنفاق، وتخفيض الخدمات الحكومية، وفرض السياسات الضريبية القمعية، زيادة إلى كم هائل من البرامج المشابهة التي تمت في ظل الحكومات السابقة بما فيها حكومة كلينتون. كل هذا يحدث في الوقت الذي ينفقون فيها المليارات أسبوعياً على مغامراتهم العسكرية. وبعد مشاهدة هذه النتائج التي دفعت أنصار ريغان فيما بعد إلى الموافقة على رفع الضرائب- وصول العجز الحكومي إلى مستويات قياسية، وانتشار عدم المساواة مع ما يصاحبه من علامات الخطر السياسي والاجتماعي- تزداد هذه الإدارة في غيّها. وردهم هو: "لقد أوجدنا هذه الورطة، فلنزد في حجمها كي نتمكن من تغيير الأشياء بشكل حقيقي". وما فعلوه في الداخل هنا يشابه ما فعلوه في العراق. فما ان بدأت الحملة العسكرية هناك، حتى تحولت إلى أمر طارئ بسبب الفشل الذي تواجهه. وقد ينال بوش شهرته بوصفه الرئيس الذي أنهى بشكل مدمر الحرب التي بدأها أبوه في الخليج، وحرب ريغان على دولة الرفاه والطبقة الأمريكية

الوسطى. فأمامه كثير من الأعمال التي لم تستكمل، وقليل من القيود- الخارجية أو الداخلية- وهذا مزيج قابل للانفجار. والسؤال الحقيقي هو ما مدى الأضرار التي ستنتج عنه.

جيرمي إيرب: لماذا يعتبر تفاقم العجز في الموازنة من الأمور التي يجب أن تحظى باهتمام المواطن الأمريكي العادي؟

عجز الموازنة العامة هو من المسائل التي يكثر الخلاف حولها لعدم وضوحه ولكثرة استغلاله سياسياً. وبأبسط العبارات، عجز الميزانية يعني أن الضرائب المحصلة لا تكفي لتغطية النفقات الحكومية. فإذا كان العم سام ينفق من الأموال أكثر مما لديه فهو يعاني من عجز في الميزانية. وإذا أنفق الفرد العادي أكثر مما لديه من مال فإنه أيضاً يعاني من عجز في الميزانية. ووجود عجز في الميزانية هو ظاهرة شائعة لدى الحكومات عبر التاريخ. وأشهر أسباب العجز هو الرغبة في تنشيط الاقتصاد. فالحروب، والكوارث، والمشاريع العامة الضخمة، والتراجع الاقتصادي تترك الدولة بدون أموال كافية لتنفيذ المشاريع القائمة أو المشاريع التي ترغب بإقامتها. كما أدت حالات الركود الاقتصادي في الولايات المتحدة إلى زيادات كبيرة في المديونية العامة للدولة في العصر الحديث. والدين العام هو محصلة العجز والفائض في الميزانيات السابقة. وتتأثر الشركات والأعمال الخاصة التي تتمتع بكامل الحرية في كيفية إنفاق ما لديها من مال- وهذه الحرية هي جوهر المشروع التجاري- بالمؤشرات الاقتصادية، القريبة منها والبعيدة. وفي ضوء هذه المؤشرات تبدأ هذه الشركات والأعمال بادخار أموالها تحسباً للمشاكل المستقبلية. وماذا يعني ذلك؟ يعني أن هذه الشركات والمشاريع ستخفض إنفاقها على المعدات الجديدة، وتقلص تطوير منتجات جديدة، وتسرّح أعداداً من العمال والموظفين.

وتحتاج الشركات إلى اتخاذ مثل هذه التدابير لغايات المحافظة على البقاء في ظل الظروف الاقتصادية الصعبة القادمة، سواء كانت تلك الصعوبات حقيقية أم متوهمة. وهذا بدوره يتسبب في إحداث مشاكل اقتصادية: فهناك أموال خرجت من دورة الاقتصاد، فهي خارج النظام الاقتصادي، وخروج الأموال من دائرة التعامل يؤدي إلى الركود الاقتصادي، وهو ما حدث في بداية ربيع عام 2000. وحاولت الحكومة الأمريكية أن تتدخل لحل هذه المشكلة عن طريق تخفيض الضرائب وزيادة الإنفاق الحكومي. وبذلك خفضت الحكومة الفدرالية من دخلها نتيجة للتخفيضات الضريبية وزيادة إنفاقها العام. فهي تنفق أكثر مما لديها. لذلك فهي بحاجة إلى الاقتراض لتعويض الفارق بين الدخل والنفقات. ومن هنا بدأ النقاش حول العجز. والحد الأدنى من المعلومات التي يتحتم على أفراد الشعب معرفتها من هذا كله هو: ما الذي كسبوه، وما الذي خسروه. أيّ الضرائب جرى تخفيضها، وأيها لم يخفض. وأين تنفق الضرائب التي يدفعونها، وما هي البرامج التي لا ينفق عليها؟ هذا هو كل ما يهم الفرد الأمريكي معرفته. فإذا جرى تخفيض الضرائب التي تدفعها، فأنت في وضع جيد. وإذا كانت الضرائب التي خفضت ليست من الضرائب التي تدفعها أنت، فأنت لم تستفد شيئاً. ونقص ما لدى الحكومة من أموال لإنفاقها على البرامج التي تحتاجها أو تريدها. وقد يخسر المواطن العادي من تخفيض الضرائب، وقد يستفيد بحسب نوع الضرائب التي خفضت وتأثيرها على المجتمع المحلي. وبالمثل، إذا قامت الحكومة بزيادة إنفاقها لمعالجة الركود الاقتصادي، فالسؤال هو أين يذهب هذا الإنفاق؟ فإذا انصب الإنفاق على أمور تستفيد منها أنت، فأنت في وضع أفضل، وإذا انصب الإنفاق على أشياء تضرك فأنت في وضع أسوأ.

جيرمي إيرب: ما هي تبعات هذه السياسات الاقتصادية على الطبقة الوسطى؟

هناك الملايين من الناس الذين يظنون أنهم من الطبقة الوسطى، بينما هم في واقع الأمر من الطبقة الفقيرة. فقد قاموا بإعادة تمويل منازلهم عدة مرات، وتتراكم عليهم ديون بطاقات الائتمان. وهم في حالة من المديونية المتواصلة. ولم تُجَارِ معدلات أجورهم زيادات الإنفاق والغلاء منذ سنوات. وقد يكون بإمكاننا العيش والإنفاق على نمط الطبقة الوسطى، إلا أن الرخاء قد أصبح بعيداً عن متناول ملايين الأمريكان. ولم يعودوا من الطبقة الوسطى. وأعداد هذه الفئة من الناس في تزايد مطرد. ومع أول عقبة يواجهونها في توفُّر الاعتماد المالي، أو في إعادة تمويل المنزل، أو عندما يتم قطع بعض الخدمات الأساسية من قبل الحكومة المثقلة بالديون، فإنهم سيشعرون وقتها بأنهم تخلفوا عن الركب، وبقوا في المؤخرة. وهناك شعور متزايد بين أفراد هذه الطبقة بأن الحلم الجميل بدأ يتلاشى شيئاً فشيئاً.

ويمكنني التكهن بأن أكثر من ثلث الطبقة الوسطى العريضة من المجتمع بحسب تحديد علماء الاقتصاد، وليس بحسب ادعاء أفرادها- هم في الحقيقة من الفقراء. فهم يعملون بجهد ومشقة، ولأنهم مثقلون بالديون، فقد أرسلوا كل فرد في المنزل إلى العمل لساعات أطول. وبإمكانهم العيش وكأنهم من الطبقة الوسطى. ومع ازدياد أمد هذا النظام، تزداد معه رقعة الفقر، وتتسارع معه اللحظة التي سيدركون فيها أنهم لم يعودوا من الطبقة الوسطى. ويرتكز المستقبل السياسي للبلاد على كيفية تعامل أبناء هذه الفئة من المجتمع مع: (أ) - حقيقة أن أعدادهم في تزايد مطرد، و(ب) - على من سيلقون مسؤولية هذا التردي. هذا هو محك تحديد المستقبل الاقتصادي، وربما المستقبل السياسي لهذا البلد. إن تراكم غضب هذه الفئة من الناس ومحاولاتهم البائسة في تحديد سبب معاناتهم قد بدأ يشكل قوة محركة في هذا المجتمع. وعادة ما يشار إلى هذه الفئة في الخطاب العام بـ "أمهات السوكر" و "آباء الناسكار". وهم ضحايا أكبر عملية إعادة توزيع الثروة إلى الأعلى في العالم الحديث.

جيرمي إيرب: كيف ترد على إدعاء الحكومة بأن 11 سبتمبر هو احد أسباب التردي الاقتصادي الذي تشهده البلاد؟

ما من شك أن تلك الهجمات قد أحدثت جلجلة في البلاد، واهتزت لفظاعتها مشاعر الناس، وكانت حدثاً مروّعاً ومدمراً شاهدناه على شاشات التلفاز مرة تلو المرة. وقد أدت تلك الهجمات إلى تفاقم الأوضاع الاقتصادية السيئة التي كانت قائمة. إلا أن تلك الهجمات لم توجد الركود الاقتصادي ولا التراجع الذي شهدته سوق الأسهم، وهو ما كان يحدث قبل وقوعها.

والقول بأن خطة بوش ما هي إلا رد على 11 سبتمبر هو في نظري فكرة سخيفة كلياً. والمثال الذي يوضح ذلك هو أن الخطة المتعلقة بالضرائب التي اقترحها بوش عقب 11 سبتمبر هي ذات الخطة التي بنى عليها حملته الانتخابية عام 1999. ويصعب عليّ أن أضع هذا التحايل ضمن أي إطار أيديولوجي محدد. إنها الميكافيلية والانتهازية السياسية في أوضح صورها. ولا أعتقد أن لخطتهم أي علاقة بأحداث 11 سبتمبر سوى أنها فسحت أمامهم المجال لتنفيذ سياساتهم المرسومة من قبل. لقد حوّلت تلك الهجمات حكومة كانت تفتقد إلى الشرعية لعجزها عن الحصول على غالبية أصوات الناخبين في الانتخابات الرئاسية إلى بطل يدافع عن أمة ترزح تحت الخوف والحصار. ولم تضيّع تلك الحكومة أي فرصة في الإسراع بسن التشريعات التي لا تحظى بالتأييد الشعبي في وقت كانت الأمة لا تزال تندب فيه ضحاياها.

جيرمي إيرب: هل تشاهد اي صلة بين الخطاب الاقتصادي والسياسات الخارجية لهذه الإدارة، وتحديداً الأيديولوجية السياسية التي برزت عقب 11 سبتمبر؟

ترتبط السياسية الخارجية بالاقتصاد ارتباطاً عضوياً. وهذه الأوقات هي أوقات غير آمنة بالنسبة للشركات والحكومة على حد سواء، وهما في واقع

الحال شيئاً واحداً. وإذا أردت مثالاً جيداً على الترابط العضوي بين الحكومة والشركات فلست بحاجة لأن تنظر إلى ما هو أبعد من إدارة بوش. وبإمكانك أن تسمع صوت حركة الباب الدوّار بين الحكومة والشركات. إنه عالم مخيف. وإذا كنا ننظر إلى عهد كلينتون بأنه عهد السوق الحرة والتجارة الحرة الذي استخدمت فيه الولايات المتحدة نفوذها في منظمة التجارة العالمية، وصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، وبنك التسويات الدولية، ومنظمة التعاون الاقتصادي والتطوير، وهيئة الأمم المتحدة..الخ، فإن جماعة بوش أكثر شهرة في تشجيع الاتفاقيات الثنائية للصفقات العسكرية، وذلك على الرغم من أنهم خاضوا حملتهم الانتخابية على برنامج يعارض التدخل الخارجي وتحميل الجيش أعباء فوق طاقته، والانخراط في بناء الأمم- وهي كل ما يقومون به الآن. وفي أثناء ذلك، فشلوا في استمالة الأصدقاء والحلفاء إلى جانبهم، وإحداث أي تقدم في ميدان التجارة الحرة. وهم يعكفون الآن على القيام بتحويل شامل في الاقتصاد العالمي، وقد بدأ هذا التغيير يأخذ زخماً وطابعاً اضطرارياً بعد 11 سبتمبر.

إن هذه الإدارة تعمل على تحويل النظام العالمي إلى نظام تكون فيه القوة العسكرية المهيمنة هي أساس النجاح الاقتصادي. وتؤمّن في ظله العقود عن طريق الاحتلال أو التهديد باستخدام القوة. وتُسلب الثروات الطبيعية أو تؤخذ تحت ضغط التهديد. ويمكنك أن تشاهد في "تحالف ذوي العزيمة" كيف تم شراء ولاء الدول أو أجبرت تحت تأثير الضغط إلى الانضمام إلى التحالف. كما أجبرت على الخروج من عضوية المحكمة الجنائية الدولية، لأن تلك الدول كانت بحاجة إلى الدعم الأمريكي. ويجري الآن تطوير مجالات جديدة من التأثير تقف فيها الولايات المتحدة ضد كل من يقف في طريقها بالإخضاع أو المناورة، أو بالهجوم المباشر على تلك الدول. والفكرة المنتشرة في وزارة الخارجية ووزارة

الدفاع هي أننا نعيش في عصر اقتصادي جديد: إنها ليست من قبيل الصراع بين الشركات، على الرغم من أن تلك هي لغة الخطاب المستخدمة. إنها معركة تستخدم فيها القوة العسكرية المركزية وعلى حساب أرواح الأمريكان والأجانب، وعلى حساب إهدار الموارد الأمريكية والأجنبية بهدف تأمين موقع مهيمن للشركات الأمريكية ولأمريكا في القرن القادم.

جيرمي إيرب: من أبرز الوسائل التي استخدمتها إدارة بوش لتسويغ سياساتها الاقتصادية في أعقاب 11 سبتمبر هي ربط تلك السياسات كلها بالمصلحة الوطنية...

مسألة الوطنية لها مفهوم مشابه في الاقتصاد. إذ يتردد على السنة الكلاسيكيين الجدد في الاقتصاد مقولة تنسب لمارغريت تاتشر وتقول "لا يوجد بديل". فقد تعجبك هذه السوق الحرة التي ندعو إليها-الولايات المتحدة، منظمة التجارة العالمية، صندوق النقد الدولي، البنك الدولي- وقد لا تعجبك، وهذا لا يهم، لأنه في كل الأحول لا يوجد أمامك خيار أو بديل آخر. إما أن تلعب لعبتنا، أو يكون مصيرك التخلف والفقر والتعاسة والسقوط في هاوية الأيديولوجية غير العلمية. والشيء نفسه يحدث الآن على الصعيد السياسي. وتنحصر قائمة الخيارات في الطاعة والوطنية، أو المعارضة والعدو المقاتل، أو الخائر. هذه السلسلة من الخيارات الكاذبة هي ما تكرره على أسماعنا إدارة بوش كل يوم، وبات معظم الشعب الأمريكي مقتنعاً بها. وفحواها: لا تشكك ولا تسائل الحكومة عن أفعالها، وأرسل أبناءك إلى أي حرب تعلنها الحكومة، وادفع نصيبك من الضرائب، وادعم تخفيض الضرائب لصالح المليارديرين في مجتمعك، وأغلق فاك ولا تتحدث بشي، وسوف نكافئك بما تبقى خلفنا على المائدة، سيكون الفتات من نصيبك أولاً، أما البقية فليس لهم شيء. هذا هو النموذج العالمي والمحلي من مبدأ "لا يوجد أمامك خيار". ولكن تحت ظروف قاسية في ظل

اقتصاد ما بعد الحرب. والآن والبلاد مهددة بالخطر، وخطر حقيقي، رغم أنني أعتقد أن هذه الخطر هو نتيجة سياسات خارجية قامت بها هذه الإدارة- فإنه ينتشر بين الناس الآن شعور بعدم الأمان؛ وقد يكون سبب ذلك هو العمل الشاق والمجهد لساعات طويلة، وقد يكون بسبب تقلص الخدمات التي تقدمها الحكومة، وقد يكون من مشاهدة الناس من حولك يعانون من نقص المال لتلبية احتياجاتهم، وتردي مستوى معيشتهم، أو من حقيقة وجود حوالي 50 مليون شخص في هذا البلد بدون تأمين صحي، أو بسبب خروج ملايين الوظائف من سوق العمل تحت حكم بوش- نعم هناك شعور أساسي بعدم الأمان لدى كثير من الناس. ويرتبط هذا الشعور بالخوف والقلق حول بقاء الأسرة، وحول إمكانية الاستمرار في الوظيفة، وحول استقرار البلد، وأمان التقاعد، والعلاقة مع الأبناء، والمدارس التي ترسلهم إليها، الخ. وهذا كله تم استغلاله. والفكرة متجذرة في تمجيد الفائزين: أمريكا والجيش الأمريكي هم الفائزون. إلا أنها أجندة هشة لدرجة أن شخصاً واحداً يقف على زاوية الشارع وبيده لافتة تندد بهذه الأجندة يمكنه أن يقوضها. ويجد كثير من الناس الذين يعيشون في حالة خوف وتشويش في هذه الرؤية المبنية على الارتياب والخوف وانعدام الخيارات في المستقبل عزاءً وسلواناً لأنهم يريدون ويحتاجون إلى أن يتطلعون إلى قادتهم في مثل هذه الأوقات العصيبة. لقد فُهّموا أن النخبة هم فقط الذين يملكون الجرأة على رد الكلام والمخالفة، وشُجّعوا على تحديد معارضي سياسات الحكومة بأنهم من الأغنياء المتشاكين والذين لا يؤدون واجبهم في المساعدة. فالانتقاد، كاللسان المنفلت، بإمكانه أن يغرق السفن. وعندما يحكمك إمبراطور عريان، فإن قضايا الملابس تكون دائماً خارج نطاق النقاش. ومن دواعي الرعب الجماعي لكثير منا، فإن هذا الإمبراطور هو عريان بكل وضوح. ومشاهدة هذا الإمبراطور العريان في هذه الأوقات العصيبة دفع الملايين إلى تخيّل أنه يرتدي أبهى أنواع الثياب. ولكنك إذا كنت لا ترى الثياب، فأنت من أصحاب رؤية مختلفة، من الفئة غير المرغوبة.

جيرمي إيرب: قد يرى كثير من الناس أن زيادة الإنفاق العسكري الذي قامت به هذه الحكومة سيفيد الاقتصاد. ما رأيك بذلك؟

تساعد زيادة الإنفاق العسكري في تحسين الاقتصاد لأن أي إنفاق حكومي من شأنه أن يحسن من الاقتصاد. والفارق هو بحسب وجوه هذا الإنفاق: فإما أن نكون أمام مزيد من الشباب من حملة الشهادة المدرسية أو الجامعية أو أمام الصواريخ والقنابل غير المنفجرة في دول العالم الثالث. وفي كلتا الحالتين نحن أمام إنفاق حكومي: وكلاهما يضخان المال في عجلة الاقتصاد. فجميع تمول من عمليات شراء وبيع البضائع والسلع والخدمات التي سيستفيد منها الاقتصاد في النهاية. ولكنك إذا قمت ببناء مخزون ضخم من الذخيرة والأسلحة، فإن إغراءات استخدامها ستزداد. ومعنى ذلك أن الأموال ستجد طريقها إلى أربع أو خمس شركات متعاقدة، وتحصد فوائد هذا الإنفاق.

والمسألة الأخرى هي أن الحكومة إذا غالت في الإنفاق بما يتجاوز ما في الخزينة- وهو ما حصل عام 2003 بما يربو على 400 مليار دولار، وقرابة 500 مليار عام 2004- فإن هذه الأموال يجب أن تسدد. وهذا يعني أن الشعب الأمريكي في المستقبل القريب سيدفع الضرائب دون أن يحصل على شيء مقابلها. وهذه الضرائب التي ستجمع في المستقبل ستذهب إلى الجهات التي أقرضت الحكومة الأمريكية هذه المبالغ بشرائها السندات الحكومية. ومن ضمن الذين اشتروا أعداداً كبيرة من تلك السندات مؤسسات أجنبية وأفراد أجانب يملكون ثلث المديونية الأمريكية، وتعود البقية للمصارف وشركات التأمين وأشخاص أثرياء هنا في أمريكا. وفي غمرة التصريحات الجريئة، وخطاب الإنفراد الأمريكي والمسيرات والاستعراضات العسكرية، باعوا مستحقات الضرائب المستقبلية للحكومة الفدرالية إلى بقية العالم. ومهما بلغنا من القوة والعظمة، فإن علينا أن ندفع ثلث مواردنا المستقبلية من الضرائب للدائنين

الأجـانب. وهـذا ليس من "المانشـو" في شيء. وسـوف نخـسـر صـورة وانطبـاع "الكاوبوي": فـراعي البـقـر الذي يوقف حـصـانه ويتـرجل عنه ليـذهب إلى أقـرب مكتب "ويسترن يونيـون" ليحوّل الأمـوال إلى بقيـة العالم ليس من المشاهد المعتادة في أفـلام الكاوبوي. وهـذا الكاوبوي الـذي نتـحـدث عنه سـيـتـحـتم عليـه ترجل حـصـانه كثيـراً لكي يسـدد دفعـات ثمن الحـصـان والسـرج والمسـدس والحـذاء والقبعة. وسوف نشاهد هذا الكاوبوي يصول ويجول هنا وهناك، إلا أن هذا يضر بالانطباع السائد عن الكاوبوي.

جيرمي إيرب: قد يرد على النقد الذي وجهته للسياسات الاقتصادية لهذه الحكومة بأنه من قبيل "صراع الطبقات"، ما ردك؟

صـراع طبقـات؟ وكأن هناك خيـار. أعني أن هناك طبقـات مـختلفـة للدخل، وهو ما يعنيه الناس بالطبقة: الأثرياء أو الأقل ثراءً. وأفـراد الطبقات المختلفة من الدخل لديهم مصالح مختلفة. وهناك نظريات أخرى حول الطبقات. وإحدى هذه النظريات تقسم الاقتصاد بحسب المواقع المتعلقة بالإنتاج، وتوزيع القيمة، وفائض القيـمـة (تشبـه الربح إلـى حد مـا) وتفصح هذه النظرية عن مـعان قـوية إلا انها نادراً ما تحظى باهتمام السياسـات الأمريكية، ولذلك فسوف لا أتعرض لها كثيراً في هذه المقابلة. ومع ذلك، أعتقد أن الناس سيفهمون سؤالك بطريقـة مختلفة لو كان في ذهنهم هذه النظريـة حول الطبقـات. ومن الجميل نقول بأن الجـمـيع لهم مـصـالح واحـدة، وأن بإمكاننا أن نخرج خلسـة للاسـتمـتاع بغروب الشـمس، وكـان القضية حكاية من الحكايات الشعبية للأطفال إلا أنها، وكباقي حكايات الأطفال، يتبين لك بعد أن تبلغ العـاشرة من العمـر وتبدأ بمواجهة حقائق وواقع الحيـاة، أن الجنّي لا يـخـرج من مـصـبـاح عـلاء الدين، وأن مدخنـة الموقد لا ينزل منهـا رجل سمين ذو بيجامة حمراء ليضع الهدايا تحت الشـجرة ويسـترط الحليب والكعك، لقد آن الأوان لأن تكبر وتتابع حياتك. وقد حان الأوان لمواجهة حقيقة أن مصالح الناس ليست واحدة.

جيرمي إيرب: ما رأيك بما تقوله لنا الحكومة كل يوم من أن الاقتصاد في حالة تحسن، وأن المؤشرات الأساسية تبرهن أن خطة بوش الاقتصادية كانت صحيحة منذ البداية؟

من هو الذي تحسنت أحواله؟ ومن هو الذي لم يتحسن؟ فالملايين الذين ما زالوا عاطلين عن العمل لم تتحسن أحوالهم الاقتصادية. بل خسروا. وكذلك الملايين الأكثر من الذين يتقاضون أجوراً أقل من أجورهم الطبيعية، ويفتقرون إلى التأمين الصحي، ولا يملكون المقدرة المالية لوضع أبنائهم في الحضانة، وتثقل الديون كاهلهم، وغير ذلك. هؤلاء خسروا. وكذلك المعدلات القياسية لنسبة الذين لا يقدرون الوفاء بأقساط منازلهم وأقساط بطاقات الائتمان، وهؤلاء لم تتحسن أحوالهم، وهم في الطرف الخاسر. الاقتصاد تحسن بشكل عام، وهذا جيد. وهو الآن أفضل مما كان عليه قبل عامين، عندما كان في حالة متردية حقاً. وإذا كان لي أن استخدم القياس لتوضيح ما حدث فأقول، إذا كان لديك ابن يحصل على تقدير (د) في جميع المواد، ثم يأتي في العام القادم وقد حصل على تقدير (ج)، فهذا جيد. إنه تحسن مهم وينبغي الاعتراف بذلك. وفي المقابل، فإن هذا ليس هو أفضل ما يمكن تحقيقه. وينبغي أن ننظر إلى الأمور ضمن إطار الصورة الكاملة لأداء الاقتصاد، لأنه مجموع كلي هائل، أكثر من ثلاثة عشر ترليون دولار، وبما يحويه من قطاعات مختلفة، وعلى كافة مستويات الدخل، فإن من السهل أن تُطمس الحقيقة على كثير من الناس.

لقد شهدنا حالة من التعافي في سوق العمل، إلا أن هذا التعافي لم يوفر عدداً كافياً من الوظائف، إذ ما زال هناك الملايين من العاطلين عن العمل، وهذا يعني أن هناك ملايين من الأسر الأمريكية التي تتأثر بهذا النقص الخطير والمستمر من البطالة. لقد فقد ملايين الموظفين وظائفهم دفعة واحدة، لذلك فهم لم يدخلوا في عداد العاطلين عن العمل، لذلك، وبما أنهم لا يكسبون أي دخل،

على الأقل بشكل قانوني، فمن الطبيعي أن نفترض انهم في ازمة مالية. وبالمثل، فإن معدل العمل الأسبوعي شهد هو الآخر تناقصاً ملحوظاً. فنجد اعداداً كبيرة من الموظفين الذين يعملون بدوام جزئي، وربما يعملون 20 او 30 او 35 ساعة في الأسبوع، في الوقت الذي يرغبون فيه العمل 40 ساعة على الأقل. ونحن نعلم الآن أن معدل مساهمة القوى العاملة-عدد أفراد القوى العاملة- قد هبط إلى مستويات قياسية لم نشهدها منذ عقود تبلغ 66٪. بمعنى أن اعداد العاملين هي اقل الآن لأن البقية توقفوا عن محاولة الحصول على الوظيفة. ونشهد ايضاً معدلات مذهلة من المديونية الشخصية لدى الأفراد، ولجوءاً مفرطاً للخدمات العامة- فملاجئ المشردين تعج بالنزلاء، والمعونات الغذائية مستنفذة إلى حدودها القصوى في كثير من الحالات. لقد فات هذا التعافي عشرات الملايين ولا سبيل إلى التكهن بمدى استمراريته. إن اقتصادنا المتعثر بحاجة إلى كم هائل من الحوافز التي لا يمكن الاستمرار بها: فالحكومة الفدرالية تضخ الأموال في الاقتصاد، ومعها بقية العالم، عن طريق تقديم القروض بمعدلات فائدة منخفضة لا يمكن مساندها. وقد وصلت أسعار الفائدة إلى أدنى معدلات لها منذ 40 عاماً، مما يخفض من كلفة الاقتراض، وهو ما أغرى بكثير من الناس إلى الاقتراض. فكثرت الديون، وبقيت الأجور على مستواها أو أقل، لذلك فإن الناس لم يكسبوا أي شيء. والحكومة الفدرالية تتلقى أدنى نسب مئوية من ضرائب الدخل في تاريخ البلاد. والناس يشترون البضائع الأجنبية المستوردة والرخيصة ومع ذلك فهم لا يكادون يقيمون أودهم. وهذا من شأنه أن يشكك في مدى فعالية هذا التعافي وفي عدد الذين استفادوا منه. وبإمكانك أن تضيف إلى ذلك حقيقة أن أكثر من أربعين مليون أمريكي الذين يفتقرون إلى التامين الصحي، والملايين الآخرين الذين فقدوا مرتبات تقاعدهم او اصبحت لا تكفي لتغطية احتياجاتهم.

إن من شـان هذه الأمـور ان تحكي قـصة مـرعبـة عن المسـتقبل. هل يمكن للاقـتـصـاد ان يتـحـسن لبـعض الوقت؟ نعم. وآمل ان يكون ذلك. إلا أن هذه الاقتصاد، مرة أخرى، قائم على أسس ضعيفة- دعم حكومي لا يمكن الاستمرار فيه، مديونية لا يمكن تسديدها، إعادة تمويل المنازل- إنه لا يمكنك الاستمرار في هذه الأمـور إلى مـا لا نهـاية. وهذا هو مـا فـعلناه في سـبيل الالتـفـاف على الركود الاقتصـادي. وقد شكل ذلك معاناة بالنسبة لكثير من الناس على مدى السنين الثلاثة الماضية.

جـيـرمي إيـرب: مـا هي تبـعـات فـوز بوش بفـتـرة حكم ثانيـة بالنسـبـة للطبقة ذات الدخل المتوسط والطبقة ذات الدخل المتدني؟

أعتقد أن ملايينـاً وملايينـاً من الأمـريكان تولد لديهم، أو توهموا أن لديهم، ترف الشـعـور بأن بإمكانهم مـواصلة نمط حيـاتهم، وأن وضعـهم كطبقـة وسطى سيـسـتمر، بغض النظر إن جاءت حكومة افضل أم أسوأ. وقد بات من المؤكد أن هذا التـوهم أصبح من الماضي الآن. لقـد شـعـر كـثيـر من الناس أن بإمكانهم الاسـتـراحـة وأن الأمـر ليس بتلك الأهميـة سواء أكسب المعـركة الانتـخـابيـة الجـمـهوريون أم الديمقـراطيـون، وسـواء أفـاز هذا المرشح أم ذاك.. لم يعـد هذا الترف موجوداً الآن. وفي ضوء المعاناة، وتزايد الديون، وتراجع سوق العمل وعدم استقـراره، ونزوع الشـركات إلى اللجـوء إلى العمالـة الخارجيـة، وتفـاقم الهـشاشـة المالية للاقتصاد الأمريكي الحديث الذي تطور خلال الماضي القريب وأخذ يندفع بشكل مفرط في السنوات الثلاث المنصرمة، فإنه لم يتبق أي دهون لقطعها، فقد وصل السكين إلى العظم. وبرايي الشـخـصي أن قسـمـاً كبـيـراً من أبناء الطبـقـة الوسطى لن يتمكنوا من مواصلة نمط حيـاتهم في ظل اربع سنين اخرى من هذه الحكومـة. هناك ديون كثـيـرة وكثـيـرة بحـاجـة إلى إعـادة تمويل، وسيكون هناك ارتفاع متزايد في معدلات الفائدة على الديون المتراكمة، وسنشهد ضعفاً مستمراً

في سوق العمل إلى حد لا يمكن تحمله. لذلك، وكما حدث عام 2000، فإن عام 2004 سيكون استفتاء على مستقبلك، وهذا الاستفتاء يسمى الانتخابات الرئاسية. وهذه المرة، لن يكون الأمر مشابهاً لما مضى بدرجة أكثر أو اقل. وسوف لن يتمكن عدد كبير من الناس، سواء أكانوا يدركون ذلك أم لا، من الاستمرار في نمط حياتهم حتى في ظل توهمهم بأنهم من الطبقة الوسطى، في ظل أربع سنين كالتي سبقت.

نورثمبتون، ماسيتشيوستس

7 ابريل، 2003

* *

منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

"سلسلة من التأملات العميقة والمذهلة حول...العلاقة بين ١١ سبتمبر وتوسيع الإمبراطورية الأمريكية"

مقتبس من تقديم هاورد زن

"يعد هذا الكتاب أداة مهمة لا غنى عنها في الحملة الهادفة إلى إنقاذ الديمقراطية الأمريكية من أعدائها في الداخل. إنه كتاب يثير المشاعر ويقوي العزيمة كما أنه يوضح وينوّر كثيراً من الحقائق"

روبرت ماكتشينزني، مؤلف كتاب إعلام غني، وديمقراطية فقيرة

يحتوي هذا الكتاب على ٢٥ مقابلة مشوقة مع نخبة من المفكرين السياسيين ومجموعة من المطلعين على ما يجري داخل الحكومة، تكشف عن استغلال واستخدام حكومة بوش للصدمة التي أعقبت هجمات ١١ سبتمبر والحرب على الإرهاب في دفع وتكريس خطة المحافظين الجدد القديمة للهيمنة على العالم عن طريق القوة العسكرية. وتوضح هذه المقابلات الرؤية الأيديولوجية التي تقف وراء السياسة الأمريكية الخارجية منذ ١١ سبتمبر، وتعاين الإستراتيجيات السياسية التي تم استخدامها لإقناع الشعب الأمريكي بهذه الرؤية وترويجها إعلامياً.

مقابلات مع

طارق علي - بنجامين باربر - مديا بنجامين - نعوم تشومسكي - كفن دناهر - مارك دانر - شاديا دروري - مايكل إريك ديسون - دانييل إلزبيرغ - ستان غوف - ويليام هارتنغ - تشالمرز جونسون - جاكسون كاتس - مايكل كلير - المقدم (المتقاعد) كيرين كوايتكوسكي - نورمان ميلر - زيا ميان - مارك كرسبن ميلر - سكوت رتر - فاندانا شيفا - نورمان سولمون - غريغ سبيتر- عمانوئيل وولرستاين - جودي ويليامز - ماكس وولف

ست جالي، أستاذ التواصل في جامعة ماسيتشيوستس في آمهرست، ومؤسس مؤسسة التعليم الإعلامي ومديرها العام.

جيرمي ايرب، كاتب ومخرج في مؤسسة التعليم الإعلامي، ويحضر لنيل درجة الدكتوراه في التواصل في جامعة ماسيتشيوستس -آمهرست.

ISBN:9960-54-169-X

9789960541693

ORD:000120-1

موضوع الكتاب: ١- أحداث نيويورك واشنطن
٢- الإرهاب - الولايات المتحدة

موقعنا على الإنترنت:
http://www.obeikanbookshop.com